تجليد محمد صالح الدقر
تلفون ٣٢٩٧٧

A.U.B. Library

808.04927
Q619iKA
v.5-6

الإيضاح
في علوم البلاغة

للخطيب القزويني (٦٦٦ - ٧٣٩ هـ)

شرح وتعليق

محمد عبد المنعم خفاجي
الأستاذ بكلية اللغة العربية

الجزء الخامس

عني بطبعه ونشره
أحمد نجيب الرافعي
صاحب مكتبة الجامعة الأزهرية
بميدان الأزهر الشريف بمصر

١٣٦٩ - ١٩٥٠

المطبعة الفاروقية الحديثة
أول شارع محمد بك فريد الناصية

الجزء الأول إلى آخر باب المجاز العقلى .

الجزء الثانى إلى آخر باب متعلقات الفعل .

الجزء الثالث إلى آخر علم المعانى.

الجزء الرابع إلى آخر باب التشبيه.

الجزء الخامس إلى آخر الحقيقة والمجاز والكناية .

الجزء السادس علم البديع

الكلمة الاولى

هذا هو الجزء الخامس من شرحى على الإيضاح فى علوم البلاغة

وإنى لأوجه الشكر إلى جميـــع إخوانى وزملائى الذين أولوه حسن القبول وشجعونى على الاستمرار فى إخراج هذا الشرح الجديد .

وأضرع إليه تعالى أن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه الكريم .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ؟

محمد عبد المنعم خفاجى

أستاذ بكلية اللغة العربية

القول فى الحقيقة والمجاز [١]

وقد يقيدان باللغويين [٢]

الحقيقة [٣] : الكلمة [٤] المستعملة فيما وضعت له [٥] فى اصطلاح به التخاطب [٦]

---

(١) هذا هو المقصد الثانى من مقاصد علم البيان ، والمقصد الأول هو التشبيه ، والثالث الكناية

والمقصود الأصلى بالنظر إلى علم البيان هو المجاز إذ به يتأتى اختلاف الطرق — التى يؤدى بها المعنى المراد — وضوحا وخفاء . أما الحقيقة فليست بمقصودة أصلية بالنظر إلى علم البيان ، لانه لا يتأتى فيها اختلاف الطرق التى يؤدى بها المعنى المراد فى الوضوح والخفاء ، لعدم التفاوت فيها : أما الكناية فكالمجاز يتأتى بها اختلاف الطرق وضوحا وخفاء

ولكن لما كانت الحقيقة كالاصل للمجاز ، إذ الاستعمال فى غير ما وضع له فرع الاستعمال فيما وضع له غالبا إذ الغالب أن كل مجاز يتفرع عن حقيقة — جرت العادة بالبحث عن الحقيقة أولا

(٢) أى ليتميزا عن الحقيقة والمجاز العقليين اللذين هما فى الاسناد ، والاكثر ترك هذا التقييد لئلا يتوهم أنه مقابل للشرعى والعرفى فيخرجان بالتقييد مع أن القصد إدخالهما

(٣) راجع ١٥١ و ١٥٢ من المفتاح ، ٣٠٢ وما بعدها من الاسرار

والحقيقة فى اللغة وصف بزنة فعيل : بمعنى فاعل من حق الشىء إذا ثبت ، أو بمعنى مفعول من حققته إذا أثبته ؛ نقل ذلك اللفظ من الوصفية إلى كونه اسما للكلمة الثابتة أو المثبتة فى مكانها الاصلى ، والمراد بمكانها الاصلى معناها الذى وضعت له أولا =

فقولنا « المستعملة » احتراز عما لم يستعمل ، فان الكلمة قبل الاستعمال [1] لا تسمى حقيقة [2]

وقولنا « فيما وضعت له » احتراز عن شيئين :

= والتاء فيها للنقل — أى للدلالة على نقل تلك الكلمة من الوصفية إلى الاسمية لأن التاء تدل فى أصلها على معنى فرعى هو التأنيث ثم دخلت هنا على الكلمة المنقولة من الوصفية للاسمية إشعارا بفرعية الاسمية فيها كما كانت فيها إشعارا بالتأنيث ، فالتاء الموجودة فى الوصف بعد النقل غير الموجودة فيه قبل النقل — فالتاء هنا للنقل من الوصفية إلى الاسمية : وليست التاء للتأنيث باعتبار أن الحقيقة إسم للكلمة بدليل أنه يقال لفظ حقيقة ولو اعتبر كونها للتأنيث حذفت

(٤) الاولى إبدال الكلمة باللفظ ليشمل المفرد والمركب . وقد يقال إن المركب وإن كان موضوعا باعتبار الهيئة التركيبية على التحقيق ، لكنه لا يطلق عليه حقيقة ، وإن سلم إطلاقها عليه فيقال هذا تعريف بحسب الغالب و « الكلمة » جنس فى التعريف .

(٥) أى المستعملة فى معنى وضعت تلك الكلمة له . وقوله « المستعملة » فصل وقوله « وضعت له » قيد .

(٦) أى وضعت له فى اصطلاح به — أى بسببه — يقع التخاطب بالكلام المشتمل على تلك الكلمة .

فالمراد بالتخاطب التكلم بالكلام المشتمل على تلك الكلمة . والمراد بوضع الكلمة لذلك المعنى فى الاصطلاح أن يظهر ذلك على ألسنة أهل ذلك الاصطلاح بحيث يطلقون اللفظ على ذلك المعنى إطلاقا كثيرا حتى صار حقيقة فيه

(١) أى وبعد الوضع

(٢) كما لا تسمى مجازا

أحدهما ما استعمل فى غير ما وضعت له غلطا ، كما إذا أردت أن تقول لصاحبك , خذ هذا الكتاب ، مشيرا إلى كتاب بين يديك فغلطت فقلت خذ هذا الفرس [١]

والثانى أحد قسمى المجاز ، وهو ما استعمل فيما لم يكن موضوعا له لا فى اصطلاح به التخاطب ولا فى غيره كلفظة الأسد فى الرجل الشجاع [٢]

وقولنا "فى اصطلاح به التخاطب" إحتراز عن القسم الآخر من المجاز ، وهو ما استعمل فيما وضع له لا فى اصطلاح به التخاطب ، كلفظ

---

(١) فاللفظ فيه مستعمل فى غير ما وضع له فهو ليس حقيقة ولا مجازا والغلط الخارج هنا هو المتعلق باللسان ، أما المتعلق بالقلب فهو حقيقة أو مجاز

(٢) فان استعماله فيه لم يكن استعمالا فيما وضع له باعتبار اصطلاح التخاطب ولا باعتبار غيره. أما المجاز على بعض الاصطلاحات دون بعض فهو خارج بالقيد الآتى ، والكذب يخرج أيضا بهذا القيد " فيما وضعت له " كما إذا قيل للحجر هذا ماء بتعمد الكذب وبدون ملاحظة علاقة وقرينة والكناية إن قلنا إنها مجاز خرجت أيضا بهذا القيد وإن قلنا هى حقيقة فلا تخرج وقيل هى لا حقيقة ولا مجاز فهى خارجة عن حديهما .

فالاستعارة وإن كانت موضوعة بالتأويل - وهو كما يأتى ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به وكونه فردا من أفراده — إلا أن المفهوم من إطلاق الوضع إنما هو الوضع بالتحقيق ، أى الذى لا تأويل فيه وهذا القدر غير موجود فى الاستعارة

الصلاة يستعمله المخاطب [١] بعرف الشرع فى الدعاء مجازا [٣]

∴

والوضع [٢] تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه [٤] . فقولنا

---

(١) أى المتكلم بكسر الطاء

ملاحظة : الظرف أعنى « فى اصطلاح » متعلق بقوله « وضعت » ؛ وتعلقه بـ « المستعملة » على ماتوهمه البعض ليس له معنى صحيح لامن جهة اللفظ ولا من جهة المعنى: أما من جهة اللفظ فلأنه لا يجوز تعلق حرفى جر متحدى اللفظ والمعنى بعامل واحد ، وأما من جهة المعنى فلأن المعهود كون الاصطلاح ظرفا للوضع أو سببا له ، لا للاستعمال إذ لا معنى لقولك : نطق أو « استعمل » فلان بهذا اللفظ فى اصطلاحهم لأن النطق ليس معه اصطلاح على وضع المنطوق به ، وأيضا إن علق فى الاصطلاح بالمستعملة بقى الوضع عاما فيدخل فيه المجاز لأنه مستعمل فى اصطلاح التخاطب فيما وضع له لكن فى اصطلاح آخر

(٢) فهى إذا مجاز لاستعمال المخاطب (أى المتكلم) لذلك اللفظ فى غير ما وضع اللفظ له الشرع أعنى الأركان المخصوصة له

(٣) راجع ١٥٢ من المفتاح . وقد عرف الوضع لأخذه فى تعريف الحقيقة والمجاز . والمراد وضع اللفظ لا الوضع المطلق الذى هو تعيين الشىء للدلالة على معنى بنفسه سواء كان ذلك الشىء لفظا أو غيره والمراد وضع اللفظ المفرد إذ وضعه شخصى لا ما يشمل المركب لأن وضعه نوعى على القول بأنه موضوع ؛ والمراد باللفظ المفرد والمركب بصرف النظر عن الموضوع

(٤) أى ليدل بنفسه لا بقرينة تنضم إليه وتكون محصلة للدلالة على المعنى ؛ أى بان لا يكون هناك قرينة أصلا ، أو كان هناك قرينة غير محصلة للدلالة على المعنى بل معينة للمراد عند مزاحمة المعانى كما فى المشترك . . ومعنى الدلالة بنفسه أن يكون العلم بالتعيين كافيا فى فهم المعنى عند إطلاق اللفظ ، أى عند ذكره =

« بنفسه » إحترازا من تعيين اللفظ للدلالة على معنى بقرينة ، أعنى المجاز [١] ، فان ذلك التعيين لا يسمى وضعا ، ودخل المشترك [٢] فى

= مطلقا عن القرائن المذكورة ، وهذا شامل لوضع الحرف ، لأنا نفهم معانى الحروف عند إطلاقها بعد علمنا بأوضاعها ، إلا أن معانيها ليست تامة فى أنفسها أى ليست مستقلة بالمفهومية بل هى معان جزئية ، تحتاج إلى الغير ، وهو المتعلق مع الحروف لفهم تلك المعانى الجزئية ؛ بخلاف الاسم والفعل ، فان المعنى الذى يستعمل فيه كل منهما تام فى نفسه . نعم لا يكون تعريف الوضع شاملا لوضع الحرف عند ابن الحاجب الذى يجعل معنى قولهم « الحرف مادل على معنى فى غيره » أنه مشروط فى دلالته على معناه الأفرادى ذكر متعلقه ؛ ففى عنده للسببية وعلى الأول للظرفية ، فعلى الأول يدل بنفسه ، وعلى الثانى بضميمة غيره

(١) فقد خرج المجاز عن أن يكون موضوعا بالنسبة إلى معناه المجازى وإن كان موضوعا بالنسبة لمعناه الحقيقى ، أى فخرج تعيين المجاز ومثله تعيين الكناية بناء على أنها غير حقيقة لأن كلا من المجاز والكناية يدل على المعنى بالقرينة

(٢) راجع ١٥٢ مفتاح ، ١٤٣ أسرار . والمشترك هو ما وضع لأكثر من معنى وضعا متعددا سواء اتحد الواضع أو تعدد . فالمشترك لم يخرج عن حده الحقيقة فهو حقيقة ولو استعمل فى معنييه بناء على جوازه وقيل هو فى هذه الحالة مجاز . فالمشترك قد عين للدلالة على كل من المعنيين بنفسه وعدم فهم أحد المعنيين بالتعيين لعارض الاشتراك لا ينافى ذلك ، فقرينة المشترك إنما هى لتعيين المراد بخلاف المجاز فان قرينته محتاج إليها فى نفس الدلالة على المعنى المجازى . فالقرء مثلا عين مرة للدلالة على الطهر بنفسه ومرة أخرى للدلالة على الحيض بنفسه ، فيكون المشترك موضوعا بالتعيين فالمجاز والمشترك كل منهما محتاج لقرينة وقت الاستعمال ، والفرق بينهما أن القرينة ملاحظة حين الوضع أيضا فى المجاز دون المشترك فقرينته إنما هى لتعيين المراد وفهمه ؛ هذا ويلاحظ أن القرينة فى الكناية =

الحد لأن عدم دلالته على أحد معنييه بلا قرينة لعارض - أعنى الاشتراك - لا ينافى تعيينه للدلالة عليه بنفسه، وذهب السكاكى[1] الى أن المشترك كالقرء معناه الحقيقى هو مالا يتجاوز معنييه كالطهر والحيض غير مجموع بينهما، قال: فهذا ما يدل عليه بنفسه مادام منتسبا الى الوضعين[2]، أما إذا خصصته بواحد، إما صريحا مثل أن تقول القرء بمعنى الطهر، واما إستلزاما مثل أن تقول القرء لا بمعنى الحيض، فانه حينئذ ينتصب دليلا دالا بنفسه على الطهر بالتعيين، كما كان الواضع عينه بإزائه بنفسه،

= كالمجاز من جملة الدال، إلا أنها مانعة فى المجاز دون الكناية. والكناية لفظ استعمل فى لازم معناه الموضوع له مع جواز إرادة الملزوم وهذا عند المصنف أما السكاكى فيرى أنها لفظ استعمل فى معناه مرادا منه لازم ذلك المعنى، فهى عنده حقيقة لاستعمال اللفظ فى معناه وإن أريد منه لازم ذلك المعنى، وأما عند المصنف فهى وسط بين الحقيقة والمجاز

(١) ١٥٢ و ١٥٣ من المفتاح

(٢) يريد السكاكى أنه عند الاطلاق صالح لكل منهما، فهو عند الاطلاق يدل بنفسه على معناه الذى هو أحدهما، فهو عند عدم القرينة يدل على واحد مبهم من معنييه أو معانيه، وعند وجودها يدل بنفسه على المعين ولا مدخل للقرينة فى الدلالة. أما الجمهور فيقولون إن وجدت قرينة دالة على العموم دل المشترك على العموم، وكذلك إن لم توجد قرينة مطلقا، وإن وجدت قرينة معينة فالمشترك يدل على هذا المعين بواسطة القرينة؛ بخلاف السكاكى فهو يرى أن المشترك لا يحتاج إلى قرينة مطلقا فى الدلالة

ثم قال فى موضع آخر [١] : «وأما ما يظن بالمشترك من الاحتياج الى القرينة فى دلالته على ما هو معناه فقد عرفت أن منشأ هذا الظن عدم تحصيل معنى المشترك الدائر بين الوضعين »

وفيما ذكره نظر :

لأنا لا نسلم ان معناه الحقيقى ذلك، وما الدليل على أنه عند الأطلاق يدل عليه ، ثم قوله: اذا قيل : القرء بمعنى الطهر ، أولا بمعنى الحيض فهو دال بنفسه على الطهر بالتعيين ، سهو ظاهر ، فان القرينة كما تكون معنوية تكون لفظية ، وكل من : قوله « بمعنى الطهر » وقوله « لا بمعنى الحيض ، قرينة [٢]

وقيل [٣]: دلالة اللفظ على معناه لذاته [٤]. وهو ظاهر الفساد :

---

(١) راجع ص ١٠٣ من المفتاح

(٢) فى ابن السبكى أن السكاكى لا يريد إلا أن ذلك ليس قرينة لدلالة اللفظ على المعنى بل لتعيين دلالته على أحد معنييه

ملاحظات :

١ — المشترك يدل بنفسه على أحد معنييه لا بعينه، فهو لا يدل بنفسه عليه بل بالقرينة

٢ — الحرف موضوع لمفهوم كلى ولا يستعمل إلا فى جزئى من جزئيات هذا المفهوم فهو يدل بنفسه على ما وضع له من المفهوم وذكر المتعلق لفهم الجزئى

(٣) راجع ١٥٢ من المفتاح

(٤) هو قول عباد بن سليمان الصيمرى الذى ذهب إلى أن دلالة الألفاظ على معانيها لاتحتاج إلى الوضع والتعيين، بل بين اللفظ والمعنى مناسبة طبيعية أى =

لاقتضائه أن يمنع نقله الى المجاز، وجعله علما، ووضعه للمتضادين كالجون للاسود والأبيض فان ما بالذات لا يزول بالغير، ولاختلاف اللغات باختلاف الأمم

وتأوله (١) السكاكى رحمه الله على أنه تنبيه على ما عليه أئمة علمى

= ذاتية تقتضى دلالة كل لفظ على معناه لذاته؛ فذهب الجمهور إلى أن هذا القول فاسد مادام محمولا على ما يفهم منه ظاهرا؛ لأن دلالة اللفظ على المعنى لو كانت لذاته كدلالته على وجود اللافظ — فان هذه الدلالة لذات اللفظ لأنها عقلية لا تنفك أصلا — لوجب أن لا تختلف اللغات فى معنى اللفظ الواحد باختلاف الأمم، وأن يفهم كل أحد معنى كل لفظ لعدم انفكاك المدلول عن الدليل، ولا ولامتنع أن يجعل اللفظ بواسطة القرينة بحيث يدل على المعنى المجازى دون الحقيقى لأن ما بالذات لا يزول بالغير، ولا متنع نقله من معنى إلى معنى آخر بحيث لا يفهم منه عند الأطلاق إلا المعنى الثانى

والحقيقة على مذهب الصيمرى ليست هى الكلمة المستعملة فيما وضعت له إذ لا وضع على هذا المذهب، وإنما هى الكلمه المستعملة فى معنى تناسبه بتكوينها وتأليفها. وكذلك المجاز كلمة مستعملة فى معنى يناسب معناها الذى تدل عليه بتأليفها الخاص فلا دلالة لها على المعنى المجازى بتأليفها وإنما تدل عليه بالقرينة والعلاقة

والردود التى رد بها الخطيب هذا المذهب قابلة للجدل العقلى، ولعل أخصر رد أن المناسبة ليست مطردة وفهم المعنى من اللفظ لهذه المناسبة إذا وجدت غير مطرد لأنها قد تخفى

(١) راجع ١٥٢ مفتاح — أى تأول القول بدلالة اللفظ لذاته — أى صرفه عن ظاهره فقال معنى قوله «يدل لذاته» أن فيه وصفا ذاتيا يناسب أن يوضع بسببه لمعنى دون آخر لا أن المناسبة بسببها يدل اللفظ على المعنى بدون الوضع كما هو ظاهر، وهذا التأويل خلاف ما صح نقله عن عباد

الاشتقاق والتصريف[١] من أن للحروف فى أنفسها خواص بها تختلف كالجهر[٢] ؛ والهمس[٣] ، والشدة[٤] ، والرخاوة[٥] ، والتوسط بينهما، وغير ذلك[٦] ، مستدعية أن العالم بها اذا أخذ فى تعيين شىء[٧] منها لمعنى لا يهمل التناسب بينهما[٨] ، قضاء لحق الحكمة كالفصم بالفاء الذى حرف رخو لكسر الشىء من غير أن يبين[٩] ، والقصم بالقاف الذى هو حرف شديد لكسر الشىء حتى يبين ؛ وان للتركيبات[١٠] كالفعلان والفعلى بالتحريك[١١] كالنزوان والحيدى وفعل مثل شرف[١٢] وغير ذلك خواص أيضا ، فيلزم فيها ما يلزم فى الحروف ؛ وفى ذلك نوع تأثير لأنفس الكلم فى اختصاصها بالمعانى

---

(١) علم الاشتقاق علم يبحث عن مفردات الألفاظ من حيث انتسابها بعضها إلى بعض بالاصالة والفرعية وعلم التصريف علم يبحث عن مفردات الألفاظ من حيث إصالة حروفها وزيادتها وصحتها واعتلالها وهيئتها

(٢) هو خروج الحرف بصوت قوى . وحروفه ما عدا حروف الهمس

(٣) « « « « غير قوى ، وحروفه (سكت فحثه شخص)

(٤) هو انحصار صوت الحروف عند إسكانه فى مخرجه انحصارا تاما

(٥) هو عدم انحصار صوت الحروف عند إسكانه فى مخرجه

(٦) كالاستعلاء والاستفال والتصحيح والاعلال

(٧) أى فى وضع لفظ مركب منها

(٨) أى بين الحروف والمعنى (٩) أى ينفصل

(١٠) أى لهيئات تراكيب الحروف

(١١) لما فيه حركة (١٢) للأفعال الطبيعية اللازمة

[المجاز (١)]:

والمجاز مفرد ومركب.

[المجاز المفرد]

أما المفرد فهو الكلمة (٢) المستعملة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته

فقولنا « المستعملة (٣) » احتراز عما لم يستعمل لان الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى مجازا كما لا تسمى حقيقة

وقولنا فى اصطلاح به التخاطب (٤) ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة

---

(١) راجع ١٥٣ مفتاح ، ٣٠٤ وما بعدها و ٢٤٣ و ٣٤٤ أسرار البلاغة

(٢) « الكلمة » جنس

(٣) فصل احترز به عن الكلمة قبل الاستعمال وبعد الوضع فليست بمجاز ولا حقيقة . وقوله « فى غير ما وضعت له » أى فى معنى مغاير للمعنى الذى وضعت الكلمة له فصل آخر احترز به عن الحقيقة ، مرتجلا كان أو منقولا أو غيرهما كالمشتقات . ويرد عليه أنه إن أريد الوضع الشخصى خرج عن التعريف التجوز فيما هو موضوع لمعناه الأصلى بالنوع كالمشتقات وإن أريد الوضع النوعى خرج التجوز فيما كان الوضع فيه لمعناه الأصلى شخصيا كالأسد وإن أريد ما هو أعم من الشخصى والنوعى لم يشمل شيئا من أفراد المجاز إلا أن يجاب بأن المراد الوضعان ويرتكب التوزيع أى فى غير ما وضعت وضعا شخصيا فى الموضوعة بالوضع الشخصى وفى غير ما وضعت له وضعا نوعيا فى الموضوعة بالوضع النوعى

(٤) هذا قيد فى الفصل للادخال لا للاخراج. فالجنس لا يخرج به، والفصل للاخراج ، وقيد الفصل للادخال

وقوله « فى اصطلاح به التخاطب » متعلق بقوله « وضعت » والمراد بذلك كونه موضوعا له فى ذلك الاصطلاح سواء حدث الوضع فى ذلك أولا

الصلاة اذا استعمله المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء مجازا فانه وان كان مستعملا فيما وضع له فى الجملة [١] فليس بمستعمل فيما وضع له فى الاصطلاح الذى به وقع التخاطب [٢]

وقولنا « على وجه يصح [٣] » احتراز عن الغلط كما سبق

وقولنا « مع قرينة عدم إرادته » [٤] ، احتراز عن الكناية كما تقدم

---

(١) أى فى بعض الاصطلاحات وهو اللغة

(٢) وهو الشرع فهو مجاز شرعى بمقتضى اصطلاح الشرع وان كان حقيقة لغوية بمقتضى اصطلاح اللغة ، وقيد « فى اصطلاح به التخاطب » أيضا يخرج من تعريف المجاز ما يكون له معنى آخر باصطلاح آخر الذى هو من أفراد الحقيقة كلفظ الصلاة المستعملة بحسب الشرع فى الأركان المخصوصة فانه يصدق عليه أنه كلمة مستعملة فى غير ما وضعت له لكن بحسب اصطلاح آخر وهو اللغة لا بحسب اصطلاح التخاطب وهو الشرع فلذا لا تكون مجازا

(٣) متعلق بالمستعملة وهو فصل يخرج به الغلط فلا بد فى المجاز من ملاحظة العلاقة ليكون الاستعمال على وجه يصح والغلط الذى يخرج بذلك هو اللسانى أما الغلط فى الاعتقاد فتارة يكون حقيقة وتارة يكون مجازا

(٤) أى حال كون تلك الكلمة المستعملة فى الغير مصاحبة لقرينة فقرينة المجاز مانعة من إرادة الأصل واشتراط القرينة المذكورة فى المجاز وإخراج الكناية بها إنما هو عند من لم يجوز الجمع بين الحقيقة والمجاز كالبيانيين أما من جوزه كالاصوليين فلا يشترط فى القرينة أن تكون مانعة فعندهم يجب اسقاط هذا القيد من التعريف وإذا سقط دخلت الكناية

وقوله مع عدم إرادته أى إرادة الموضوع له وضعا حقيقيا =

. . . . . .

ملاحظات :

١ — ملاك الأمر أن المجاز لا يتقيد إلا بوجود علاقة (ارتباط بين الانتقال من المعنى الحقيقى إلى المجازى) وأن يكون موافقا لعرف البلغاء ومناسبا لذوق البيئة وأن يعتمد على قرينة مانعة

٢ — البيانيون يوجبون فى القرينة أن تكون مانعة من إرادة المعنى الحقيقى ومقارنة للمجاز ، بخلاف الأصوليين فقد أجازوا أن تكون غير مانعة كما أجازوا ألا تقارن المجاز حيث يجيزون تأخير البيان لوقت الحاجة . أما كون القرينة معينة للمراد فلم يشترطه جمهور البيانيين واشترطه عصام الدين

٣ — القرينة أما لفظية أو حاليه ، وقد تكون أمرا واحدا أو أمورا كل واحد منها يصلح أن يكون قرينة ، أو مجموع أمور كلها قرينة واحدة

٤ القرينة المانعة واشتراطها فى المجاز لاخراج الكناية بناء على أنها واسطة لا حقيقة ولا مجاز لأن الكناية الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له مع جواز إرادة ماوضعت له أى بأن لا ينصب المستعمل قرينة على انتفائه ، فالكناية لفظ استعمل فى لازم الموضوع له مع جواز إرادة الملزوم ومجرد جواز إرادة الملزوم لا يوجب كون اللفظ مستعملا فيه

ويرى السبكى عكس هذا وهو أن الكناية أريد بها موضوعها استعمالا وأريد لازمه إفادة فهى موضوعة لأن اللفظ عين فيها للدلالة على معناه الذى هو موضوع اللفظ بنفسه وكونها دالة على لازم ذلك المعنى بقرينة حالية كدلالة طويل النجاد على طول القامة يحتاج لقرينة لكن ذلك ليس المعنى الذى استعملت الكلمة فيه

٥ — أطوار كلمة الحقيقة هى : حقيقة وصفا لمؤنث فى نحو قولهم هى المرأة حقيقة بالحصانة ، ثم حقيقة مستعملة استعمال الأسماء فى نحو قولهم هو يدافع عن الحقيقة ، ثم الحقيقة البيانية

والحقيقة[١] لغوية وشرعية وعرفية خاصة[٢] أو عامة[٣]، لأن واضعها ان كان واضـــع اللغة فلغوية، وان كان الشارع فشرعية، والا فعرفية، العرفية ان تعين صاحبها نسبت اليه كقولنا كلامية ونحوية، والا بقيت مطلقة. مثال اللغوية: لفظ أسد اذا استعمله المخاطب بعرف اللغة فى السبع المخصوص، ومثال الشرعية لفظ صلاة اذا استعمله المخاطب بعرف الشرع فى العبادة المخصوصة، ومثال العرفية الخاصة لفظ فعل اذا استعمله المخاطب بعرف النحو فى الكلمة المخصوصة، ومثال العرفية العامة لفظ «دابة» اذا استعمله المخاطب بالعرف العام فى ذى الأربع[٤]

وكذلك المجاز المفرد[٥]: لغوى وشرعى وعرفى، مثال اللغوى لفظ

---

(١) ١٥٣ مفتاح

(٢) أى يكون ناقله عن المعنى اللغوى طائفة مخصوصة من الناس منسوبين لحرفة كالنحويين والصرفيين وغير ذلك

(٣) وهى مالا يتعين ناقلها بطائفة مخصوصة وإن كان معينا فى نفس الأمر

(٤) أى فى ذى القوائم الأربع المعهودة وهى الحمار والبغل والفرس

(٥) ص ١٥٣ مفتاح. هذا وأما المجاز فلأن الاصطلاح الذى به وقع التخاطب وكان اللفظ مستعملا فى غير ما وضع له فى ذلك الاصطلاح إن كان هو اصطلاح اللغة فالمجاز لغوى وإن كان اصطلاح الشرع فشرعى وإلا فعرفى عام أو خاص

فهذ الاقسام بالنسبة إلى الحقيقة تعتبر بالقياس إلى الواضع، وأما فى المجاز فباعتبار الاصطلاح الذى وقع الاستعمال فيه فى غير ما وضع له =

أسد اذا استعمله المخاطب بعرف اللغة في الرجل الشجاع ، ومثال الشرعي لفظ صلاة إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء ، ومثال العرفى الخاص لفظ فعل إذا استعمله المخاطب بعرف النحو فى الحدث ، ومثال العرفى العام لفظ دابة إذا استعمله المخاطب بالعرف العام فى الشاة .

والحقيقة [١] إما فعيل بمعنى مفعول ، من قولك حققت الشيء أحقه إذا أثبته ، أو فعيل بمعنى فاعل من قولك حق الشيء إذا ثبت ؛ أى المثبتة أو الثابتة فى موضعها الأصلى ؛ فأما التاء فقال صاحب المفتاح : هى عندى للتأنيث فى الوجهين ، لتقدير لفظ الحقيقة قبل التسمية صفة مؤنث غير مجراة على الموصوف [٢] وهو الكلمة ؛ وفيه نظر [٣] ؛ وقيل : هى لنقل اللفظ من الوصفية إلى الأسمية الصرفة كما قيل فى أكيلة ونطيحة إن التاء فيهما لنقلهما من الوصفية إلى الأسمية ، فلذلك لا يوصف بهما فلا يقال شاة أكيلة أو نطيحة .

= وهذه الأقسام فى غير الأعلام الشخصية ، فقد أخرجها بعض العلماء من الحقيقة والمجاز ، والمعقول أن تكون من الحقيقة ولا مانع أن نقول هى - حقيقة شخصية .

(١) ص ١٥٣ مفتاح .

(٢) لأنها فى هذه الحالة يصح الحاق التاء بها إذا كانت من فعيل بمعنى مفعول

(٣) لأنه يجوز أن يقال هذا اللفظ حقيقة ولو كانت للتأنيث لم يجز .

والمجاز [١] قيل مفعل [٢] من جاز المكان يجوزه إذا تعداه [٣] أى تعدت موضعها الأصلى ؛ وفيه نظر ؛ والظاهر [٤] أنه من قولهم جعلت كذا مجازا إلى حاجتى أى طريقا له على أن معنى جاز المكان : سلكه ، على ما فسره الجوهرى وغيره فان المجاز طريق إلى تصور معناه واعتبار التناسب فى التسمية يغاير اعتبار المعنى فى الوصف ، كتسمية إنسان له حمرة بأحمر ، ووصفه بأحمر ، فان الأول لترجيح

---

(١) ص ٣٤٢ أسرار ، ١٥٤ مفتاح

(٢) أى باعتبار أصله مصدرا ميميا على هذا الوزن

(٣) فهى مشتقة من جاز يجوز ، ويصح أن تكون من الجواز على أن المصدر هو الأصل كما عليه البصريون فقد نقل المجاز إلى الكلمة الجائزة أى المتعدية مكانها الأصلى أو المجوز بها على معنى أنهم جازوا بها وعدوها مكانها الأصلى ، فهو فى الأصل مصدر بمعنى الجواز والتعدية ثم نقل فى الاصطلاح من المصدرية إلى الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له باعتبار أنها جائزة مكانها الأصلى أو مجوز بها فيكون اسم فاعل وأسم مفعول

(٤) حاصله أن لفظ مجاز فى الأصل مصدر ميمى بمعنى مكان الجواز والسلوك وهو نفس الطريق ثم نقل فى الاصطلاح إلى الكلمة الخ باعتبار كونها طريقا إلى تصور المعنى المراد منها فالحاصل أن المصنف وعبد القاهر اتفقا على ان لفظ مجاز مصدر ميمى لا يصلح أن يكون المستعمل فى الزمان منقولا هنا لعدم المناسبة ثم اختلفا فقال المصنف المنقول هنا هو المستعمل اسم مكان وقال عبد القاهر المنقول هنا هو المستعمل فى الحدث . [المصدر الميمى يصلح للزمان والمكان والحدث]

وأيد المصنف رأيه بأن استعمال المصدر الميمى فى الحدث بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول مجاز بخلاف استعماله اسم مكان

الاسم على غيره حال وضعه [1] له والثانى لصحة إطلاقه، فلا يصح

(١) راجع ص ١٢٧ ج١ من البيان والتبيين

والخلاصة أن نقد الخطيب لرأى عبد القاهر من أن المجاز مفعل من جاز المكان يجوزه إذا تعداه خلاصته أن المجاز على هذا يكون مصدرا ميميا واستعمال المصدر الميمى بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول مجاز بخلافه على ما اختاره فانه يكون اسم مكان ولا يحتاج إلى ارتكاب هذا التأويل فيه

ملاحظات :

١ — خلاصة ما سبق أن كلمة مجاز فى اللغة صالحة للحدث والمكان والزمان، فلاحظ عبد القاهر أنها نقلت من الحدث إلى المعنى الفنى ، ولاحظ الخطيب أنها نقلت من المكان إليه ؛ وأما نقلها من الزمان فلا معنى له

٢ — التاء فى الحقيقة قيل أنها للنقل ومعنى كونها تاء النقل أنها علامة على النقل ، وقيل هى علامة على الاسمية التى هى فرع الوصفية وهو الأصح . وقيل أنها علامة على الفرعية

٣ — قيل إن كل مجاز له حقيقة يتفرع منها ، والتحقيق أن هذا غالبى ، فرحمن استعمل فى المنعم وهو معنى مجازى ولم يستعمل فى المعنى الأصلى وهو رقيق القلب

٤ — فى الدسوقى [٤٨٦ ج ١] بحث عن المجاز وهل هو من مقتضى الظاهر أو من خلافه

٥ — العلاقة هى الأمر الذى به الارتباط بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى وبه الانتقال من الأول للثانى كالمشابهة فى مجاز الاستعارة وكالسببية فى المرسل والعلاقة المعتبر نوعها لا شخصها ، ولذا صح إنشاء المجاز فى كلام المولدين

وإنما اشترط فى المجاز ملاحظة العلاقة بين المعنى المجازى والأصلى ولم يصح اطلاق اللفظ عليه بلا علاقة ويكتفى بالقرينة الدالة على المراد ، لأن اطلاق اللفظ على غير معناه الأصلى ونقله له على أن يكون الأول اصلا والثانى فرعا تشريك بين =

نقض الأول بوجود المعنى فى غير المسمى كما يلهج به الضعفاء [١].

والمجاز ضربان [٢] : مرسل [٣] واستعارة. لأن العلاقة المصححة [٤] إن كانت تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة [٥] وإلا فهو مرسل

= المعنيين فى اللفظ وتفريع لأحد الاطلاقين على الآخر ، وذلك يستدعى وجها لتخصيص المعنى الفرعى بالتشريك والتفريع دون سائر المعانى وذلك الوجه هو المناسبة وإلا فلا حكمة فى التخصيص ويكون تحكما ينافى حسن التصرف فى التأصيل والتفريع

(١) فعلة التسمية لا يلزم اطرادها أو انعكاسها ، بخلاف علة الوصفية ، فعلة التسمية لا توجبها بخلاف علة الوصفية

(٢) راجع ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٥٠ و ٣٥١ من اسرار البلاغة ، ص ١٥٤ من المفتاح

(٣) سمى مرسلا (أى مطلقا) لأن الأرسال لغة الأطلاق والمجاز الاستعارى مقيد بادعاء ان المشبه من جنس المشبه به والمرسل مطلق عن هذه الدعوى ، وقيل لأرساله عن التقييد بعلاقة مخصوصة بل ردد بين علاقات بخلاف المجاز الاستعارى فهو مقيد بعلاقة واحدة هى علاقة المشابهة

(٤) أى لاستعمال اللفظ فى غير ما وضع له

(٥) هذا مخالف لاصطلاح عبد القاهر والسكاكى ، والتحقيق أن العلاقة إذا كانت المشابهة ولم تقصد المبالغة فلا يكون ذلك استعارة وان قصدت المبالغة كان استعارة

فعلى هذا الاستعارة هى اللفظ المستعمل فى معنى شبه ذلك المعنى المستعمل فيه بالمعنى الأصلى لذلك اللفظ لعلاقة المشابهة كأسد فى قولنا رأيت أسد يرمى ، وإطلاق لفظ الاستعارة على اللفظ المستعار من المعنى الأصلى للمعنى المجازى من إطلاق المصدر على المفعول

وكثيرا ما تطلق الاستعارة على استعمال [١] اسم المشبه به فى المشبه [٢] ؛ فيسمى [٣] المشبه به مستعارا منه ، والمشبه مستعارا له ، واللفظ [٤] مستعارا

(١) أى فعل المتكلم وهو المعنى المصدرى ، لا على اللفظ المستعار

(٢) فعلى هذا تكون بمعنى المصدر ، فالاستعارة على هذا استعمال اللفظ ، وهو توسع ، فان المجاز هو اللفظ المستعمل لا الاستعمال ، وهذا ليس خاصا بالاستعارة ، بل المجاز كذلك ، فهو اللفظ المستعمل فى غير موضوعه أو استعمال اللفظ فى غير . . الخ

(٣) أى فيصح الاشتقاق منها على انهـــا بالمعنى المصدرى ، بخلاف إطلاق الاستعارة على نفس اللفظ المستعار ، فانه لا يصح منه اشتقاق لأن اسم المفعول لا يشتق منه

(٤) أى لفظ المشبه به فيسمى مستعارا لأنه بمنزلة اللباس الذى استعير من أحد فألبس غيره وهو المعنى المشبه ، فالتشبيه بين المعانى والاستعارة للالفاظ ، ففى « رأيت أسدا يرمى » المعنى المشبه هو ذات الرجل الشجاع وهو المستعار له ، والمعنى المشبه به هو الحيوان المفترس وهو مستعار منه ، ولفظ اسد مستعار ، والمتكلم بهذا مستعير

ملاحظات

١ - لا بد فى جميع أقسام المجاز من العلاقة المصححة للانتقال ومرجع العلاقة اللزوم وإن كان اللزوم قد يذكر فى بعض الأوقات علاقة ؛ وإنما كان مرجع العلاقة اللزوم لأن مرجع المجاز دلالة التضمين والالتزام ، وكل منهما انتقال من الملزوم إلى اللازم ؛ ألا ترى أن مجازى الاستعارة التحقيقية والمكنية يصح أن يردا إلى اللازم [راجع ٢٨٦ / ٢ الدسوقى]

٢ - المجاز بمرتبتين المراتب :

هو لفظ أريد به معنى لم يوضع له مع وجود واسطة أو وسائط بين المعنى =

وعلى الأول لا يشتق منه لكونه اسما للفظ لا للحدث

= الحقيقى وبينه ولم يلاحظ صحة استعمال اللفظ فى الواسطة أو فى الوسائط . وذلك مثل « وانزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم » ، أريد من اللباس أولا الغزل ، ثم أريد به الزرع ، ثم الماء

٣ - المجاز على المجاز :

مثل : لا تواعد وهن سرا ؛ استعمال السر فى الوطء مجاز مرسل علاقته المحلية لأن الوطء يكون غالبا فى السر ، ثم أريد من الوطء العقد مجازا مرسلا علاقته السببية (السر ضد الجهر = ثم الوطء = ثم العقد)

ومثل :

بنى عمنا لأن تذكروا الشعر بعد ما
دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

أطلق القوافى على الشعر مجازا مرسلا علاقته الجزئية ، ثم أطلق الشعر على المفاخر مجازا مرسلا علاقته المسببية

ومثل : « هو قرة عين لى ولك » أطلق القرة على سببها مجازا مرسلا علاقته المسببية ؛ ثم أطلق سبب القرة على الانشراح والسرور مجازا مرسلا علاقته السببية (هو قرة = هو سبب قرة = هو مبعث سرور وسعادة)

فالمجاز على المجاز هو مجاز مبنى على مجاز آخر منزل منزلة المعنى الحقيقى

٤ - شرطوا فى القرينة كما سبق أن تكون مانعة وهو رأى علماء البيان أما الأصوليون فقد أجازوا الجمع بين الحقيقة والمجاز ، فمثل « الخال أحد الأبوين » من عموم المجاز أى يراد منه معنى كلى يشمل الحقيقى والمجازى معا ، فالمعنى المستعمل فيه اللفظ واحد لا إثنان ، أما الأصوليون فيقولون إن اللفظ مستعمل فى كل منهما : الأب والخال المدعى أبوته

٥ القرينة هى الأمر الذى يصرف الذهن عن المعنى الوضعى إلى المعنى المجازى سواء عينت المراد أم لم تعينه ، مثل رأيت بحورا فى المدينة ؛ فكلمة « فى =

الضرب الاول المرسل[1]

وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه[2] :

كاليد إذا استعملت فى النعمة[3] ، لأن من شأنها أن تصدر عن

المدينة ، قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى ولكن لم تعين المراد من البحور أهم العلماء أم الأجواد ؟ — ،واشترط عصام الدين فى القرينة مع منعها من إرادة المعنى الحقيقى أن تكون معينة للمعنى المراد.

٦ — مثل السببية والحالية والمحليه الخ علاقات للمجاز المرسل ، أما الاستعارة فعلاقتها المشابهة .

هذا ويمكن ارجاع علاقات المجاز المرسل المتعددة إلى شىء واحد هو التلازم بين المعنيين : الحقيقى والمجازى ، سواء كان التلازم فى الخارج أم فى الذهن ؛ وبهـــذا تصبح علاقات المجاز اللغوى اما المشابهة فى الاستعارة وإما التلازم فى المجاز المرسل ، بل ان علاقة المشابهة يجوز ارجاعها الى علاقة التلازم

(١) راجع ١٥٥ مفتاح ، ٣٠٥ و ٣٥١ أسرار

(٢) الأولى كما سبق : غير المبالغة فى التشبيه

ويرى السبكى أنه إذا كانت العلاقة فى المجاز المشابهة فان قوى الشبه بحيث يمكن ادعاء أن هذا هو ذاك كان استعارة وإلا كان مجازا مرسلا ؛ قال : ويشهد لصحة ذلك قول السكاكى فى المجاز المرسل إنه الخالى عن المبالغة فى التشبيه ؛ ولم يقل : الخالى عن التشبيه (٣٠١ ج ٢ السبكى)

أقول وكلام السكاكى هو كلام عبد القاهر فى الاسرار [ص ٣٠٤ الأسرار]

(٣) راجع ٢٦٨ صناعتين فى ذلك . وقال الشاعر :

له أياد على ســـالفة أعد منهـا ولا أعددها

وقال آخر : =

الجارحة ومنها تصل الى المقصود بها[١] ؛ ويشترط أن يكون فى الكلام اشارة الى المولى لها[٢] ، فلا يقال : « اتسعت اليد فى البلد » ، أو « اقتنيت يدا » ، كما يقال « اتسعت النعمة فى البلد » ، أو « اقتنيت نعمة » ؛ وإنما يقال « جلت يده عندى » ، « وكثرت أياديه لدى » ، ونحو ذلك

ونظير[٣] هذا فى صفة راعى الابل : « إن له عليها إصبعا[٤]

= خلقت عيوفا لا أرى لابن حرة على يدا أغضى لها حين أغضب

فاليد الموضوعة للجارحة المخصوصة إذا استعملت فى النعمة كانت مجازا مرسلا لكونها بمنزلة العلة الفاعلية للنعمة لأن النعمة منها تصدر وتصل إلى المقصود بها فهى مجاز مرسل من اطلاق اسم السبب على المسبب؛ قال السبكى : أو من إطلاق المحل على الحال . أما العلة الفاعلية حقيقة فهى الشخص المعطى والعلاقة هنا العلة الفاعلية

(١) راجع ٣٤٣ و ٣٠٥ من الاسرار ، ١٥٥ مفتاح

(٢) هذا الشرط هو الذى توجد به العلاقة ولولاه لم يكن علاقة بين اليد والنعمة فانما يكون للنعمة ارتباط باليد إذا لوحظ المولى لها . وقال السبكى . هذا لا يتعين ، بل بذكر قرينة ما ، فقد تحصل القرينة من غير إشارة إلى المولى مثل رأيت يدا عمت الوجود ، وقد تحصل الاشارة إلى المولى ولا قرينة تصرف إلى المجاز مثل يعجبنى يد زيد ، ثم إن « جلت يده عندى » ليس فيه مايعين المجاز ، أما « كثرت أياديه » فلفظ « كثرت » قرينة

(٣) راجع ٣٠٦ من الأسرار

(٤) قال المبرد : يقال لفلان عليك يد وله عليك إصبع ؛ وكل جيد ، وإنما يعنى هنا النعمة . [١٧٢ ج ١ الكامل]

وذكر عبد القاهر ما ذكره الخطيب [٣٠٥ الأسرار] . وقال الشاعر :

ضعيف العصا بادى العروق ترى له عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا

أرادوا أن يقولوا : له عليها أثر حذق ؟ فدلوا عليه بالأصبع ، لأنه مامن حذق فى عمل يد إلا وهو مستفاد من حسن تعريف الأصابع ، واللطف فى رفعها ووضعها كما فى الخط والنقش ؛ وعلى [1] ذلك قيل فى تفسير قوله تعالى (بلى قادرين على أن نسوى بنانه) : أى نجعلها كخف البعير فلا يتمكن من الأعمال اللطيفة فأرادوا بالأصبع الأثر الحسن ، حيث يقصد الاشارة إلى حذق فى الصنعة ، لا مطلقا حتى يقال رأيت أصابع الدار ، وله إصبع حسنة وإصبع قبيحة على معنى أثر حسن وأثر قبيح ، ونحو ذلك

---

(١) راجع ٣٠٧ من الأسرار

ملاحظة :

الأفعال الدالة على القدرة لما كانت لا تظهر الا باليد صارت القدرة وآثارها كل منهما لا يظهر إلا باليد وان كان ظهور أحدهما مباشرة وظهور الآخر بواسطة ، فصارت اليد كالعلة الصورية لهما ، فالعلاقة ترجع الى معنى السببيه

هذا وأنواع العلاقة المعتبرة فى المجاز المرسل كثيرة ترتقى إلى خمسة وعشرين . والمصنف قد أوردها تسعة غير ما ذكره أولا فى إطلاق اليد على النعمة والقدرة بعلاقة السببية الصورية اذ العلاقة فيهما السببية فى الجملة وهى داخلة فيما يأتى ، الا أن يقال السببية الآتية غير هذه لأن هذه سببية تنزيلية والآتية سببية حقيقية ، فمثل « للامير يد أى قدرة » ينتقل من اليد الى الآثار الظاهرة ومن الآثار الى القدرة التى هى أصلها من بناء مجاز على مجاز آخر تقديرا ، فالعلاقة كون اليد كالعلة الصورية للقدرة وآثارها ، فاليد مجاز عن الآثار من إطلاق اسم السبب على المسبب ، والآثار مجاز عن القدرة من إطلاق اسم المسبب على السبب فرجعت العلاقة للسببية

وينظر إلى هذا قولهم « ضربته سوطا » لأنهم عبروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسم السوط ، فجعلوا أثر السوط سوطا ، وتفسيرهم له بقولهم : المعنى ، ضربته بالسوط ، بيان لما كان الكلام عليه فى أصله(١)

ونظير قولنا : له على يد ، قول(٢) النبى صلى الله عليه وسلم لازواجه : أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا ، وقوله « أطولكن » نظير ترشيح الاستعارة(٣) ، ولا بأس أن يسمى ترشيح المجاز(٤) ، والمعنى بسط اليد بالعطاء ، وقيل قوله « أطولكن » من الطول بمعنى الفضل ، يقال : لفلان على فلان طول أى فضل(٥) ، فاليد على هذين الوجهين بمعنى النعمة ، ويحتمل أن يريد أطولكن يدا بالعطاء ، أى امدكن ، فحذف قوله بالعطاء للعلم به(٦)

( ) راجع ٣٠٨ من الأسرار

(٢) راجع ٣٠٨ أسرار ، ٣٨٢ مطول

(٣) لأن الطول أى الانعام يناسب اليد الأصلية ، والصحيح أنه يلائم النعمة أيضا فلا يكون ترشيحا . وجعله من الطول ضد القصر يؤدى إلى خلو الكلام عن الأخبار بكثرة الجود المقصود إلا أن يقال إنه مستعار للاتساع فى العطاء وهو ترشيح باعتبار أصله

(٤) فهو مأخوذ من الطول بالفتح بمعنى الانعام والاعطاء وذلك ملائم لليد الاصليه لأن الانعام إنما يكون بها . والأظهر أن الطول بمعنى الانعام كما يلائم اليد الأصلية يلائم النعمة فلا يكون ترشيحا

(٥) فلا ترشيح على هذا ولا تجريد على المختار =

وكاليد أيضا اذا استعملت فى القدرة [١] ، لان أكثر ما يظهر سلطانها فى اليد ، وبها يكون البطش والضرب والقطع والاخذ والدفع والوضع والرفع ، وغير ذلك من الافعال التى تنبىء عن وجوه القدرة ومكانها : واما اليد فى قول النبى صلى الله عليه وسلم «المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم [٢]» فهو إستعارة ، والمعنى أن مثلهم مع كثرتهم فى وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة ، فكما لا يتصور أن يخذل بعض أجزاء اليد بعضا وان تختلف بها الجهة

= (٦) قال الجاحظ بعد أن ذكر الحديث : فكانت عائشة تقول أنا أطول منكن يدا ؛ فكانت زينب بنت جحش ، وذلك أنها كانت امرأة كثيرة الصدقة وكانت صناعا تصنع بيدها وتبيعه وتتصدق به [٨٥ ج ٢ البيان والتبيين]

(١) قال تعالى « يد الله فوق أيديهم » وقال : « والسموات مطويات بيمينه » وقال الشاعر : « تلقاها عرابة باليمين » ؛ وعبد القاهر يعتبر هذا تمثيلا ، فالمعنى تمثيل القدرة باليمين لما فى أخذ الشىء بها من قوة التمكن . والحق أن كل هذا كناية عن شدة التمكن والاستيلاء وليس مجازا مرسلا ولا تمثيلا . وقيل إن اليد فى القدرة مجازا مرسل علاقته الحالية . ومن المثل لهذا المجاز أيضا قول الشاعر :

وحملت زفرات الضحى فأطقتها ومالى بزفرات العشى يدان

وقال الشاعر

سأشكر عمرا إن تراخت منيتى أيادى لم تمنن وإن هى جلت

وقول الشاعر :

إذا القوم مدوا بأيديهم إلى المجد مد إليه يدا

(٢) ٣١ ج ٢ البيان ، ٢٠٩ من الأسرار ، ٥٩ ج ١ زهر الآداب

فى التصرف ، كذلك سبيل المؤمنين فى تعاضدهم على المشركين ، لأن كلمة التوحيد جامعة لهم

وكالراوية [١] للمزادة [٢] مع كونها للبعير الحامل لها ، لحمله اياها

وكالحفض فى البعير [٣] مع كونه لمتاع البيت لحمله إياه

وكالسماء فى الغيث [٤] ، كقوله : « أصابتنا السماء » ، لكونه من جهة المظلة

وكالاكاف فى قول الشاعر [٥] :

---

(١) راجع ٢٤٤ الأسرار ، ١٥٥ مفتاح . فالراوية فى الأصل اسم للبعير الذى يحمل المزادة ، وفى القاموس : الراوية البعير والبغل والحمار الذى يستقى عليه فاطلاقه على المزادة مجاز

(٢) المزادة ظرف الماء الذى يستقى به على الدابة التى تسمى راوية . والعلاقة هنا كون البعير حاملا لها أى مجاورا لها عند الحمل فالعلاقة المجاورة وهى بمنزلة العلة المادية وهى علاقة أخرى غير المجاورة وهى مطلق السببية

هذا والعلاقة قيل إنها تعتبر وصف المنقول عنه كما فى الأمثلة وهو التحقيق وقيل تعتبر وصف المنقول إليه ، وقيل أنها تعتبر وصفا لهما معا

(٣) ٣٤٤ الأسرار . قال شبيب بن البرصاء :

فلم تذرف العينان حتى تحملت ... مع الصبح أحفاض لهم وحدوج

[٧٥ المفضليات شرح السندوبى]

(٤) ٣٤٤ الأسرار ، ١٥٥ مفتاح ، ٢٦٨ صناعتين ، ٦٤ الصاحبى

(٥) هو أبو حزابة الوليد بن حنيفة بمدح طلحة الطلحات ، والأكاف البرذعة أطلق على العلف لأن ثمنه سبب فى الحصول عليه فهو من علاقة السببية ، فهو مجاز على مجاز (الاكاف ، ثم ثمن الاكاف ، ثم العلف) ، أريد من الاكاف ثمنه مجازا مرسلا علاقته السببية ، وأريد من الاكاف بمعنى الثمن العلف مجازا مرسلا =

[إن لنا أحمرة عجافا] يأكلن كل ليلة إكافا

أى علفا بثمن الاكاف

∴

وهذا الضرب من المجاز يقع على وجوه كثيرة غير ما ذكرنا :

[١ —] منها تسميه الشىء باسم جزئه[1] (أو الجزئية) :

كالعين[2] فى الربيئة ، لكون الجارحة المخصوصة هى المقصود فى كون الرجل ربيئة ، اذ ما عداها لا يغنى شيامع فقدها فصارت كأنها الشخص كله[3]

وعليه قوله تعالى: قم الليل الا قليلا أى صل ، ونحوه لا تقم فيه

= علاقته السببية، ويصح كون المرء من « يأكلن » يفنين مجازا ، أى أنها من هزالها تتأظهرها فأصبح كالمدية يحذ البرذعة فيفنيها . هذا والاحمرة جمع حمار . والعجاف الهزيلة جمع عجفاء على غير قياس . والشطر الاخير فى المفتاح ص ١٥٥

(١) المجاز ليس هو نفس التسمية ، بل هو اللفظ الذى كان للجزء وأطلق على الكل للملابسة

(٢) ٣٤٤ و ٣٤٥ الاسرار. وقال تأبط شرا:

ويجعل عينيه ربيئة قلبه إلى سلة من جد أخلق صائك

[٢٢ ج ١ حماسة]

والربيئة الشخص الرقيب (الجاسوس) والعين جزء منه ، فالعلاقة الجزئية

(٣) ويقول الشاعر :

كم بعثنا الجيش جرا را وأرسلنا العيونا

أبدا ، أى لا تصل ، وقول النبي عليه السلام : من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، أى من صلى [١]

(٢ — تسميه الجزء باسم كله أو الكلية) :

ومنها عكس ذلك ، نحو « يجعلون أصابعهم فى آذانهم [٢] » أى

---

(١) وقال الله تعالى : واركعوا مع الراكعين

ومن هذا قول الشاعر :

وكنت إذا كف أتتك عديمة ترجى نوالا من سحابك بلت

وقول الشاعر :

وإن حلفت لا ينقض النأى عهدها فليس لمخضوب البنان يمين

فقوله يمين مجاز مرسل أيضا علاقته السببية ، أى وفاء ، واليمين سبب فى الوفاء وتقول : هؤلاء وجوه البلد ، وقال تعالى : كل شىء هالك إلا وجهه أى ذاته ؛ وقال تعالى : « فك رقبة » وقال الشاعر :

وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافيـــة هجانى

هذا وقد اشترطوا فى هذه العلاقة :

١ — أن يكون الكل مركبا تركيبا حقيقيا فلا يعبر بالأرض عن مجموع الأرض والسماء

٢ — أن يكون لهذا الجزء مزيد اختصاص بالمعنى المقصود بحيث يلزم من انتفاء هذا الجزء انتفاء ذلك الكل عرفا

(٢) قيل إن هذا من باب نسبة الفعل الذى فى نفس الامر للجزء إلى كله ، ولا يسمى مجازا ، مثل ضربت زيدا ومسحت بالمنديل . وفيه تعسف لان نسبة مطلق الجعل إلى الاصابع كثيرا ما يراد به الكل فلولا الآذان لجرى على الاصل وأما الضرب فلا يخلو من تصوره على الكل فجعل من باب الحقيقة والالم يخل كلام عن مجازا غالبا . ثم القرينة في المثال هي استحالة دخول الاصابع بتمامها فى الآذان عادة ،

أناملهم . وعليه قولهم : قطعت السارق ، وإنما قطعت يده

(٣ — تسميه المسبب باسم السبب أو السببية [١]) .

ومنها تسمية المسبب باسم السبب ، كقولهم : رعينا الغيث [٢] ، أى النبات الذى سببه الغيث

وعليه قوله عز وجل . فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ؛ سمى جزاء الاعتداء اعتداء لانه مسبب عن الاعتداء [٣]

= وفيه مزيد مبالغة ويصح أن يكون التجوز فى الاسناد أو على حذف مضاف أى أنملة أصابعهم

أما اسم الكلى إذا استعمل فى الجزئى فقيل حقيقة مطلقا (على أن اللام فى تعريف الحقيقة بأنها الكلمة المستعملة فيما وضعت له — لام التعليل ولا شك أن اسم الكلى وضع لاجل استعماله فى الجزئى) وقيل إن كان استعمال اسم الكلى فى الجزئى من حيث اشتماله على الكلى فهو حقيقة وإن كان استعماله فيه لا بالنظر إلى ما ذكر بل من حيث ذاته كان مجازا

(١) ١٥٥ مفتاح وص ١٥ من الموازنة . والسببية هى كون المعنى الحقيقى للفظ سببا للمعنى المجازى المراد

(٢) قال أبو هلال فى ٢٦٩ صناعتين : ويطلقون السماء على الغيث . قال جرير من قصيدته فى هجاء الراعى النميرى :

اذا نزل السماء بأرض قـــوم رعينـــاه وإن كانوا غضابا

وراجع القصيدة فى ٣٢٤ الادب الاسلامى لمحمود مصطفى ، وأولها :

أقلى اللوم عاذل والعتـــابا وقولى أن أصبت لقد أصـابا

والبيت « إذا نزل السماء » نفسه فى المفضليات ص ١٧٢ ، من قصيدة لمعاوية بن مالك

(٣) راجع ص ١٣ ما اتفق لفظه للمبرد

وقوله تعالى ونبلو أخباركم، تجوز بالبلاء عن العرفان لانه مسبب عنه، كانه قيل ونعرف أخباركم،

وعليه قول عمرو بن كلثوم [١] :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

الجهل الاول حقيقة، والثانى مجاز [٢]، عبر به عن مكافأة الجهل.

وكذا قوله تعالى : وجزاء سيئة سيئة مثلها، تجوز بلفظ السيئة عن الاقتصاص، لانه مسبب عنها، قيل وان عبر بها عما ساء أى أحزن لم يكن مجازا، لان الاقتصاص محزن فى الحقيقة كالجناية

وكذا قوله تعالى: ومكروا ومكر الله تجوز بلفظ المكر عن عقوبته لانه سببها، قيل ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقة، لان المكر هو التدبير فيما يضر الخصم، وهذا محقق من الله تعالى، باستدراجه اياهم بنعمه مع ما أعدلهم من نقمه [٣]

---

(١) راجع ١٤ ما اتفق لفظه للمبرد، ١٧٩ الدلائل

(٢) هذا ولك أن تقول إن الجهل الثانى فى حقيقته أيضا لانه لم يقل فنجهل مثل جهل الخ بل قال « فوق جهل الجاهلينا »

(٣) ملاحظة : استعمال الكلى فى الجزئى :

قيل حقيقة مطلقا بناء على أن اللام فى قولهم فى تعريف الحقيقة « المستعملة فيما وضعت له » للتعليل

وقيل إن اللام صلة فيكون الكلى المستعمل فى الجزئى من حيث خصوصه مجازا مرسلا من استعمال العام فى الخاص فعلاقته العموم والخصوص وإن استعمل فى الجزئى من حيث كون الجزئى فردا من أفراده كان حقيقة

[٤ — تسمية السبب باسم المسبب أو المسببية [١]] :

ومنها تسمية السبب باسم المسبب ، كقولهم « أمطرت السماء نباتا » ؛ وعليه قولهم « كما تدين تدان [٢] أى كما تفعل [٣] تجازى ، وكذا لفظ الاسنمة فى قوله يصف غيثاً :

أقبل فى المستن من ربابه أسنمة الآبال فى سحابه [٤]

وكذا تفسير انزال أزواج الأنعام فى قوله تعالى « وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج » بانزال الماء على وجه [٥] لانها لاتعيش إلا بالنبات ، والنبات لايقوم إلا بالماء ؛ وقد أنزل الماء فكأنه انزلها ،

---

(١) أى ان يكون مدلول اللفظ الحقيقى مسببا عن المعنى المجازى المراد

(٢) وليزيد بن الصعق الكلابى [٥٦ ج ١ الكامل] :

واعلم وأيقن أن مالك زائل واعلم بأن كما تدين تدان

وقال الفند الزمانى فى حرب البسوس [١٥ ج ١ الحماسة]

فلما صرح الشر فأمسى وهو عريان

ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا

(٣) فأطلق الدين وهو الجزاء على الفعل لان نفس الفعل سبب فى الدين بمعنى الجزاء

(٤) المستن : المنصب ، من استن الفرس . الرباب : السحاب الأبيض . الآبال : الجمال جمع إبل . أسنمة : جمع سنام أراد أن ذلك السحاب ينبت ما تأكله الابل فتصير شحومها فى أسنمتها [٦٨ ج ٢ كامل المبرد]

(٥) أي على رأى

ويؤيده ماورد أن كل مافى الأرض من السماء ينزله الله تعالى إلى الصخرة ثم يقسمه ؛ قيل وهذا معنى قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض » ، وقيل معناه « وقضى لكم [1] » ، لان قضاياه وقسمه موصوفه بالنزول من السماء ، حيث كتب فى اللوح كل كائن يكون ؛ وقيل خلقها فى الجنة ثم أنزلها [2] ، وكذا قوله تعالى « وينزل لكم من السماء رزقا » أى مطرا هو سبب الرزق ؛ وقوله تعالى « إنما يأكلون فى بطونهم نارا » ، وقولهم « فلان أكل الدم » أى الدية التى هى مسببة عن الدم [3] قال :

أكلت دما إن لم أرعك بضرة

بعيدة مهوى القرط طيبة النشر [4]

---

(١) فالمجاز على هذا فى « أنزل » وعلاقته المسببية ، والقرينة ذكر الأنعام ، وعلى الأول المجاز فى « ثمانية أزواج » ، والعلاقة هى هى والقرينة « أنزل » .

(٢) وعلى هذا فليس فى الآية مجاز

(٣) هذا سهو لأن المثال من تسمية المسبب وهو الدية باسم السبب وهو الدم واجاب بعضهم عن المصنف بأنه يريد أن « أكل » مجازا مرسلا لأن الأكل سبب فى المراد منه وهو الاخذ فهو من تسمية السبب باسم المسبب

(٤) هو لاعرابى تزوج امرأة فلم توافقه فقيل له ان حى دمشق سريحة فى موت النساء فحملها إليها . وقبل هذا البيت :

دمشق خذيها واعلمى أن لة تمر بعودى نعشها ليلة القدر

بعيدة مهوى للقرط (أى الحلق) : كناية عن طول العنق . النشر : الرائحة الطيبة . والبيت فى الحماسة [٣٨١ ج ٢]

وقوله تعالى « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله » أى أردت القراءة بقرينة الفاء مع استفاضة السنة بتقديم الاستعاذة . وقوله تعالى [١] : ونادى نوح ربه، أى أراد بقرينة: فقال رب . وقوله [١] تعالى : وكم من قرية أهلكناها أى أردنا اهلاكها ، بقرينة مجاءها بأسنا ، وكذا قوله [٢] تعالى ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها، بقرينة « أفهم يؤمنون » وفيه دلالة واضحة على الوعيد بالاهلاك إذ لا يقع الانكار فى « أفهم يؤمنون » فى المجاز الا بتقدير ونحن على أن نهلكهم [٢]

[٥ — تسمية الشىء باسم ما كان عليه [٣]]:

---

(١) ١٥٦ من المفتاح

(٢) هذا رأى السكاكى فى الآية فمعناها عنده: « هولاء الذين اقترحوا عليك أنزال آية من السماء اردنا إهلاكهم وكل من اردنا إهلاكهم لا يؤمنون فهؤلاء لا يؤمنون . ويرى علماء التفسير أن معنى الآية : لم تؤمن أمة من الامم التى اعطيناها ما اقترحت فأهلكناها فهؤلاء لا يؤمنون لو أعطوا ما اقترحوه ونحن لا نريد إهلاكهم فلا نجيبهم الى ما اقترحوا

ملاحظة :

من مثل المجاز المرسل الذى علاقته السببية قوله تعالى : « قد بدت البغضاء من أفواههم » ، أى آثار البغضاء . ومنها :

تمنى رجال ما أحبوا وإنما تمنيت أن أشكو إليها فتسمعا

أى فتجيب

(٣) أى على صفته فى الزمان الماضى لكنه ليس عليه الآن . وقيل ان الاطلاق المذكور حقيقى استصحابا للأطلاق حال وجود المعنى . وقيل بالوقف .

ومنها تسمية الشيء باسم ما كان عليه ، كقوله عز وجل « وآتوا اليتامى أموالهم، اى الذين كانوا يتامى اذ لا يتم بعد البلوغ [١] . وقوله: إنه من يأت ربه مجرما ، سماه مجرما باعتبار ما كان عليه فى الدنيا من الاجرام

[٦ - تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه [٢]] :

ومنها تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه كقوله تعالى : « إنى أرانى اعصر خمرا [٣]

(٧ - تسمية الحال باسم محله أو المحلية [٤]) :

ومنها تسمية الحال باسم محله ، كقوله تعالى « فليدع ناديه » ، أى أهل ناديه [٥]

---

(١) يرى بعضهم ان اليتيم على حقيقته ، فالمجاز فى « وآتوا » بأن يراد منه لازمه وهو حفظ المال ، لعلاقة المسببية . وقيل اليتيم يطلق على البالغ حقيقة استصحابا للماضى فلا مجاز فى الآية

(٢) أى فى الزمان المستقبل تحقيقا أو ظنا لا احتمالا

(٣) أى عنبا فيصير الى هذه الحال [٦٨ ج ٢ كامل المبرد]

ومثل ذلك : « هدى للمتقين » ، « من قتل قتيلا فله سلبه » (راجع ٣٦ ج ٣ ابن يعقوب)

ومثل ذلك : يمرض المريض وتضل الضالة

(٤) أى المكان الذى يحل فيه ذلك الشيء

(٥) وقيل المجاز فى الآية مجاز بالحذف

ومثل ذلك : « وأحسن نديا » أى أناسا فى ندى ، وأسأل القرية » أى أهلها

٨ - تسمية المحل باسم الحال أو الحالية [١]

ومنها عكس ذلك، نحو « وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله» أى فى الجنة[٢]

(٩ - تسمية الشىء باسم آلته أو الآلية [٣])

ومنها تسمية الشى باسم آلته كقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه، أى بلغة قومه، وقوله تعالى واجعل لى لسان صدق فى الآخرين، أى ذكرا جميلا وثناء حسناء [٤]

(علاقات أخرى للمجاز المرسل):

---

(١) فيما اذا ذكر لفظ الحال وأريد المحل لما بينهما من الملازمة

(٢) التى تحل فيها الرحمة . وهو مجاز على مجاز :

أطلقت الرحمة بمعنى رقة القلب وأريد منها أثرها من الانعام والتفضل مجازا مرسلا علاقته السببية ثم أريد من ذلك المنعم به وهو النعم مجازا مرسلا علاقته السببية أيضا ثم أريد من ذلك الجنة مجازا مرسلا علاقته الحالية

(٣) أى فيما اذا ذكر اسم الآلة - واريد الأثر الذى ينتج عنه ، فالآلية هى كون الشىء واسطة فى إيصال أثر المؤثر الى المتأثر . فالآلة هى الواسطة بين الفعل وفاعله والسبب مابه وجود الشىء . وقيل الآلة من جملة أفراد السبب لأن بها وجود الشىء

(٤) راجع ١٨٠ ج ١ الكامل المبرد . فاللسان اسم لآلة الذكر . وقيل هو من اطلاق المحل على الحال لأن الذكر حال فى اللسان . وقال بعض المفسرين « لسانا» أى ولدا صادقا يجدد دينى ويدعو إليه المتأخرين عنى فهو على هذا مجاز مرسل علاقته الجزئية

وكذا غير ذلك مما بين معنى اللفظ وما هو موضوع له تعلق سوى التشبيه

قال صاحب المفتاح[١]:

وللتعلق بين الصارف عن فعل الشيء والداعي إلى تركه يحتمل عندي أن يكون المراد بمنعك في قوله تعالى[٢]: ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك: دعاك، ولا غير صلة[٣] قرينة المجاز، وكذا ما منعك

---

(١) ١٥٦ مفتاح

(٢) راجع ص ١١٩ الاسكافي — درة التنزيل

ملاحظة

سبق أن ذكرنا أن الانتقال في المجاز من الملزوم الى اللازم، وبعض انواع العلاقة بل أكثرها [كاليتامى؛ والعنب، والنادى، والرحمة، واللسان] لا يفيد اللزوم، فلا وجه لجعلها علاقة لأن العلاقة أمر بسببه يحصل الانتقال من المعنى الحقيقي للمجازي لاستلزامه إياه. والجواب أنه ليس معنى اللزوم هنا عدم الانفكاك في الذهن أو الخارج بل تعلق وارتباط ينتقل بسببه من أحدهما الى الآخر في الجملة وفي بعض الأحيان، وهذا متحقق في كل أمرين بينهما علاقة وارتباط، فجميع أنواع العلاقة على هذا تفيد اللزوم، وحاصل الجواب أن اللزوم هنا ليس المراد به اللزوم الحقيقي أعني امتناع الانفكاك في الذهن أو الخارج بل المراد به الاتصال ولو في الجملة. ثم هذا تذكرة لما سبق في المقدمة في الكلام على اللزوم

(٣) فالعلاقة عند السكاكي الضدية، أو نقول إنها علاقة اللزومية اذ التعلق بين الصارف والداعي معناه انهما متلازمان غالبا

هذا والآية لها معنيان: معنى حقيقي هو أي سبب منعك من السجود وهذا

اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن. وقال الراغب رحمه الله: قال بعض المفسرين ان معنى ما منعك ما حماك وجعلك فى منعة منى فى ترك السجود أى فى معاقبة تركه. وقد استبعد ذلك بعضهم بأن قال: لو كان كذلك لم يكن يجيب بأن يقول أنا خير منه، فان ذلك ليس بجواب السؤال على ذلك الوجه وانما هو جواب من قيل له ما منعك أن تسجد

ويمكن أن يقال فى جواب ذلك إن ابليس لما كان الزم مالم يجد سبيلا الى الجواب عنه إذ لم يكن له من كالىء يحرسه ويحميه، عدل عما كان جوابا، كما يفعل المأخوذ بكظمه فى المناظرة»

انتهى كلامه

= المعنى قطع فيه النظر عن كلمة «لا»، ومعنى مجازى مراد وهو أى سبب دعاك لعدم السجود وهذا هو المعنى المجازى المنظور فيه الى كلمة «لا»؛ فكلمة «لا» قرينة على أن الآية مراد منها ما دعاك الى عدم السجود

وهذا تعسف، والأولى أن يكون كلام السكاكى معناه هكذا: للتعلق بين الصارف عن فعل الشىء (وهو السجود) والداعى الى تركه (وهو ترك عدم السجود)

ملاحظة

زاد بعضهم علاقات. اللزومية، والاطلاق، والتقييد؛ والعموم، والخصوص والتعلق الاشتقاقى وهو اطلاق المصدر على إسم الفاعل أو اسم المفعول وبالعكس مثل هو نبل وذكاء، وحجاب مستور أى ساتر، وهم غياث الناس، ومن العلاقات المجاورة مثل: فشككت بالرمح الأصم ثيابه. ليس الكريم على القنا بمحرم — أى جسمه وقلبه، ويصح أن تكون علاقته المحليه

(أقسام للمجاز المرسل):

وقسم الشيخ صاحب المفتاح [١] المجاز المرسل الى خال عن الفائدة ومفيد:

[١ —] وجعل الخالى عن الفائدة ما استعمل فى أعم مما هو موضوع له، كالمرسن فى قول العجاج:

وفاحما ومرسنا مسرجا [٢]

فانه [٣] مستعمل فى الانف لا بقيد كونه لمرسون [٤] مع كونه موضوعا له بهذا القيد .لا مطلقا. وكالمشفر فى نحو قولنا: فلان غليظ المشافر «اذا قامت قرينة على أن المراد هو الشفة لا غير. وقال: [٥] سمى هذا الضرب غير مفيد لقيامه مقام أحد المترادفين من نحو ليث وأسد وحبس ومنع عند المصير الى المراد [٦] منه

[٢ —] وأراد بالمفيد ما عدا الخالى عن الفائدة والاستعارة كما مر

---

(١) ١٥٤ من المفتاح

(٢) سبق البيت وراجعه فى ٢٣ و٤٨ أسرار، ١٥٥ مفتاح، ٢٤٠ ج٢ الأمالى

(٣) أى المرسن (وهو الأنف)

(٤) أى البعير

(٥) ١٥٥ مفتاح

(٦) فعلاقة هذا المجاز عند السكاكى التقييد

والشيخ عبد القاهر رحمه الله[١]:

[١ -] جعل الخالى عن الفائدة ما استعمل فى شىء بقيد ، مع كونه موضوعا لذلك الشىء بقيد آخر ، من غير قصد التشبيه[٢] .

ومثله ببعض ما مثله الشيخ صاحب المفتاح ونحوه ، مصرحا بأن الشفة والأنف موضوعان للعضوين المخصوصين من الانسان ، فان قصد التشبيه صار اللفظ إستعارة، كقولهم فى مواضع الذم غليظ المشفر فانه بمنزلة أن يقال كأن شفته فى الغلظ مشفر البعير؛ وعليه قول الفرزدق[٣]

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتى ولكن زنجى غليظ المشافر

أى ولكنك زنجى ، كأنه جعل لا يهتدى لشرفى[٤] ، وكذا قول الحطيئة يخاطب الزبرقان[٥]

قروا جارك العيمان لما جفوته وقلص عن برد الشراب مشافره

---

(١) راجع ٢٢ - ٢٢ و ٣٥٢ و ٣٥٣ من أسرار البلاغة

(٢) فعلاقته عنده التقييد ثم الاطلاق

(٣) البيت فى ٢٨٢ ج ١ الكتاب لسيبويه ، ٢٧ من الاسرار ، والخطاب لأيوب بن عيسى الضبي وكان قد حبس الفرزدق فقال ذلك هجاء له

(٤) فهو هنا استعارة لا مجاز مرسل ؛ وذلك لقصد التشبيه

(٥) راجع ٢٧ أسرار البلاغة

قروا : أضافوا . العيمان : العطشان إلى اللبن . قلص : انكمش من تأثير البرودة كناية عن أنه كان لا يجد عنده إلا الماء

فانه وان عنى نفسه بالجار جاز أن يقصد الى وصف نفسه بشوع من سوء الحال ليزيد فى التهكم بالزبرقان ، ويؤكد ما قصده ، من رميه باضاعة الضيف واسلامه للضر والبؤس؛ وكذا قول الآخر (١) :

سأمنعها أو سوف أجعل امرها الى ملك أظلافه لم تشقق

---

(١) هو عقفان القيسى أو الأخطل، والبيت فى ص ٢٠٦ من الاسرار، و ص ٢٩٣ صناعتين

يعنى بملك غطفان بن قيس بن عاصم . الأظلاف جمع ظلف وهو لما اجتر من الحيوان كالظفر للانسان ويريد بذلك أنه حر لا عبد

ملاحظات :

١ — نحو « مشفر زيد مجروح » المشفر لغة شفة البعير ؛ ثم اريد هنا مطلق شفة ، فكان المجاز المرسل هنا منقولا عن المقيد الى المطلق وكان مجازا مرسلا علاقته التقييد، ثم نقل من مطلق شفة الى شفة الانسان فكان مجازا مرسلا بمرتبتين وكانت علاقته التقييد والاطلاق، وذلك ما لم يقصد التشبيه والا كان « المشفر » استعارة . وهذا هو رأى عبد القاهر فى هذا النوع من المجاز المرسل، اما السكاكى فيرى ان المشفر اسم للمقيد وهو شفة البعير فأطلق أى جرد من قيده وهو اضافته للبعير واستعمل فى شفة الانسان من حيث انها من افراد مطلق شفة ، فهو عنده مجاز مرسل بمرتبة وهى التقييد بناء على ان العلاقة وصف المنقول عنه

٢ — بلاغة المجاز المرسل تتلخص فيما يلى :

ا — يوسع اللغة ويعين على الاقتنان فى التعبير

ب — وكثيرا ما يدعو إليه المعنى كالتعظيم فى قولك « رأيت الملك » أى ولى العهد .

ج — وقد يدعو إليه اللفظ والمعنى جميعا كاستعمال الأذن فى الرجل الكثير الاستماع للوشاة ، فلفظ الأذن أخف لفظا وهو مع ذلك أدق تصويرا للمعنى

الضرب الثانى من المجاز

الاستعارة [١]

وهى [٢] ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له

وقد تقيد بالتحقيقية [٣] ، لتحقق معناها [٤] حسا [٥] أوعقلا [٦]

---

(١) المراد بها التصريحية وهى التى يذكر فيها المشبه به دون المشبه ، واما المكنية التى لا يذكر فيها الا المشبه فستأتى

فالمصنف يرى ان الاستعارة على التحقيق مع التحقيقية لا المكنية على ما سيأتى هذا وراجع بحث الاستعارة فى ١٥٦ مفتاح وما بعدها، وتعريفها فى الاسرار ص ٣٠٤ و ٣٤٦

(٢) أى هى مجاز تكون علاقته المشابهة أى قصد أن الاطلاق بسبب المشابهة وذلك رأى الخطيب، ورأى عبد القاهر والسكاكى والسبكى أنها مجاز علاقته التشبيه بشرط قصد المبالغة . والمراد بمعناها ما عنى وقصد بها وهو المشبه

(٣) لتتميز عن التخييلية والمكنى عنهـــا ، لأن معنى التحقيقية محققة المعنى فتخرج التخييلية ، لأنها عند المصنف كالسلف ليست لفظا فلا تكون محققة المعنى، وعند السكاكى فهى وان كانت لفظا عنده الا أنها غير محققة المعنى لأن معناها عنده أمر وهمى . وتخرج المكنية ايضا عند المصنف لأنها التشبيه المضمر وهو ليس بلفظ فلا تكون محققة المعنى ، وأما عند السلف فهى داخلة فى التحقيقية لأنها اللفظ المستعار المضمر وهو محقق ، وكذا هى داخلة فيها على مذهب السكاكى لأنها عنده لفظ المشبه ومعناه (المشبه به) محقق

(٤) أى ما عنى بها -وهو المعنى المجازى لا الحقيقى -واستعملت هى فيه وهو المشبه فى التصريحية ، والمشبه به فى المكنية بناء على دخول المكنية هنا كما هو مذهب الجمهور والسكاكى =

أى التى نتناول أمرا معلوما ، يمكن أن ينص عليه ، ويشار اليه اشارة حسية أو عقلية ، فيقال إن اللفظ نقل من مسماه الاصلى فجعل اسما له على سبيل الاعارة للمبالغة فى التشبيه

أما الحسى

فكقولك رأيت أسدا وأنت تريد رجلا شجاعا، وعليه قول زهير .

لدى أسد شاكى السلاح مقذف (له لبد أظفاره لم تقلم [1])

---

(٥) أى فى الحس بأن يكون معناها مما يدرك باحدى الحواس الخمس الظاهرة

(٦) المراد بأن يكون اللفظ قد نقل الى أمر معلوم يمكن ان ينص عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية بان لا يدرك معناه بالحواس بل بالعقل ، بأن كان له تحقق وثبوت فى نفسه بحيث لا يصح للعقل نفيه فى نفس الأمر ، وهذا بخلاف الأمور الوهمية فلا ثبوت لها فى نفسها بل بحسب الوهم ولذا كان العقل لا يدركها ثابتة ويحكم ببطلانها دون الوهم

فالاستعارة عند المصنف تنقسم الى : تحقيقية - وتخييلية - ومكنية . وعند الجمهور والسكاكى تنقسم الى: تحقيقية وتخييلية، لأن المكنية عندهما من التحقيقية ، اما التخييلية فهى عند السكاكى لفظ مستعمل فى معنى وهمى لا تحقق له لا حسا ولا عقلا ولم يوضع له اللفظ ، وعند القوم هى قرينة المكنية وهى عندهم مجاز عقلى

(١) شاكى السلاح : من الشوكة أى تام السلاح . مقذف أى رجل شجاع قذف به كثيرا الى الوقائع ، وقيل قذف باللحم ورمى به فصار له جسامة ، فعلى المعنى الأول يكون «مقذف» تجريدا للملاءمة المستعار له ، وعلى الثانى ليس تجريدا ولا ترشيحا ؛ ويصح أن يكون «مقذف» اسم فاعل أى =

أى لدى رجل شجاع ، ومن لطيف هذا الضرب ما يقع التشبيه فيه فى الحركات [1] ! كقول أبى دلامة يصف بغلته :

أرى الشهباء تعجن اذ غدونا برجليها وتخبز باليدين

شبه حركة رجليها حيث لم تثبتا على موضع تعتمد بهما عليه ، وهوتا ذاهبتين نحو يديها بحركة يدى العاجن فانهما لا تثبتان فى موضع بل تزلان الى قدام لرخاوة العجين ، وشبه حركة يديها بحركة يدى الخابز ، فانه يثنى يده نحو بطنه ، ويحدث فيها ضربا من التقويس ، كما تجد فى يد الدابة اذا اضطربت فى سيرها ولم تقو على ضبط يديها ، وأن ترمى بهما الى قدام ، وأن تشد اعتمادها حتى تثبت فى الموضع الذى تقع عنه فلا تزول عنه ولا تنثنى [2]

= قذف بلحم أعدائه فهو ترشيح لملاءمته المستعار منه بتمحل . أظفاره لم تقلم ، كناية عن القوة والعزة والمنعة . واللبد : الشعر المجتمع بين كتفى الاسد

(١) راجع ذلك فى الأسرار ص ٣٣٠

(٢) ذلك كله منقول من الاسرار ص ٣٣٠

ملاحظات :

١ - قال تعالى « فأذاقها الله لباس الجوع »

شبه ما غشيهم عند جوعهم من الصفرة باللباس واستعير اللباس لذلك استعارة تصريحية تحقيقية ثم شبه ما غشيهم عند جوعهم من الصفرة بمطعوم مر بشع تشبيها مضمرا فى النفس على طريق الاستعارة المكنية ، واثبات الاذاقة تخييل .

فى الآية ثلاث استعارات تحقيقية ومكنية وتخييلية =

وأما العقلى [1] : فكقولك أبديت نورا وأنت تريد حجة ، فان الحجة مما يدرك بالعقل من غير وساطة حس ، اذا المفهوم من الالفاظ وهو الذى ينور القلب ويكشف عن الحق ، لا الالفاظ أنفسها ، وعليه قوله [2] عز وجل : اهدنا الصراط المستقيم » . وأما قوله [3] تعالى : فاذاقها

= ٢ — المشهور أن الاستعارة صفة للفظ ، والحق ان المعنى يعار أولا ثم يكون اللفظ دليلا على الاستعارة ، ودلك لأمور منها :

ا — انه إذا لم يكن نقل الاسم تابعا لنقل المعنى تقديرا لم يكن ذلك استعارة مثل الاعلام المنقولة

ب — ان الاستعارة ابلغ من الحقيقة فاذا لم يكن نقل الاسم تابعا لنقل المعنى لم يكن فيه مبالغة إذ لا مبالغة فى اطلاق الاسم المجرد عن معناه

ح — « رأيت أسدا » يقال فيه انك جعلت الرجل أسدا وحكمت بثبوت الاسدية له ولا يقال لمن سمى انسانا أسدا أنه صيره اسدا وأثبت الأسدية له

د اطلاق اسم الاسد على الرجل الشجاع فى أى لغة لاجل الاستعارة طريق سائغ مستعمل ، واطراد ذلك فى اللغات كلها يدل على ان المستعار معنى الاسد لا اسمه

٣ — بلاغة الاستعارة تتلخص فى أنها : تشرح المعنى وتبين عنه فضل ابانة ، وقد تؤكده وتبالغ فيه ، أو تشير إليه بقليل من اللفظ ، أو تعرضه فى معرض حسن يبرز فيه ذلك المعنى ، إلى غير ذلك من آثار بلاغة الاستعارة وسحرها

(١) راجع ٥٠ و ٥١ من الأسرار

(٢) راجع ص ٤٩ من الأسرار . فالصراط المستقيم مستعار للدين الحق لتشابههما فى أن كلا منهما يوصل الى المطلوب ، والدين الحق محقق عقلا لأنه أمر معنوى

(٣) راجع الكلام على « هن لباس لكم » فى الصناعتين ص ٢٦١

الله لباس الجوع والخوف، فعلى ظاهر قول الشيخ جار الله العلامة استعارة عقلية، لأنه قال شبه باللباس لاشتماله على اللابس ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث، وعلى ظاهر قول الشيخ صاحب المفتاح [1]: حسية لأنه جعل اللباس استعارة لما يلبسه الانسان عند جوعه وخوفه من امتقاع اللون ورثاثة الهيئة[2]

---

(١) ١٦٠ مفتاح

ملاحظات :

الفرق بين التشبيه والاستعارة يتلخص فيما يلى :

١ - فى التشبيه الصريح تذكر الأداة أو الوجه أو كلاهما أو يحذفان . وأما الاستعارة فتشبيه حذف أحد طرفيه مع الوجه والأداة فهى أخصر ، ويقع المستعار فيها فاعلا أو نائب فاعل أو مبتدأ أو مفعولا به أو مجرورا ، وكذلك يقع المستعار صفة أو خبرا لغير المشبه نحو إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ونحو بريح صرصرعانية ونحو هذه الريح العقيم. ولا يجمع بين طرفى الاستعارة على أى صورة من صور التشبيه السابقة ، وقد يجمع بينهما على صورة أخرى كقوله « قد زر أزراره على القمر » غير أن وجود طرفيها معا يضعفها إذ يجعلنا نشم منها رائحة التشبيه مما يبطل الفرض من التشبيه . قال الدسوقى: اعلم ان شم رائحة التشبيه لفظا :

١ - إما أن يكون ببيان المشبه به بالمشبه مثل حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الاسود من الفجر

٢ - وإما أن يكون بذكر وجه الشبه نحو رأيت أسدا فى الشجاعة

٣ - وأما أن يكون بذكر الأداة نحو زيد كالأسد

٤ أما أن يكون بذكر الطرفين على وجه لا ينبىء عن التشبيه كما فى قوله «قد زر أزراره على القمر» .=

فالاستعارة ما تضمن تشبيه معنـاه بما وضع[1] له ، والمراد بمعناه

= فاشمام رائحة التشبيه لفظا فى الثلاثة الأول مبطل للاستعارة . أما فى الرابع فلا يبطلها إلا انها تكون قبيحة انتهى كلامه . وسر قبحها أنه يبطل الغرض منهـا وذلك الغرض هو تأكيد المبـالغة فى التشبيه بدعوى أن المشبه فرد من أفراد المشبـــه به

ب — التشبيه يأتى فيما ظهر وجهه وفيما خفى ؛ وكلما احتـاج الوجه فيه الى امعان فكر كان أعذب وأجود . أما الاستعـارة فينبغى أن يكون الوجه فيها جليا لئلا تصير لغزا ؛ فالتشبيه أعم فكل استعارة يصح أن تكون تشبيها دون العكس ، فقوله (ص) : « الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة » ليس لك أن تقول فيه « رأيت إبلا مائة لا تجد فيها راحلة » لخفاء الوجه

حـ — الاستعارة تفيد المبالغة فى التشبيه

د — قصد التشبيه فى الاستعارة لا يدرك الا بعد طول النظر أما فى أسلوب التشبيه فواضح جلى

هـ — وجوب كون المشبه به أقوى من المشبه فى وجه الشبه فى الاستعارة

و — الاستعـــارة لا يساق تركيبها لأفادة الحكم بالمشابهة فان أمر المشابهة مفروغ منه وأسلوبها سيق لحكم آخر وراء التشبيه ، بعكس التشبيه

(٢) قال السبكى . وجزم المصنف بأن الاستعـارة هنـا تحقيقية إما عقلية أو حسية مخالف لما قاله السكاكى من أنها تخييلية ، والحق أنها عقلية [٥٥ ج ٤ ابن السبكى) . وراجع الآية فى المطول ص ٣٧٧ . قال السكاكى : الظاهر من اللباس الحمل على التخييل وان كان يحتمل عندى حمله على التحقيق وهو أن يستعار لما يلبسه الانسان عند الجوع

(١) أى أن الاستعارة مطلقا تحقيقية أولا هى : لفظ تضمن تشبيه معناه المراد منه وهو المعنى المجازى ، بما وضع له أى بمعناه الحقيقى . فالمراد بمعناه ما عنى باللفظ واستعمل اللفظ فيه

ما عنى به ، أى ما استعمل فيه [١] ، فلم يتناول ما استعمل فيما وضع له ، وإن تضمن التشبيه به ، نحو زيد أسد ورأيته أسدا ونحو رأيت به أسدا ، لاستحالة تشبيه الشيء بنفسه ، على أن المراد بقولنا ما تضمن مجاز تضمن ، بقرينة تقسيم المجاز الى الاستعارة وغيرها والمجاز لا يكون مستعملا فيما وضع [٢] له

---

(١) وهو المشبه

(٢) فزيد أسد فيه مستعمل فيما وضع له وإن تضمن ذلك اللفظ تشبيه شيء به وذلك لأنه إذا كان معنى لفظ الاسد المستعمل فيه هو عين المعنى الموضوع له لا المعنى المجـــازى وهو الرجل الشجاع لم يصح تشبيه معناه بالمعنى الموضوع له لاستحالة تشبيه الشيء بنفسه ، على أن مافى قولنا «ما تضمن» عبارة عن المجاز وأسد فى المثال ليس بمجاز لكونه مستعملا فيما وضع له

قيل : وفى كلام المصنف نظر لانا لانسلم أن الأسد فى الأمثلة المذكورة مستعمل فيما وضع له وهو الحيوان المفترس بل فى معنى الشجاع الذى زيد فرد من أفراده فيكون مجازا واستعارة كما فى « رأيت أسدا يرمى » بقرينة حمله على زيد ، فزيد ليس هو المشبه بالأسد الحقيقى بل المشبه كلى زيد المذكور وهو الشجاع فليس هناك جمع بين طرفى التشبيه ، ولا دليل لهم على أن هذا على حذف أداة التشبيه ، وأن التقدير زيد كأسد ، واستدلالهم على ذلك - بأنه قد حمل الأسد على زيد ومعلوم أن الانسان لا يكون أسدا فوجب المصير الى التشبيه بحذف أداته قصدا الى المبالغة — فاسد ، لأن المصير الى ذلك إنما يجب إذا كان «أسد» مستعملا فى معناه الحقيقى ، وأما إذا كان مجازا عن الرجل الشجاع فحمله على زيد صحيح ، فزيد أسد أصله زيد رجل شجاع كأسد فحذف المشبه والأداة للمبالغة واستعمل المشبه به فى معنى المشبه على سبيل الاستعارة ، وأما زيد فليس مشبها الا من حيث كونه ذاتا

وههنا شيء لا بد من التنبيه عليه[1]، وهو أنه إذا أجرى في الكلام لفظ

= صدقت عليها الشجاعة وبتلك الحيثية أخبر عنه. وقد ضعف بعضهم قول الشارح بانه لا بد من المبالغة في الاستعارة ولا مبالغة في قولنا زيد رجل شجاع كالأسد فان الحكم باتحاد زيد بالرجل الشجاع والتشبيه بالأسد لا يفيد تشبيه زيد بالأسد ولا مبالغة فيه. ورد بأن الأسد مستعمل في الرجل الشجاع على سبيل التشبيه والمبالغة في الرجل الشجاع، باستعمال لفظ المشبه به فيه وجعله فردا ادعائيا له

ويدل على أن أسدا يستعمل في الرجل الشجاع لا في الحيوان المفترس الذي وضع له أن المشبه به في مثل هذا المقام كثيرا ما يتعلق به الجار والمجرور كقوله «أسد على وفي الحروب نعامة»، فهذا دليل على أنه مؤول بمشتق كشجاع ومجترىء وصائل ولو كان المشبه به مستعملا في معناه الحقيقي ما تعلق به الجار لكونه جامدا حينئذ، ولكن يمكن أن يقال إن الجار والمجرور متعلق بالأداة لما فيها من معنى الفعل، وهو أشبه، فالمعنى أنت تشبه الاسد

والخلاصة

أن الفرق بين التشبيه والاستعارة عند المصنف هو أن الاستعارة اشتمل الكلام فيها على المشبه به وكان المشبه غير مذكور لا لفظا ولا تقديرا. وقيل الفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة امتناع تقدير حرف التشبيه فيها دونه. وقال السبكي الحق انه إن لم يصح تقدير الأداة فهو استعارة وان صح احتمل أن يكون استعارة وأن يكون تشبيها والغالب عند قصد المبالغة إرادة الاستعارة

(١) راجع ذلك في الاسرار ص ٢٧٧ وفي الدلائل ص ٥٣

ملاحظة:

خلاصة ادلة القائلين بأن مثل «زيد أسد» تشبيه بليغ هي:

١ - مثل «محمد بحر وزيد أسد» يمتنع ثبوت بحر لمحمد وأسد لزيد على الحقيقة فلا بد من تأويل يصحح هذا الاثبات وهو تقدير أداة التشبيه

٢ — الاستعارة لا يساق تركيبها لافادة الحكم بالمشابهة فان أمر المشابهة =

دلت القرينة على تشبيه شيء بمعناه فيكون ذلك على وجهين :

أحدهما [١] أن لا يكون المشبه مذكورا ولا مقدرا ؛ كقولك غنت لنا ظبية وأنت تريد امرأة ، ولقيت أسدا وأنت تريد رجلا شجاعا ، ولا خلاف أن هذا ليس بتشبيه وان الاسم فيه استعارة

والثانى أن يكون المشبه مذكورا أو مقدرا [٢] ، فاسم المشبه به ان كان خبر [٣] أو فى حكم الخبر : كخبر كان وإن والمفعول الثانى لباب علمت

= مفروغ منه واسلوبها سيق لحكم آخر وراء المشابهة، والتشبيه البليغ يفيد الحكم بالمشابهة فقط

٣ ـ الاستعارة التشبيه فيها لا يدركه الانسان لأول نظر أما التشبيه البليغ فالتشبيه فيه واضح

٤ ـ التشبيه يقتضى المغايرة بين المعنى وما وضع له والا لزم تشبيه الشيء بنفسه و « أسد » فى « زيد أسد » مستعمل فيما وضع له وان تضمن تشبيه شيء به، فليس مرادا به معنى آخر لأنه اذا كان معناه غير المعنى الموضوع له لم يصح تشبيه معناه بالمعنى الموضوع له لاستحالة تشبيه الشيء بنفسه حينئذ ، على انه لا يصح جعله من الاستعارة لأن الاستعارة مجاز تضمن تشبيه معناه المجازى بمعناه الموضوع له فلا يتناول ما استعمل فيما وضع له لكون « أسد » مستعملا فى معناه الحقيقى من قولك « زيد أسد » . ويمكن رد هذا الدليل الأخير بأن « أسد » استعملت فى غير ما وضعت له وهو شجاع

(١) راجع ذلك فى الأسرار ص ٢٧٨

(٢) راجع ذلك فى الاسرار ص ٢٧٩ وفى السبكى ٢٩٨ ج ٣

(٣) استثنى من ذلك السبكى ما المشبه به خبر عن المشبه وهو تمثيل مثل « والارض جميعا قبضته يوم القيامة » [٣٠٣ ج ٣ السبكى]

والحال ، فالأصح أنه يسمى تشبيها ، وان الاسم فيه لا يسمى إستعارة ؛ لأن الاسم [١] اذا وقع هذه المواقع ؛ فالكلام [٢] موضوع لاثبات معناه لما يعتمد [٣] عليه أو نفيه عنه ، فاذا قلت « زيد أسد » فقد وضعت كلامك فى الظاهر لاثبات معنى الاسد لزيد ، وإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة ، كان لاثبات شبه من الأسد له ، فيكون إجتلابه لاثبات التشبيه ، فيكون خليقا بأن يسمى تشبيها ، اذ كان إنما جاء ليفيده ، بخلاف الحالة الأولى ، فان الاسم فيها لم يجتلب لاثبات معناه للشىء ، كما اذا قلت ، جاءنى أسد ورأيت أسدا ، فان الكلام فى ذلك موضوع لاثبات المجىء واقعا من الاسد ، والرؤية واقعة منك عليه ، لا لاثبات معنى الاسد لشىء ، فلم يكن ذكر المشبه به لاثبات التشبيه ، وصار قصد التشبيه مكنونا فى الضمير لا يعلم إلا بعد الرجوع إلى شىء من النظر

ووجه آخر فى كونه التشبيه مكنونا فى الضمير [٤] ، وهو انه اذا لم يكن المشبه مذكورا ؛ جاز ان يتوهم السامع فى ظاهر الحال أن

---

(١) وهو المشبه به

(٢) هذا تحقيق لأهم الفروق بين الاستعارة والتشبيه وراجع ذلك فى الأسرار ص ٢٨٣ وما بعدها

(٣) وهو المبتدأ

(٤) أى فى مثل « رأيت أسدا »

المراد باسم المشبه به ما هو موضوع له ؛ فلا يعلم قصد التشبيه فيه إلا بعد شيء من التأمل ، بخلاف الحالة الثانية، فانه يمتنع ذلك فيه مع كون المشبه مذكورا أو مقدرا

ومن الناس من ذهب الى ان الاسم فى الحالة الثانية[1] إستعارة ، لاجرائه على المشبه مع حذف كلمة التشبيه[2]

---

(١) أى السابقة وهى مثل « زيد أسد »

(٢) وممن ذهب الى ذلك السعد الذى رأى أن المراد باللفظ فى مثل ذلك المعنى المجازى، فزيد أسد معناه زيد رجل شجاع كاسد، فحذف المشبه – وهو رجل شجاع – وأداة التشبيه واستعمل المشبه به فى معنى المشبه ، فهو استعارة ، وأيد ذلك بأن المشبه به كثيرا ما يتعلق به الجار والمجرور مثل قول عمران بن حطان :

اسد على وفى الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

فالمعنى «أسد مجترىء صائل على»

ورد رأيه بأن تفسيره لنحو « زيد اسد » بذلك التفسير تكلف ظاهر ؛ وبأن الجار والمجرور متعلق بالأداة لما فيها من معنى الفعل وهو « أشبه » ، كما قيل فى قوله تعالى « وما أنت بنعمة ربك بمجنون » ، فتعلق الجار والمجرور بلفظ « ما » لما فيها من معنى النفى أى انتفى ذلك بنعمة ربك

قيل ويؤيد أيضا أن لفظ المشبه به وهو أسد استعارة أن العرب تعامل مثل هذا معاملة ما اتفق على انه استعارة فيلاحظون فيه الادعاء وتناسى التشبيه وينون على ذلك فى هذا التركيب ما ينونه عليه فى الاستعارة من الترشيحات ، فيقولون مثلا :

هى الشمس مسكنها فى السماء فعز الفؤاد عزاء جميلا

والصحيح أن الذين يذهبون الى أن مثل هذا الاسلوب « زيد أسد » استعارة لا يريدون جعله من الاستعارة المعروفة ، بل يعتبرونه نوعا ثانيا من الاستعارة =

وهذا خلاف لفظى [١] ، راجع الى الكشف عن معنى الاستعارة والتشبيه فى الاصطلاح [٢] ، وما اخترناه [٣] هو الاقرب، لما أوضحنا من المناسبة، وهو اختيار المحققين : كالقاضى أبى الحسن الجرجانى [٤] ، والشيخ عبد القاهر ، والشيخ جار الله العلامة ، والشيخ صاحب المفتاح [٥] رحمهم الله

ويفسرون الاستعارة بمعنى يشمله ، فيقولون هى « إجراء لفظ المشبه به على المشبه سواء كان ذلك باستعمال لفظ المشبه به فى المشبه مثل رأيت بدرا وهو الاستعارة المعروفة ، أو بحمله عليه مثل « هى بدر » وهو النوع الآخر

ولذلك صح أن الخلاف لفظى

(١) قال السبكى فى هذا نظرا لأن الخلاف معنوى ، فعلى القول بالاستعارة يكون الأسد مجازا وعلى القول بالتشبيه يكون حقيقة قطعا ، وقول المصنف «راجع الى الكشف عن معنى الاستعارة» صحيح، ولكن ليس الكشف عن معناها لفظيا بل معنويا نعم يمكن أن يقال إن هذين اصطلاحان لا يدفع أحدهما الآخر (راجع ٣٠٢ ج ٣ السبكى)

(٢) فكأنهم لم يحرروا موضع الخلاف ليتوارد النفى والاثبات على شىء واحد

(٣) من أنه تشبيه لا استعارة

(٤) صاحب ; الوساطة بين المتنبى وخصومه ، والمتوفى عام ٣٩٢ هـ

(٥) راجع ص ١٥١ مفتاح ، ٢٩٨ ج ٣ السبكى . ويرى السبكى ان مثل « زيد أسد » تارة يقصد به التشبيه فتكون الأداة مقدرة ؛ وتارة يقصد به الاستعارة فلا تكون مقدرة ويرجع فى تعيين أحدهما الى المقام [٢٨٩ ج ٣ السبكى ، ٥٩ ج ٤ السبكى أيضا]

غير أن الشيخ عبد القاهر قال [1] بعد تقدير ما ذكرنا : فان أبيت الا أن تطلق اسم الاستعارة على هذا القسم :

[١ —] فان حسن دخول ادوات التشبيه لا يحسن اطلاقه ؛ وذلك كأن يكون اسم المشبه به معرفة ، كقولك زيد الاسد ، وهو شمس النهار فانه يحسن أن يقال زيد كالاسد ، وخلته شمس النهار ،

[٢ —] وان حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب فى اطلاقه ، وذلك كان يكون نكرة غير موصوفة ، كقولك زيد أسد ، فانه لا يحسن أن يقال زيد كأسد [2] ويحسن أن يقال كأن زيدا أسد ؛ ووجدته أسدا

[٣ —] وان لم يحسن [3] دخول شىء منها الا بتغيير لصورة الكلام ، كان اطلاقه اقرب ، لغموض تقدير اداة التشبيه فيه ؛ وذلك بأن يكون نكرة موصوفة بمالا يلائم المشبه به ، كقولك فلان بدر يسكن الارض ، وهو شمس لا تغيب ، وكقوله [4] :

---

(١) راجع ٢٨٥ من الاسرار وما بعدها

(٢) علل ذلك السبكى بأنه كأنه لاحظ فى امتناع حسن ، زيد كأسد ، أنه تشبيه بفرد من أفراد الأسد مع أن المقصود تشبيهه بحقيقة الأسد وجنسه [٣٠٢ ج ٣ السبكى]

(٣) راجع ٢٨٥ و ٢٨٦ من الاسرار

(٤) أى البحترى .

شمس تألق والفراق غروبها عنا وبدر والصدود كسوفه

فانه لا يحسن دخول الكاف ونحوه فى شىء من هذه الامثلة ونحوها ، إلا بتغيير صورته ، كقولك هو كالبدر الا انه يسكن الأرض ، وكالشمس الا انه لا يغيب ، وكالشمس المتألقة الا ان الفراق غروبها ، وكالبدر الا أن الصدود كسوفه

وقد (١) يكون فى الصفات والصلات التى تجىء فى هذا النحو ما يحيل تقدير أداة التشبيه فيه ، فيقرب إطلاقه أكثر ، وذلك مثل قول أبى الطيب :

أسد دم الأسد الهزبر خضابه موت فريص الموت منه يرعد (٢)

فانه لا سبيل إلى أن يقال المعنى هو كالأسد وكالموت ، لما فى ذلك من التناقض ، لأن تشبيهه بجنس السبع المعروف دليل أنه دونه أو مثله ، وجعل دم الهزبر الذى هو أقوى الجنس خضاب يده دليل أنه فوقه ، وكذلك لا يصح أن يشبه بالموت المعروف ، ثم يجعل الموت يخاف منه . وكذا قول البحترى (٣) :

---

(١) راجع ٢٨٦ من الأسرار

(٢) الخضاب : ما يخضب به . الفريص واحده فريصة وهى لحمة بين الثدى والكتف وقيل بين الجنب والكتف

(٣) قبله

سحاب خطانى جوده وهو صيب وبحر عدانى سيله وهو مفعم

وهو من قصيدة له فى مدح الفتح بن خاقان

وبدر أضاء الأرض شرقا ومغربا وموضع رجلى منه أسود مظلم

إن [1] رجع فيه إلى التشبيه الساذج، حتى يكون المعنى هو كالبدر، لزم أن يكون قد جعل البدر المعروف موصوفا بما ليس فيه، فظاهر أنه إنما أراد أن يثبت من الممدوح بدرا له هذه الصفة العجيبة التى لم تعرف للبدر، فهو مبنى على تخييل أنه زاد فى جنس البدر واحدا له تلك الصفة [2]؛ فالكلام موضوع لا لاثبات الشبه بينهما؛ ولكن لاثبات تلك الصفة؛ فهو كقولك زيد رجل كيت وكيت؛ لم تقصد إثبات كونه رجلا، لكن إثبات كونه متصفا بما ذكرت، فاذا لم يكن اسم المشبه به فى البيت مجتلبا لاثبات الشبه، تبين أنه خارج عن الأصل الذى تقدم من كون الاسم مجتلبا لاثبات الشبه؛ قالـــ كلام فيه مبنى على أن كون الممدوح بدرا أمر قد استقر وثبت، وإنما العمل فى إثبات الصفة الغريبة

وكما يمتنع دخول الكاف فى هذا ونحوه يمتنع دخول «كأن» ونحوه «نحسب»، لاقتضائهما أن يكون الخبر والمفعول الثانى أمرا ثابتا فى الجملة؛ إلا أن كونه متعلقا بالاسم والمفعول الأول مشكوك فيه، كقولنا

---

(١) راجع ذلك فى الاسرار ص ٢٨٧ وفى المفتاح ص ١٥١

(٢) أى تقصد أدعى حدوث شىء من الجنس المذكور الا أنه اختص بصفة عجيبة فلم يكن لتقدير التشبيه فيه معنى

كأن زيدا منطلق : أو خلاف الظاهر كقولنا كأن زيدا أسدا ، والنكرة[١] فيما نحن فيه غير ثابتة، فدخول كأن وتحسب عليها كالقياس على المجهول[٢] . وأيضا هذا النحو إذا فليت عن سره وجدت محصوله أنك تدعي حدوث شيء هو من الجنس المذكور إلا أنه اختص بصفة عجيبة لم يتوهم جوازها على ذلك الجنس ، فلم يكن لتقدير التشبيه معنى[٣]

---

(١) وهى المشبه به

(٢) معروف أن المشبه به هنا غير ثابت بالنظر لاجراء صفة عليه ليست له فاذا قلت ، كأنه أسد دم الأسد الهزبر خضابه ، كنت قد شبهت بمجهول أو قست على مجهول

(٣) تعليل عبد القاهر فى منع كونه تشبيها يقتضى منع كونه استعارة أيضا فانها مبنية على التشبيه مع أنه لا يمنع تقدير أداة التشبيه من إجراء الصفة على المشبه فى قولك الممدوح فريص الموت يرعد منه ، لأنه لم يرد تشبيه زيد بالموت المعتاد بل بموت له تلك الصفة مبالغة فى اعلاء المشبه عن المشبه به . ويمكن ان يقال إن عبد القاهر لا يمنع كونه تشبيها بل هو لا يستحسن فيه وفى مثله التشبيه

هذا وخلاصة أدلة الشيخ فى اطلاق اسم الاستعارة على مثل ذلك هى :

١ ـ تقدير الاداة وجعله تشبيها ساذجا يبعد أو يحيل صحة الوصف ، ومع عدم تقديرها يكون اجراء وصف المشبه على المشبه به سائغا

٢ ـ الاسلوب الذى معنا مبنى على تخييل ان المشبه به قد زاد فردا آخر عجيبا لما اختص به من الصفة العجيبة

٣ ـ المقصود من نحو ، هو أسد ترعد منه الاسود ، اثبات صفة زائدة على المشابهة وهذا نظير الاستعارة =

[التجريد وهل هو استعارة أو تشبيه ؟] :

وإن [1] لم يكن اسم المشبه به خبرا للمشبه ولا فى حكم الخبر ، كقولهم «رأيت بفلان أسدا» ، و «لقينى منه أسد» سمى تجريدا [2] كما سيأتى ان شاء الله تعالى

ولم يسم [3] استعارة :

[١ -] لأنه إنما يتصور الحكم على الاسم بالاستعارة اذا جرى بوجه على ما يدعى انه مستعار له [4] :

إما باستعماله فيه أو باثبات معنـــاه له ، والاسم فى مثل هـذا

= ٤ - عند تقدير «كأن» أو «تحسب» تكون قد شبهت بمجهول أو قست على مجهول

٥ التناقض فى بيت ابى الطيب ان قدرت الأداة ، فالبيت يفهم ان الممدوح فاق المشبه به ، وتقديرها يفهم أنه مثله أو دونه

(١) هذا معطوف على قوله سابقا ، فاسم المشبه به ان كان خبرا أو فى حكم الخبر كخبر كان وإن والمفعول الثانى لباب علمت والحال ،

(٢) راجع ذلك فى ٣٢٦ المطول فى خاتمة باب التشبيه ، و ٥٤ و ٣٢٦ دلائل ، و ٢٩١ و ٢٩٢ من الاسرار ، ١٥٠ من المفتاح

والتجريد ان ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر له تلك الصفة للدلالة على كمال تلك الصفة فى المنتزع منه

وسيأتى فى البديع

(٣) أى التجريد

(٤) وذلك بأن يكون خبرا عنه أو حالا أو صفة على ما سبق

غير جار على المشبه بوجه

[٢ –] ولانه يجيء على هذه الطريقة ما لا يتصور فيه التشبيه فيظن [١] أنه استعارة، كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد، اذ ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد، اذ هى نفسها دار الخلد، وكقول الشاعر [٢]:

ياخير من يركب المطى ولا يشرب كأسا بكف من بخلا

فانه لا يتصور فيه التشبيه، وانما المعنى أنه ليس ببخيل،

ولا يسمى تشبيها أيضا، لأن اسم المشبه به لم يجتلب فيه لاثبات التشبيه كما سبق

وعده الشيخ صاحب المفتاح تشبيها [٣] والخلاف أيضا لفظى [٤]

---

(١) معطوف على « يتصور »، منصب عليه النفى أيضا

(٢) وهو الأعشى

يريد أن الممدوح يشرب والانسان شأنه أن يشرب بكف نفسه، فهو يشرب بكف رجل كريم يعنى نفسه، ولايشرب بكف رجل بخيل

(٣) ١٥١ مفتاح وراجع ٢٩١ من الأسرار

(٤) أى راجع الى الاصطلاح كما قال الخلخالى

ملاحظة:

قيل ان التجريد استعارة بالكناية فاذا قلت « لقيت من خالد أميرا »، كان « خالد » هو لفظ المشبه ولفظ « أمير » قرينة

والصواب انه لا تشبيه ولا استعارة ولكن المنتزع قد يكون حقيقة مثل لقيت من محمد صديقا وفيا وقد يكون مجازا مثل « لقيت منه أسدا » أى رجلا شجاعا

[الاستعارة مجاز [1] لغوى لا عقلى] :

والدليل على أن الاستعارة مجاز لغوى [2] : كونها موضوعة للمشبه به ، لا للمشبه ؛ ولا لأمر أعم منهما [3] كالأسد ، فانه موضوع للسبع المخصوص ، لا للرجل الشجاع ، ولا للشجاع مطلقا ، لأنه لو كان موضوعا لأحدهما لكان استعماله فى الرجل الشجاع من جهة التحقيق ، لا من جهة التشبيه ؛ وأيضا لو كان موضوعا للشجاع مطلقا لكان وصفا لا اسم جنس [4]

---

(١) راجع ١٥٧ مفتاح ، ٣٢٢ و ٣٥٣ - ٣٥٥ من الأسرار

(٢) أى فالمراد به هنا ما قابل العقلى لا ما قابل الشرعى والعرفى ؛ فهى لفظ استعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة . والمراد بالاستعارة هنا الاستعارة المصرحة (٣) أى من المشبه والمشبه به

اى مما يستلزم كون اطلاقه على كل منهما حقيقة إذ لو كان اللفظ موضوعا للأعم لكان متواطئا أو مشككا فيكون حقيقة فيهما كاطلاق الحيوان على الأسد والرجل

(٤) وكل هذا على أى حال معلوم بالنقل عن أئمة اللغة قطعا ، فاطلاقه على المشبه وهو الرجل الشجاع إطلاق على غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة ما وضع له فيكون مجازا لغويا .

فاستعمال لفظ الأعم فى الأخص من حيث العموم - أى ليفهم منه فى ذلك الأخص معناه الأعم - حقيقة ، وانما يكون مجازا إذا قصد من حيث خصوصه ودلت القرينة على قصد النقل بخصوصه للعلاقة ، وقيل ان استعمال العام فى الخاص حقيقة مطلقا . فاذا لقيت زيدا وقلت رأيت رجلا أو إنسانا أو حيوانا فذلك حقيقة إذ لم يستعمل اللفظ الا فى معناه الموضوع له ، إلا إذا قصد لفظ العام من حيث خصوصه لعلاقة مع قرينة فيكون مجازا

وقيل الاستعارة مجاز [١] عقلى، بمعنى أن التصرف فيها فى أمر عقلى لا لغوى [٢]، لأنها [٣] لا تطلق على المشبه [٤] الا بعد ادعاء دخوله [٥] فى جنس المشبه به [٦]

لأن نقل الاسم وحده [٧] لو كان استعارة :

[١ —] لكانت الأعلام المنقولة كيزيد ويشكر استعارة [٨]

[٢ —) ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة [٩] لأنه لا بلاغة فى إطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه

---

(١) أى لا بمعنى الأسناد الى غير من هو له بل بالمعنى الآتى

(٢) أى لا بالمعنى السابق فى الاسناد فالمجاز العقلى المراد به التصرف فى أمر عقلى أى يدرك بالعقل وهو المعانى العقلية والتصرف فيها بادعاء أن بعضها وهو المشبه داخل فى البعض الآخر وهو المشبه به وجعل الاخر شاملا له على وجه التقدير وحسن ذلك الادخال وجود المشابهة بينهما فى نفس الأمر

(٣) أى الاستعارة بمعنى الكلمة كلفظ أسد

(٤) أى كالرجل الشجاع

(٥) أى دخول المشبه

(٦) بان جعل الرجل الشجاع فردا من افراد الأسد . أى فهى مستعملة فيما وضعت له فهى غير مجاز لغوى بل مجاز عقلى

(٧) أى نقل اللفظ مجردا عن معناه

(٨) يرد ذلك بأن النقل فى الاستعارة لعلاقة المشابهة وفى الاعلام لغير علاقة

(٩) راجع ٣٢٢ و ٢٨١ من الدلائل ، ٣٥٤ الأسرار

[٣ —] ولما صح أن يقال لمن قال رأيت أسدا يعنى زيدا إنه جعله [(١)] أسدا ، كما لا يقال لمن سمى ولده أسدا إنه جعله أسدا ، لأن جعل اذا تعدى الى مفعولين كان بمعنى صير فافاد اثبات صفة للشيء ، فلا تقول جعلته أميرا الا على معنى أنك أثبت له صفة الامارة ، وعليه قوله تعالى « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا » المعنى أنهم أثبتوا صفة الانوثة واعتقدوا وجودها فيهم ، وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم للملائكة اطلاق اسم الاناث عليهم لا أنهم اطلقوه من غير اعتقاد ثبوت معناه لهم ، بدليل قوله تعالى (اشهدوا خلقهم [(٢)])

وإذا كان [(٣)] نقل الاسم تبعا لنقل المعنى [(٤)] كان الاسم مستعملا

---

(١) راجع ٣٥٤ من الأسرار ، ٢٨١ و ٣٨٢ و ٣٣٦ من الدلائل

(٢) راجع ٣٥٤ و ٣٥٣ من الأسرار

ملاحظة :

الخلاصة أن المبالغة والادعاء لا ينكرهما من جعل المجاز لغويا ، وكون اللفظ أطلق على غير معناه الحقيقى لا ينكره من جعله عقليا ، وإنما النزاع فى أنه هل يسمى لغويا نظرا للاطلاق على غير المعنى الأصلى ، أو عقليا نظرا لذلك الادعاء فعاد الخلاف لفظيا اصطلاحيا

(٣) راجع ١٥٧ مفتاح ، ٢٦٤ من الأسرار

(٤) بمعنى انه اثبت له معنى الاسد الحقيقى ادعاء ثم أطلق عليه اسم الاسد فيكون الإسد مستعملا فيما وضع له . فالتجوز انما كان فى المعانى بجعل بعضها نفس غيرها ثم اطلق اللفظ ، فتسميته مجازا عقليا ظاهر ، وأما تسميته استعارة =

فيما وضع له، ولهذا [1] صح التعجب فى قول ابن العميد :

قامت تظللنى الشمس نفس أعز على من نفسى

قامت تظللنى ومن عجب شمس [2] تظللنى من الشمس

والنهى [3] عنه فى قول الآخر [4]

لا تعجبوا من بلى غلالته قدزر ازراره على القمر [5]

فباعطاء حكم المعنى للفظ لأن المستعار على هذا هو معنى المشبه به بجعل حقيقته لما ليس حقيقة له وهو المشبه

فالمراد بالمجاز العقلى هنا التصرف فى أمر عقلى (أى يدرك بالعقل ، على خلاف ما فى الواقع ، والتصرف فيها بادعاء ان بعضها (المشبه) داخل فى البعض الآخر (المشبه به) وفرد من أفراده

(١) أى ولأن اطلاق اسم المشبه به على المشبه انما يكون بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به

(٢) أى غلام جميل ، وتأنيث الضمير فى « قامت » باعتبار إسناده الى « نفس » . هذا فلولا انه ادعى لذلك الغلام معنى الشمس الحقيق وجعله شمسا على الحقيقة لما كان لهذا التعجب معنى اذ لا تعجب فى أن يظلل انسان حسن الوجه إنسانا آخر . وقال العصام : لم لا يجوز ان يكون التعجب من استخدامه من بلغ فى الحسن منزلة الشمس ؟

(٣) أى وصح النهى عن التعجب

(٤) هو ابن طباطبا الشريف ابن محمد بن احمد [راجع ص ٩ من طراز المجالس] والبيت فى ٢٧١ و ٦٧ من المطول ، ٢٢٣ ج ١ الدسوقى وفى الجزء الاول من شروح التلخيص أيضا فى آخر باب المجاز العقلى

(٥) الغلالة : شعار صغير يلاقى البدن يلبس تحت ثوب أوسع منه . زر : شد =

وقوله [١]

ترى الثياب من الكتان يلبسها ... نور من البدر احيانا فيبليها

فكيف تنكر أن تبلى معاجرها ... والبدر فى كل وقت طالع فيها

والجواب [٢] عنه : ان ادعاء دخـــول المشبه فى جنس المشبه به

فلولا أنه جعله قمرا حقيقيا لما كان للنهى عن التعجب معنى ، لأن الكتان إنما يسرع اليه البلى بسبب ملابسة القمر الحقيقى لا بملابسة إنسان كالقمر فى الحسن . لا يقال : القمر فى البيت ليس باستعارة لأن المشبه به مذكور وهو الضمير فى غلالته وأزراره . لأنا نقول : ذكر المشبه هنا على هذا الوجه لا ينافى الاستعارة لأنه لا ينبىء عن التشبيه ، والمنافى لها انما هو الجمع بين الطرفين على وجه ينبىء عن التشبيه بحيث يكون المشبه به خبرا عن المشبه أو حالا منه أوصفة له ؛ وأما اذا ذكر المشبه لا على وجه ينبىء عن التشبيه كما فى البيت لعدم جريان المشبه به عليه حتى يسهل تقدير الأداة نظرا للمعنى فهو استعارة . ثم هذا يقتضى أن يكون نحو لجين الماء استعارة مع أنهم صرحوا أنه تشبيه ، وقد يقال إن تصريحهم بذلك لاينا فى كونه استعارة . ومثل زر أزراره على القمر فى أن ذكر الطرفين فيه على وجه لا ينبىء عن التشبيه قولك « سيف زيد فى يد أسد فالجمع هنا بين المشبه والمشبه به (زيد وأسد) على وجه لا ينبى عن التشبيه لأن هذا التركيب ونحوه لا يتأتى فيه تقدير الأداة الا بزيادة فى التركيب أو نقص منه بحيث يتحول الكلام عن أصله

(١) هو ناصر الدولة ابو المطـــاع الحمدانى (ص ٩ طراز المجالس] وهما فى الأسرار ص ٢٦٦ . يبليها : يخلقها ، والعرب تزعم أن البدر يبلى الثياب الجميلة . المعاجر جمع معجر وهو ثوب تشده المرأة على رأسها

(٢) راجع ٣٥٨ من الاسرار

لا يخرج اللفظ عن كونه مستعملا فى غير ما وضع [1] له، وأما التعجب والنهى عنه فيما ذكر فلبناء الاستعارة على تناسى التشبيه قضاء لحق المبالغة .

فان قيل [2] إصرار المتكلم على ادعاء الاسدية للرجل ينافى نصبه

---

(١) للعلم بأن أسدا فى « رأيت أسدا يرمى » مستعمل فى الرجل الشجاع وإن ادعى أن الرجل الشجاع فرد من أفراد الاسد بعد تشبيهه به إذ تقدير الشىء نفس الشىء لا يقتضى كونه إياه حقيقة

فحاصل هذا الجواب رد الصغرى القائلة : الاستعارة لفظ استعمل فيما وضع له بعد الادعاء

فأسد فى المثال مستعمل فى الرجل الشجاع وهو موضوع للسبع المخصوص . وتحقيق ذلك ان أن الادعاء لا يقتضى كون الاستعارة مستعملة فيما وضعت له اذ ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به مبنى على أنه جعل افراد الاسد بطريق التأويل قسمين على ان الأسد موضوع للقدر المشترك بينهما وهو مجترىء : فأحدهما هو المتعارف وهو الحيوان المخصوص والثانى غير المتعارف وهو المشبه أى الرجل الشجاع ولفظ الأسد انما هو موضوع للمتعارف فاستعماله فى غير المتعارف استعمال فى غير ما وضع له والقرينة مانعة عن ارادة المعنى المتعارف — لا عن ارادة الجنس بقسميه — ليتعين المعنى الغير المتعارف. وحاصل هذا أن الادعاء يقتضى كونها مستعملة فيما وضعت له إذ معناه جعل المشبه به مؤولا بوصف مشترك بين المشبه والمشبه به وادعاء أن لفظ المشبه به موضوع لذلك الوصف وان أفراده قسمان: متعارف وغير متعارف فالموضوع له الفرد المتعارف والمستعمل فيه غير المتعارف ، فالاصرار على دعوى الأسدية بالمعنى غير المتعارف ونصب القرينة انما يمنع من ارادة الاسدية بالمعنى المتعارف فلا منافاة

(٢) راجع ٥٨ من المفتاح

قرينة مانعه من ان يراد به السبع المخصوص، قلنا : لا منافاة ، ووجه التوفيق ما ذكره السكاكى[1]، وهو أن تبنى دعوى الاسدية للرجل على ادعاء ان افراد جنس الاسد قسمان بطريق التأويل : متعارف وهو الذى له غاية الجراءة ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة ، وغير متعارف وهو الذى له تلك الجراءة وتلك القوة لا مع تلك الصورة بل مع صورة أخرى، على نحو ما ارتكب المتنبى هذا الادعاء فى عد نفسه وجماعته من جنس الجن وعد جماله من جنس الطير حين قال :

نحن قوم م الجن فى زى ناس فوق طير لها شخوص الجمال[2] .

مستشهدا لدعواه هاتيك بالمخيلات العرفية ، وأن تخصص[3] القرينة بنفيها المتعارف الذى يسبق الى الفهم ليتعين الآخر .

ومن البناء على هذا التنويع قوله[4] :

---

(١) ١٥٨ مفتاح

(٢) البيت فى المفتاح ص ١٥٨ و طراز المجالس ص ٢٩ ، ٤٣ ، ص ٣٣٣ من الدلائل ، ٤٩١ ج ١ السبكى . وقال الشهاب الخفاجى : لا قلب فى البيت وهو استعارة . وحمله ابن جنى على القلب وأن المعنى نحن قوم من الأنس فى زى الجن . فالشاعر قد اخرج قومه من جنس الانسان وجعلهم من الجن فصار الجن نوعين : النوع المعروف ، وقوم أبى الطيب . وكذلك يقاس الجمال . هذا والشطر الأول تشبيه والثانى استعارة

(٣) معطوف على قوله سابقا « ان تبنى دعوى الاسدية للرجل »

(٤) البيت لعمرو بن معدى كرب (٣٦٥ و ٤٢٩ ج ١ سيبويه

دالف : نهض وتقدم . فبهذا صار للتحية فردان : المعروف وضرب هؤلاء الفرسان . والشطر الثانى تشبيه تمثيلى

[وخيل قد دلفت لها بخيل] تحية بينهم ضرب وجيع

وقولهم « عتابك السيف [١] »، وقوله تعالى « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم [٢] »، ومنه قوله:

وبلدة ليس بها أنيس الا اليعافير وإلا العيس [٣]

وإذ قد عرفت معنى الاستعارة وأنها مجاز لغوى فاعلم:

---

(١) جعل العتاب فردا غير معروف له وهو السيف وراجع فى ذلك ٢١٤ و ٢٨٥ من الدلائل

(٢) أى الا اتيان من أتى الله بقلب سليم، والاتيان ليس من المال والبنين ولكن يمكن أن يتخيل هذا

(٣) البيت لجران العود النميرى وهو فى ١٣٣ و ٥٦٣ ج ١ الكتاب لسيبويه و ٥٨ و ٢١٥ مفتاح، و ٣١ طراز المجالس

اليعافير جمع يعفور وهو ولد البقرة. العيس: الابل التى يخالط بياضها صفرة جعل اليعافير والعيس مما يؤنس به تخييلا وقد سيقت هذه الأمثلة كلها لبيان ان الادعاء مذهب معروف للعرب وموجود فى كلامهم، لالذكر أمثلة للاستعارة فان الأمثلة المذكورة ليست استعارة ولا تشبيها كما قيل لأن الاستعارة فيها ادعاء ضمنى أما الادعاء الصريح فأسلوبه ليس استعارة ولا تشبيها وقال السبكى: وفيه نظر لأن البيت والآية على أحد القولين الاستثناء فيهما منقطع فلا يقدر المستثنى فردا من أفراد المستثنى منه وإلا لكان متصلا

هذا ومن مثل هذا التخييل قول ابن الأيهم التغلبى:

ليس بينى وبين قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب

[٣٦٥ ج ١ سيبويه]

[١ -] أن الاستعارة تفارق الكذب [١] من وجهين: بناء الدعوى فيها على التأويل [٢]، ونصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها، فان الكاذب يتبرأ من التأويل، ولا ينصب دليلا على خلاف زعمه

[٢ -] وانها لا تدخل فى الاعلام [٣] لما سبق من أنها تعتمد إدخال المشبه فى جنس المشبه به، والعلمية تنافى الجنسية [٤]، وأيضا

---

(١) راجع ١٥٨ مفتاح

(٢) أى فى المشبه به بجعله كليا صادقا على المشبه فيكون له فردان: متعارف وغير متعارف ففى كل استعارة تأويل ودعوى ان المشبه فرد من أفراد المشبه به، ولا كذب اصلا مع هذا الادعاء

(٣) فلا تكون الاستعارة علما شخصيا، أما العلم الجنسى فتجرى فيه الاستعارة كاسم الجنس، بخلاف علم الشخص. أما المجاز المرسل فيجوز فى العلمية إذ لا مانع من كونه علما لصحة أن يكون للعلم لازم ولو غير مشتهر يستعمل فيه لفظ العلم [وراجع ذلك فى المفتاح ص ١٠٧]

(٤) أى التى تقتضيها الاستعارة لأن العلم يقتضى التشخص أى تشخص معناه وتعينه خارجا. أما فى علم الجنس فيمكن العموم فى معناه لكونه ذهنيا، والمعنى الذهنى لا ينافى تعدد الأفراد له

هذا والسعد والسيد والعصام يجيزون الاستعارة فى العلم الشخصى، إذ لا لزوم عندهم للتأويل بكلى ولا لهذا الادعاء بل يكفى فى الاستعارة ادعاء ان المشبه عين المشبه به فتدخل الاستعارة فى الأعلام الشخصية

قال السيد على المفتاح: لا نسلم ان الاستعارة تعتمد على الادخال المذكور لأن المقصود من الاستعارة المبالغة فى حال المشبه بأنه يساوى المشبه به فيه وذلك يحصل بجعل المشبه من جنس المشبه به ان كان اسم جنس أو جعله عينه ادعاء ان =

لأن العلم لا يدل إلا على تعين شيء، من غير إشعار بأنه إنسان او فرس أو غيرهما ؛ فلا اشتراك بين معناه وغيره إلا فى مجرد التعين ونحوه من العوارض العامة ؛ التى لا يكفى شيء منها جامعا فى الاستعارة ، اللهم إلا اذا تضمن [1] نوع وصفية ، لسبب خارج ، كتضمن إسم حاتم الجواد ، ومادر البخيل ؛ وما جرى مجراهما

كان علم شخص فان المقصود من رأيت حاتما أنه رأى عين ذلك الشخص لا فردا من أفراد الجواد . ورد عبد الحكيم قوله لأن الادخال لا داعى اليه فان المبالغة تحصل أيضا بادعاء الاتحاد ولأن جعله عينه فيما اذا كان علم شخص ان كان لا عن قصد فهو غلط وان كان عن قصد فهو وضع جديد أو دعوى باطلة ان كان من غير تأويل وحينئذ فلا بد من التأويل وهو انما يكون بادخاله فيه

(١) أى إلا اذا تضمن العلم نوع وصفية لسبب اشتهار مدلول العلم بوصف من الاوصاف بحيث متى اطلق ذلك العلم فهم منه ذلك الوصف فلذلك يكون كليا تأويلا كحاتم يفهم منه الجواد فصار كأنه موضوع للجواد وهو معنى كلى فيصح اطلاق لفظ حاتم على زيد الكريم فتقول فيه « رأيت اليوم حاتما » بسبب تشبيه زيد بحاتم فى الجود وملاحظة ان حاتم كأنه موضوع للجواد وأن زيدا فرد من أفراده

وقال السبكى : لا حاجة لذلك بل انما كان العلم هنا استعارة لأنه صار نكرة لا علما كما كان ؛ فهو استعارة تبعية : وقد اختلف فى لفظ حاتم وما شابهه هل الاستعارة فيه أصلية أو تبعية ؟ اختار السعد انها اصلية ومعنى حاتم رجل يلزمه الجود لا الجواد

[قرينة الاستعارة [1]]

وقرينة الاستعارة : اما معنى واحد كقولك رأيت أسداً يرمى ؛ أو أكثر [2] كقول بعض العرب:

فان تعافوا العدل والايمانا فان فى أيماننا نيرانا [3]

---

(١) راجع ذلك فى ١٥٩ من المفتاح، وص ٢٣٢ دلائل الاعجاز وما بعدها . هذا والقرينة لازمة لكل مجاز ، فتقسيم القرينة يجرى فى المجاز المرسل والمكنية أيضا . وتخصيص قرينة الاستعارة بالبيان للاعتناء بها . قال العصام : ولا داعى لجعل قرينة المكنية واحدا والزائد عليه ترشيحا

هذا والقرينة إما لفظية أو عقلية . وهى فى الاستعارة التصريحية من ملائمات المشبه . وفى المكنية من ملائمات المشبه به كالأظفار

(٢) أى أمران أو أمور كل واحد منها قرينة وليس واحد منها ترشيحا ولا تجريدا لعدم ملاءمته للطرفين ملاءمة شديدة وما ذكره المصنف من جواز تعدد القرينة هو الحق وقيل لايجوز تعدد قرينة الاستعارة بل ان كان الصارف عن ارادة المعنى الحقيقى جميع الأمور فكلها وحدة هى القرينة وان كان الصارف كل واحد فالأول قرينة وما عداه تجريد أو ترشيح

(٣) تجده فى الدلائل ص ٢٣٢ . تعافوا : تكرهوا . الايمان جمع يمين أى فى أيدينا ويصح قراءته بكسر الهمزة كالذى قبله

فارتباط قوله « تعافوا » بكل من العدل والايمان قرينة على أن المراد بالنيران السيوف . والاولى أن يقال فكل واحد من العدل والايمان باعتبار تعلق الاعافة به قرينة لأن القرينة لا تكون الالفظة والتعلق ليس كذلك ، ثم لم يجعل احدهما قرينة والآخر تجريدا لأن مجموع الأمرين بمنزلة شىء واحد ولكن لو انفرد أحدهما لكفى

وذلك لأن كلا من العدل والايمان باعتبار تعلقه بتعافوا دليل على أن جواب هذا الشرط « تحاربون وتلجأون إلى الطاعة بالسيوف » هذا والأجل اعتبار كلمة أيماننا هى القرينة

أى سيوفا تلمع كأنها شعل نيران ، كما قال الآخر

ناهضتهم والبارقات كأنها شعل على أيديهم تتلهب (١)

فقوله «تعافوا» باعتبار كل واحد من تعلقه بالعدل وتعلقه بالايمان ، قرينة لذلك ، لدلالته على أن جوابه أنهم يحاربون ويقسرون على الطاعة بالسيف

أو معان مربوط بعضها ببعض ، كما فى قول البحترى :

وصاعقة من نصله تنكفى بها على أرؤس الاقران خمس سحائب (٢)

عنى بخمس سحائب أنامل الممدوح ، فذكر ان هناك صاعقة ثم قال « من نصله » ؛ فبين أنها من نصل سيفه ، ثم قال على أرؤس الأقران ،

---

(١) البيت فى الدلائل ص٢٣٣ : وهو للبحترى. البارقات : السيوف هذا ومثل البيت « فان تعافوا » قول الشاعر :

تقرى الرياح رياض الحزن مـــزهرة
إذا سرى النوم فى الأجفان ايقـــاظا

فكل من رياح ورياض قرينة لتقرى ، وكل من النوم والأجفان قرينة لسرى

(٢) النصل : حد السيف تنكفى تنقلب. الأقران جمع قرن وهو النظير المكافى. وقد ضمن مدحه بالشجاعة مدحه بالسخاء ويسمى هذا فى البديع الاستتباع. صاعقة تشبيه بليغ ان كان من نصله بيانا لها وإلا فاستعارة

والبيت فى ص ٢٣٢ من الدلائل ، وص ١٤٨ من المثل السائر ، ص ١٥٩ مفتاح والقرينة فيه معان ملتئمة مربوط بعضها ببعض وبجمـــوعها قرينة لا كل واحد منها

ثم قال «خمس» فذكر عدد أصابع اليد، فيبان من مجموع ذلك غرضه[1]

[تقسيم الاستعارة]

ثم الاستعارة تنقسم: باعتبار الطرفين، وباعتبار الجامع، وباعتبار الثلاثة؛ وباعتبار اللفظ وباعتبار أمر خارج عن ذلك كله

[١ — الاستعارة باعتبار طرفيها[2]]

أما باعتبار الطرفين فهى قسمان: لأن اجتماعهما[3] فى شىء إما ممكن أو ممتنع، واسم الأولى وفاقية، والثانية عنادية.

أما الوفاقية فكقوله تعالى[4] «أحييناه» فى قوله: أو من كان ميتا فأحييناه؛ فان المراد بأحييناه هديناه، أى أو من كان ضالا[5]

---

(١) قيل مجموع هذه الأمور ليس ضروريا فى فهم الاستعارة بل بعضها كاف. إلا أن يقال: المراد الدلالة الواضحة وهى متوقفة على الجميع وهذا لا ينافى كفاية بعضها فى أصل الدلالة على المراد

وقد يقال إن قوله «وصاعقة من نصله» كاف وحده للدلالة على الاستعارة، وكذا قوله «على أرؤس الأقران» وكذا تحديد العدد بخمس، فالقرينة متعددة لامعان ملتئمة إلا أن يراد بالتئامها أنها ربطت لا على وجه العطف المؤذن بالاستقلال

(٢) أى المستعار منه والمستعار له. وراجع ذلك فى الأسرار ص٥٧

(٣) أى اجتماع الطرفين

(٤) راجع الكلام على الآية فى ٢٦٠ صناعتين، ٣٢١ الأسرار

(٥) استعار الاحياء من معناه الحقيقى وهو جعل الشىء حيا للهداية التى هى الدلالة على طريق يوصل الى المطلوب، أى بعد تشبيه الهداية بالأحياء وادعاء انه فرد من أفرادها =

فهديناه ، والهداية والحياة لاشك فى جواز اجتماعهما فى شىء

وأما العنادية [١] : فمنها :

[١ —] ما كان وضع التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة وإن كانت موجودة ، لخلوها مما هو ثمرتها والمقصود منها ، وما اذا خلت منه لم تستحق الشرف كاستعارة اسم المعدوم للموجود ، اذا لم تحصل منه فائدة من الفوائد المطلوبة من مثله ، فيكون مشاركا للمعدوم فى ذلك أو اسم الموجود للمعدوم اذا كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودة [٢] حال عدمه ، فيكون مشاركا للموجود فى ذلك ، أو اسم الميت للحى

= والاحياء والهداية مما يمكن اجتماعها فى شىء واحد لأن المستعار منه هو الاحياء لا الحياة ، وإنما قال « أحييناه » لأن الطرفين فى استعارة الميت للضال مما لا يمكن اجتماعها فى شىء واحد إذ الميت لا يوصف بالضلال فتكون الاستعارة فيه عنادية لا وفاقيه . هذا الكلام على الآية فى ص ٢٦٠ صناعتين وص ٥٨ و ٣٢١ من الاسرار وستأتى قريبا فى الايضاح أيضا

(١) ٥٧ و ٦٨ أسرار البلاغة

ملاحظة

سميت الاستعارة الوفاقية وفاقية لما بين الطرفين من الاتفاق أى الاجتماع وعدم المباينة

وسميت الاستعارة العنادية عنادية لتعاند الطرفين وامتناع اجتماعهما

(٢) فتقول فى زيد الذى لانفع فيه رأيت اليوم معدوما فى المسجد فشبه الوجود العديم النفع بالعدم ، ثم استعير العدم له ، واشتق من العدم معدوم بمعنى موجود عديم النفع فهو استعارة تصريحية تبعية عنادية

الجاهل لأنه عدم فائدة الحياة والمقصود بها ، أعنى العلم ، فيكون مشاركا للميت فى ذلك ، ولذلك جعل النوم موتا ؛ لان النائم لا يشعر بما بحضرته ، كما لا يشعر الميت أو الحى العاجز ، لان العجز كالجهل يحط من قدر الحى

ثم الضدان ان كانا قابلين للشدة والضعف ، كان استعارة اسم الاشد للأضعف أولى ، وكل من كان أقل علما وأضعف قوة كان أولى بأن يستعار له اسم الميت . ولما كان الادراك اقدم من العقل فى كونه خاصة للحيوان كان الاقل علما أولى باسم الميت أو الجماد من الاقل قوة ، وكذا فى جانب الاشد ، فكل من كان أكثر علما كان أولى بأن يقال له انه حى ، وكذا من كان اشرف علما ؛ وعليه قوله تعالى « أو من كان ميتا فأحييناه » ، فان العلم بوحدانية الله تعالى وما أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم اشرف العلوم

[٢ -] ومنها ما استعمل فى ضد معناه أو نقيضه ، بتنزيل التضاد أو التناقض منزلة التناسب ؛ بوساطة تهكم أو تمليح ، على سبق فى التشبيه ، كقوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم » ، ويخص هذا النوع باسم التهكمية[1]

---

(١) ما كان الغرض منها التهكم والسخرية

والتمليحية [1]

(١) ما كان الغرض منها ايراد القبيح يصوره شيء ملمح للاستطراف

وحاصل هذا أن يطلق اللفظ الدال على وصف شريف على ضده كاطلاق الكريم على البخيل ، ولا يصح فيه اطلاق البخيل على الكريم ، فاذا اطلق الأسد على الجبان فقد نزل التضاد منزلة التناسب تهكما أو تمليحا ، وشبه الجبان بالأسد بجامع الشجاعة الموجودة فى المشبه (الجبان) تنزيلا وفى المشبه به تحقيقا ، واستعير اسم الأسد للجبان استعارة تصريحية

هذا والضدان هما الأمران الوجوديان اللذان لا يجتمعان وقد يرتفعان .

والنقيضان هما الأمران اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان وأحدهما وجودى والآخر عدمى

ومن المثل لذلك « فبشرهم بعذاب أليم » أى أنذرهم ، استعير لفظ البشارة التى هى الأخبار بما يظهر سرورا فى الشخص المخبر بذلك الخبر للانذار الذى هو ضده بادخال الانذار فى جنس البشارة على سبيل التهكم والاستهزاء ، وكقولك رأيت أسدا وأنت تريد جبانا على سبيل التمليح والظرافة ، ولايخفى امتناع اجتماع التبشير والانذار من جهة واحدة أى بحيث يكون المبشر به هو المنذر به والمبشر هو المنذر وكذا الشجاعة والجبن

هذا وراجع النهكية والتمليحية فى ص ٤١ وما بعدها من الاسرار

ملاحظة

لاجراء الاستعارة فى مثل « فبشرهم بعذاب اليم » نقول :

نزل التضاد منزلة التناسب ، فشبه الانذار بالتبشير بجامع إدخال السرور فى كل وان كان تنزيليا بالنسبة للمشبه ، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه استعارة تصريحية أصلية عنادية ، ثم اشتق منه بشر بمعنى أنذر على سبيل الاستعارة التبعيه التهكمية أو التمليحية العنادية ، وقد جعل الخفاجى المجاز فى الآية من مجاز المقابلة وكذلك قوله تعالى « فاهدوهم الى صراط الجحيم » : الهداية الدلالة بلطف ؛

[٢ — أقسام الاستعارة باعتبار الجامع [(١)]]

وأما باعتبار الجامع فهى قسمان :

أحدهما ما يكون الجامع فيه داخلا فى مفهوم الطرفين [(٢)] كاستعارة الطيران للعدو ، كما فى قول امرأة من بنى الحرث ترثى قتيلا :

لو يشا طار به ذو ميعة لاحق الآطال نهد ذو خصل [(٣)]

= استعاره للعتل وهو الأخذ بمجامع الشىء وجره بقهر، ويقال فى إجرائها : نزل التضاد منزلة التناسب ، فشبه العتل بالهدى بجامع الخير والنفع فى كل وان كا ن ادعائيا فى المشبه

(١) هو كوجه الشبه فى التشبيه أى ما قصد اشتراك الطرفين فيه ويسمى فى التشبيه وجه الشبه لأنه سبب للتشبيه ، وسمى هنا جامعا لأنه أدخل المشبه تحت جنس المشبه به ادعاء وجمعه مع أفراد المشبه به تحت مفهومه والجامع فى الاستعارة هو متعلق العلاقة لأن العلاقة فى رأيت أسدا يرمى هى المشابهة فى الشجاعة فالجامع هو الشجاعة

(٢) أى المستعار له والمستعار منه ، بأن يكون جزءا من مفهومها لكونه جنسا أو فصلا لذلك المفهوم

(٣) البيت فى الاسرار ص ٤٢ والحماسة ص ٤٦٩ ج ١

الميعة : النشاط . اللاحق : الضامر . الآطال جمع إطل بكسرتين أو بكسر فسكون الخاصرة . فرس نهد . جسيم مشرف . الخصلة : الشعر المجتمع أو هى لفيفة من الشعر ، ويريد بالخصل هنا ما تدلى من أطرافه

شبه العدو بالطيران بجامع السرعة فى كل ثم استعير لفظ الطيران للعدو

وكما جاء فى الخبر «كلما سمع هيعة طار[1] اليها» ، فان الطيران والعدو

---

(١) تتمة الحديث «خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها أو رجل فى شعفة فى غنيمة له يعبد الله حتى يأتيه الموت» : الهيعة : الصيحة التى يفزع منها من هاع يهيع إذا جبن . الشعفة : رأس الجبل العنان : اللجام . طار : عدا

والمعنى خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه واستعد للجهاد فى سبيله الله أو رجل اعتزل الناس وسكن فى رؤوس بعض الجبال فى غنم له قليل يرعاها ويكتفى بها فى أمر معاشه ويعبد الله حتى يأتيه الموت . استعار الطيران للعدو بجامع السرعة والجامع داخل فى مفهومها

وقد شبه العدو الذى هو قطع المسافة بسرعة فى الأرض بالطيران الذى هو قطع المسافة بسرعة الهواء واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الطيران طار بمعنى عدا والجامع قطع المسافة بسرعة وهو داخل فى مفهوم كل من المستعار له (العدو) والمستعار منه (الطيران) لأنه جنس لكل منهما وفصل العدو كونه فى الأرض وفصل الطيران كونه فى الهواء واسناد الطيران للرجل مجاز عقلى أصله طار فرسه بسعيه إليها

والأظهر أن ذلك الجامع وهو قطع المسافة بسرعة هو فى العدو لا فى الطيران الذى هو قطع المسافة بالجناح والسرعة لازمة له فى الاكثر داخلة فى مفهومه بخلاف العدو فهى داخلة فى مفهومه

فالاول ان يمثل باستعارة التقطيع الموضوع لازالة الاتصال بين الاجسام الملتصقة أى بقيد كون الاشياء المجتمعة ملتصقا بعضها ببعض لاجل أن يظهر كون الجامع المذكور داخلا فى مفهوم التقطيع وان كان ازالة الاتصال هو فى معنى ازالة الاجتماع ، وذلك فى قوله تعالى « وقطعناهم فى الارض أمما » فالجامع ازالة الاجتماع الداخلة فى مفهومها لان مفهوم التقطيع ازالة الاجتماع بين الاشياء المجتمعة الملتصقة بعضها ببعض ومفهوم التفريق ازالة الاجتماع بين الاشياء المجتمعة غير الملتصقة ، هذا وازالة الاجتماع فى التقطيع أشد =

يشتركان فى أمر داخل فى مفهومهما ، وهو قطع المسافة بسرعة ، ولكن الطيران أسرع من العدو ، ونحوهما قول بعض العرب :

فطرت بمنصلى فى يعملات دوامى الايد يخبطن السريحا[1]

يقول انه قام بسيفه مسرعا الى نوق فعقرهن ودميت ايديهن

= والفرق بين هذا حيث جعل استعارة وبين اطلاق المرسن على الأنف حيث جعلا مجازا مرسلا مع ان فى كل من المرسن والتقطيع وصفا خاصا - هو فى المرسن كونه انفا لبهيمة وفى التقطيع التصاق الاجسام - ليس فى الأنف وتفريق الجماعة ، هو أن خصوص الوصف الكائن فى التقطيع مرعى وملاحظ فى استعارته لتفريق الجماعة فصار التقطيع بمراعاته أقوى من التفريق فى ازالة الاجتماع فصح تشبيه التفريق به واستعارة اسمه له ، بخلاف خصوص الوصف فى المرسن فان الوصف الخاص الذى فى المرسن لما لم يلاحظ وانما لوحظ الأطلاق والتقييد لم يكن استعارة بل مجازا مرسلا لعدم التشبيه فلو لوحظ ذلك الوصف الخاص بحيث يجعل المرسن مشبها به لاجل ذلك الوصف لكان استعارة أيضا كما أن الوصف فى التقطيع اذا لم يلاحظ كان مجازا مرسلا

والحاصل أن التشبيه ههنا منظور بخلافه هناك . هذا والجامع يجب أن يكون فى المستعار منه أقوى أما التشبيه فقد يكفى فيه المساواة بين الطرفين فى الجامع : ويصح كون الجامع داخلا فى مفهوم الطرفين مع كونه فى أحد المفهومين أشد وأقوى

(١) البيت لمضرس بن ربعى ، وهو فى ٤١ من الأسرار وفى ٩ ج ١ و ١٩١ ج ٢ الكتاب لسيبويه . المنصل بضم الميم وفتح الصاد أو ضمها : السيف . اليعملات النوق المطبوعة على العمل . السريح : السبور يخصف بها

تخبطن السيور المشدودة على أرجلهن ، وكاستعارة الفيض لانبساط الفجر فى قوله

[يتراكمون على الأسنة فى الوغى] ∴ كالفجر فاض على نجوم الغيهب (١)

فان الفيض موضوع لحركة الماء على وجه مخصوص ؛ وذلك أن يفارق مكانه دفعة فينبسط ؛ وللفجر انبساط شبيه بذلك (٢) . وكاستعارة التقطيع لتفريق الجماعة وابعاد بعضهم عن بعض ، فى قوله (٣) تعالى « وقطعناهم فى الارض أمما » فان القطع موضوع لازالة الاتصال بين الاجسام التى بعضها ملتصقة ببعض ، فالجامع بينهما إزالة الاجتماع ، التى هى داخلة فى مفهومها ، وهى فى القطع أشد ، وكاستعارة الخياطة لسرد الدرع فى قول القطامى :

---

(١) هو للبحترى . يتراكمون : يجتمعون بكثرة وازدحام . الأسنة : الرماح . الوغى : الحرب . الغيهب . الظلمة . والشطر الأخير هو موضع الشاهد وهو فى الاسرار ص ٤٢

(٢) فى « فاض » استعارة تصريحية تبعية . شبه ظهور الصبح بفيض الماء بجامع أن كلا ينبسط على ما عداه بسرعة ، وفى البيت تشبيه هيئة الممدوحين وهم يتزاحمون فى حومة القتال وعليهم دروعهم تفيض أشعتها فيختفى العدو أمامهم بهيئة الصبح وقد انتشر ضوءه فأخفى النجوم . فالبحترى يمدحهم بالشجاعة وكثرة العدد والعدد اللامعة الى حد أنهم متى ظهروا اختفى أعداؤهم

(٣) راجع ٤٤ من الاسرار

لم تلق قوما هم شر لاخوتهم مناعشية يجرى بالدم الوادى

نقريهم لهذميات نقد بها ما كان خاط عليهم كل زراد[١]

فان الخياطة تضم خرق القميص، والسرد يضم حلق الدرع[٢] فالجامع بينهما الضم، الذى هو داخل فى مفهومهما، وهو فى الاول أشد.

وكاستعارة النثر لاسقاط المنهزمين وتفريقهم فى قول ابى الطيب:

نثرتهم فوق الاحيدب نثرة كما نثرت فوق العروس الدراهم[٣]

---

(١) لهذميات: السيوف القواطع الواحد لهذم والنسبة فيها للمبالغة. الزراد صانع الزرد وهى الدرع. وضمير نقريهم لأخوتهم وكانوا أعداءهم. واستعارة القرى لذلك من نوع التهكم السابق. القرى: الاحسان الى الضيف. وفى إسناد الجرى للوادى مجاز عقلى والمراد جرى الوادى بالدم وكنى بهذا عن الحرب واشتدادها. فى «نقرى» استعارة تهكمية، نزل التضاد منزلة التناسب فشبه الطعن وهو إساءة بالقرى وهو إحسان بجامع الاحسان فى كل وان كان ادعائيا فى الأول ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه استعارة تصريحية أصلية عنادية تهكمية، ثم أخذ منه «نقرى» بمعنى نطعن على سبيل الاستعارة التبعية. وفى خاط استعارة تبعية، شبه السرد بالخياطة بجامع الضم فى كل

(٢) راجع ذلك فى الكامل للمبرد ٣١ ج ١

(٣) راجع البيت فى الأسرار ص ٤٢. الاحيدب اسم جبل. يقول فرقتهم على هذا الجبل مقتولين ونثرتهم نثر الدراهم على العروس، فتفرقت مصارعهم على هذا الجبل كما تتفرق مواقع الدراهم اذا نثرت. شبه اسقاط المنهزمين بلا نظام فى جهات مختلفة بالنثر بجامع التفريق فى كل

لان النثر أن يجمع أشياء فى كف أووعاء ثم يقع فعل يتفرق معه دفعة ، من غير ترتيب ونظام ، وقد استعاره لما يتضمن التفرق على الوجه المخصوص ، وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين فى الحرب دفعة ؛ من غير ترتيب ونظام ، ونسبه الى الممدوح لأنه سببه [١]

والثانى ما يكون الجامع فيه غير داخل فى مفهوم الطرفين [٢] ؛ كقولك رأيت شمسا وتريد انسانا يتهلل وجهه ، فالجامع بينهما التلألؤ ، وهو غير داخل فى مفهوم منهما

[٣ — الاستعارة العامية والخاصية [٣]] :

وتنقسم باعتبار الجامع أيضا إلى عامية وخاصية :

فالعامية [٤] المبتذلة لظهور الجامع فيها ، كقولك « رأيت أسدا » ، و « وردت بحرا »

والخاصية [٥] الغريبة التى لا يظفر بها الا من ارتفع عن طبقة العامة ،

---

(١) فى اسناد « نثر » إلى الممدوح مجاز عقلى علاقته السببية

(٢) هذا صادق بثلاث صور : ان يكون خارجا عن مفهومهما معا ، أو خارجا عن مفهوم المشبه فقط ، او عن مفهوم المشبه به فقط

(٣) راجع ٥٨ - ٦٣ من الدلائل

(٤) أى يدركها عامة الناس ويصح منهم استعمالها

(٥) أى لا يعرفها الا الخواص من الناس الذين أوتوا ذهنا ارتفعوا به عن طبقة العامة

وهى الغريبة التى لا يطلع على جامعها إلا الخاصة الذين أوتوا ذهنا ارتفعوا به عن طبقة العامة أى لا يهتدى إلى الجامع الكائن فيها الا الخواص

كما سيأتى فى الاستعارات الواردة فى التنزيل، وكقول طفيل الغنوى :

وجعلت كورى فوق ناجية يقتات شحم سنامها الرحل [١]

وموضع اللطف والغرابة منه أنه استعار الاقتيات لأذهاب الرحل شحم السنام مع أن الشحم مما يقتات. وقول ابن المعتز [٢]

حتى إذا ما عرف الصيد الضار

وأذن الصبح لنا فى الأبصار

لما كان تعذر الأبصار منعا من الليل، جعل إمكانه عند ظهور الصبح إذنا منه، وقول الآخر [٣] :

بعرض تنوفة للريح فيه نسيم لا يروع فى التراب

---

(١) البيت فى : ص ١٠ من البديع شرح محمد عبد المنعم خفاجى، ١١٥ موازنة، ٢٧٨ صناعتين. ومثله لسلمى بن غوية :

أو لم ترى لقمان أهلكه ما اقتات من سنة ومن شهر

الكور : الرحل. الناجية: الناقة السريعة. والشاهد فى «يقتات» فانها استعارة فى وجهها خفاء وهو الافناء التدريجى فى كل مع اسناد لفعل الى غير ما هو له وهو الرحل. يقول : أذهبت شحم سنامها وهزلها بوضع الرحل عليها دائما، يصف نفسه بكثرة الأسفار

(٢) ٦١ من الدلائل عرف بالبناء للفاعل وفاعله «الصيد» والمعنى عرف ما يصيده بانقشاع الظلام. الضار: الضارى المتعود للصيد

(٣) هو سوار بن المضرب [راجع ص ٦٠ من الدلائل] التنوفة : الصحراء أو الأرض الواسعة، وعرضها : سعتها. والشطر الثانى معناه ضعف هذا النسيم

وقوله [١] :

يناجينى الاخلاف من تحت مطله .. فتخصم الآمال واليأس فى صدرى

ثم الغرابة قد تكون :

[١ —] فى الشبه [٢] نفسه كما فى تشبيه هيئة العنان فى موقعه من قربوس السرج ، بهيئة الثوب فى موقعه من ركبة المحتبى ، فى قول يزيد [٣] بن مسلمة بن عبد الملك ؛ يصف فرسه بأنه مؤدب :

واذا احتبى قربوسه بعنانه علك الشكيم الى انصراف الزائر [٤]

---

(١) هو لابن المعتز ، والبيت فى الدلائل ص ٦١ . الأخلاف : الخلف . المطل : التسويف .

(٢) أى أنها كما تكون بخفاء الجامع بين الطرفين بحيث لا يدركه إلا الخواص تكون أيضا بالغرابة فى التشبيه نفسه أى فى إيقاع المشابهة بين الطرفين ، لا فى وجه الشبه . وذلك بأن تكون الاستعارة تشبيها فيه نوع غرابة كأن يكون تشبيه هذا الأمر بهذا الأمر غريبا ونادرا وإن كان كل واحد من المشبهين كثيرا فى ذاته

(٣) فى البديع لابن المعتز ص ٢٠ شرح محمد عبد المنعم خفاجى ، هذا البيت على أنه لمحمد بن يزيد من ولد مسلمة ، وكذلك فى الكامل للمبرد [٢٨٤ ج ١] وفيه « اللجام » بدل « الشكيم » ، والبيت فى ص ٥٩ من الدلائل ، و ص ١٠٧ من الموازنة . ومحمد بن يزيد شاعر معاصر للمأمون والمعتصم [ص ٤١٩ من معجم الشعراء]

(٤) القربوس : السرج أو مقدمه . العنان : اللجام . علك : مضغ . الشكيم : الحديدة المعترضة فى فم الفرس . والمراد بالزائر الشاعر نفسه . فالانتقال إلى الاحتباء الذى هو المشبه به عند استحضار القاء العنان على قربوس الفرس فى غاية الندور لأن أحدهما من وادى القعود والآخر من وادى الركوب مع =

= ما فى الوجه من دقة التركيب وكثرة الاعتبارات الموجبة لغرابة إدراك وجه الشبه وبعده عن الأذهان

هذا وفاعل احتبى هو « قربوسه » ، جعله بمنزلة الرجل المحتبى كأنه ضم إليه فم الفرس ورأسه كما يضم الرجل إلى ظهره ركبتيه بثوب ونحوه ، والاحتباء شد ركبتى الرجل إلى بطنه بنحو ثوب يمتد من الجانبين الى ظهره ، شبه شد فم الفرس إلى القربوس بعنانه الممتد بجانبى الفم والعنق بالاحتباء ، ثم استعار الاحتباء لشد فم الفرس الى القربوس

ويصح أن يكون «قربوسه» مفعولا لاحتبى مضمنا معنى جمع، والفاعل ضمير يعود إلى الفرس أى واذا جمع هذا الفرس قربوسه بعنانه كما يضم المحتبى ركبتيه إليه؛ فعلى الأول ينزل وراء القربوس فى هيئة التشبيه منزلة الظهر من المحتبى وفم الفرس منزلة الركبتين ، وعلى الثانى بالعكس أى ينزل القربوس فى هيئة التشبيه منزلة الركبتين وفم الفرس منزلة الظهر. والوجه الأول فيه مناسبة ما فى التشبيه لكن فيه بعد من جهة أن القربوس فى الهيئة أعلى وكذا الركبتان والفم أسفل وكذا الظهر، والوجه الثانى لهذا أولى فهو أسد . هذا ولما كان المستعار لفظا مفردا كانت الاستعارة مفردة لاتمثيلية وان كان الوجه هيئة

والشاهد غرابة الاستعارة فى البيت لما فى وجه الشبه من كثرة التفصيل مع مابين الطرفين من التباعد فى الذهن . فقد شبه هيئة وقوع العنان فى موقعه من قربوس السرج ممتدا إلى جانبى فم الفرس بهيئة وقوع الثوب فى موقعه من ركبتى المحتبى ممتدا إلى جانبى ظهره ثم استعار الاحتباء وهو ان يجمع الرجل ظهره وساقيه بثوب أو غيره لوقوع العنان فى قربوس السرج واشتق من الاحتباء، احتبى بمعنى وقع على طريق الاستعارة التصريحية التبعية فجاءت الاستعارة غريبة لغرابة الشبه ولا يخفى أنه ليست الاستعارة تمثيلية مركبة بل مفردة، فالأولى أن يقال شبه ايقاع العنان بالقربوس بجمع الرجل ظهره وساقيه بثوب ونحوه واستعير الاحتباء لوقوع العنان بالقربوس واشتق من =

[٢ —] وقد تحصل [(١)] بتصرف فى العامية [(٢)] كما فى قول الآخر [(٣)] :

= الاحتباء احتبى بمعنى وقع فالمشبه به هو الاحتباء وهو ضم الرجل ظهره وساقيه بثوب وشبهه أى كالحبل ، والمشبه هو إلقاء العنان على القربوس لأجل ضم رأس الفرس الى جبهته فالتشبيه هنا واقع بين مفردين باعتبار ما تضمنه كل منهما من الهيئة لا أنه واقع بين هيئتين فالمثال من قبيل الاستعارة الأفرادية لا التمثيلية فقول الشارح شبه هيئة على هو حذف مضاف أى لارم هيئة

(١) أى الغرابة

(٢) أى فى الاستعارة العامية وذلك بأن يضم إلى تلك الاستعارة تجوز آخر لطيف اقتضاه الحال

(٣) هو كثير عزة ، وينسب الى يزيد بن الطثرية وقد سبق البيت فى باب الايجاز وهو فى ٥٨ و٦٠ من الدلائل ؛ و ص ١٦ من الأسرار . الاباطح جمع أبطح وهو مسيل الماء فيه دقاق الحصى ، استعار سيلان السيول الواقعة فى الاباطح لسير الابل سيرا مسرعا ووجه الشبه هنا ظاهر معروف وهو قطع المسافة بسرعة لكنه قد تصرف فيه بما أفاد اللطف والغرابة وذلك باسناد الفعل وهو سالت ، إلى الاباطح

هذا وإسناد الفعل الى الاباطح يفيد أنه امتلأت الاباطح من الأبل ، وذلك لأن نسبة الفعل الذى هو صفة الحال الى المحل تشعر بشيوعه فى المحل وإحاطته بكله ، فالسيلان المستعار للسير حقه ان يسند الى المطى ولكنه اسند إلى الأباطح التى هى محل السير فهى من اسناد الفعل لمحله فقد جعل كل محل من الأباطح سائرا لاشتماله على ما هو سائر فيه ؛ فوق أنه أدخل الأعناق فى السير بجرها بباء الملابسة المقتضية لملابسة الفعل لها فانها سائرة لأن مرجع الملابسة للاسناد فيكون السيل مسندا للاعناق تقديرا وذلك الاسناد مجاز عقلى ، فى الكلام مجازان عقليان : لفظى =

[أخذنا أطراف الأحاديث بيننا] وسالت بأعناق المطى الأباطح

اراد أنها سارت سيراً حثيثاً فى غاية السرعة، وكانت سرعة فى لين وسلاسة، حتى كأنها كانت سيولا وقعت فى تلك الأباطح، فجرت بها، ومثلها فى الحسن وعلو الطبقة فى هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز:

سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

أراد أنه مطاع فى الحى، وأنهم يسرعون فى نصرته، وأنه لا يدعوهم لخطب إلا أتوه وكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجىء من ههنا وههنا، وتنصب من هذا المسيل وذاك، حتى يغص بها الوادى، ويطفح منها، وهذا شبه معروف ظاهر [1]، ولكن

= وهو اسناد السيل للاباطح، وتقديره وهو إسناده للاعناق، وفيه مجاز بالاستعارة. فلما أضيف إلى الاستعارة هذان المجازان العقليان صارت الاستعارة غريبة. فالخلاصة أنه استعار «سالت» لسارت استعارة مبتذلة ثم اضاف اليها ما أوجب غرابتها من المجازين العقليين بان اسند «سالت» الى الأباطح من إسناد ما للحال الى المحل اشعارا بكثرتها، وباسناد سالت إلى الاعناق أيضا تقديرا من اسناد الشىء الى ما هو كالسبب فيه

(١) أى فى بيت كثير وفى بيت ابن المعتز، فوجه الشبه فيهما عامى ظاهر وهو قطع المسافة بسرعة، لكن التصرف فى وجه الشبه فى البيتين جعل الاستعارة خاصية غريبة، إذ اسند الفعل اعنى «سالت» المستعار لسارت إلى الأباطح فى بيت كثير دون المطى أو أعناقها حتى أفاد أنه امتلات الأباطح من الابل، =

حسن التصرف فيه أفاد اللطف والغرابة وذلك أن أسند الفعل إلى الأباطح والشعاب ، دون المطى أو أعناقها ، والأنصار أو وجوههم ، حتى أفاد أنه امتلأت الأباطح من الابل ، والشعاب من الرجال ، على ما تقدم فى قوله تعالى « واشتعل الرأس شيبا » ؛ وفى كل واحد منهما شيء غير الذى فى الآخر يؤكد أمر الدقة والغرابة : أما الذى فى الاول فهو انه أدخل الاعناق فى السير ، فان السرعة والبطء فى سير الابل يظهران غالبا فى اعناقها على ما مر ، واما الذى فى الثانى فهو انه قال عليه ، فعدى الفعل الى ضمير الممدوح بعلى ، فأكد مقصوده من كونه مطاعا فى الحى [1] وكما فى قوله :

= وكذلك أسند الفعل « سالت » إلى الشعاب فى بيت ابن المعتز دون الأنصار أو وجوههم ، وأدخل فى بيت كثير الأعناق فى السير لأن السرعة والبطء فى سير الأبل يظهران غالبا فى الأعناق ، فاسناد السير تقديرا إلى الاعناق من باب إسناد الشيء الى ما هو كالسبب فيه . وبيت ابن المعتز تجده فى ص ٥٩ و ٦٠ و ٧٨ من الدلائل .

(١) راجع ٥٩ و ٦٠ من الدلائل

فى الأعناق فى بيت كثير مجاز عقلى تقديرى من اسناد الشيء الى ما هو كالسبب ، ولك ان تقول انه ترشيح للمجاز العقلى (سالت الاباطح) ، فيكون فى الكلام : مجاز عقلى لفظى علاقته المحلية وهو اسناد « سالت » للاباطح ، ومجاز تقديرى علاقته السببية وهو إسناده تقديرا للاعناق ، إذ جرها بباء الملابسة التى تقتضى ملابسة الفعل للاعناق وأنها سائرة أيضا . وكذلك فى بيت ابن المعتز مجازان عقليان : اسناد الفعل لفظا الى الشعاب وإسناده تقديرا إلى وجوه الانصار

فرعاء ان نهضت لحاجتها عجل القضيب وأبطأ الدعص [1]

اذ وصف القضيب بالعجلة ، والدعص بالبطء .

[٣ —] وقد [2] تحصل الغرابة بالجمع بين عدة استعارات لألحاق الشكل بالشكل ، كقول امرىء القيس [3] :

فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازا وناء بكلكل

أراد وصف الليل بالطول ، فاستعار له صلبا يتمطى به اذ كان كل

---

(١) البيت فى المثل السائر ص ١٣٩ . فرعاء : طويلة . القضيب : الغصن المقطوع شبهت به قامتها . الدعص : كثيب الرمل المجتمع شبهت به عجيزتها شبه القامة بالقضيب بجامع الاعتدال ، وشبه الردف بالدعص بجامع الضخامة ووجه الشبه ظاهر ولكن المجازان العقليان أخرجا الاستعارة من الابتذال الى الغرابة ، وزادها حسنا الطباق البديعى بين عجل وأبطأ . وهو مأخوذ من قول عصام تصف به لعمرو بن حجر جد امرىء القيس ابنة عوف بن محلم الشيبانى ، وكان اراد أن يتزوجها ، فأرسل عصام ، فأتتها فرأت خلقها وخلقها ؛ ثم رجعت الى عمرو ونعتتها له ؛ وكان من نعتها اياها ، وتحت خصرها كفل يقعدها اذا نهضت وينهض بها إذا قعدت (١٦٦ ج ٤ العقد)

(٢) راجع ص ٦٢ من الدلائل

(٣) هو فى ٦٢ و ٢٧٥ و ٣٦٣ دلائل ، ٢٧٦ صناعتين ، ٣٢٦ وساطة ، ١١٤ موازنة . التمطى : التمدد الصلب : الظهر . الارداف الاتباع . الاعجاز : المآخير ناء : نهض . الكلكل : الصدر استعار التمطى استعارة تصريحية لليلائم الصلب واستعار لأوائله لفظ الكلكل ، ولمآخيره لفظ الاعجاز ، ولوسطه لفظ الصلب ولك أن تقول : الانسان المحذوف استعارة مكنية والصلب والاعجاز والكلكل استعارة تخييلية وكذلك التمطى المستعار لطول الليل

ذى صلب يزيد فى طوله عند تمطيه شيء ، وبالغ فى ذلك بأن جعل له اعجازا يردف بعضها بعضا ، ثم أراد ان يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط لكابده فاستعار له كلكلا ينوء به أى ينثقل به وقال الشيخ عبد القاهر [١] : لما جعل لليل صلبا قد تمطى به ثنى ذلك فجعل له أعجازا قد أردف بها الصلب ، وثلث فجعل له كلكلا قد ناء به ، فاستوفى له جملة أركان الشخص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده [٢] اذا نظر قدامه [٣] ، وإذا نظر خلفه [٤] ، وإذا رفع البصر ومـــده فى عرض الجو [٥]

[٤ — تقسيم الاستعارة باعتبار الطرفين [٦] والجامع [٧]]

وأما باعتبار الثلاثة — اعنى الطرفين والجامع — فستة أقسام : استعارة محسوس لمحسوس ، بوجه حسى ، أو بوجه عقلى ، أو بما بعضه حسى وبعضه عقلى ، واستعارة معقول لمعقول ، واستعارة محسوس لمعقول ، واستعارة معقول لمحسوس ، كل ذلك بوجه عقلى للامر [٨]

---

(١) راجع ص ٦٢ من الدلائل

(٢) أى سواد الليل (٣) فأتى بالكلكل

(٤) فأتى بالاعجاز (٥) فأتى بالصلب

(٦) أى المستعار منه والمستعار له

(٧) راجع ذلك فى المفتاح ص ١٦٤ و١٦٥

(٨) أى فى التشبيه

[١ -] أما استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى فكقوله تعالى « فأخرج لهم عجلا جسدا (١) له خوار » ؛ فالمستعار منه ولد البقرة ؛ والمستعار له الحيوان الذى خلقه الله تعالى من حلى القبط ، التى سبكتها نار السامرى عند القائه فيها التربة (٢) التى أخذها من موطىء حيزوم فرس جبرائيل عليه السلام ، والجامع لهما الشكل (٣) ، والجميع حسى (٤) . وكقوله تعالى «وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض » فان المستعار منه حركة الماء على الوجه المخصوص ، والمستعار له حركة الانس والجن أو يأجوج ومأجوج ، وهما حسيان ، والجامع لهما ما يشاهد من شدة الحركة والاضطراب . واما قوله تعالى « واشتعل الرأس (٥) شيبا » ،

---

(١) « جسدا » بدل كل مما قبله قرينة على الاستعارة ، بخلاف « من الفجر » فى « الخيط الابيض من الخيط الأسود » فانه أخرج الخيط الأبيض عن معناه الحقيقى إلى معناه الادعائى اعنى ضوء الفجر ، اذ لا يبين الشىء نفسه فكان لابد فيه من تقدير أداة التشبية بعكس ما هنا

(٢) أى التراب (٣) فان ذلك الحيوان كان على شكل ولد البقرة

(٤) أى مدرك بالبصر

(٥) راجع الكلام على الآية فى ٧٩ من الدلائل ، ٧٦ و ٢٦٣ صناعتين ، ١٦٤ مفتاح قال السكاكى : المستعار منه النار والمستعار له الشيب والجامع الانبساط والجميع حسى ، قال السبكى : مراد السكاكى ان الشيب هنا استعارة بالكناية استعير لفظ الشيب والمراد النار بعد ادعاء ان الشيب فرد من أفراد النار ثم ذكر اشتعل استعارة تخييلية ، ورأى الطيبى أن التشبيه هنا على سبيل التمثيل فهو منتزع من عدة أمور ، وعلى رأى الزمخشرى فيه ثلاث تشبيهات لا تشبيهان : تشبيه الشيب بالكناية ، واشتعل بالتخييل ، والرأس أيضا فانها كالحطب بالنسبة للنار

فليس مما نحن فيه وإن عد منه ، لأن فيه تشبيهين : تشبيه الشيب بشواظ النار فى بياضه وانارته ، وتشبيه انتشاره فى الشعر باشتعالها فى سرعة الانبساط مع تعذر تلافيه ؛ والاولى إستعارة بالكناية ، والجامع فى الثانى عقلى ؛ وكلامنا فى غيرهما

[٢ -] وأما استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى فكقوله تعالى « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار [١] » ، فان المستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها ، والمستعار له ازالة الضوء عن مكان الليل [٢] وملقى ظله [٣] وهما حسيان ؛ والجامع لهما ما يعقل من ترتب أمر على [٤] آخر ، وقيل المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل ، وليس

---

(١) راجع الآية فى ٢٦٤ صناعتين ، ١٦٥ مفتاح ، ٤٠٠ دلائل

(٢) أى عن المكان الذى فيه ظلمة الليل

(٣) أى ظل الليل ، والمراد موضع ظهور ظلمته

(٤) أى حصوله عقيب حصوله دائما أو غالبا . كترتب ظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل وترتب ظهور اللحم على الكشط ، والترتب أمر عقلى ، وبيان الترتب ان الظلمة هى الاصل والضوء فرع طارىء عليها يسترها بضوئه فاذا غربت الشمس فقد سلخ ضوء النهار من الليل أى كشف وأزيل كما يكشف الشيء عن الشيء الساتر له ، فجعل ظهور الظلمة بعد ذهاب ضوء النهار بمنزلة ظهور اللحم بعد سلخ اهابه عنه وحينئذ صح قوله « فاذاهم مظلمون » لأن الذى يوجد عقيب اذهاب الضوء عن مكان الليل هو الاظلام . هذا وكل من الطرفين كشط الجلد وازالة الضوء - أمر حسى باعتبار متعلقهما وهو اللحم والضوء =

بسديد ، لأنه لو كان ذلك لقال « فاذا هم مبصرون » ونحوه ، ولم يقل

=وأما على ما ذكره صاحب المفتاح من أن المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل — أى أن المستعار له إظهار ضوء النهار من ظلمة الليل بطلوع الفجر ، فقد شبه إظهار ضوء النهار من ظلمة الليل بطلوع الفجر بكشط الجلد عن نحر الشاة واستعير اسم المشبه به (وهو السلخ) للمشبه [راجع ١٦٥ مفتاح] ، ففيه إشكال لأن الواقع بعد ظهور النهار من ظلمة الليل انما هو الابصار دون الاظلام

وحاول بعضهم التوفيق بين الرأيين :

١ — بحمل كلام السكاكى على القلب والسكاكى يقبل القلب مطلقا ، فقد عاد الى الرأى الأول ، فصحة كلامه بدون قلب : بظهور ظلمة الليل من النهار ، وجعل المستعار له ظهور ظلمة الليل من النهار بناء على ارتكاب القلب فى كلام السكاكى يؤدى لارتكاب القلب فى الآية أيضا فالمعنى حينئذ وآية لهم الليل نسلخه من النهار أى تظهر ظلمته بانفصاله من النهار ، فاذاهم مظلمون

٢ — أو بأن المراد من الظهور التمييز ، ومن فى كلام صاحب المفتاح بمعنى عن ، والمعنى ان المستعار له تمييز النهار عن ظلمة الليل ، والواقع بعد تمييز النهار عن ظلمة الليل هو الاظلام

٣ — أو بأن الظهور فى كلام صاحب المفتاح بمعنى الزوال ، كما فى قول الحماسى (سبرة بن عمرو الفقعسى ٨٨ ج ١ حماسة) :

أعيرتنا البانهـا ولحـومها ودلك عار يا ابن ريطة ظـاهر

أى زائل ، وكما فى قول أبى ذؤيب .

وعيرها الواشون أنى أحبهـا وتلك شكاة ظـاهر عنك عارها

فالمعنى حينئذ المراد من كلام السكاكى : زوال ضوء النهار عن ظلمة الليل ولا شك أن الواقع بعد ذا هو الاظلام

٤ — وفى كتاب الحفيد وجه رابع وهو ان المراد بالنهار فى قول السكاكى والمستعار له ظهور النهار ، مجموع المدة التى هى من طلوع الشمس إلى غروبها لا=

« فاذاهم مظلمون » أى داخلون فى الظلام [1] . قيل ومنه قوله تعالى

= ظهوره بطلوع الفجر ، ولا شك ان الواقع عقيب تلك المدة هو الاظلام

تمحلات ضعيفة لتصحيح كلام السكاكى ، ولم لا نقول إن كلام السكاكى غير صحيح

٥ وفى تصحيح كلام السكاكى رأى خامس للشارح العلامة ذكره فى شرح المفتاح ، حيث قال: ان السلخ قد يكون بمعنى النزع مثل سلخت الاهاب عن الشاة وقد يكون بمعنى الاخراج مثل سلخت الشاه عن الأهاب، فذهب صاحب المفتاح الى الثانى، وذهب المصنف إلى الأول فقال : المستعار منه كشط الجلد أى نزعه عن نحو الشاة والمستعار له كشف الضوء أى نزعه» ، وصح قوله تعالى «فاذاهم مظلمون» بالفاء لأن التراخى وعدمه مما يختلف باختلاف الأمور والعادات . وزمان النهار وان توسط بين إخراج النهار من الليل وبين دخول الظلام لكن لعظم شأن دخول الظلام بعد إضاءة النهار وكونه مما يدنى ان لا يحصل الا فى أضعاف ذلك الزمان من الليل عد الزمان قريبا ، وجعل الليل كأنه يفاجئهم عقب إخراج النهار من الليل بلا مهلة وعلى هذا حسن « اذا » التى هى للمفاجآة ، كما يقال : أخرج النهار من الليل ففاجأه دخول الليل، ولو جعلنا السلخ بمعنى النزع كما ذهب اليه المصنف (الخطيب) وقلنا نزع ضوء الشمس عن الهواء ففاجأه الظلام لم يستقم لأن الدخول فى الظلام مصاحب لنزع الضوء فلا يعقل الترتيب الذى تفيده المفاجأة وعدم الاستقامة اذا اعتبر أن الترتيب الذى تفيده المفـــاجأة زمانى ، أو لم يحسن إذا جعلنا ذلك الترتيب رتبيا

فقد ظهر من كلام العلامة صحة كلام السكاكى ، وظهر حسن المفاجأة على ما قاله لا على ما قاله المصنف

وهذا أيضا لايخرج كلام السكاكى عن ان يكون فيه إخلال بالمعنى المراد

(١) وهذا رد مقبول لكلام السكاكى مع صرف النظر عن التمحلات فى تأويـــله

إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ، فان المستعار منه المرأة ، والمستعار له الريح ، والجامع المنع من ظهور النتيجة والأثر . فالطرفان حسيان والجامع عقلى . وفيه نظر ، لان العقيم صفة للمرأة لا اسم لها ، وكذلك جعلت صفة للريح لا إسما ، والحق ان المستعار منه ما فى المرأة من الصفة التى تمنع من الحمل ، والمستعار له ما فى الريح من الصفة التى تمنع من إنشاء مطر وإلقاح شجر ، والجامع لهما ما ذكر (١)

[٣ —] وأما استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه حسى وبعضه عقلى ، فكقولك رأيت شمسا وأنت تريد انسانا شبيها بالشمس فى حسن الطلعة ونباهة الشأن (٢) ، وأهمل السكاكى هذا القسم

---

(١) أى أنه شبه خلو الريح من الفائدة بالعقم ، واستعار لفظ المشبه به للمشبه واشتق منه عقيم ، بمعنى خالية من الفائدة

وراجع الآية والكلام عليها فى ٢٦٤ صناعتين ، ١٦٤ مفتاح ، ٩ ، ما اتفق لفظه للمبرد

هذا والخطيب يريد من النظر المذكور أن العقيم هو المستعار منه وهو صفة فهو عقلى . وقال السبكى : هو حسى باعتبار أن مدلوله انسان له العقم

(٢) فحسن الطلعة حسى ، ونباهة الشأن عقلى . والسكاكى اعتبر أن نقل اللفظ يصح بكل من حسن الطلعة ونباهة الشأن ؛ فجعل هذا القسم استعارتين : احداهما بجامع حسى ، والأخرى بجامع عقلى ، فأسقط هذا القسم من الأقسام . أما المصنف فاعتبر صحة النقل باعتبار الوصفين معا وهو الحق كما صنع فى التشبيه

[٤ -] وأما استعارة معقول لمعقول [١] ، فكقوله تعالى « من بعثنا من مرقدنا » ؛ فان المستعار منه الرقاد [٢] ، والمستعار له الموت ، والجامع لهما عدم ظهور الأفعال ، والجميع عقلى

(٥ -) وأما استعارة محسوس لمعقول ، فكقوله تعالى [٣] فاصدع بما تؤمر فان المستعار منه صدع الزجاجة وهو كسرها وهو [٤] حسى والمستعار له تبليغ الرسالة ؛ والجامع لهما التأثير ، وهما عقليان ، كانه قيل ابن الأمر ابانة لا تنمحى كما لا يلتئم صدع الزجاجة . وكقوله تعالى [٥] « ضربت عليهم الذلة » جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم ، فهم فيها

---

(١) راجع ١٦٥ من المفتاح

(٢) اى النوم على أن يكون المرقد مصدرا ميميا وتكون الاستعارة أصلية أو على أنه اسم مكان الا أنه اعتبر التشبيه فى المصدر لأن المقصود بالنظر فى اسم المكان وسائر المشتقات انما هو المعنى القائم بالذات لانفس الذات واعتبار التشبيه فى المقصود الأهم اولى ، فعلى الأول الاستعارة أصلية ، وعلى الثانى تبعية قيل عدم ظهور الأفعال فى المستعار له أعنى الموت أقوى أو من شرط الجامع أن يكون فى المستعار منه اقوى ، فالحق ان الجامع هو البعث الذى هو فى النوم أظهر واشهر واقوى لكونه مما لاشبهه فيه لأحد ، وقرينة الاستعارة هى كون هذا الكلام كلام الموتى مع قوله « هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون »

(٣) الآية فى ١٧٠ صناعتين ، ١٦٥ مفتاح

(٤) جعل الكسر حسيا باعتبار متعلقه لا باعتبار ذاته

(٥) راجع ٢٦٥ صناعتين ، ١٦٥ مفتاح

كما يكون فى القبة من ضربت عليه ، أو ملصقة بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه ، فالمستعار منه اما ضرب القبة على الشخص واما ضرب الطين على الحائط وكلاهما حسى ؛ والمستعار له حالهم مع الذلة ، والجامع الاحاطة أو اللزوم وهما عقليان [١]

٦ — وأما استعارة معقول لمحسوس ؛ فكقوله تعالى [٢] « انا لما طغى

---

(١) فقد شبه إحاطة الذلة بهم واشتمالها عليهم بضرب الخيام والقباب على من فيها ، فهى استعارة تصريحية ، أو شبه الذلة بالخيمة أو القبة ثم حذف لفظ المشبه به ورمز إليه بلازمه وهو ضربت فهى مكنية

(٢) راجع ١٦٥ مفتاح ، ٢٦٣ صناعتين

ملاحظة :

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه »

الحق : الحجة الناصعة . الباطل : شبه الكفار . الدمغ : كسر الشىء الرخو الأجوف استعير هنا للمحق . والقذف : الرمى البعيد بشىء صلب . فاستعارة القذف للإيراد والدمغ للمحق تصريحيتان المستعار منه حسى والمستعار له عقلى . وقد يقال : شبه الحجج القوية وهى الحق بقطع من الحديد ونحوها بجامع قوة التأثير فى كل ثم حذف لفظ المشبه به ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو القذف ، وشبه الباطل بشىء أجوف رخو سهل الانكسار بجامع الضعف فى كل وحذف لفظ المشبه به ورمز اليه بشىء من لوازمه ؛ فهما مكنيتان . والأحسن ان يقال انه شبه هيئة غلبة الحق على الباطل حين يرد عليه فيذهبه بقذف الدماغ بشىء صلب فيشقه ويفسده بجامع ان كلا منهما قوى يرد على ضعيف فيمحقه ثم استعير التركيب الدال على هيئة المشبه به للمشبه فالاستعارة تمثيلية

الماء » فان المستعار له كثرة الماء وهو حسى ، والمستعار منه التكبر ، والجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان

[٥ — الاستعارة باعتبار اللفظ (١)]

وأما باعتبار اللفظ فقسمان :

---

(١) راجع ١٥٨ و ١٦١ مفتاح، ٣٨ — ٤٠ و ٣٢٢ و ٣٢٧ و ٣٢٨ أسرار: وقوله باعتبار اللفظ أى المستعار

هذا ولنعرض عليك رأيا فى الاستعارة الأصلية والتبعية، لتفهم ما قيل فى هذا الموضوع :

قسم البيانيون الاستعارة التصريحية إلى أصلية وإلى تبعية : ويعنون من الأصلية ما تجرى فى اسم الجنس سواء كان مدلوله ذاتا كأسد وبحر وجبل وسحاب أم معنى كالنطق والحرب والقتل. وسر نسبة هذه إلى الأصل وأن دعوها أصلية أن موطن التشبيه فيها هو موطن الاستعارة، ففى اطلاق الأسد على الرجل الشجاع شبهوا الرجل بالأسد واستعاروا له لفظه فأنت ترى أنهم لم يشبهوا بمعنى لفظ، ثم يستعيروا للمشبه لفظا آخر غير دال هذا المعنى ... ويعنون من التبعية ما تجرى فى الفعل وفى المشتقات وفى الحرف :

١ — وقد وجه فريق من العلماء تسميتها بالتبعية بأن الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه يقتضى ضمنا أن المشبه والمشبه به موصوفان بوجه الشبه وأن كلا منهما محكوم عليه بالمشاركة للآخر ولا يستحق الشيء الموصوفية ولا يصلح لها الا اذا كان مستقلا بالمفهومية: والفعل والحرف والمشتقات غير مستقلة بالمفهومية. أما الفعل فلانه يدل على الزمن والحدث ويدل على النسبة، وسواء كانت تلك النسبة مدلولة للفعل باعتبارها جزء معنى أم باعتبارها لازم معنى فعلى كلا التقديرين لا يتم فهم الفعل إلا بفهمها ، والنسبة ذات طرفين أحدهما مدلول عليه بالفعل وهو الحدث والآخر وهو الفاعل أو نائبه خارج عن مدلول =

. . . . . .

= الفعل ، وبذلك يكون فهم الفعل قد توقف على خارج عن مدلوله ، وبهذا كان غير مستقل بالمفهومية ، ووجه عدم استقلال الحرف بالمفهومية أن مدلول الحرف لاينفهم إلا بفهم مدخوله ، ففهم معناه متوقف على خارج عن مدلوله . وظاهر عدم استقلال الفعل والحرف بالمفهومية ، أما وجه عدم استقلال المشتقات بالمفهومية فقد قالوا إن الحدث والذات وهما طرفا النسبة كلاهما مدلول عليه بلفظ المشتق فان قائما مثلا تدل على ذات وحدث وهو القيام ، وأن هذا كان من ذاك . وأنت ترى أنهم مع عدم استطاعتهم توجيه عدم الاستقلال بالمفهومية فى المشتقات ، ترى كذلك أن عدم الاستقلال بالمفهومية إنما يشترط لكون الشيء موصوفا ومحكوما عليه إذا كان وضع لأن يوصف وصفا صريحا ، أو لأن يحكم عليه حكما صريحا ، أما إذا كان الوصف والحكم جاءا عن طريق التضمن والاقتضاء ، فليس ذلك بشرط ، نعم قد يقال إن عدم الاستقلام بالمفهومية يمنع من التشبيه ، لأن التشبيه بغير المستقل لاينفهم منه وجه الشبه إذ ما لم يتم فهم الشيء لا يتم فهم أوصافه غير أن هذا يكون خلاف ما وجهوا به من أن التشبيه يقتضى كون المشبه والمشبه به موصوفين ومحكوما عليهما ، على أن هذا الوجه أيضا لا يتم إذ قد يقال إن التشبيه لايقع بغير المستقل إلا إذا تم بذكر ما يتوقف عليه فهمه

٢ — ووجه فريق آخر من البيانيين تبعية الاستعارة بأنها تعتمد التشبيه ، والتشبيه يقتضى كون المشبه موصوفا ومحكوما عليه ، ولا يصلح للموصوفية إلا الحقائق ويرد عليه أن هذا التعليل قد أنتج غير المدعى ؛ إذ المدعى أن يكون الصالح للموصوفية فيه هو المشبه به ؛ لأنه هو الذى يستعار لفظه ؛ وإن كان السيد قد دفع هذا بأن المراد التشبيه إذا اقتضى كون المشبه موصوفا اقتضى كون المشبه به موصوفا ، لأن الوصف وهو وجه الشبه معتبر ثبوته لكليهما . ولما أرادوا أن يبينوا المراد من الحقائق قال البعض : المراد بالحقائق الحقائق المتقررة ، ومعانى الأفعال ومعانى المشتقات تقتضى زمنا لدلالتها على الحدث واقتضاؤها الزمن يجعلها غير متقررة ، وفى هذا التوجيه نظر : =

. . . . . .

= ا — : أن الحروف لا تقتضى زمنا فلم يكن فيها داعى عدم التقرر .

ب — : وأن الحركة والزمان غير متقررين . ومع ذلك يوصفان ويحكم عليهما. ولذلك تراهم قد عدلوا عن تفسير الحقائق بالحقائق المتقررة إلى تفسيرها بغير المستقلة بالمفهومية ، وبذلك يرجع هذا التوجيه إلى الأول .

٣ — أما (العصام) فقد ترك تلك التوجيهات وسلك سبيلا آخر . فقال إننا إذا نظرنا إلى استعارة قتل لضرب نجد الزمن لا استعارة فيه ولا تشبيه ونجد الذات كذلك لا استعارة فيها ولا تشبيه إذ الزمن لضرب هو الزمن لقتل والحدث الذى حصل فى الخارج كان من ذات واحدة سواء عبرت عنه بضرب أو بقتل فلم يكن تشبيه ولا استعارة إلا فى الحدث، فلهمل ما ليس له مدخل فى الاستعارة ونجرى التشبيه والاستعارة فى خصوص الحدث ، ولنا أن نقول وماذا يمنع من أن يكون المشبه به هو الحدث المدلول عليه بلفظ الفعل

٤ — وعلى العموم فليس هناك توجيه واضح فى تعليل كون هذه الاستعارة تبعية، ولذلك أقول: الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه يقتضى كون المشبه به ذا وصف ، وذلك الوصف هو الذى نحاول بالتشبيه وبالاستعارة تشريك المشبه للمشبه به فيه وهذا الوصف الجامع يجب أن يكون معروف الانتساب مشهور الاختصاص ، والأوصاف التى يعرف انتسابها ويشتهر اختصاصها هى الأوصاف التى تكون من لوازم الحقائق الكلية كالشجاعة مثلا ، فانها وصف وخاصة من خواص الحقيقة الكلية وهو الأسد وكثرة النفع مثلا وصف وخاصة من خواص الحقيقة الكلية وهو السحاب . أما الجزئيات فليس لهـا لوازم مطردة ولا أوصاف يصح أن يجمع بها بين صاحب الوصف وغيره لأن الأوصاف التى تكون للجزئى دون أن تكون لكليه الذى هو فرد منه لا تكون الا مشخصات خارجية والمشخص الخارجى الجزئى لا يشترك فيه معه جزئى آخر وبذلك تراهم منعوا الاستعارة فى الأعلام لأن الأعلام ليست لها أوصاف سوى المشخصات الخارجية وهى لا تصلح =

= جامعا، وتراهم كذلك حين يجرون الاستعارة الأصلية يقولون « شبهنا وادعينا دخول المشبه فى جنس المشبه به » مما يدل على أنهم لاحظوا فى جانب المشبه به كونه كليا . هذا إذ كان الجزئى معينا ، فاذا كان مبهما كان ظاهرا أن التشبه به ممتنع إذ جهله يستدعى جهل أوصافه ، وبهذا وضح أن المشبه به لا يكون إلا كليا لما علمت من أن الحقائق الكلية هى التى تعرف لوازمها وتشتهر وهى التى تطرد لوازمها وأوصافها وتصلح لأن تكون جامعا .

وعلى ذلك اذا رجعنا الى الاستعارة فى الأفعال والمشتقات والحروف وجدناها لايدل المستعار منها على كلى حتى يكون مشبها به، لذلك لزم أن نرجع ما دلت عليه من جزئيات الى كليات . واليك مثلا من المشتقات : اذا قلت: زيد اليوم قاتل أخاه، وأردت أنه ضاربه ضربا شديدا ترى لفظة « قاتل » دالة على حدث وذات واقتضت زمنا وظاهر أن التشبيه ليس فى الزمن والا لدللنا عليه بلفظ يخصه، ثم انه ليس هناك زمن لضارب، وزمن لقاتل ، اذ الحاصل فى الخارج حدوث الضرب فالزمن واحد ولا يشبه الشىء الواحد بنفسه . وظاهر أن التشبيه ليس فى الذات والا لدللنا عليها بلفظ يخصها ، ثم انه ليس هناك ذاتان إذ الحدث الذى حصل واحد فالذات واحدة ولا يشبه الواحد بنفسه. فلم يبق معنا ما يصح التشبيه به الا الحدث الذى هو القتل المنسوب لتلك الذات وهو بنسبته إلى تلك الذات صار جزئيا والجزئى ليس معروف اللوازم فوجب أن نرجع إلى مشبه به كلى وهو القتل من حيث هو، وإنه لواضح أن ما أردت أن تلحق الضرب به فيه، إنما هو وصف لا يعرف إلا للحقيقة الكلية وهو شدة الايذاء، على أن القتل الجزئى المدلول عليه بقاتل ليس حاصلا ولا متحققا لأن مدلول قاتل هو ضارب وحدوث الضرب هو الذى حصل فى الخارج فقط فليس معنا ما نشبه به سوى ذلك المفهوم الكلى مفهوم القتل ، واليك مثلا آخر إذا قلت زيد فى نعمة فشبهت الارتباط بين زيد ونعمة بالارتباط بين ظرف ومظروف أى =

. . . . . .

= بالظرفية فانك حين تريد التشبيه لم تنظر إلا إلى لازم الظرفية الكلية من حيث هى، ولم تنظر الى ظرفية معينة خارجية - والظرفية المدلول عليها بفى ظرفية جزئية فكان لزاما أن ترجع إلى ظرفية كلية. ومن هنا يتضح أن التشبيه إنما نلحظ فيه الحقائق الكلية وحين تستعير انما تستعير دال جزئى من جزئيات تلك الحقيقة الكلية - فكان بذلك التشبيه فى موطن اذهو فى الكلى والاستعارة فى موطن آخر اذ المستعار ليس دال الكلى بل دال جزئى من جزئياته

فمن العجب اذا أن يقولوا فى إجراء الأستعارة الأصلية « شبهنا وادعينا دخول المشبه فى حبس المشبه به، مما يدل على أنهم لا يلتفتون فى التشبيه إلا إلى الكليات. ولقد أخطأوا حين قالوا فى الاستعارة التبعية ان التشبيه سرى من الكليين الى الجزئيين اذ المشبه فى التبعية ليس كليا بل هو جزئى، فمثل « قتلت محمدا » أى ضربته ضربا شديدا لا تلحظ فى ذلك الا تشبيه الضرب الذى حصل منك فى الخارج ولا شك أنه حينئذ جزئى

ملاحظات

١ - العصام يرى ان الذوق الأدبى ينفى الاستعارة التبعية، فالمستعير لا شك أنه لا يتكلم أولا بالمصدر ولا بمتعلق معنى الحرف ولا يقصد الى استعارة شىء منهما [راجع ١٥١ الرسالة البيانية]

٢ - الرازى يمنع التجوز فى الحرف مطلقا ويرد مثله الى الاستعارة التمثيلية (راجع ١٦٥ من الرساله البيانية)

٣ - فى تعليل كون الاستعارة تبعية آراء كثيرة منها :

٤ - الاستعارة فى الفعل واسم الفعل والحرف والاسم المبهم تبعية لعدم استقلالها بالمفهومية، وفى المشتق لأن المقصود الأهم المعنى القائم بالذات لا الذات وهذا راى السعد والسيد

ب - ويرى العصام أن الاستعارة تبعية فى المشتقات ومنها الفعل لأنه لا =

لأنه [١] إن كان اسم جنس [٣] فأصلية [٢] كأسد [٤] وقتل ، وإلا

= استعارة عند التحقيق الا من معنى مصدرى ، وأما ما سواه فمشترك بين المعنى الحقيقى والمجازى ؛ فالأحق اعتبار الاستعارة فى المصدر.

ج — والجمهور يرون أن الاستعـــارة تبعية فى الفعل والحرف والمشتق لعدم صلاحيتها للموصوفية لأنها ليست امورا متقررة ثابتة . وقد اعترض السعد فى شرحه على المفتاح على هذا بأن الموصوف بالمشاركة نفس المشبه والمشبه به وهو لا يختلف باختلاف التعبير ، فعدم صلوح العبارة الدالة عليه للموصوفية لفظا لا يقدح فى اتصافه بالمشاركة (١٥٦ من الرسالة البيانية)

٤ — يرى العصام عدم اعتبار الاستعارة فى المتبوع فالكلى يشبه بالكلى فيسرى التشبيه الى الجزئيات ويستعار من جزئى من جزئيات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه

أما الجمهور فيرون ان التبعية تابعة للاستعارة فى المتبوع فالكلى يشبه بالكلى ثم يستعار له لفظ الكلى فيسرى التشبيه الى الجزئيات فيستعار جزئى من جزئيات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه

(١) هذا التقسيم للمصرحة . ولا مانع من جريانه فى المكنية ، فالأصلية منها كاظفار المنية نشبت بفلان ، والمكنية التبعية مثل أراق الضارب دم فلان ، شبه الضرب بالقتل واستعير القتل فى النفس للضرب واشتق من الضرب الذى استعير له القتل ضارب بمعنى قاتل وطوى ذكر المشبه به وهو القتل ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو الاراقة ، ولكن التبعية المكنية لم توجد فى كلام البلغاء.

(٢) أى حقيقة أو تأويلا كما فى الاعلام المشتهر بمدلولها بنوع وصفية كاستعارة لفظ حاتم للرجل الكريم فان حاتما علم لكنه أول باسم جنس وهو رجل يلزمه الكرم بحيث يكون الكرم غير معتبر فى مفهومه فليس مؤولا بجواد والا لكانت الاستعارة فيه تبعية لا أصلية

(٣) نسبة للأصل بمعنى الكثير لكثرة أفرادها أو نسبة للأصل بمعنى ما كان مستقلا وليس مبنيا على غيره =

فتبعية : كالافعال [١] ؛ والصفات المشتقة منها [٢] ؛ والحروف :

لأن الاستعارة تعتمد التشبيه [٣] ، والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفا [٤] ، وإنما يصلح للموصوفية الحقائق [٥] ، كما فى قولك:

= (٤) فشبه الرجل الشجاع بالأسد بجامع الشجاعة ثم ادعى ان الرجل المذكور فرد من أفراد الاسد ، فاستعير اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية

(١) قيل ولو اقترن الفعل بحرف مصدرى ، وقيل لا بل هو حينئذ أصلية نظرا للتأويل

(٢) أى من الفعل ، مثل اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة وغير ذلك كافعل التفضيل واسم الزمان والمكان والآلة

(٣) أى تعتمد عليه اذهى اعطاء اسم المشبه به للمشبه بعد ادخال الثانى فى جنس الأول (راجع ذلك فى المفتاح ص ١٦١)

(٤) أى ان التشبيه يقتضى كون المشبه موصوفا بوجه الشبه أى بحيث يصح الحكم به عليه أى ويقتضى أيضا أن يكون المشبه به موصوفا بوجه للتشبيه واذا كان التشبيه مقتضيا لوجود وجه الشبه فى الطرفين صح أن يحكم على كل منهما ولك ان تقول : ان التشبيه يقتضى كون الطرفين موصوفين بوجه الشبه ، أو تنوع فى التعبير فتقول أو يقتضى كون المشبه مشاركا للمشبه به فى وجه الشبه

(٥) أى الأمور المتقررة — التى اجتمع أجزاؤها فى الوجود — الثابتة أى فى نفسها لاستقلالها بالمفهومية

جسم أبيض ، وبياض صاف [١] ؛ دون معانى الافعال [٢] ، والصفات المشتقة منها ، [٣] و [دون] الحروف [٤]

---

(١) أى كالجسم والبياض والطول وما شاكل ذلك

(٢) هذا محترز قولنا المتقررة

(٣) لكونها متجـــددة غير متقررة أيضا : بواسطة دخول الزمان أولا فى مفهوم الأفعال ، وعروضه للصفات لدلالتها على ذات ثبت لها الحدث والحدث لا بد له من زمان يقع فيه

(٤) هذا محترز الشرط الثانى وهو قولنا « الثابتة »

هذا وقد رد هذا الدليل بأنه بعد تسليم صحته لا يتناول اسم المكان والزمان والآلة لأنها تصلح للموصوفية، وهم أيضا صرحوا بأن المراد بالمشتقات هو الصفات دون اسم الزمان والمكان والآلة ، فيجب أن تكون الاستعارة فى اسم الزمان والمكان والآلة أصلية بأن يقدر التشبيه فى أنفسها لا فى مصادرها وليس كذلك بل الاستعارة فيها تبعية ، للقطع بأنا اذا قلنا هذا مقتل فلان للموضع الذى ضرب فيه ضربا شديدا بأن استعرنا القتل للضرب واشتققنا منه مقتل بمعنى مكان الضرب أو زمنه ، أو قلنا هذا مرقد فـــلان لقبره ، فان المعنى على تشبيه الضرب بالقتل والموت بالرقاد ، وأن الاستعارة فى المصدر لا فى نفس المكان مثلا

ولذلك وجه السعد تبعية الاستعارة فيما ذكر بتوجيه آخر اختاره وهو أن الاستعارة فى الأفعال وجميع المشتقات (بما فيها اسم الزمان والمكان والآلة) التى يكون القصد بها الى المعانى القائمة بالذات هى تبعية ، لأن المصدر الدال على المعنى القائم بالذات هو المقصود الأهم الجدير بأن يعتبر فيه التشبيه ؛ ولو لم يكن المقصود الأهم من المشتقات المعـانى القائمة بالذوات بل كان المقصود منها نفس الذوات لذكرت الالفاظ الدالة على نفس الذوات دون ما يقوم بها من الصفات بأن يذكر زيد أو عمرو بدل اللفظ الدال على ما قام بها من الصفات كضارب ومضروب

فان قلت [١]: فقد قيل فى نحو شجاع باسل وجواد فياض وعالم

---

(١) راجع ص ١٦١ من المفتاح

ملاحظات :

١ — اسم الجنس هنا المراد به ما دل على نفس الذات الصالحة لأن تصدق على كثيرين من غير اعتبار وصف من الاوصاف فى الدلالة ، والمراد بالذات الصالحة للصدق على كثيرين الماهية الكلية سواء كانت ماهية عين كاسد أو ماهية معنى كالضرب

وخرج بالصالحة الاعلام والمضمرات واسم الاشارة فهى جزئيات لا تجرى فيها الاستعارة الأصلية

وقولنا « من غير اعتبار وصف » خرج به المشتقات مثل ضارب

اما اسم الجنس عند النحاة فهو النكرة الشاملة للمشتقات والجوامد وليس هذا مرادا هنا

٢ — خلاصة التوجيه الاول فى تبعية الاستعارة أن الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه يقتضى كون الطرفين موصوفين بوجه الشبه - أو نقول ان التشبيه يقتضى كون المشبه مشاركا للمشبه به فى وجه الشبه - وانما يصلح للموصوفية الحقائق ، فحينئذ تخرج الأفعال والمشتقات والحروف فلا تصلح للاستعارة لعدم صحة التشبيه فيها إلا إذ كانت تابعة لما له ثبات واستقلال ، للفرق الظاهر بين التشبيه والاستعارة المقصودين والتشبيه والاستعارة الحاصلين ضمنا بطريق السراية

ورد هذا الدليل بما خلاصته أننا لا نسلم استقامة الدليل لأن قولهم « إنما تصلح للموصوفية الحقائق » ممنوع ، اذ هو منقوض بنحو حركة سريعة أو بطيئة وهذا زمان صعب ، فالزمان والحركة لا تقرر لها مع صحة وصف كل منهما ، ولأن قولهم « بواسطة دخول الزمان فى مفهوم الفعل وعروضه للصفات » يرد عليه ان دخول الزمان فى مفهوم الفعل انما يقتضى تجدد مجموع مفهومه لا تجدد الحدث الذى هو المقصود منه بتجدد الزمان ، ويرد عليه ايضا أن عروض الزمان =

تحرير إن باسلا وصف لشجاع ، وفياضا وصف لجواد ، وتحريرا وصف لعالم

= إذا منع جريان التشبيه فى الصفات ينبغى ان يمنع جريانه فى المصادر ايضا لعروض الزمان لمفهومها

ولو سلمنا صحة الدليل واستقامته فيرد عليه على تقدير الصحة والاستقامة انه لا يتناول اسم الزمان والمكان والآلة لأنها تصلح للموصوفية مع ان الاستعارة فيها تبعية

٣ — « اولئك على هدى من ربهم » لاجراء الاستعارة فيها نقول :

شبهنا مطلق ارتباط بين ملابس وملابس بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه بجامع شدة التمكن فى كل، ثم سرى التشبيه من الكليين للجزئيين ، فاستعيرت « على » من جزئى من جزئيات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه وهو ملابستهم الهدى ، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية

٤ — التشبيه تلحظ فيه الحقائق الكلية، وحين نستعير إنما نستعير دال جزئى من جزئيات تلك الحقيقة الكلية

٥ — الاستعارة فى اسم الفعل تبعية وفى المصدر أصلية ، وفى الفعل المقرون بحرف مصدرى تبعية وقيل أصلية، والمصغر والمنسوب مؤولان بالمشتق فالاستعارة فيهما تبعية وكذلك هى تبعية فى اسم الزمان والمكان والآلة وجعلها بعضهم فيها أصلية . أما اسم الاشارة والموصول والضمير فجعلها بعضهم فيها تبعية وكذلك الاسم المبهم لأن كلا من هذه المبهمات ليس من اسم الجنس لا تحقيقا ولا تأويلا اذ أن معانيها جزئية والاصلية مختصة باسم الجنس

واذا عاد الضمير او اسم الاشارة إلى مجاز فليس فيهما تجوز نحو زرانى هذا الاسد فاكرمته ، وقيل فيهما تجوز تبعا لما يرجعان إليه

والاستعارة فى العلم الذى تضمن نوع وصفية كحاتم أصلية

قلت : ذلك متأول بأن الثوانى لا تقع صفات إلا لما يكون موصوفا بالأول

فالتشبيه فى الافعال والصفات المشتقة منها لمعانى [١] مصادرها ، وفى الحروف لمتعلقات معانيها [٢] : كالمجرور فى قولنا « زيد فى نعمة

---

(١) اى المحققة أو المقدرة كما فى الافعال التى لا مصادر لها بل ذكر بعضهم ان الاستعارة فى اسماء الافعال تبعية لتبعيتها لاستعارة المصدر المقدر من المعنى لا من اللفظ ولكن الظاهر ان الاستعارة فيها أصلية

(٢) أى لما تعلق به معنى الحرف ، أى للمعنى الكلى الذى تعلق به معنى الحرف كالابتداء المخصوص والظرفية المخصوصة ، من تعلق الجزئى بالكلى

قال صاحب المفتاح (راجع ١٦١ مفتاح) « المراد بمتعلقات معانى الحروف ما يعبر بها عنها - أى معان كلية يعبر بدالها عن معانى الحروف التى هى معانى جزئية - عند تفسير معانيها ؛ مثل قولنا : « من » معناها ابتداء الغاية ، و « فى » معناها الظرفية ، و « كى » معناها الغرض أى العلة الباعثة ، فهذه - أى الابتداء والظرفية والغرض المطلقات - ليست معانى الحروف - أى بالاستقلال - والا لما كانت حروفا بل اسماء لأن الاسمية والحرفية انما هى باعتبار المعنى - أى فاذا كان معنى الكلمة مستقلا بالمفهومية ملحوظا بذاته ولم يكن رابطة بين امرين فان اقترن بزمان ففعل ؛ وإن لم يقترن فاسم ، وان كان المعنى غير مستقل بالمفهومية ملحوظا تبعا لكونه رابطة بين امرين فحرف - وانما هى - أى تلك المعانى الكلية - متعلقات لمعانيها ، أى اذا أفادت هذه الحروف معانى - وهى الابتداء المخصوص فى من مثلا - ترجع تلك المعانى إلى هذه بنوع استلزام - وهو استلزام الخاص للعام لا العكس - لا مطابقة » ، فالعلاقة اللزوم الخاص أى لزوم المسبب للسبب ، لا مطلق اللزوم لأن ذلك لا بد منه لكل مجاز (استعارة أو مرسلا)

ورفاهية[١]

فيقدر التشبيه فى قولنا : « نطقت الحال بكذا » ، و « الحال ناطقة بكذا » للدلالة بمعنى النطق[٢] ، وعليه فى الحكمية قوله تعالى[٣] :

---

(١) قوله « كالمجرور » تمثيل لمتعلق معنى الحرف ، وهذا ليس بصحيح لأن المجرور ليس هو المتعلق بل هو المعنى الكلى الذى استلزمه معنى الحرف، فمتعلق معنى الحرف فى المثال المذكور هو الظرفية المطلقة لا النعمة كما هو اصطلاح علماء الوضع فالمثال « زيد فى نعمة » كون النعمة ظرفا لزيد ليس كذلك، فحمل الكلام على الاستعارة ، بأن شبه مطلق ملابسة شىء لشىء بالظرفية المطلقة فسرى التشبيه للجزئيات فاستعير لفظ « فى » الموضوعة للظرفية الخاصة لملابسة النعمة لزيد ، فملابسة زيد للنعمة مستعار له ، والظرفية الخاصة مستعار منها ، ولفظ « فى » مستعار

(٢) أى بجعل دلالة الحال مشبها ونطق الناطق مشبها به ووجه الشبه ايصال المعنى الى الذهن ، ثم يستعار للدلالة لفظ النطق ثم يشتق من النطق المستعار الفعل والصفة ، فتكون الاستعارة فى المصدر أصلية لأوليتها وفى الفعل والصفة تبعية لتأخرها . وان اطلق النطق على الدلالة لا باعتبار التشبيه بل باعتبار ان الدلالة لازمة له يكون مجازا مرسلا علاقته اللزوم الخاص أى لزوم المسبب للسبب لا مطلق اللزوم لأن ذلك لا بد منه لكل مجاز (استعارة أو مرسلا) بالنطق للدلالة اذا كان بطريق التشبيه أى بحيث يكون الانتقال من الملزوم الى اللازم بواسطة التشبيه وجعل وجه الشبه وسيلة اللزوم بين المنتقل عنه واليه كان استعارة تبعية فى الفعل وما يشتق منه ، وان استعمل النطق فى الدلالة برعاية علاقة اللزوم بلا تشبيه ولا جعل وجه للشبه وسيلة كان مجازا مرسلا تبعيا فى الفعل وما يشتق منه هذا وراجع المثالين فى ٣٩ الأسرار و ١٦٠ و١٦١ المفتاح

(٣) راجع ١٦٢ مفتاح

, فبشرهم بعذاب اليم » بدل , فأنذرهم , ؛ وقوله تعالى : « إنك لأنت الحيم الرشيد » بدل انسفيه الغوى

وفى لام التعليل [١] كقوله تعالى [٢] « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » : للعداوة [٣] والحزن الحاصلين بعد الالتقاط بالعلة الغائية للالتقاط [٤] . ومما يتصل بهذا أن ياحرف وضع فى أصله لنداء البعيد

---

(١) للعاقبة والغاية

(٢) ص ٢٦ ما اتفق لفظه للمبرد ، ١٦٢ مفتاح

(٣) أى يقدر تشبيه العداوة

(٤) وعلى ما ذكره السعد يقال فيها : قدر تشبيه العداوة والحزن الحاصلين بعده بالعلة الغائية كالمحبة والتبنى بجامع الترتب فى كل على الالتقاط ، واستعير اسم المشبه به للمشبه ، ثم استعيرت اللام الموضوعة لترتب العلة الغائية على معلولها كترتب المحبة والتبنى على الالتقاط لترتب غير العلة الغائية كترتب العداوة والحزن عليه ، فالاستعارة فى اللام تابعة للاستعارة فى المجرور الذى هو متعلق الحرف عنده أو تابعة للتشبيه الواقع بين المجرور والعلة الغائية

وهذا الطريق مأخوذ من كلام صاحب الكشاف ومبنى على أن متعلق اللام هو المجرور على ما سبق ، لكنه غير مستقيم على مذهب المصنف والجمهور فى الاستعارة المصرحة لأن المتروك يجب أن يكون هو المشبه سواء كانت الاستعارة أصلية أو تبعية ، وعلى هذا الطريق المشبه اعنى العداوة والحزن مذكور لا متروك وحينئذ لا استعارة فى اللام تبعا ولا فى المجرور أصالة ومثل ذلك يقال فى « ولا صلبنكم فى جذوع النخل » فمذهب المصنف انه شبه الجذوع المستعلى عليها بالظروف فسرى ذلك التشبيه الى تشبيه تلبس المستعلى بالجذوع بتلبس الظرف بالمظروف فاستعيرت فى الموضوعة لتلبس الظرف بالمظروف لتلبس المستعلى أو بالجذوع المستعلى عليها ، وكذلك زيد فى نعمة على مذهب المصنف شبهت النعمة بالظرف الحسى فسرى =

ثم استعمل فى مناداة القريب ، لتشبيهه بالبعيد، باعتبار أمر راجع اليه أو الى المنادى ، أما الاول فكقولك لمن سها وغفل وان قرب يافلان

= التشبيه فشبه تلبس زيد بالنعمة بتلبس الظرف بالمظروف فاستعيرت فى الموضوعة لتلبس الظرف بالمظروف لتلبس زيد بالنعمة

وتحقيق الاستعارة التبعية هنا على مذهب القوم أنه شبه ترتب مطلق العداوة والحزن على مطلق التقاط. بترتب علته الغائية المطلقة عليه بجامع مطلق الترتب فى كل ، ثم استعمل فى جزئى المشبه - الذى هو ترتب - اللام الموضوعة للمشبه به اعنى ترتب علة الالتقاط. الغائية الخاصة - وهى محبة الملتقط لموسى وتبنيه اياه - عليه ، وذلك بعد أن استعير ترتب العلة الغائية على الالتقاط. لترتب العداوة والحزن عليه، فسرى التشبيه للجزئيات ثم استعمل فى جزئى المشبه الخ، فقد جرت الاستعارة أولا فى العلية والغرضية ، وتبعتها فى اللام ، فعلى هذا يشبه معنى كلى يتعلق معنى الحرف الذى هو معنى كلى فيسرى التشبيه . للجزئيات فيستعار الحرف الموضوع لجزئى من جزئيات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه. وقيل الاستعارة فى الحرف تابعة للتشبيه فاولا تشبه المعنى الكلى يتعلق معنى الحرف الذى هو معنى كلى فسرى التشبيه للجزئيات فنستعير الحرف الموضوع لجزئى من جزئيات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه. فالحاصل ان التبعية فى الحرف على مذهب المصنف تابعة للتشبيه وعلى مذهب الجمهور قيل انها تابعة للاستعارة وهو ظاهر كلام الشارح وقيل انها تابعة للتشبيه اذ لا حاجة لاستعارة اسم المشبه به الكلى للمشبه وقد ارتضى العصام ذلك. فحكم اللام هنا حكم الاسد ، حيث واستعيرت هى بعد سريان التشبيه للجزئيات لما يشبه العلية ، وصار متعلق معنى اللام هو العلية والغرضية المطلقة ، لا المجرور على ما ذكره الخطيب سهوا . وقال ابن يعقوب المستقيم فى الحرف كون الاستعارة فيه مكنية على أن يكون التشبيه فى المجرور =

وأما الثانى فكقول الداعى فى جؤاره يارب يا أله ، وهو أقرب اليه من حبل الوريد ، فانه استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله تعالى ومنازل المقربين هضما لنفسه ، واقرارا عليها بالتفريط فى جنب الله تعالى مع فرط انهماكه على استجابة

ملاحظات :

١ - الاستعارة فى الأفعال والمشتقات والحروف تبعية : لجريانها فى المصدر ومتعلقات معانى الحروف أولا قبل جريانها فيها ، فجريانها فيها بطريق التبعية لجريانها فى المتعلق ، وانما كانت تابعة لجريانها فى المصدر والمتعلق .

ا - لأن الاستعارة كما يقول الخطيب تعتمد التشبيه والتشبيه يقتضى الاتصاف بوجه الشبه والمشاركة بين الطرفين (المشبه والمشبه به) فيه ، وانما يصلح للموصوفية الحقائق أى الأمور المتقررة الثابتة

ب - أو لأن القصد بها كما يقول السعد الى المعانى القائمة بالذوات لأن المصدر الدال على المعنى القائم بالذات هو المقصود الأهم الجدير بأن يعتبر فيه التشبيه والا لذكرت الألفاظ الدالة على نفس الذوات دون ما يقوم بها من الصفات

ح - وقيل تبعية الاستعارة فى الأفعال والمشتقات والحروف لأن المستعار فيها لايدل على معنى كلى حتى تكون مشبها به ولذلك لزم ان يرجع ما دات عليه من جزئيات الى كليات

د - وقيل لأن الشىء لا يصلح للموصوفية الا إذا كان مستقلا بالمفهومية والأفعال والمشتقات وكذا الحروف غير مستقله بالمفهومية

٢ - والخلاصة أن الاستعارة فى الأفعال والمشتقات تابعة للاستعارة فى المصدر ؛ أما الاستعارة في الحروف فهي تابعة لمتعلقات معانيهـــا ، واختلفوا في المتعلق :

= ا - فقال الكشاف هى تابعة للاستعارة فى متعلقاتها مع مجروراتها ونحوه

ب - وقال الخطيب :

إنها تابعة للتشبيه فى متعلقاتها مع مجروراتها ونحوه .

جـ - وعند الجمهور :

قيل إنها تابعة للاستعارة فى متعلق معانى الحروف وهى المعانى الكلية

وقيل « « للتشبيه « « « « « « « «

فالنتيجة أن الاستعارة فى الحرف تابعة لاستعارة فى متعلقاتها ، وقيل إنها تابعة للتشبيه فى متعلقاتها ولا داعى لاستعارة اسم المشبه به الكلى للمشبه الكلى بل يسرى التشبيه من الكلى للجزئى فنستعير جزئى المشبه له لجزئى المشبه .

٣ - فالمثال « زيد فى نعمة » لأجراء الاستعارة فيه نقول :

ا - على رأى الكشاف :

شبهنا النعمة الملابسة للانسان بالظرف الملابس لمطلق مظروف ، واستعير المشبه به للمشبه فسرى التشبيه للجزئيات فاستعرنا « فى » الموضوعة لملابسة الظرف بالمظروف لملابسة النعمة لزيد .

ب - وعلى رأى الخطيب :

شبهنا النعمة الملابسة لانسان بالظرف الملابس لمطلق مظروف فسرى التشبيه من الكليين للجزئيين فاستعرنا فى الموضوعة لجزئى من جزئيات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه .

جـ - وعلى رأى الجمهور :

إما أن نقول : شبهنا مطلق ملابسة بين شىء وشىء بمطلق ملابسة بين ظرف ومظروف واستعرنا المشبه به للمشبه فسرى التشبيه للجزئيات فاستعرنا « فى » الموضوعة لجزئى من جزئيات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه .

وإما أن تقول : شبهنا مطلق ملابسة بين شىء وشىء ، بمطلق ملابسة بين

[قرينة التبعية]

واعلم [١] أن مدار قرينة التبعية فى الافعال والصفات المشتقة منها، على نسبتها الى الفاعل كما مر فى قولك نطقت الحال ؛ أو الى المفعول كقول ابن المعتز

جمع الحق لنا فى إمام قتل البخل وأحيا السماحا [٢]

وقول كعب بن زهير [٣] :

= ظرف ومظروف فسرى التشبيه من الكليين للجزئيين فاستعرنا «فى» الموضوعة لجزئى من جزئيات المشبه به للدلالة على جزئى من جزئيات المشبه .

٤ - قال الصاحبى فى الآية الكريمة : (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا): ومن اللامات لام العاقبة مثل (ليكون لهم عدوا وحزنا) ولم يلتقطوه لذلك ولكن صارت العاقبة ذلك [١٨٧ الصاحبى] .

٥ - راجع تعليق المبرد على الآية الكريمة : (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) فى ص ٧١ ج ٢ من كتاب الكامل .

(١) راجع ص ٤٠ من الأسرار، ١٦٢ من المفتاح .

(٢) والقتل والأحياء الحقيقيان لا يتعلقان بالبخل والجود، فدل هذا على أن المراد بالقتل الإزالة وبالاحياء الاكثار، شبه الأزالة بالقتل بجامع ما ترتب على كل من العدم ، والاكثار بالأحياء بجامع اظهار المتعلق فى كل .

(٣) راجع البيت فى ٤١٤ ج ١ حماسة، ١٦٢ من المفتاح. صبحنا أى سقيناها الصبوح، الخزرجية هم الخزرج من يثرب . المرهفات : السيوف المرققة . الأرومة الأصل، والشاهد فى « صبحنا » لأنه فى الأصل بمعنى سقاه الصبوح فاستعير للضرب استعارة تصريحية تبعية عنادية تهكمية، نزل التضاد منزلة التناسب فشبه الأساءة إلى الخزرجية صباحا بالاحسان إليهم وتقديم الصبوح لهم بجامع إدخال السرور على النفس فى كل وإن كان ادعائيا فى المشبه ثم استعار لفظ المشبه به للمشبه واشتق من الصبوح بمعنى الضرب (صبح) بمعنى ضرب بها .

صبحفا الخزرجية مرهفات أباد ذوى أرومتها ذووها

والفرق بينهما أن الثانى مفعول ثان دون الاول؛ ونظير الثانى قوله [١] :

نقربهم لهذميات نقد بها ما كان خاط عليهم كل زراد

أو إلى المفعولين : الأول والثانى ، كقول الحريرى : [٢]

وأقرى المسامع إما نطقت بيانا يقود الحرون الشموسا

أو إلى المجرور كقوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم [٣] »

قال السكاكى [٤] : أو إلى الجميع كقول الآخر [٥] :

---

(١) هو للقطامى وقد سبق شرح البيت . وراجعه فى ٤٠ و ٤٥ من الأسرار و ١٦٢ من المفتاح .

(٢) القرينة تعلق (أقرى) بكل من المسامع والبيان وانما يقع القرى على الضيف . شبه اسماعه الكلام الحسن بالقرى بجامع أن كلا يسر .

فرس حرون أى لا ينقاد وإذا اشتد به الجرى وقف . وشمس الفرس شموسا منع ظهره . ورجل شموس صعب الخلق وأراد بالحرون الشموس من لا ينقاد . يصف نفسه بعذوبة الكلام وسحر البيان .

(٣) نزل التضاد منزلة التناسب تهكما فشبه الانذار بالتبشير واستعير التبشير للانذار واشتق منه بشر بمعنى انذر استعارة تصريحية تبعية تهكمية .

ومثل هذا البيت :

أو لم ترى لقمان أهلكه ما اقتات من سنة ومن شهر

وهو لسلمى بن غوية [٧٠ ، ج ١ الأمالى] .

(٤) ١٦٢ من المفتاح .

(٥) البيت فى المفتاح ص ١٦٢ . الحزن : الأرض الغليظة . الجفن غطاء العين وغلاف السيف ، استعير لأكمام الزهر بجامع التغطية فى كل ، وكنى بسريان =

تقرى الرياح رياض الحزن مزهرة

إذا سرى النوم فى الأجفان إيقاظا

وفيه نظر [1]

[تقسيم الاستعارة باعتبار الخارج [2]]

وأما باعتبار الخارج فثلاثة أقسام .

أحدها المطلقة وهى التى لم تقترن بصفة ولا تفريع كلام [3] ، والمراد المعنوية لا النعت [4]

= النوم فيها عن ذبولها، وإيقاظ مصدر أيقظ مستعار لتفتيح الزهر وإيجاد النضرة والبهجة فيـــه ، وقد حسن التعبير بالإيقاظ مجيئه بعد النوم والأجفان ، والمعنى: تهب الرياح على بساتين الحزن فتكسوها تفتيحاً وحسنا ونضارة .

فالقرينة هنا : تعلق الفعل (تقرى) بالفاعل الرياض والمفعول (إيقاظا) ، وتعلق سرى بالنوم وفى الأجفان .

(١) لأن « فى الأجفان » متعلق بسرى النوم ، لا بتقرى حتى يكون قرينة له ، فلا تكون القرينة فى البيت راجعة إلى الجميع كما ذكر السكاكى لخروج المجرور منها .

(٢) وهذا تقسيم للاستعارة باعتبار وجود الملائم لأحـــد الطرفين أو عدم وجوده ، وهذا غير اعتبار الطرفين والجامع واللفظ، وراجع ذلك فى ١٦٣ مفتاح و٢٦٢- ٢٧٦ الأسرار .

(٣) فهى التى لم تقترن بشىء من ملائمات المستعار له - أى مما يناسبه بحسب اللفظ أو المعنى - أو المستعار منه، مع تمام القرينة إذ هى مما يلائم المستعار له، فالمطلقة هى التى لم تقترن بصفـة ولا تفريع كلام مما يلائم المستعار له والمستعار منه حقيقـة أو حكما، فيشمل ما إذا اشتملت الاستعارة على تجريد وترشيح ... ومثالها « عندى أسد » . =

وثانيها المجردة وهى التى قرنت بما يلائم المستعار له [١] كقول كثير [٢] :

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

= هذا والملائم إن كان من بقية الكلام الذى فيه الاستعارة فهو صفة ، وإن كان كلاما مستقلا جىء به بعد ذلك الكلام الذى فيه الاستعارة مبنيا عليه فهو تفريع سواء كان بحرف التفريع أم لا ، وسميت مطلقة لإطلاقها عن وجود الملائمات .

(٤) أى أن المراد بالصفة الصفة المعنوية لا النعت النحوى فقط على مامر فى بحث القصر ، وبين ذاتى الصفة المعنوية والنعت النحوى التباين لأن النحوى من قبيل اللفظ والمعنوية من قبيل المعنى وبين دال المعنوية والنحوية عموم من وجه لتصادقهما فى « أعجبنى هذا القائم » وانفراد المعنوية فى « العلم حسن » والنحوى فى مررت بهذا الرجل ،

(١) أى زيادة على القرينة .

(٢) راجع ٣٤٥ من الصناعتين . وفى البيان والتبيين : العرب تسمى السيوف بحمائلها أردية [٥٥ ج ٣ البيان] ، غمر الرداء أى كثير العطاء ، استعار الرداء للعطاء لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه فالجامع مطلق الصون عما يكره ، ثم وصفه بالغمر الذى يناسب العطاء إذا كان من غمر الماء بمعنى كثر ، أما إن كان من قولهم ثوب غامر أى واسع فهو ترشيح ، والقرينة سياق الكلام أعنى قوله : « إذا تبسم ضاحكا » أى إذا ابتسم غلقت رقاب أمواله فى أيدى السائلين أى تمكنت من أيديهم لا يقدر على نزعها منهم ، أى أخذ الفقراء ماله ، يقال غلق الرهن فى يد المرتهن إذا لم يقدر الراهن على انفكاكه لمضى أجل الدين ، ويلاحظ أنه إذا كان فى الكلام ملائمات للمستعار له كل منها يعين المعنى المجازى جاز أن يكون كل واحد قرينة وتجريداً إلا أن اعتبار الأول قرينة أولى فيكون الغمر تجريدا وسياق الكلام قرينة محل بحث =

فانه استعار الرداء للمعروف ، لأنه يصون عرض صاحبه ، كما يصون الرداء ما يلقى عليه ، ووصفه بالغمر الذى هو وصف المعروف لا الرداء ، فنظر الى المستعار له . وعليه قوله تعالى « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف » حيث قال «أذاقها» ولم يقل « كساها » فان المراد بالاذاقة إصابتهم بما استعير له اللباس ، كأنه قال فأصابها الله بلباس الجوع والخوف ، قال الزمخشرى الاذاقة جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها ، فيقولون ذاق فلان البؤس والضر ، وأذاقه العذاب ، شبه ما يدرك من أثر الضر والألم بما يدرك من المر والبشع . فان قيل : الترشيح أبلغ من التجريد فهلا قيل فكساها الله لباس الجوع والخوف ؟ قلنا : لأن الادراك بالذوق يستلزم الادراك باللمس من غير عكس ، فكان فى الأذاقة إشعار

= هذا والرداء يناسبه الطول أو السعة فلا يوصف بالكثرة - على أن حقيقة - الغمر الكثير من الماء - ، فاطلاقه على الكثير من العطاء مجاز ، وتجريده لهذه الاستعارة تجريد بما يلائم المستعار من طريق المجاز لا من طريق الحقيقة ، فالملائم فى الترشيح والتجريد يشمل ما كانت ملاءمته للطرف حقيقة وما كانت ملاءمته له مجاز

هذا وسميت الاستعارة هنا مجردة لتجردها عما يقويها من اطلاق أو ترشيح لأن المستعار له وهو المشبه صار بذكر ملائمه بعيدا من دعوى الاتحاد التى فى الاستعارة ومنها تنشأ المبالغة

هذا والاستعارة المجردة ماقرنت بما يلائم المستعار له ، سواء كان المستعار له تفريعا مثل رأيت أسدا يرمى فلجأت الى ظل رمحه ، أوصفه نحوية مثل رأيت أسدا راميا مهلكا أقرانه ، أوصفة معنوية كالبيت

بشدة الأصابة بخلاف الكسوة [١] . فان قيل : لم لم يقل « فأذاقها الله طعم الجوع والخوف ؟ قلنا لان الطعم وان لاءم الاذاقة فهو مفوت لما يفيده لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عم أثرهما جميع البدن عموم الملابس»

وثالثها المرشحة [٢] وهى التى قرنت بما يلائم المستعار [٣] منه، كقوله:

ينازعنى ردائى عبد عمرو ... رويدك يا أخا عمرو بن بكر

لى الشطر الذى ملكت يمينى ... ودونك فاعتجر منه بشطر [٤]

---

(١) راجع الكلام على الآية فى المفتاح ص ١٦٠

شبه ما يغشى الانسان من العذاب باللباس بجامع الاحاطة واستعير اللباس لما يغشى الانسان على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية وأذاقها تجريد . وقيل شبه ما يغشى الانسان باللباس واستعير اللباس له ، ثم شبه ما يغشى الانسان بمطعوم مر وحذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الأذاقة ، فاللباس استعارة تصريحية ، والمطعوم المحذوف مكنية ، والأذاق تخييلية

(٢) من الترشيح وهـــو التقوية لأنها لما بنيت على تناسى التشبيه حتى كان الموجود فى نفس الأمر هو المشبه به زادت قوة بذكر ملائمه دون ملائم المشبه

(٣) أى زيادة على القرينة ، فلا تعد قرينة المكنية ترشيحا ، وسواء كان الملائم صفة مثل رأيت أسدا ذا لبد يرمى ، أو تفريعا كالآية

(٤) البيتان من شواهد الكشاف . الشطر: النصف . الاعتجار: الاعتمام ويقال اعتجرت المرأة إذا لبست المعجر وهو ثوب تشده على رأسها . رويدك : اسم فعل بمعنى أمهل

المراد بالرداء السيف ، وبالشطر الذى ملكت يمينه قائمه ، وبالآخر صدره . فالاعتجار فى البيت على غير حقيقته إذ المراد أنه سيضربه على رأسه بصدر سيفه ضربا يعم ذلك الرأس ويشطرها ، وهو كناية عن اهلاكه قطعا للنزاع

فانه استعار الرداء للسيف لنحو ما سبق ، ووصفه بالاعتجار الذى هو وصف الرداء ، فنظر الى المستعار منه . وعليه قوله تعالى: « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم » ، فانه استعار الاشتراء للاختيار ، وقفاه بالربح والتجارة اللذين هما من متعلقات الاشتراء ، فنظر الى المستعار منه [1]

وقد يجتمع التجريد والترشيح [2] كما فى قول زهير :

لدى أسد شاكى السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم [3]

---

(١) فقد استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار ، ثم فرع على الاستعارة المذكورة ما يلائم الاشتراء من نفى الربح فى التجارة ، ثم الربح مستعار للانتفاع الأخروى ، والتجارة مستعارة لارتكابهم الضلالة، فكونهما ترشيحا هو باعتبار أصل إطلاقهما لا باعتبار المعنى المراد من التركيب ، فالترشيح والتجريد قد يكونان باعتبار المعنى المراد كما فى غمر الرداء بالنسبة للتجريد ، وقد يكونان باعتبار الأصل كما هنا بالنسبة للترشيح

(٢) بأن يذكر معها ملائم المستعار له فقط وملائم المستعار منه فقط ، وأما ذكر ملائمهما معا فليس من قبيل اجتماعهما .

(٣) فشاكى السلاح تجريد لأنه وصف يلائم المستعار له أعنى الرجل الشجاع، ومقذف أى قذف به فى الحروب فهو تجريد أو قذف باللحم فيكون ملائما لهما فلا يكون تجريدا ولا ترشيحا بل هو فى معنى الاطلاق . « وله لبد » ترشيح وكذلك « أظفاره لم تقلم » ـ وهو كناية عن صفة هى العز وعدم الذل ـ لأن هذا الوصف مما يلائم المستعار منه أعنى الأسد الحقيقى ، وجعله ترشيحا بالنظر إلى أن المراد أن ذلك الأسد ليس من الجنس الذى تقلم أظفاره أو على أن المراد نفى المبالغة أى انتفى تقليم أظفاره انتفاء مبالغا فيه . هذا واللبد جمع لبدة وهى ما تلبد من شعر الأسد على منكبيه والتقليم مبالغة القلم وهو القطع .

والترشيح أبلغ [١] من التجريد [٢] ، لاشتماله على تحقيق المبالغة [٣] ، ولهذا كان مبناه [٤] على تناسى التشبيه [٥] ، حتى أنه يوضع الكلام فى علو المنزلة [٦] وضعه فى علو المكان [٧] ؛ كما قال أبو تمام :

ويصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة فى السماء [٨]

فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ، ويصمم على انكاره ، فيجعله

---

(١) أى أقوى بلاغة لأن مقام الاستعارة هو حال إيراد المبالغة فى التشبيه والترشيح يقوى تلك المبالغة .

(٢) أى ومن الاطلاق وأبلغ من جمع التجريد والترشيح .

(٣) أى فى التشبيه لأن فى الاستعارة مبالغة فى التشبيه بجعل المشبه فرداً من أفراد المشبه به ، فترشيحها بما يلائم المستعار منه تحقيق لذلك وتقوية له :

(٤) أى مبنى الترشيح .

(٥) أى على كمال تناسى التشبيه وادعاء أن المستعار له جزئى من جزئيات المستعار منه أو من أفراد المستعار منه لا شىء شبيه به .

(٦) أى الذى يستعار له علو المكان .

(٧) أى الذى يستعار منه . والمعنى أنه لما وجد تناسى التشبيه فى الاستعارة صح لك الاتيان بالترشيح كما صح أن يبنى على علو القدر المستعار له علو المكان ما بنى على علو المكان المستعار منه وصح التعجب والنهى عنه فلولا وجود التناسى ما صح شىء من ذلك .

(٨) البيت فى رثاء خالدين يزيد الشيبانى وهو فى الأسرار ص ٢٦٣ والمفتاح ١٦٣ .

استعار الصعود لعلو القدر والارتقاء فى مدارج الكمال ثم بنى عليه أى رتب على علو القدر المستعار له ما بنى على علو المكان أى بعد تناسى التشبيه .

صاعدا فى السماء من حيث المسافة المكانية ، لما كان لهذا الكلام وجه ، وكما قال ابن الرومى [١]

يا آل نوبخت لا عدمتكم ولا تبدلت بعدكم بدلا
إن صح علم النجوم كان لكم حقا اذا ما سواكم انتحلا
كم عالم فيكم وليس بأن قاس ولكن بأن رقى فعلا
أعلاكم فى السماء مجدكم فلستم تجهلون ما جهلا
شافهتم البدر بالسؤال عن الـ أمر إلى ان بلغتم زحلا

وكما قال بشار [٢] :

أتتنى الشمس زائرة ولم تك تبرح الفلكا

وكما قال أبو الطيب [٣]

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق

وكما قال غيره [٣] :

ولم أر قبلى من مشى البدر نحوه ولا رجلا قامت تعانقه الاسد

---

(١) راجع ١٦٣ من المفتاح ، ٢٦٣ من الأسرار .
والأبيات فى مدح أبى سهل النوبختى ، وآل نوبخت مشهورون بالملك والنجوم والحكمة ، وكان جدهم نوبخت منجما للمنصور .
انتحل الشىء : ادعاه لنفسه وهو لغيره .
(٢) راجع البيت فى الأسرار ص ٢٧٠ والمفتاح ص ١٦٤ .
(٣) راجع البيت فى الأسرار ص ٢٦٥ .

ومن [١] هذا الفن ما سبق من التعجب والنهى عنه، غير ان مذهب التعجب على عكس مذهب النهى عنه ، فان مذهب التعجب اثبات وصف ممتنع ثبوته للمستعار [٢] منه ، ومذهب النهى عنه اثبات خاصة من خواص المستعار [٣] منه .

وإذا جاز البناء على المشبه به مع الاعتراف بالمشبه كما فى قول العباس بن الاحنف [٤] :

هى الشمس مسكنها فى السماء فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود ولن تستطيع اليك النزولا

وقول سعيد بن حميد [٥]

---

(١) راجع المفتاح ص ١٦٤ ، والأسرار ص ٢٦٤ - ٢٦٧ .

(٢) كاثبات التظليل للشمس فى قوله :

قامت تظللنى من الشمس نفس أعز على من نفسى
قامت تظللنى ومن عجب شمس تظللنى من الشمس

(٣) كاثبات بلى الغلالة للقمر وهو من خواصه فلا يصح التعجب منه كما فى قول أبى المطاع ذى القرنين بن ناصر الدولة أبى محمد [٩٢ : ١ اليتيمة تحقيق محيى الدين عبد الحميد]

لاتعجبوا من بلى غلالته قد زر أزراره على القمر

(٤) راجع البيتين فى ص ١٦٤ مفتاح ، وص ٢٦٧ من الأسرار .

فشبهها بالشمس ثم تناسى التشبيه وأخذ يذكر أحوالا تخص المشبه به كذلك ، رغم ما فى التشبيه من اعتراف بالمشبه ، ومع ذلك فقد بنى الكلام على المشبه به أعنى الشمس .

(٥) راجع ص ٢٧٣ من الأسرار ، و ص ١٦٤ من المفتاح .
السحرة قبيل طلوع الصبح ، البكرة . الغدوة وهى ملابسة للسحرة .

قلت زورى فأرسلت أنا آتيك سحره
قلت فالليل اخـ فى وادنى مسره
فأجابت بحجة زادت القلب حسره
أنا شمس وإنما تطلع الشمس بكره

فلأن يجوز مع جحده [١] فى الاستعارة اولى ، ومن هذا الباب قول الفرزدق [٢] :

---

(١) قوله « فلأن » جواب قوله « وإذا جاز »

أى فمع جحد الأصل وهو المشبه أى مع عدم ذكره كما فى الاستعارة ، والاصل فى التشبيه وإن كان هو المشبه به من جهة أنه أقوى وأعرف إلا أنه المشبه هو الأصل من حيث أن الغرض يعود إليه كبيان حاله أو مقدار حاله ، وأنه المقصود فى الكلام بالنفى والأثبات

فمع الاستعارة يمكن البناء على الفرع وهو المشبه به أولى بالجواز لأنه طوى فيه ذكر المشبه أصلا وجعل الكلام خلوا عنه ونقل الحديث إلى المشبه به . وقد وقع فى بعض أشعار الفرس النهى عن التعجب مع التصريح بأداة التشبيه ، فاسبق من البناء على الفرع مع الاعتراف بالأصل كان من غير ذكر أداة التشبيه أما هذا المثال ففيه البناء على الفرع مع الاعتراف بالأصل والتصريح بأداة التشبيه ؛ وهذا المثال هو « لا تعجبوا من قصر ذوائبه فانها كالليل ووجهه كالربيع والليل فى الربيع مائل إلى القصر » ، وهو معنى غريب رائع

(٢) راجعهما فى الاسرار ص ٢٧٤ . أحمد الغيثين أى أرسرعما بالثناء وهو خبر أبى ، وصعصعة بدل أو عطف بيان له . الجوزاء والدلو : برجان فى السماء يكثر فيهما الشتاء . وبنات الوائدين اللاتى كن يقتلن فى الجاهلية خشية الفقر . والمخفر مزيل الخفارة وهى اسم من خفره إذا منعه وحماه

أبى أحمد الغيثين صعصعة الذى متى تخلف الجوزاء والدلو يمطر
أجار بنات الوائدين ومن يجر على الموت فاعلم أنه غير مخفر

أدعى لابيه اسم الغيث ادعاء من سلم له ذلك ، ومن يخطر بباله أنه متناول له من طريق التشبيه . وكذا قول عدى بن الرقاع يصف حمارين وحشيين .

يتعاوران من الغبار ملاءة بيضاء محكمة هما نسجاها
تطوى إذا وردا مكانا محزنا واذا السنابك أسهلت نشراها[1]

---

(١) يتعاوران مضارع تعاور القوم الشيء إذا تعاطوه وتداولوه والملاءة ثوب معروف . والمكان المحزن : الغليظ الأرض من الحزن ضد السهل ، والغبار يكون فى السهل دون الحزن ، فلهذا تطوى ملاءتهما فى الثانى وتنشر فى الأول

المجاز المركب

وأما المجاز المركب [١] : فهو اللفظ المركب [٢] المستعمل [٣] فيما شبه بمعناه [٤] الاصلى تشبيه التمثيل [٥] ، للمبالغة فى التشبيه ، أى تشبيه

---

(١) راجع ١٥٩ مفتاح ، ٥٤ و ٣٣٨ من الدلائل ، ٨٣ — ٩ و ٢٢٣ و ٢٠٨ - ٣١٥ من الأسرار

والمجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعى

وهو نوعان: مجاز مركب علاقته المشابهة بين المعنيين ويسمى تمثيلا أو استعارة تمثيلية ، ومجاز مركب علاقته غير المشابهة ويسمى مجازا مركبا مرسلا

وهو هنا يتكلم على الاستعارة التمثيلية

(٢) يخرج به المجاز العقـــلى

(٣) خرج به اللفظ قبل الاستعمال

(٤) أى فى معنى شبه ذلك المعنى بمعنى اللفظ الأصلى أى من حيث أنه شبه بمعناه الأصلى ، فخرج المجاز المرسل الذى ليس معناه مشبها بمعناه الأصلى قبل الاستعمال لعدم وجود الشبه بين المعنيين ، وكذا المرسل الذى استعمل فيما شبه بمعناه قبل ذلك لوجود الشبه لكن إنما استعمل لعلاقة غير المشابهة لأنه لم يستعمل من حيث الشبه

فهو إذا اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى ، أى بالمعنى الذى يدل عليه ذلك اللفظ بالمطابقة ، أى بالوضع ، لكن كون الصورة المنتزعة معنى مطابقيا للفظ المستعار غير ظاهر . ثم قولنا « بالمطابقة » يقتضى أن دلالة اللفظ على المعنى المجازى ليست بالمطابقة وهو خلاف ما صرح به الشارح فى شرح الشمسية ، وأجيب بأن المراد بالمطابقة المطابقة التى لا يحتاج معها إلى توسط قرينة وهذا إنما يكون فى الحقيقـــة

(٥) وهو ما يكون وجه منتزعا من متعدد ، واحترز بهذا أى بقوله « تشبيه =

احدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ، ثم تدخل

= التمثيل ، عن الاستعارة فى المفرد ، لأن وجه الشبه فيه لا يكون منتزعا من متعدد فالتشبيه الذى يبنى عليه المجاز المركب لا يكون إلا تمثيلا ، ولم يكتف بقوله تمثيلا لأن التمثيل مشترك بين التشبيه الذى وجهه منتزع من متعدد وإن كان الطرفان مفردين كما فى تشبيه الثريا بالعنقود وبين الاستعارة التمثيلية

هذا وقد اعترض على قولنا فى الاستعارة « تشبيه التمثيل » واحترازنا بذلك عن الاستعارة فى المفرد بأن تشبيه الثريا بعنقود ملاحية تشبيه مفرد بمفرد والوجه منتزع من متعدد فيجوز طى المشبه وذكر المشبه به مع تناسى التشبيه ويكون استعارة فى مفرد والوجه منتزع من متعدد فيشمل التعريف تلك الاستعارة فلا يصح إخراجها من التعريف . . وأجيب بأن ذلك لا يجوز لأن الاستعارة لابد فيها من حذف المستعار له والجامع ، فإذا ذكر المستعار منه وكان مفردا والوجه منتزعا من متعدد مثل رأيت عنقود ملاحية فى السماء لا يدرى هل الوجه منتزع من متعدد متعدد أم لا فيصير الكلام لغوا وهذا بخلاف التشبيه فانه إذا ذكر الطرفان وكانا مفردين فانه قد يدرك العقل تركب وجه الشبه إذا كان محذوفا

والحاصل أنه ليس كل تشبيه تجرى فيه الاستعارة التمثيلية لأن تشبيه المفرد بالمفرد مع كون وجه الشبه منتزعا من متعدد صحيح ولا تجرى فيه الاستعارة فقوله « تشبيه التمثيل » يخرج به مجاز الأفراد لأنه لا يكون وجهه منتزعا من متعدد مع أن تشبيه التمثيل ما كان وجهه منتزعا من متعدد .

فتشبيه التمثيل إذا هو التشبيه الذى وجهه منتزع من أمور متعددة سواء كان الطرفان مفردين أو مركبين .

وأما المجاز المركب أو الاستعارة التمثيلية فلا بد فيهما من تركب اللفظ المستعار كالوجه . ثم المراد بالتركيب هنا أى تركيب كان ولا يشترط خصوص الاسنادى ولا غيره .

ثم أن السيد يشترط فى المجاز المركب التصريح بتمام المركب الدال على الصورة المشبه بها . والسعد يرى أنه يكفى التصريح ببعضه .

المشبه فى جنس المشبه بها ، مبالغة فى التشبيه ، فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه

كما كتب [١] به الوليد بن يزيد لما بويع ؛ الى مروان بن محمد ، وقد بلغه أنه متوقف فى البيعة له : «أما بعد فانى اراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى [٢] ، فاذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام » ، شبه صورة تردده فى المبايعة [٣] بصورة [٤] تردد من قام ليذهب فى أمر ،

---

(١) راجع ٣٣٨ من الدلائل . وفى العقد الفريد [٣٥ ج ٢] : يزيد بن الوليد وكذلك فى البيان والتبيين [٢٠٠ ج ١] . وفى الصناعتين (ص ١٨٥) : الوليد بن يزيد .

وهذا التمثيل فى العقد أيضا (ص ١٨٨ ج ٣)

(٢) أى وتؤخرها مرة أخرى ، وقوله « تقدم رجلا » أى مرة .

(٣) أى الهيئة الحاصلة من تردده .

(٤) أى بالهيئة الحاصلة من تردد من قام ليذهب . فالصورة الأولى عقلية والثانية حسية . فاستعمل فى الصورة الأولى الكلام الدال المطابقة على الصورة الثانية ، ووجه الشبه وهو الهيئة المركبة من الأقدام تارة والأحجام أخرى منتزع من عدة أمور . هذا وقوله : « أنى اراك » لا دخل له فى الاستعارة وقيل له دخل فى خصوص المثال . فيسمى مثل ذلك التمثيل لكون وجهه منتزعا من متعدد تمثيل على سبيل الاستعارة لأنه قد ذكر فيه لفظ المشبه به وأريد المشبه كما هو شأن الاستعارة وقد يسمى التمثيل من غير تعبير بقولنا على « سبيل الاستعارة » ، ويمتاز عن التشبيه التمثيلى بأنه يقال تشبيه تمثيل أو تشبيه تمثلى ومثاله أنت كمن يقدم رجلا ويؤخرى أخرى ، وكتشبيه الثريا بالعنقود ، والشمس بالمرآة فى كف الأشل .

فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا ؛ وتارة لا يريد فيؤخر أخرى . وكما يقال [١] لمن يعمل فى غير معمل : «أراك تنفخ فى غير فحم وتخط على الماء» والمعنى انك فى فعلك كمن يفعل ذلك . وكما يقال لمن يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه الى مكان يمتنع [٢] منه : « ما زال يفتل منه فى الذروة والغارب [٣] حتى بلغ منه ما أراد » . والمعنى انه لم يزل يرفق بصاحبه رفقا يشبه حاله فيه حال من يجىء الى البعير الصعب فيحكه ، ويفتل الشعر فى ذروته وغاربه ، حتى يسكن ويستأنس ، وهذا فى المعنى نظير قولهم : « فلان يقرد فلانا » ، أى يتلطف به فعل من ينزع القراد [٤] من البعير ، ليلتذ بذلك فيسكن ويثبت فى مكانه حتى يتمكن من أخذه

وكذلك قوله [٥] تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله » ، فانه لما كان التقدم بين يدى [٦] الرجل خارجا عن صفة المتابع له ، صار النهى عن التقدم متعلقا باليدين ؛ مثلا لنهى عن ترك الاتباع

وكذا قوله تعالى [٧] « والارض جميعا قبضته يوم القيامة » ، إذ

---

(١) راجع ٥٥ دلائل ، ٨٦ أسرار .

(٢) راجع ٥٥ دلائل ، ٨٥ أسرار .

(٣) الذروة : أعلى السنام ، الغارب : الذروة أيضا ، أو ما بين السنام والعنق .

(٤) دويبة مثل القمل تتعلق بجسم البعير .

(٥) راجع ٣٠٨ من الأسرار

(٦) أى جهته

(٧) راجع ٣١٠ من الأسرار ، ٤٢ طراز المجالس

المعنى والله أعلم أن مثل الأرض فى تصرفها تحت امر الله تعالى وقدرته، مثل الشىء يكون فى قبضة الآخذ له منا، والجامع يده عليه . وكذا قوله تعالى [١] : «والسموات مطويات بيمينه» أى يخلق فيها صفة الطى، حتى ترى كالكتب المطوى بيمين الواحد منا، وخص اليمين ليكون أعلى وأفخم للمثل، لانها أشرف اليدين وأقواهما، والتى لاغناء للاخرى دونها، فلا يهش انسان لشىء الا بدأ بيمينه فهيأها لنيله، ومتى [٢] قصد جعل الشىء فى جهة العناية جعل فى اليد اليمنى، ومتى قصد خلاف ذلك جعل فى اليسرى ؛ كما قال ابن ميادة [٣] :

---

(١) راجع ٢٠٩ و ٢١٠ من الأسرار ، ٣٢٥ ج ٤ السبكى ، ٦٢ ج ١ الكامل للمبرد . هذا وقد قيل انها استعارة تمثيلية تخييلية . فتخيل إنسانا يقدر على طى السموات بيمينه

(٢) راجع ٣١٠ من الأسرار

(٣) راجع ٣٤٦ صناعتين ، هامش ٣١٢ من الأسرار

ملاحظات

١ — « أولئك على هدى من ربهم » تحتمل ثلاثة وجوه :

١ — أن يشبه الهدى بالمركوب الموصل المقصود فيثبت له بعض لوازمه وهو الاعتلاء على طريقة المكنية

٢ — أو أن يشبه تمسك المتقين بالهدى باعتلاء الراكب فى التمكن والاستقرار وحينئذ تكون كلمة على إستعارة تبعية

٣ — أو أن يشبه هيئة مركبة من المتقى والهدى ونمسكه به ثابتا مستقرا عليه بهيئة مركبة من الراكب والمركوب واعتلائه عليه متمكنا منه، استعارة تمثيلية =

ألم تك فى يمينى يديك جعلتنى فلا تجعلنى بعدها فى شمالكا

أى كنت مكرما عندك ، فلا تجعلنى مهانا ، وكنت فى المكان الشريف منك فلا تحطنى فى المنزل الوضيع . وكذا اذا قلت للمخلوق [1] " الامر بيدك " أردت المثل أى الامر كالشىء يحصل فى يدك فلا يمتنع عليك ، وكذا قوله تعالى [2] " ولما سكت عن موسى الغضب [3] " ، قال الزمخشرى : كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ، ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح وجر برأس أخيك اليك ، وترك النطق بذلك وقطع الاغراء ؛ ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذى طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ، ولانه من قبيل شعب البلاغة ، والا فما لقراءة معاوية بن قرة " ولما سكن عن موسى الغضب " لا تجد النفس عندها

هذا والاستعارة التبعية فى كلمة « على » لا تجامع التمثيلية عند السيد وتجامعها عند الزمخشرى

ب ـ التشبيه التخييلى عند السيد لا بد أن يكون طرفاه مركبين لفظا ومعنى ، وتركيب الطرفين فى الاستعارة التمثيلية عنده واجب قطعا أيضا

(١) راجع ص ٣١٠ من الأسرار

(٢) راجع ١٦٥ مفتاح ، ١٦٣ صناعتين

(٣) شبه سكون الغضب بسكوت ساكت ، ثم ادعينا الخ ، أو شبه الغضب بانسان يتحرك ويغرى ، أو شبهنا الحالة الناشئة عن الغضب بحالة إغراء مغر فاذا انقطع عن الاغراء سكن المغرى ، واستعير التركيب الدال على المشبه به وهو سكت للمشبه

وعلى التقدير الأول تصريحية تبعية ، وعلى الثانى مكنية ، وعلى الثالث تمثيلية

شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة

وأما قولهم: « اعتصمت بحبله » ، فقال الزمخشرى أيضا : يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به ، ووثوقه بحمايته ، باستمساك المتدلى من مكان مرتفع بحبل وثيق بأمن انقطاعه. وأن يكون الحبل استعارة لعهده، والاعتصام لوثوقه بالعهد أو ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه. وكذا قول الشماخ [١] :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

الشبه فيه مأخوذ من مجموع التلقى واليمين ، على حد قولهم تلقيته بكلتا اليدين ؛ ولهذا لا تصلح [٢] حيث يقصد التجوز فيها وحدها ؛ فلا يقال هو عظيم اليمين بمعنى عظيم القدرة. ولا عرفت يمينك على هذا بمعنى عرفت قدرتك عليه

ومثله قول الآخر [٣] :

وهون عليك فان الأمور بكف الاله مقاديرها

وكذا ماروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال [٤]

---

(١) راجع ٢٩٠ ج١ العقد ، ٣١١ الأسرار ، ٢٠٣ صناعتين ، ٦٢ و٦٣ ج١ الكامل [طبعة قديمة] ٣٩٨ ج١ الكامل [طبعة التجارية] ، ٢٧٤ ج١ الأمالى

(٢) فاعل تصلح يعود على كلمة اليمين

(٣) هو للاعور الشنى (٣١ ج١ سيبويه) ، والبيت فى الأسرار ص ٢١٤

(٤) راجع ٢١٥ من الأسرار. شبه إجزال الثواب وتكثيره بوضع الشىء فى الكف والعمل على تنميته ، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه

إن أحدكم إذا تصدق بالتمرة من الطيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، جعل الله ذلك فى كفه ، فيربيها كما يربى أحدكم فلوه حتى يبلغ بالتمرة مثل أحد »، والمعنى فيهما على انتزاع الشبه من الجموع

..

وكل[1] هذا يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة وقد يسمى التمثيل مطلقا. ومتى[2] فشا استعماله كذلك سمى مثلا، ولذلك لا تغير الامثال، ومما يبنى على التمثيل نحو قوله تعالى « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب[3] »، معناه لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغى أن ينظر[4] فيه ، واع لما يجب وعيه ، ولكن عدل عن هذه العبارة ونحوها إلى ما عليه التلاوة ، بقصد البناء على التمثيل ؛ ليفيد ضربا من التخييل ؛ وذلك أنه لما كان الانسان حين لا ينتفع بقلبه فلا ينظر فيما ينبغى أن ينظر فيه ، ولا يفهم ولا يعى ، جعل كأنه قد عدم القلب جملة ، كما جعل من لا ينتفع

(١) راجع ١٥٩ مفتاح

(٢) راجع ١٤٩ مفتاح . يريد : ومتى فشا استعمال المجاز المركب كذلك أى على سبيل الاستعارة التمثيلية

(٣) راجع ٣١٣ أسرار ، ٢٣٥ دلائل

(٤) وقال المبرد : يقال لكل صحيح البصر ولا يعمل بصره : أعمى ، وإنما يراد به أنه قد حل محل من لا يبصر البتة . وكذلك يقال للسميع الذى لا يقبل : أصم ، قال جل ذكره : « صم بكم عمى » (٢٦٩ ج ١ الكامل)

هذا ويقال فى الاية: إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب، شبهوا فى تدبرهم بالقرآن واتعاظهم به بمن له قلب ناظر فيما ينبغى أن ينظر اليه واع لما يجب وعيه ثم استعيرت الصورة الثانية للاولى

بسمعه وبصره فلا يفكر فيما يؤديان اليه بمنزلة العادم لهما ، ولزم على هذا أن لا يقال فلان له قلب إلا إذا كان ينتفع بقلبه ، فينظر فيما ينبغى أن ينظر فيه ، ويعى ما يجب وعيه ، فكان فى قوله تعالى « لمن كان له قلب » تخييل أن من لم ينتفع بقلبه كالعادم للقلب جملة ، بخلاف نحو قولنا [1] « لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغى أن ينظر فيه واع لما يجب وعيه » وفى نظم الاية فائدة أخرى شريفة ، وهى تقليل اللفظ مع تكثير المعنى

ونقل الشيخ [2] عبد القاهر عن بعض المفسرين انه قال : المراد بالقلب العقل ، ثم شدد عليه النكير فى هذا التفسير ، وقال : وان كان المرجع فيما ذكرناه عند التحصيل الى ما ذكره ، ولكن ذهب عليه أن الكلام مبنى على تخييل ان من لا ينتفع بقلبه فلا ينظر ولا يعى بمنزلة من عدم قلبه جملة ، كما تقول فى قول الرجل اذا قال « قد غاب عنى قلبى » إنه يريد أن يخيل الى السامع انه غاب عنه قلبه بجملته ، دون أن يريد الاخبار أن عقله لم يكن هناك ؛ وان كان المرجع عند التحصيل الى ذلك ، وكذا اذا [3] قال لم أكن هاهنا ' يريد غفلته عن الشىء فهو

---

(١) أى فانه لا يفيد فقد القلب من أصله ولا يخيل ذلك . وإنما يفيد فقد القلب الناظر الواعى

(٢) راجع ص ٣٠٥ الدلائل

(٣) راجع ٢١٤ من الاسرار . فمثل « لم أكن ها هنا » شبه حالته وهو موجود لكنه غافل بحالته وهو غائب بجامع عدم الانتفاع

يضع كلامه على التخييل : هذا معنى كلام الشيخ ، وهو حق ، لأن المراد بالاية الحث على النظر والتقريع على تركه ، فان أراد هذا المفسر بتفسيره أن المعنى لمن كان له عقل مطلقا فهو ظاهر الفساد ؛ وان اراد أن المعنى لمن كان له عقل ينتفع به ويعمل فيما خلق له من النظر فتفسير القلب بالعقل ثم تقييد العقل بما قيده عرى عن الفائدة ، لصحة وصف القلب بذلك ، بدليل قوله تعالى: لهم قلوب لا يفقهون بها

"واعلم أن المثل السائر "(١) لما كان فيه غرابة استعير لفظه المثل للحال أو الصفة أو القصة ، اذا كان لها شأن وفيها غرابة ؛ وهو فى القرآن كثير كقوله تعالى: مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ، أى حالهم العجيبة الشأن كحال الذى استوقد نارا ، وكقوله تعالى: وله المثل الأعلى ، أى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة ؛ وقوله تعالى: " مثلهم فى التوراة " ، أى صفتهم وشأنهم المتعجب منه ، وكقوله تعالى: مثل الجنة التى وعد المتقون " ، أى فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ؛ ثم أخذ فى بيان عجائبها الى غير ذلك "(٢)

---

(١) لفظ " مثل " يطلق فى اللغة على : الشبه ، والنظير ، وعلى الصفة ، وعلى القول السائر بين الناس المشبه مضربه بمورده ، وقد اشتهر فى هذا المعنى الأخير ، فاستعير لتلك الصفة باعتبار ذلك

هذا والمثل كلام استعمل فى مضربه بعد تشبيهه بمورده

(٢) هذا نص كلام الزمخشرى فى " مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً " . هذا =

. . . . . .

= وراجع فى الاستعارة التمثيلية ص ٥١ و ٥٨ و ٢٤٤ و ٣٣٨ من الدلائل، و ص ٩٠ و ٣٠٨ — ٣١٥ من الأسرار أيضا والمطول والشروح فى باب التورية .

ملاحظات :

١ — هل تكون الاستعارة التمثيلية تبعية أولا ؟

ظاهر كلام القوم أن التبعيـــة إنما تكون فى المجاز المفرد ، وفى الكشاف ما يقتضى جواز كون التمثيلية تبعية ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى « اولئك على هدى من ربهم » ، إذ رأى أنها استعارة تمثيلية تبعية حيث قال : شبهت حالهم بحال من اعتلى الشىء وركبه ، أى فتكون تبعيـة لجريانها فى متعلق معنى الحرف أولا ، ورده السيد .

٢ - الاستعارة التمثيلية متى فشى استعمالها سميت مثـــلا ، والمراد بفشو الاستعمال أن تستعمل كثيراً فى مثل ما استعملت فيه الناقل الأول مع عدم التغيير أى أن يكون المثل باقياً على هيئته فى حال المورد بحيث أنه لم يغير فى حالة مضربه عن هيئته فى حالة المورد : تأنيثا ولا تذكيراً ولا تثنية ولا جمعا ولا إفراداً . والمضرب : هو الموضع الذى يضرب فيه المثل ويستعمل فيه لفظه وهو المستعار له وأما المورد فهو المستعار منه لفظ المثل ؛ فالمثل كلام استعمل فى مضربه بعد تشبيهه بمورده ؛ فالمضرب إذا ما استعمل فيه الآن والمورد ما استعمل فيه ثانيا .

٣ - المجاز المركب إن كانت علاقته المشابهة فهو استعارة تمثيلية ؛ وإن كانت علاقته غير المشابهة فهو مجاز مرسل مركب .

والمجاز المركب المرسل كثير فى الكلام ومنه :

١ - الجمل الخبرية التى تستعمل فى الأخبار كقول جعفر بن علبة الحارثى : [كما فى الحماسة ٢٠ ح ١] :

هواى مع الركب اليمانين مصعد جنيب ، وجثمانى بمكة موثق

فان التركيب موضوع للاخبار ، والغرض منه هنا إظهار التحسر والحزن على =

مفارقة محبوبه اللازم ذلك للأخبار بها ، فالعلاقة اللازمية ، فالبيت ليس حقيقة ولا استعارة تمثيلية بل هو مجاز مرسل مركب .

وقد سكتوا عن ذكر المجاز المرسل المركب لقلته وقلة لطائفه ؛

وقيل : مثل هذا — أى المركب المنقول لأجل اللزوم كالبيت — من قبيل الكناية ، فهو مستعمل فيما وضع له لينتقل إلى لازمه ، وحينئذ فهو حقيقة ؛ فلذا تركوا التعرض له ، فحينئذ اللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له لا يكون إلا لعلاقة المشابهة ؛ واعترض على ذلك بأن اللفظ الذى يرد به اللازم مع صحة إرادة الملزوم كناية يجوز أن يعرض له قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى فيكون مجازاً متفرعاً عن الكناية ، وحينئذ فلا يتم ما ذكر حجة فى ترك التعرض له

ب — الخبر المستعمل فى الانشاء مثل وفقك الله ورحمه الله .

جـ — الانشاء المستعمل فى الخبر كقوله (ص) : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » أى يتبوأ .

د — الانشاء الذى خرج عن معناه الوضعى إلى معنى إنشائى آخر كالأمر والنهى المستعملين فى التمنى فى مثل قول الشاعر :

يا ليل طل يا شوق دم يا صبح قف لا تطلع

٤ - « مثل رب إنى وضعتها أنثى » : أيرى السعد فيها أنها مجاز مرسل مركب ، ويرى عبد الحكيم فى باب الاسناد الخبرى أنها حقيقة فليست مجازا فى التحسر وإنما هى مستعملة فى معناها والتحسر غرض من التركيب. ويرى السعد فى باب الاسناد الخبرى أنه مجاز مركب . والحق أن التحسر غرض من التركيب ولا مجاز هناك .

٥ - قيل : الانشاء الذى على صورة الخبر لا بد أن يكون على معنى صيغة من صيغ الانشاء كرحمه الله فانه يدل على معنى اللهم ارحمه ؛ والبيت (هواى مع الركب الخ) وقوله تعالى ، رب إنى وضعتها أنثى ، ليس على معنى صيغة من صيغ الانشاء فيكون

. . . . . .

= باقيا على خبريته مقصودا به لازم معناه فلا يخرج عن الخبرية إلى الانشائية فلا يكون مجازا مركبا ؛ وخالف الزمخشرى فى هذا وقال : إنها تخرج إلى الإنشائية وإن كانت ليست على معنى صيغة من صيغ الإنشاء فتكون من المجاز المركب .

٦ - بلاغة الاستعارة التمثيلية :

تشبيه التمثيل كما سبق من أبلغ التشبيهات ، وعلى تشبيه التمثيل تبنى الاستعارة التمثيلية غير أنها تقع دائما فى الهيئات ولا يستعار فيها إلا المركبات ؛ وتمتاز عن التشبيه التمثيلى على بلاغته : بالمبالغة فى التشبيه ، وبما تبنى عليه من تناسيه ودخول المشبه فى جنس المشبه به وادعاء أنه فرد من أفراده ، فوق أنها أو جز من التشبيه التمثيلى لحذف أداتها وأحد طرفيها ، وهى مع ايجازها تعمل عمل الاطناب من إيضاح المعنى وحسن تصويره والكشف عنه .

٧ - الفرق بين التشبيه التمثيلى والاستعارة التمثيلية هو :

ا — تشبيه التمثيل قد يكون طرفاه مفردين وقد يكونان مركبين وقد يكونان مختلفين ، أما الاستعارة التمثيلية فطرفاها مركبان .

ب - ولا بد فى التشبيه التمثيلى من الجمع بين طرفيه أما الاستعارة فلا بد من حذف المشبه .

ج - ولا بد فى التشبيه أيضا من أداة ملحوظة أو مقدرة إلا التشبيه الضمنى الذى يشكل فيه تقدير الأداة من غير تجويز فى التركيب ، والأداة فى الاستعارة التمثيلية لا بد من حذفها .

د وتشبيه التمثيل لا يفيد المبالغة التى تفيدها الاستعارة ، إذ ليس فيه ما فيها من تناسى التشبيه وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به

٨ - علاقة المجاز المركب :

ا — قيل هى اللازمية والملزومية .

ب — وقيل العلاقة فى الانشاء المستعمل فى الخبر السببية وفى الخبر المستعمل فى الانشاء المسببية . =

فصـــل

[فى بيان الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية (١)]

= ج وقيل هو مجاز بمرتبتين، فالخبر المستعمل فى الانشاء نقل من الاثبات على وجه الخبر إلى مطلق إثبات ثم من مطلق إثبات إلى الاثبات على وجه الانشاء، والانشاء المستعمل فى الخبر نقل من الاثبات على وجه الانشاء إلى مطلق الاثبات ثم من مطلق إثبات إلى الاثبات على وجه الخبر ، فالعلاقة التقييد ثم الاطلاق .

(١) راجع ١٥٩ - ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٤ من المفتاح ، ٣٤ - ٤٠ الأسرار ، ٥٣ و ٢٣٤ و ٣٥٤ من الدلائل

ملاحظة :

لتحقيق الكلام على هذا البحث نعرض عليك خلاصة المذاهب والاراء فى المكنية والتخييلية فنقول :

المكنية

١ — القدماء ومنهم عبد القاهر والزمخشرى وتبعهم جمهور المتأخرين كالسعد والسيد : يرون أنها « اسم المشبه به - المستعار فى النفس للمشبه - المحذوف والمرموز اليه باثبات شىء من لوازمه للمشبه ، إلا أن العصام ناقش السعد والسيد وذهب إلى أنها ليست لفظ المشبه به المحذوف بل الحق أنها استعارة السبعية للمنية الخ والظاهر أنه يجعلها فى المعنى لا فى اللفظ

٢ — أما السكاكى فهى عنده لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به ادعاء بقرينة استعارة ما هو من لوازم المشبه به لصورة متخيلة متوهمة شبهت به وأثبتت للمشبه (١٦٠ مفتاح) ، ويستفاد من كلام السكاكى فى موضع آخر من المفتاح أنها « اسم المشبه به المحـــذوف (١٥٧ مفتاح) ، حيث قال : ويسمى المشبه به مذكورا أو محذوفا مستعارا منه واسمه مستعارا والمشبه مستعارا له [راجع المطول ص ٤٠١]

٣ — ويرى الخطيب أنها التشبيه المضمر فى النفس المدلول عليه باثبات لازم =

. . . . . .

= المشبه به للمشبه ورجحه الأنبابي فى حاشيته على الرسالة البيانية وجعله مستنبطا من كلام عبد القاهر [٢٧١ الرسالة]

٤ — وللعصام رأى رابع فيها حيث قال إنها مبنية على تشبيه مقلوب بتشبيه المشبه به الأصلى بالمشبه الأصلى ثم يستعار اسم المشبه الأصلى للمشبه به الأصلى ، ففى أنشبت المنية أظفارها شبه السبع بالمنية واستعير له اسمها ، فالمثال معناه أنشب السبع أظفاره به كناية عن قوته وحينئذ لا تجوز فى إضافة الأظفار إلى المشبه؛ فهى عنده لفظ المشبه به المقلوب المستعمل فى المشبه المقلوب ، مع جعل مجموع الكلام بعد ذلك كناية اصطلاحية والقرينة على الاستعارة ذكر ملائم المشبه المقلوب، وعلى الكناية حالية

٥ — وراى صاحب الكشف (الطيبى) أنها هى لازم المشبه به المثبت للمشبه التخييلية : والاراء فيها تتلخص فيما يلى :

١ — القوم وعبد القاهر والزمخشرى والخطيب : يرون أنها هى إثبات لازم المشبه به للمشبه

٢ — السكاكى هى عنده اسم لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية التى أثبتت للمشبه .

القرينة : وجملة الكلام فيها يتخلص فيما يأتى

١ — القوم والخطيب يقولون هى اثبات لازم المثبه به للمشبه ، فالتخييلية والمكنية عندهم مثلا زمان ، ولازم المشبه به مستعمل فى حقيقته والتجوز إنما هو فى الاثبات الذى هو قرينة المكنية وهو التخييلية . فالتخييلية انما هى فى الاثبات والتجوز فيه ، فهى مجاز عقلى لا لغوى ، وربما سموا لفظ اللازم كالأظفار مثلا تخييلية على سبيل التسامح ، والتحقيق أن التخييلية إنما هى فى اثبات لازم المشبه به للمشبه

٢ — الزمخشرى على ما فهمه السعد يذهب الى أنها هى لازم المشبه به المثبت للمشبه او المستعار لما يلائمه، فالقرينة عنده قد تكون استعارة تحقيقية تصريحية ،=

. . . . . .

= وضابط القرينة عنده أنه إذا لم يكن للمشبه لازم يشبه رادف المشبه به فالقرينة تخييلية ، وإن كان للمشبه لازم يشبه رادف المشبه به فالقرينة تحقيقية . والسعد على هذا الرأى . فالمكنية والتخييلية غير متلازمتين عنده ، فالمكنية قد توجد بدون التخييلية ولا عكس ، أى يلزم من وجود التخييلية وجود المكنية دون العكس

٣ — أما السكاكى فيرى أنها هى لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية التى أثبتت للمشبه فالتخييلية عنده لا تستلزم المكنية والمكنية تستلزم التخييلية ، ورأى السعد فى المطول أن المكنية عند السكاكى توجد بدون التخييلية كما صرح به فى المجاز العقلى حيث قال . إن قرينة المكنى عنها إما أمر مقدر وهمى كأظفار المنية أو أمر محقق مثل أنبت الربيع البقل ، وكذلك التخييلية توجد بدون المكنية مثل أنشبت المنية الشبهة بالسبع أظفارها ، وذلك ما رآه الأنبابى فى حاشيته على الرسالة البيانية حيث قال عن مذهب السكاكى : فلا تلازم بين المكنية والتخييلية عنده بل توجد كل منهما بدون الأخرى . والتحقيق أن القرينة عنده قد تكون استعارة تحقيقية مثل يا أرض ابلعى ماءك وقد تكون حقيقة كما فى أنبت الربيع البقل وقد تكون استعارة تخييلية مثل أظفار المنية ، فالأصح من مذهبه أن التخييلية تلازمها المكنية كما حمل القوم وإن كان نص كلام السكاكى يشير الى عدم الملازمة ، أما المثال أنشبت المنية الشبيهة بالسبع أظفارها فغير صحيح بلاغيا أو أنه كان يحكى مذهب السلف لا مذهبه هو ، أما المكنية فالتحقيق أنها لا تلازمها التخييلية . ولنفصل لك الكلام تفصيلا على الآراء فى القرينة والمكنية والتخييلية .

١ — أما المكنية فمذهب السلف فيها أنها هى لفظ المشبه به المستعار للمشبه المحذوف المرموز اليه بشى من لوازمه ، وعلى هذا تكون الاستعارة بأقسامها تصريحية ومكنية هى لفظ المشبه به المستعمل فى المشبه . وقد نوقش هذا المذهب بأن القول باستعارة اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه تكلف ظاهر =

. . . . . .

= ومذهب الخطيب فى المكنية أنها هى التشبيه المضمر فى النفس المتروك أركانه سوى المشبه المدلول عليه باثبات لازم المشبه به للمشبه. وعلى هذا فالاستعارة ليست كلمة ولا استعمال كلمة وانما هى فعل من أفعال النفس ولا وجه للتسمية باستعارة وان صح وجه تسميتها مكنية لأن التشبيه مضمر . والداعى له الى مخالفة الجمهور أمران : أولا : المغايرة بين المصرحة والمكنية من جميع الوجوه لفظا وتقديرا فتتميز الأقسام أتم تميز ، وثانيا : الفرار من التكلف الذى لزم القوم

ومذهب السكاكى أنها هى لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به إدعاء بقرينة ذكر لازم المشبه به ، فعين العناية مثلا نقول فيها ، شبهت العناية بحارس ذى عينين وادعينا أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، فصار للمشبه به فردان : حقيقى وهو الحارس وإدعائى وهو العناية المدعى أنها حارس ، فتستعمل العناية الحقيقية فى المشبه به الادعائى (العناية المدعى أنها حارس) والعين قرينة المكنية . ويرد على رأى السكاكى أن القول باستعمال لفظ المشبه فى لفظ المشبه به مخالف للواقع ، فالعناية لا تزال مستعملة فى معناها الوضعى بالاتفاق ، وإدعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به لا يخرجه عن أن يكون موضوعا له لفظ المشبه ، والتغاير بين المشبه والمشبه به الادعائى مبنى على تدقيق فلسفى لا يعتبره أهل العربية . كما يرد عليه أن لا وجه لتسميتها مكنية على رأيه بل هى جديرة بأن تسمى مصرحة لأن اللفظ المستعار مصرح به .

٢ وأما القرينة فهى عند القوم والخطيب إثبات لازم المشبه به للمشبه مع بقاء ذلك اللازم على حقيقته ، والتجوز فى الاثبات على حد المجاز العقلى ، ويسمى ذلك الاثبات تخييلية أو تخييلا .

وذهب الزمخشرى على ما فهم السعد أن قرينة المكنية تارة تكون استعارة تخييلية كما ذهب الخطيب والقوم إن لم يكن للمشبه لازم يشبه لازم المشبه به كما فى قولنا «يد الشمال وعين العناية وأظفار المنية» ، وتارة تكون إستعارة تحقيقية إن كان =

. . . . . .

للمشبه رديف يشبه رديف المشبه به فيستعار لفظ لازم المشبه به للازم المشبه كما فى «ينقضون عهد الله» فقد استعير النقض للابطال على طريق الاستعارة التصريحية التحقيقية التبعية بعد تشبيه العهد بالحبل على سبيل الاستعارة المكنية، ويجوز بقاء النقض على معناه الحقيقى فاثباته للعهد تخييل. وعلى مذهب صاحب الكشاف تصبح القرينة ضعيفة جـــدا، إذ لا دلالة لهـــا أبدا بالنظر لأصل معناها قبل التجوز.

وذهب السكاكى إلى أن قرينة الاستعارة المكنية تارة تكون استعارة تحقيقية استعير اللفظ لأمر محقق حسا أو عقلا، وتارة تكون استعارة تخييلية أستعير فيها اللفظ لأمر متخيل وهمى، وتارة تكون حقيقة، فالاول كما فى ينقضون عهد الله، و يل يا أرض ابلعى ماءك، والثانى كما فى يد الشمال وعين العناية، والثالث كما فى قولنا بنى الأمير المدينة وهزم الجند بناء على ما قرره من رد المجاز العقلى الى المكنية.

٣ - أما الاستعارة التخييلية فقد ذهب الخطيب والقوم الى أنها اثبات لازم المشبه به للمشبه، فهى من المجاز العقلى على توسع فيه، ولفظ ذلك اللازم باق على معناه حقيقة لغوية، وهو ملازم للاستعارة بالكناية لا ينفك عنها كما لا تنفك المكنية عن التخييلية فيها متلا زمان. وأما مثل قولهم أنشبت المنية الشبيهة بالسبع أظفارها بفلان، فليس من أساليب البلغاء أو هو من باب ترشيح التشبيه؛ والترشيح كما يكون فى الاستعارة مثل أنشبت المنية أظفارها بفلان ولها لبد وزئير، يكون فى التشبيه مثل هى الشمس مسكنها فى السماء، ويكون فى المجاز المرسل مثل أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا، ويكون فى المجاز العقلى مثل سالت بأعناق المطى الأباطح، ويكون فى التصريحة أيضا

وذهب السكاكى الى أن التخييلية هى اسم لازم المشبه بة المستعار للصورة الوهمية التى أثبتت للمشبه، فهى ما كان المستعار له فيها أمرا متخيلا، فالمشبة فيها ليس

. . . . . .

بمحقق حسا ولا عقلا بل هو صورة وهمية كيد الشمال وعين العناية المخترعتين بواسطة الوهم . وفى هذا الرأى كثرة اعتبارات لا داعى لها فهو من التعسف ويلزمه أن يقول بمثل ذلك فى ترشيح الاستعارة المصرحة ولا سبيل الى ادعاء التخييل فيه . والسكاكى يجوز انفراد التخييليه عن المكنية مع اعترافه بخلوها من الحسن عند الانفراد ، وقد استدل على هذا بقول أبى تمام : « لاتسقنى ماء الملام » ، ولاحجة له فى ذلك لاحتمال أن يكون من اضافة المشبه به للمشبه أو من باب المكنية بتشبيه الملام بظرف شراب مكروه ، وعلى كل لم يخل الاسلوب من القبح . ويجوز السكاكى أيضا انفراد المكنية عن التخييلية كما إذا كانت القرينة حقيقية أو استعارة تحقيقية

وخلاصة ذلك كله هو :

١ — مذهب القوم المكنية هى لفظ المشبه به المستعار للمشبه المحذوف المرموز إليه بشىء من لوازمه ، واثبات لازم المشبه به للمشبه استعارة — مع بقاء ذلك اللازم على حقيقته ـ قرينة ـ كرأى الخطيب وهو استعارة تخييلية كرأى الخطيب

٢ — مذهب الزمخشرى : المكنية رأيه فيها هو رأى القوم ، والقرينة عنده قد تكون استعارة تخييلية أو تحقيقية ، والتخييلية رأيه فيها هو رأى القوم .

٣ — ومذهب المصنف : المكنية هى التشبيه المضمر فى النفس المتروك أركانه سوى المشبه المدلول عليه باثبات لازم المشبه به للمشبه ، والقرينة عنده إثبات لازم المشبه به للمشبه مع بقاء ذلك اللازم على حقيقته ، وذلك الاثبات يسمى استعارة تخييلية . ويلزم على مذهبه التلازم بين المكنية والتخييلية والتخييلية عنده تكون مجازا عقليا .

٤ — ومذهب السكاكى أن المكنية هى لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به ادعاء والقرينة تارة تكون استعارة تحقيقية وتارة استعارة تخييلية وتارة تكون حقيقة

. . . . . .

= والتخييلية هذه هى اسم لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية التى أثبتت للمشبه - ويلزم على مذهبه ان التخييلية مجاز لغوى وأنه لا تلازم بينها وبين المكنية

ولنأت بمثال نجرى فيه الاستعارة على رأى الجميع ، تقول : « هو طالب يصرع أقرانه فى ميدان العلم » :

١ - فمذهب الخطيب أننا شبهنا الطالب بمحارب شجاع مظفر تشبيها مضمرا فى النفس ثم حذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية ورمز إليه بشىء من لوازمه على سبيل الاستعارة التخييلية

٢ - وعلى مذهب القوم شبه الطالب بمحارب تشبيها مضمرا فى النفس وادعينا أن المشبه فرد من أفراد المشبه به فاستعرنا المشبه به للمشبه ثم حذفناه على سبيل الاستعارة المكنية ورمزنا إليه بشىء من لوازمه على سبيل الاستعارة التخييلية .

٣ - وعلى مذهب السكاكى شبه الطالب بمحارب حقيقى وادعينا أن المشبه فرد من أفراد المشبه به فصار المشبه به فردان متعارف وهو المحارب وغير متعارف وهو الطالب فاستعرنا اسم المشبه وهو الطالب الحقيقى للمشبه به وهو ذلك الفرد الغير المتعارف أى المحارب الادعائى وهو الطالب المدعى أنه محارب على سبيل المكنية . واسم لازم المشبه به وهو « يصرع أقرانه فى ميدان العلم » استعارة تخييلية .

٤ - ومذهب الزمخشرى اننا شبهنا الطالب بمحارب وادعينا أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وحذفنا لفظ المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية ثم استعرنا صرع الاقران للتفوق عليهم بجامع اذهاب أثرهم فى كل وذلك استعارة تحقيقية أصلية واشتق من الصرع بمعنى التفوق يصرع بمعنى يتفوق على سبيل الاستعارة التحقيقية التبعية فقرينة المكنية عنده قد تكون استعارة تحقيقية كما تكون استعارة تخييلية

قد [١] يضمر التشبيه [٢] فى النفس [٣] فـــلا يصرح بشىء من

---

(١) المكنية والتخييلية عند المصنف أمران معنويان أى فعلان من أفعال المتكلم القائمة بنفسه ، وهما غير داخلين فى تعريف المجاز الذى هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة ، فالمجاز من عوارض الألفاظ وهما عند المصنف ليسا بلفظين لأن أحدهما التشبيه المضمر والآخر إثبات لوازم المشبه به للمشبه .

فالاستعارة عنـــد المصنف ثلاثة : مصرحة ــ مكنية ــ تخييلية ولفظ الاستعارة يطلق عليها بطريق الاشتراك اللفظى ، ولكن بعضها داخل فى تعريف المجاز وبعضها غير داخل فيه عند المصنف .

ا ـ هذا وجملة القول أن المكنية :

١ ـ عند القوم هى اسم المشبه به المستعار فى النفس للمشبه ، وإثبات لازمه للمشبه استعارة تخييلية .

٢ ـ وعند السكاكى هى لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به ادعاء بقرينة استعارة ما هو من لوازم المشبه به لصورة متوهمة متخيلة شبهت به أثبتت للمشبه .

٣ ـ وعنـــد الخطيب هى التشبيه المضمر فى النفس المدلول عليه باثبات لازم المشبه به للمشبه ، وهو الاستعارة التخييلية .

ب ـ والخلاف فى التخييلية يرجع إلى قولين :

١ ـ فمذهب المصنف والقوم ـ الزمخشرى انها إثبات لازم المشبه به للمشبه .

٢ ـ ومذهب السكاكى انها اسم لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية التى أثبتت للمشبه .

ولكن الزمخشرى يزيد على القوم أن قرينة المكنية كما تكون تخييلية تكون أيضا استعارة تحقيقية .

فعلم من كل هذا أن فى المكنية ثلاثة مذاهب ، وفى التخييلية مذهبين ، وفى قرينة المكنية ثلاثة مذاهب =

اركانه [١] سوى لفظ المشبه [٢] ، ويدل عليه [٣] بأن يثبت للمشبه [٤] أمر مختص بالمشبه به [٥] ، من غير ان يكون هناك أمر ثابت حسا أو عقلا أجرى عليه اسم ذلك الأمر [٦]

فيسمى التشبيه [٧] استعارة بالكناية أو مكنيا عنها [٨] ، وإثبات

= (٢) أى تشبيه شىء بشىء على وجه المبالغة وادعاء المشبه فى نفسه أن المشبه داخل فى جنس المشبه به .

(٣) أى فى نفس المتكلم .

(١) أى أركان التشبيه .

(٢) وأما وجوب ذكر المشبه به باقيا على معناه الحقيقى فانما هو فى التشبيه المصطلح عليه ، أى وهو ما لا يكون على وجه الاستعارة ، بحيث يدل عليه بالأداة ظاهرة أو مقدرة ، وأما ما كان على وجه الاستعارة فلا يكون المشبه به فيه باقيا على معناه الحقيقى . هذا والتشبيه المصطلح عليه غير الاستعارة بالكناية وغير الاستعارة التحقيقية التصريحية وغير التجريد .

(٣) أى على ذلك التشبيه المضمر فى النفس .

(٤) أى المذكور .

(٥) أى بأن يكون من لوازمه المساوية له .

(٦) أى يطلق عليه اسم ذلك الأمر الخاص بالمشبه به .

(٧) أى ذلك التشبيه المضمر فى النفس .

(٨) أما تقييد اسمه بالكناية أو بالمكنى عنها فلأن ذلك التشبيه لم يصرح به بل إنما دل عليه بذكر خواص المشبه به ولوازمه ، وأما تسمية ذلك التشبيه المضمر بالاستعارة فمجرد تسمية خالية عن المناسبة لأن الاستعارة هى الكلمة المستعملة الخ والتشبيه المضمر ليس كذلك ، وقد يقال أنه يسمى استعارة لأنه أشبهها فى ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به فلما ذكرت اللوازم وأثبتت للمشبه دل =

ذلك الأمر [١] للمشبه استعارة تخييلية [٢] .

والعلم فى ذلك قول لبيد [٣] :

وغداة ريح قد كشفت وقرة

إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

فانه جعل للشمال يدا ، ومعلوم أنه ليس هناك أمر ثابت حسا أو عقلا تجرى اليد عليه ، كاجراء الأسد على الرجل الشجاع ؛ والصراط

= ذلك على أن المشبه ادعى دخوله فى جنس المشبه به حتى استحق خواصه، وادعاء الدخول شأن الاستعارة ، فسمى ذلك التشبيه استعارة لأجل ذلك .

(١) أى المختص بالمشبه به .

(٢) لأنه قد استعير أى نقل وأثبت للمشبه ذلك الأمر الذى يخص المشبه به وبه يكون كمال المشبه به أو قوامه - والمراد أن به يكون كمال أو قوام وجه الشبه فى المشبه كما فى اظفار المنية ولسان الحال - ، ليخيل أن المشبه من جنس المشبه به .

(٣) راجعه فى الأسرار ص ٣٤ ، وفى الدلائل ص ٥٣ و ٣٢٤ و ٣٥٤ ، وفى الصناعتين ص ٢٧٩ ، والوساطة ص ٣٨ ، والبديع لابن المعتز شرح محمد عبد المنعم خفاجى ص ١١ .

القرة : البرد . الشمال أبرد الرياح . يريد أنه يكف عادية البرد عن الناس باطعامهم ونحر الجزور لهم .

ملاحظة : جعلت التخييلية استعارة وسمى ذلك اللازم بها لأجل أن متعلقه وهو الأمر المختص بالمشبه به نقل عن ملائمه وأثبت للمشبه الذى شبه بما يناسبه. وأما تسميته تخييلية فلأن متعلقه وهو الأمر المختص بالمشبه به لما نقل عن ملائمه وأثبت للمشبه صار يخيل للسامع أنه من جنس المشبه به .

على ملة الاسلام فيما سبق ، ولكن لما شبه الشمال لتصريفها القوة على حكم طبيعتها فى التصريف ، بالانسان المصرف لما زمامه بيده ، أثبت لها يداً على سبيل التخييل ، مبالغة فى تشبيهها به ، وحكم الزمان فى استعارته للقوة حكم اليد فى استعارتها للشمال ، فجعل للقوة زماما ليكون أتم فى إثباتها مصرفة ، كما جعل للشمال يداً ليكون أبلغ فى تصييرها متصرفة ، فوفى المبالغة حقها من الطرفين . فالضمير فى أصبحت وزمامها للقوة وهو قول الزمخشرى ؛ والشيخ عبد القاهر جعله للغداة ، والأول أظهر

واعلم أن الأمر المختص بالمشبه به المثبت للمشبه :

[١ -] منه ما لا يكمل المشبه فى المشبه به بدونه كما فى قول أبى ذؤيب الهذلى :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع (١)

فانه شبه المنية بالسبع ، فى اغتيال النفوس بالقهر والغلبة ، من غير تفرقة بين نفاع وضرار ، ولا رقة لمرحوم ولا بقيا على ذى فضيلة ،

---

(١) راجع البيت فى ص ١١ البديع لابن المعتز شرح محمد عبد المنعم خفاجى وص ٢٠١ المفضليات ، ١١٥ موازنة ، ٢٧٩ صناعتين .

انشبت : علقت . التميمة : الخرزة التى تجعل معاذة .

فأثبت للمنية الأظفار التى لا يكمل ذلك فى السبع بدونها ، تحقيقاً للمبالغة فى التشبيه .

(٢ —) ومنه ما به يكون قوام وجه الشبه فى المشبه به كما فى الآخر :

ولئن نطقت بشكر برك مفصحاً فلسان حالى بالشكاية أنطق [١]

فانه شبه الحال الدالة على المقصود بانسان متكلم ، فى الدلالة ، فأثبت لها اللسان الذى به قوام الدلالة فى الانسان . وأما قول زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله . . وعرى أفراس الصبا ورواحله [٢]

---

(١) شبه الحال بانسان متكلم — على تقدير أن لسان الحال ليس من قبيل اضافة المشبه به للمشبه كلجين الماء — فى الدلالة على المقصود ، وهو استعارة بالكناية .

(٢) راجعه فى ص ٣٦ الأسرار ، وص ١٦٠ مفتاح ، و٢٧٦ صناعتين ، و١٦٩ وساطه ، و٣٨ الوساطة أيضا ، ص ٨ البديع لابن المعتز شرح محمد عبد المنعم خفاجى — صحا القلب أى سلا مجازا . وقد شبه السلو الذى هو زوال العشق بالصحو الذى هو زوال السكر واستعير اسم المشبه به للمشبه استعارة تصريحية تبعية ، فأصل الصحو بمعنى خلاف السكر . عن سلمى أى عن حبها . أقصر باطله : يقال أقصر فلان عن الشىء إذا أقلع عنه أى تركه وامتنع عنه مع القدرة عليه أى امتنع وانتفى باطله عنه وترك الباطل ذلك القلب ملتبسا بحاله الأصلى وهو الخلو من العشق ، وقولنا إنما امتنع الخ ، تفسير لقول الشاعر « أقصر باطله » تفسير مراد ، فالمراد من الاقصار معناه المجازى وهو مطلق الامتناع لا الامتناع مع القدرة الذى هو معنى الاقصار الحقيقى . وأقول : لم لانجعل الاسناد « فى أقصر باطله » مجازيا بدلا من جعل التجوز فى طرف الأسناد وهو « أقصر »

فيحتمل ان يكون استعارة تخييلية وأن يكون استعارة تحقيقية :
أما التخييل فأن يكون أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه أو ان المحبة من الجهل والغى ، وأعرض عن معـاودته [١] ، فتعطلت آلاته [٢] كأى أمر وطنت النفس على تركه ، فانه تهمل آلاته فتتعطل ، فشبه [٣] الصبا بجهة من جهات المسير [٤] كالحج والتجارة قضى منها [٥] الوطر فأهملت آلاتها [٦] فتعطلت ، فأثبت له [٧] الافراس والرواحل [٨] ، فالصبا على على هذا [٩] من الصبوة بمعنى الميل الى الجهل والفتوة ، لا بمعنى الفتاء [١] ؛

---

(١) وهذا معنى « اقصر باطله »

(٢) أى التى توصل إليه ، والضمير فى « معاودته » « وآلاته » لما كان يرتكبه « وتعطلت آلاته » تفسير لقوله « وعرى الخ » ، فلما كان ترك معاودة الشىء مستلزما لبطلان ما يوصل إليه من حيث أنه يوصل إليه رتب « فبطلت الاته » على ذلك الترك وأما الأفراس والرواحل وتعريتها أو التعرى عنها فعلى حقيقتها

(٣) أى شبه الشاعر فى نفسه

(٤) أى من الجهات التى يسار إليها لتحصيل حاجة كجهة الحج

(٥) أى من تلك الجهة

(٦) أى الموصلة إليها كالأفراس والأعوان والمال . ووجه الشبه الاشتغال التام وركوب المسالك الصعبة فى كل من السير والصبا ، فالوجه مركب من عدة أمور وهذا التشبيه المضمر فى النفس استعارة بالكناية

(٧) أى للصبا

(٨) أى التى بها قوام جهة المسير والسفر التى يسار اليها ، فاثبات الأفـــراس والرواحل استعارة تخييلية

(٩) أى على هذا التقدير وهو أن يكون هو المشبه وجهة المسير مشبها به =

وأما التحقيق فأن يكون أراد[١] دواعى النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة لها فى استيفاء اللذات[٢] ، أو الأسباب التى قلما تتآخذ[٣] فى اتباع الغى إلا أوان الصبا[٤]

= (١٠) أى لا من الصباء بالفتح والمدمن صبى صباء مثل سمع سماعا أى لعب مع الصبيان

(١) أى بالأفراس والرواحل

(٢) أى فشبه الدواعى بالأفراس بجامع ان كلا آلة واستعار اسم المشبه به للمشبه استعارة تصريحية تبعية

(٣) أى تجتمع وتتفق

(٤) أى مثل المال والأخوان والأعوان . فتكون استعارة الأفراس والرواحل تحقيقية لتحقق معناها عنلا إذا أريد بهما الدواعى وحسا اذا أريد بهما أسباب اتباع الغى من المال وغيره

هذا وقد مثل المصنف بثلاثة أمثلة : الأول التخييلية فيها اثبات ما به كمال المشبه به فى وجه الشبه ، والثانى اثبات ما به قوام المشبه به والثالث ما يحتمل التخييلية والتحقيقية مما يكون به قوام الوجه أو كماله لان السفر المعتد به لا يكون بدون الأفراس ، وعند حمل الاستعارة فى البيت على التحقيقية تنتفى المكنية عند المصنف والقوم لتلازم المكنية والتخييلية عندهما ، وأما على رأى الزمخشرى من جواز كون قرينة المكنية تحقيقية فلا تنتفى المكنية عند الحمل على التحقيقية

ملاحظات .

١ - تفسير الخطيب للمكنية لا مستند له فى كلام السلف كما يقول السعد ولا هو مبنى على مناسبة لغوية

ومعنى المكنية عند السلف هو أن لا يصرح بذكر المستعار وهو المشبه به بل =

. . . . . .

= يصرح بذكر رديفه ولازمه الدال عليه، فالمقصود بقولنا «أظفار المنية» استعارة السبع للمنية كاستعارة الأسد للرجل الشجاع الا أنا لم نصرح بذكر المستعار أعنى السبع بل اقتصرنا على ذكر لازم مدلول لفظ السبع وهو الأظفار لينتقل من ذلك اللازم الى المقصود استعارته وهو السبع، كما هو شأن الكناية، فالمستعار هو لفظ السبع الغير المصرح به والمستعار منه هو الحيوان المفترس والمستعار له هو المنية. قال صاحب الكشاف: «ان من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء - أى اللفظ المستعار أي اذ كان المقام مقتضيا للاستعارة دون الحقيقة بأن كان مقام تأكيد ومبالغة فى مدح أو ذم - ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بذلك الرمز على مكانه نحو شجاع يفترس اقرانه، ففيه تنبيه على ان الشجاع اسد»، وكلام الزمخشرى صريح فى ان المستعار هو المشبه به المتروك صريحا المرموز إليه بذكر لوازمه، فرأيه كرأى القوم فى المكنية إلا أنه يخالفهم فى قرينتها، لأنها عند السلف يجب أن تكون تخييلية وعنده لايجب ذلك بل قد تكون تحقيقية عنده، فالقرينة عنده ضابطها أنه إذا لم يكن للمشبه لازم يشبه رادف المشبه به كانت القرينة تخييلية كأظفار المنية وان كان للمشبه لازم يشبه رادف المشبه به كانت تلك القرينة استعارة تحقيقية كما فى «ينقضون عهد الله»، فان القرينة فيه عند السلف تخييلية وهى اثبات النقض الذى هو من لوازم الحبل للعهد، وعنده أنه شبه العهد بالحبل فى النفس بجامع الربط فى كل وادعى ان العهد فرد من أفراد الحبل واستعير له اسمه فى النفس على طريق المكنية، وشبه إبطال العهد بنقض الحبل واستعير النقض للابطال واشتق من النقض ينقض بمعنى يبطل على طريق الاستعارة التصريحية التحقيقية التبعية، ثم ان المستعار على مذهبه كالقوم هو المستعار المحذوف أى المشبه به المحذوف وهذا مشكل لأن اللفظ المستعار من أفراد المجاز اللغوى الذى هو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له، والأسد المتروك أمر مضمر فى النفس لم يقع فيه استعمال فى غير ما وضع له، اللهم الا أن يجاب بان المجاز الكلمة المستعملة أى تحقيقا أو تقديرا =

. . . . . .

٢ على تفسير الخطيب للمكنية والتخييلية يكون كل من لفظى الأظفار والمنية حقيقة مستعملة فى معناها الموضوع له وليس فى الكلام مجاز لغوى

لانه الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له الخ وليس فى أظفار المنية لفظ مستعمل فى غير ما وضع له وانما المجاز الذى فى ذلك هو اثبات شىء لشىء ليس هو له وهذا مجاز عقلى فالمصنف يخالف القوم فى المكنية لا التخييلية فانه يوافقهم فيها.. أما السكاكى فيخالفهم فيهما

وعلى تفسيره أيضا الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية فعلان من أفعال المتكلم وهما التشبيه والاثبات ، لا لفظان، وهما متلازمان أيضا إذ التخييلية يجب أن تكون قرينة للمكنية البتة فلا توجد بدون المكنية لأنها لو صحت مع التصريحية او مع مجاز آخر كانت ترشيحا إذ الترشيح يكون فى غير المكنى عنها والتخييل يكون فيها وإن كان كل منهما لازما للمشبه به فالترشيح للتصريحية أو المجاز المرسل والتخييلية للمكنية ثم التخييل لا بد أن يكون به كمال أو قوام وجه الشبه فى المشبه به أما الترشيح فيكون بمطلق لازم مختص ، ثم كما سبق يجب أن يعلم أن الترشيح يكون للتشبيه وللتصريحية وللمجاز المرسل والعقلى كما يكون فى المكنية بعد وجود قرينتها التى هى التخييلية ويصح فى هذه الحالة جعله ترشيحا للتخييلية الواقعة قرينة للمكنية لأنها اما مصرحة كما يقول السكاكى أو مجاز عقلى كما يقول غيره وكل منهما يجوز ترشيحه، فضابط الترشيح أن يذكر ما يلائم المشبه به أو المتجوز عنه أو الأصل الذى حق الاسناد أن يكون له ففى الاستعارة والمجاز المرسل يعتبر بعد قرينتهما وفى التشبيه والمجاز العقلى يعتبر مطلقا فمثاله فى التصريحية لدى أسد شاكى السلاح الخ ومثاله فى المكنية أظفار المنية لها لبد وفى المجاز العقلى وسالت بأعناق المطى الأباطح لأن أعناق المطى مناسب لمن ثبت له السير حقيقة وهم القوم فهو ترشيح للمجاز العقلى

ومثاله فى التشبيه « أظفار المنية الشبيهة بالسبع أهلكت فلانا ، ومثاله فى المجاز المرسل « أطو لكن ، فى قوله (ص) : اسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا ، فهو=

فصل

(فى مناقشة آراء للسكاكى فى الحقيقة والمجـــاز)

اعلم أن كلام السكاكى فى هذا الباب — أعنى الحقيقة والمجاز — والفصل الذى يليه ، مخالف لمواضع مما ذكرنا فلا بد من التعرض لها ولبيان ما فيها ، منها أنه :

[تعريف السكاكى للحقيقة اللغوية [1] :]

عرف الحقيقة اللغـوية بالـكلمة المستعملة فيما هى موضوعة له من

من الطول وهو الانعام وهو ملائم لليد الأصلية والصحيح أنه يلائم أيضا النعمة فلا يكون ترشيحا وجعله من الطول ليناسب اليد الأصلية يكون ترشيحا يؤدى الى خلو الـكلام عن الأخبـــار بكثرة الجود إلا أن يقال ان الطـول بالضم مستعار للاتساع فى العطاء وهو ترشيح باعتبار أصله

٣ ـــ قال ابن يعقوب : ذكر عبد القاهر فيما سماه المصنف تخييـلا ما يناسب ما ذكره المصنف فقال فى يد الشمال اليـد ثبتت للشمال مع أنهـا ليست من لوازمه لامعنى نقلت له بل لتدل على تشبيه الشمال بمالك له تصرف ؛ ولـكن لم يسم التشبيه الذى جعلت اليد دليلا عليه استعارة لا بالـكنـاية ولا بغيرها وانمـا قال : اليد استعير ليدل على التشبيه ؛ وأما السكاكى فجعل المنية استعـــارة بالـكناية لأنها استعيرت للسبع ادعاء وجعل التخييلية هى الأظفار على أنها نقلت لصورة وهمية

٤ ـــ لا فرق بين رأى الخطيب وعبد القاهر فى المـكنية ، إلا ان عبدالقاهر نظر الى الرادف وفصل الـكلام فيه والخطيب نظر الى التشبيه وتكلم عن المحذوف والمذكور منه كما تكلم السكاكى عن المشبه والسعد وغيره عن المشبه به . ومذهب عبد القاهر قريب من الذوق والوجدان ويقاربه مذهب الخطيب

(١) راجع ص ١٥١ مفتاح .

غير تأويل فى الوضع وقال : إنما ذكرت هذا القيد ، يعنى قوله « من غير تأويل فى الوضع » ، ليحترز به عن الاستعارة ؛ ففى الاستعارة تعد الكلمة مستعملة فيما هى موضوعة له على أصح القولين [1] ؛ ولا نسميها حقيقة ، بل نسميها مجازا لغويا ، لبناء دعوى المستعار موضوعا للمستعار له على ضرب من التأويل [2] كما مر

---

(١) وهو القول بان الاستعارة مجاز لغوى لكونها مستعملة فى غير الموضوع له الحقيقى فيجب الاحتراز عنها ، وأما على القول بأنها مجاز عقلى واللفظ مستعمل فى معناه اللغوى أى وهذا الفرد الغير المتعارف كالشجاع مثلا فى « رأيت أسدا يرمى » معنى لغوى للأسد بسبب الادعاء وجعل الأسد شاملا له ، وضعف ذلك القول لأن الاستعارة وإن بولغ فيها فى التشبيه حتى أدعى دخول المشبه فى جنس المشبه به لا يقتضى ذلك كونها مستعملة فيما وضعت له إبتداء ، وإنما هى مستعملة فى غير ما وضعت له بالاصالة ، فلا يصح الاحتراز عنها : والحاصل أن الاستعارة موضوعة قطعا على كل قول وإنما الخلاف فى أنها مجاز لغوى بمعنى أن التصرف فيها فى أمر لغوى وهو اللفظ لأنه استعمل فى غير ما وضع له ابتداء أو عقلى بمعنى أن التصرف فيها فى أمر عقلى وهو جعل غير الأسد أسدا وأما اللفظ فهو المستعمل فيما وضع له فعلى الثانى هى حقيقة لغوية لا يصح إخراجها وإنما يخرج به المجاز المرسل ، وعلى الأول لا تخرج بالوضع للاتفاق على وضعها بل تخرج بقولنا « من غير تأويل » لأن وضعها للمشبه بتأويل إى إدعاء أنه من جنس المشبه به الذى وضع له اللفظ أصالة .

(٢) أى وضعا ملتبسا بتأويل وصرف للوضع عن الظاهر فيه وذلك بادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به بجعل أفراده قسمين متعارف وغير متعارف

[تعريف السكاكى للمجاز اللغوى [١]] :

ثم عرف المجاز اللغوى بالكلمة المستعملة فى غير ما هى موضوعة [٢] له بالتحقيق [٣] : استعمالا فى [٤] الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها ، مع قرينة مانعة عن ارادة معناها فى ذلك النوع [٥] ، وقال فولى « بالتحقيق

---

(١) ص ١٥٣ مفتاح .

(٢) أى فى معنى مغاير للمعنى الذى وضعت الكلمة له :

(٣) أى وضعا ملابسا للتحقيق أى لتحقيقه أى تثبيته وتقريره فى أصله بأن يبقى ذلك الوضع على حاله الأصلى الذى هو تعيين اللفظ الدلالة على المعنى بنفسه فخرج بقوله غير ما وضعت له الكلمة المستعملة فى ما وضعت له وضعا حقيقيا وأدخل بقيد التحقيق الكلمة المستعملة فيما وضعت له بالتأويل الذى هو كون اللفظ بحيث يستعمل فى ما أدخل بالادعاء فى جنس الموضوع له بالتحقيق .

(٤) أى المستعملة إستعمالا فى غير ما هى موضوعة له ، وصرح به مع فهمه من قوله « فى غير ما وضعت له » توطئة لذكر الغير بعده ليتعلق به قوله « بالنسبة » فالمعنى أن المجاز هو الكلمة المستعملة فى معنى مغاير للمعنى الذى وضعت له الكلمة وضعا حقيقيا وتلك المغايرة بين المعنيين بالنسبة الى نوع حقيقة الكلمة عند المستعمل أى بالنسبة إلى كونها حقيقة أى بالنسبة الى معناها الموضوع له عند المتكلم فقوله بالنسبة متعلق بالغير .

(٥) أى الحقيقى عند المستعمل لغويا أو شرعيا أو عرفيا . وخرج بذلك الكناية واللام فى الغير للعهد أى المستعملة فى معنى غير المعنى الذى الكلمة موضوعة له فى اللغة أو الشرع أو العرف ، غير بالنسبة إلى نوع حقيقة الكلمة حتى لو كان نوع حقيقتها لغويا تكون الكلمة قد استعملت فى غير معناها اللغوى فتكون مجازا لغويا وعلى هذا القياس ، وقوله استعمالا فى الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها بمنزلة قولنا فى اصطلاح به التخاطب لان معناه أن المجاز كلمة مستعملة فى غير المعنى الذى يقع به التخاطب والاستعمال وهذا يفيد ما أفاده التعبير الأول .

احتراز أن لا تخرج الاستعارة التى هى من باب المجاز ، نظراً إلى دعوى استعمالها فيما هى موضوعة له على مامر [١] ، وقوله استعمالا فى فى الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها بمنزلة قولنا فى تعريف المجاز فى اصطلاح به التخاطب على مامر ؛ وقوله مع قرينة الخ احتراز عن الكناية كما تقدم

[نقد التعريفين] :

وفيهما نظر :

(١ —) لأن لفظ الوضع ومايشتق [٢] منه إذا أطلق [٣] لا يفهم منه الوضع بتأويل [٤] وإنما يفهم منه الوضع بالتحقيق ، لما سبق من

---

(١) فقيد « بالتحقيق » لتدخل الاستعارة التى هى مجاز لغوى فى تعريف المجاز على ما مر من أنها مستعملة فيما وضعت له بالتأويل لا بالتحقيق ، فلو لم يقيد الوضع بالتحقيق لم تدخل هى فى التعريف لأنها ليست مستعملة فى غير ما وضعت له بالتأويل بل هى مستعملة فيما وضعت له بالتاويل ، وظاهر عبارة صاحب المفتاح هنا فاسد ، لأنه قال : وقولى بالتحقيق إحتراز عن أن لا تخرج الاستعارة ، وظاهر أن الاحتراز إنما هو عن خروج الاستعارة اذ بهذا تدخل فى التعريف لا عن عدم خروجها ، فيجب أن تكون « لا زائدة ، أو يكون المعنى احتراز لئلا تخرج الاستعارة أى لأجل تحقيق عدم خروجها الذى هو دخولها .

(٢) كالموضوعة مثلا .

(٣) أى عن التقييد بالتحقيق أو بالتاويل والمراد بالتأويل ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به

(٤) بل ينصرف للفرد الكامل وهو الوضع الحقيقى ، لأن السكاكى قد =

تفسير الوضع ، فلا حاجة إلى تقييد الوضع فى تعريف الحقيقة بعدم التأويل ، وفى تعريف المجاز بالتحقيق اللهم إلا أن يراد زيادة البيان لا تتميم [١] الحد

(٢ —) ثم تقييد الوضع باصطلاح التخاطب ونحوه إذا كان لا بد منه فى تعريف المجاز ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعملها المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء مجازا ، فـــلا بد منه فى تعريف الحقيقة أيضا ليخرج نحو هذا اللفظ منه كما سبق [٢] ، وقد أهمله فى تعريفها ؛ لا يقال

= فسر الوضع المطلق بتعيين اللفظ بازاء المعنى بنفسه أى من غير قرينة ، وقال : وقولى « بنفسه » احتراز عن المجاز المعين بازاء معناه بقرينة ولا شك أن دلالة الاسد على الرجل الشجاع على وجه الاستعارة إنمـــا هو بالقرينة . وظاهر أن هذا المجاز موضوع بالوضع الشخصى مع أن المتقرر أنه موضوع بالنوع [راجع ١٧٤ ج ٤ ابن يعقوب] - فحينئذ لا حاجة الى تقييد ذلك الوضع فى تعريف الحقيقة بعدم التاويل لأجل إخراج الاستعارة لأنها خارجة بقوله « ما وضعت له » ، ولا الى تقييد الوضع فى تعريف المجاز بالتحقيق لأجل ادخال الاستعارة لأنها داخلة فى التعريف بقيد الوضع ولا يحتاج لقيد التحقيق بعده لإدخالها فيه .

(١) هذا جواب أول عن السكاكى وهو جواب بالتسليم ويمكن أن نجيب بعدم التسليم وذلك بان نقول : الوضع اذا أطلق يتناول الوضع بالتاويل بحسب ما عرض للوضع من الاشتراك اللفظى فاتى السكاكى بالقيد ليدل على أن المراد بالوضع فى التعريف ليس مطلق الوضع الشامل للتحقيق والتاويل بل المراد به التحقيق فقط .

(٢) لأنه مستعمل فيما وضع له فى الجملة أى باعتبار بعض الاصطلاحات وهو =

قوله فى تعريفها «من غير تأويل فى الوضع» أغنى عن هذا القيد، فان استعمال اللفظ فيما وضع له فى غير اصطلاح التخاطب إنما يكون بتأويل فى وضعه، لأن التأويل فى الوضع يكون فى الاستعارة على أحد القولين دون سائر أقسام المجاز؛ ولذلك قال «وانما ذكرت هذا القيد

= اصطلاح اللغويين وإن لم يكن ما وضع له فى هذا الاصطلاح ويمكن الجواب عن هذا

١ - بأن قيد الحيثيـــة مراد فى تعريف الأمور التى تختلف باختـــلاف الاعتبارات، ولا يخـــفى أن الحقيقة والمجاز كذلك، لأن الكلمة الواحدة كلفظ الصلاة بالنسبة الى المعنى الواحد كالدعاء قد تكون حقيقة أى باعتبار وضع اللغة وقد تكون مجازا أى باعتبار وضع الشرع، بحسب وضعين مختلفين، فالمراد أن الحقيقة هى الكلمة المستعملة فيما هى موضوعة له من حيث إنها موضوعة له لاسيما أن تعليق الحكم - وهو الاستعمال المأخوذ من مستعملة - بالوصف - وهو الوضع المأخوذ من وضعت - مفيد للمعنى المراد، كما يقال: الجواد لا يخيب سائله، أى من حيث أنه جواد، وحينئذ يخرج عن التعريف مثل لفظ الصلاة المستعملة فى عرف الشرع فى الدعاء لأن استعماله فيه ليس من حيث إنه موضوع للدعاء بل من حيث إن الدعاء جزء من الموضوع له وهو الهيئة المأخوذة من الأقوال والأفعال

٢ — وقد يجاب بأن قيد «اصطلاح به التخاطب» مراد فى تعريف الحقيقة لـــكنه اكتفى بذكره فى تعريف المجاز لكون البحث عن الحقيقة غير مقصود بالذات فى هذا الفن. ويرد بأن التعريفات يجب أن يكون كل واحد منها مستقلا منقطعا عن غـــيره

٣ - أو بأن اللام فى الوضع للعهد أى الوضع الذى وقع به التخاطب فلا حاجة الى هذا القيد ويرد هذا بأن المعهود هو مطلق الوضع وهو أعم من الوضع الذى روعى فى اصطلاح التخاطب دون غيره ولا إشعار للأعم بالأخص الذى هو المرعى فى اصطلاح التخاطب فلا يخرج به ما ذكر

القيد [١] ليحترز به عن الاستعارة

[٣ —] ثم تعريفه للمجاز يدخل فيه الغلط كما تقدم [٢]

[التمثيل وهل عده السكاكى من المجاز المفرد [٣] ؟] :

ومنها أنه قسم المجاز [٤] إلى الاستعارة وغيرها [٥] ، وعرف الاستعارة

---

(١) قوله «لأن التأويل فى الوضع الخ» هو جواب لقوله : لا يقال، لا تعليل له كما فهم البعض .

(٢) لأن الفرس فى «خذ هذا الفرس» مشيرا إلى كتاب بين يديه مستعمل فى غير ما وضع له ، والاشـــارة إلى الكتاب قرينة على أنه لم يرد بالفرس معناه الحقيقى ؟

وأجيب بأن نصب القرينة يستدعى اختياره فى المنصوب والشعور به وذلك مفقود فى الغلط ، ثم هذا الاعتراض انما يرد إذا كان المراد بالغلط سبق اللسان، أما إن كان المراد به الخطأ فى الاعتقاد فلا يرد بناء على أن اللفظ موضوع للمعنى الذهنى لأن الغالط إنما أطلق الفرس على معناه .

(٣) راجع ص ١٥٦ من المفتاح .

(٤) أى اللغوى الراجع إلى معنى الكلمة المتضمن للفائدة .

واحترز بذلك عن اللفظ الدال على المقيد إذا استعمل فى المطلق كالمرسن (أنف البعير) يستعمل فى أنف الانسان من حيث أنه مطلق أنف ومن حيث تشبيهه به فى الانبطاح فانه مجاز لم يتضمن فائدة لأن المعنى الأصلى للكلمة موجود فى ضمن المعنى الذى استعملت فيه الآن :

(٥) لأنه إن تضمن المبالغة فى التشبيه فهو استعارة وإن لم يتضمنها ولكن فيه فائدة أخرى كما تقدم فى إطلاق العين على الربيئة فهو غير أستعارة بل مجاز مرسل ، فالمجاز المرسل ما تضمن فائدة غير المبالغة فى التشبيه ، وأما اسم المقيد فى المطلق فخارج عن المجاز المرسل عنده ويسمى المجاز الخالى من الفائدة .

بأن تذكر أحد طرفى التشبيه وتريد به [١] الطرف الاخر [٢] مدعيا دخول المشبه فى جنس المشبه به [٣]، وقسم الاستعارة إلى المصرح بها والمكنى عنها [٤]، وعنى بالمصرح بها أن يكون المذكور من طرفى التشبيه هو المشبه به، وجعلها [٤] ثلاثة أضرب: تحقيقية وتخييلية [٥]

---

(١) أى باسم ذلك الطرف المذكور.

(٢) أى اسم الطرف المتروك.

(٣) أى فى حقيقته، كما تقول رأيت أسدا تريد رجلا شجاعا مدعيا أنه من جنس الأسد فتثبت له ما يخص السبع المشبه به وهو اسم جنسه، وكما تقول أنشبت المنية أظفارها فليس المراد بالمنية وهى اسم المشبه معناها الحقيقى وهو الموت المجرد عن السبعية الادعائية بل أريد بها معنى السبع الذى هو المشبه به، لكن أريد معنى السبع الادعائى وهو الموت الذى ادعيت سبعيته لا السبع الحقيقى ولما أطلق لفظ المنية على السبع الادعائى وهو الموت المدعى سبعيته أثبت لها ما يخص السبع المشبه به وهو الأظفار فالمراد من قوله «وتريد به الآخر» الآخر حقيقة أو ادعاء، وتقرير الاستعارة على مذهب السكاكى هو شبهت المنية وهى الموت بالسبع وادعى أنها فرد من أفراده وأن له فردين: الفرد المعلوم وهو السبع الحقيقى أى الحيوان المفترس والفرد الادعائى وهو الموت المدعى سبعيته ثم أطلقنا لفظ المنية على السبع الادعائى الخ.

فالمشبه به عند السكاكى سواء أكان هو المذكور أو المتروك يسمى مستعارا منه ويسمى اسم المشبه به المذكور أو المتروك مستعارا ويسمى المشبه مستعارا له.

(٤) راجع ص ١٥٨ من المفتاح.

(٥) ولم يجعل مثل هذا التقسيم [التحقيقية والتخييلية] فى المكنية. ولعل ذلك أن المشبه به فى التحقيقية لا يكون إلا ثابتا فى الحس أو العقل والمشبه به فى التخييلية لم يكن ثابتا إلا فى الوهم والمشبه به فى المكنية عند السكاكى لا يكون إلا =

ومحتملة للتحقيق والتخييل ، وفسر التحقيقية بما مر ، وعد التمثيل على سبيل الاستعارة منها[1]

وفيه نظر :

لأن التمثيل على سبيل الاستعارة لا يكون إلا مركبا كما سبق[2] فكيف يكون قسما من المجاز المفرد ؟ ولو لم يقيد الاستعارة بالأفراد وعرفها بالمجاز الذى أريد به ما شبه بمعناه الأصلى مبالغة فى التشبيه دخل كل من التحقيقية والتمثيل فى تعريف الاستعارة[3]

= تخييليا كالسبع الادعائى فى « أنشبت المنية أظفارها بفلان » فان المشبه عنده هو المنية والمشبه به السبع الادعائى وهو الموت المدعى سبعيته ، فلما كان المشبه به عنده فيها لا يكون إلا تخييليا امتنع تقسيمها للتحقيقية والتخييلية ، وأما على رأى المصنف فى المكنية فامتناع تقسيمها إليهما ظاهر

(١) أى من التحقيقية ، حيث قال فى قسم الاستعارة المصرح بها التحقيقية مع القطع : ومن الأمثلة استعارة وصف إحدى صورتين منتزعتين من أمور لوصف صورة أخرى أى التركيب الدال على إحدى الصورتين للاخرى .

وقول الخطيب : « وعد التمثيل على سبيل الاستعارة منها » هو موضع البحث .

(٢) إذ سبق أنه ينقل اللفظ المركب من حالة تركيبية وضع لها الى حالة أخرى

(٣) وأجيب عن هذا الاعتراض بأن السكاكى عد التمثيل قسما من مطلق الاستعارة التصريحية التحقيقية الشـــاملة للافرادية والتركيبية لا من الاستعارة التى هى مجاز مفرد ، وقسمة المجاز المفرد إلى الاستعارة وغيرها وهو المجاز المرسل لا توجب كون كل استعارة مجازا مفردا - لأنه بين الاستعارة والمجاز المفرد عموم =

. . . . . .

وخصوص وجهى - كقولنا الابيض إما حيوان أو غيره والحيوان قد يكون ابيض وقد لا يكون فتقسيم المجاز المفرد الى الاستعارة وغيرها لا يقتضى حصر الاستعارة فى المجاز المفرد ، وهذا الجواب جواب بتسليم كون المقسم الذى قسمه السكاكى للاستعارة وغيرها هو المجاز المفرد ، والجواب الآتى بالمنع

وأجيب أيضا بأن لفظ المفتاح صريح فى أن المجاز الذى جعله منقسما الى أقسام هو مطلق المجاز وليس هو المجاز المفرد لانه قال فى تعريف المجاز ، ان المجاز أى اللفظ الذى تجوز به عن موضعه سواء كان معنى أو إعرابا أو نسبة عند السلف قسمان: لغوى وعقلى واللغوى قسمان : راجع الى معنى الكلمة وهو أن تنقل الكلمة عن معناها الأصلى الى غيره ، وراجع إلى حكم الكلمة وهو أن تنقل الكلمة عن اعرابها الأصلى الى اعراب آخر بسبب نقصان كلمة أو زيادتها مع بقاء اللفظ على معناه ، والراجع الى المعنى قسمان : خال عن الفائدة - وهو اسم المطلق المستعمل فى المقيد وعكسه فهو عند السكاكى لا القوم ليس مجازاً مرسلا - ومتضمن لها ، والمتضمن للفائدة قسمان : استعارة وغير استعارة ، ، وظاهر أن المجاز العقلى والمجاز الراجع الى حكم الكلمة خارجان عن المجاز بالمعنى المذكور لأن العقلى فى الاسناد والراجع لحكم الكلمة محل التجوز فيه هو الاعراب فيجب أن يريد بالراجع الى معنى الكلمة أعم من المفرد والمركب ليصح الحصر فى القسمين

وأجيب أيضا بوجوه أخر :

١ — منها أن المراد بالكلمة اللفظ الشامل للمفرد والمركب نحو كلمة الله

٢ — ومنها أنا لا نسلم ان الاستعارة التمثيلية تستلزم التركيب لأن الصورة المنتزعة من متعدد لا تستدعى الا متعددا ينتزع منه ولا تتعين الدلالة عليها بلفظ مركب بل يجوز أن يعبر عن الصورة المنتزعة بلفظ مفرد مثل المثل ، وأيضا فالاستعارة التمثيلية مبنية على التشبيه التمثيلى وهو ما كان وجهه منتزعا من متعدد وهو قد يكون طرفاه مفردين فكذلك الاستعارة المبنية عليه كما فى قوله تعالى « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا »

[الاستعارة التخييلية عند السكاكى [١]]:

ومنها أنه فسر التخييلية بما استعمل فى صورة وهمية [٢] محضة قدرت مشابهة لصورة محققة هى معناه ، كلفظ الاظفار فى قول

= ٣ — ومنها أنا لا نسلم أن التمثيل فيه استعارة مركب وإنما فيه استعارة مفرد وكلمة واحدة وحينئذ لا تنافى بين الاستعارة التى هى قسم من المجاز المسمى بالكلمة وبين التمثيل لأن التمثيل كلمة على هذا أيضا ، وهذا الجواب مردود للقطع بأن مجموع اللفظ المركب هو المنقول عن الحالة التركيبية إلى حالة أخرى مثلها

وهذه الأجوبة الثلاثة مردودة ولا داعى لتفصيل الكلام على وجوه ردها

ملاحظة

الاستعارة التمثيلية: التركيب كله ، مثل «إنى أراك الخ» فيها مستعمل عند الشيخ فى غير ما وضع له وكذلك أجزاؤه مستعملة فى غير ما هى موضوعة له وان كانت هذه الأجزاء (الكلمات التى فى التركيب) كالحروف فى الكلمة وهذه الأجزاء غير مستقلة بل كل جزء مضاف الى الأجزاء الباقية فلا نلتمس لكل جزء شبيها بل يلتمس للتركيب كله شبيه ، ويرى السعد أن التركيب فى الاستعارة التمثيلية كله مستعمل فى معناه الأصلى والمجاز انما هو فى استعمال هذا الكلام فى غير معناه الأصلى

(١) راجع ١٤٢ و١٥٨ و ١٥٩ من المفتاح

(٢) فهى عنده لفظ لا تحقق لمعناه — أى لما عنى به عند التجوز — حساً ولا عقلا، لعدم إدراكه بالحواس، ولأنه لا ثبوت له فى نفس الأمر، بل هو — أى معناه — صورة وهمية محضة لايشوبها شىء من التحقيق العقلى أو الحسى ، ومذهب السكاكى هذا بخلاف القوم فان « اظفار » المنية عندهم أمر محقق شابه توهم الثبوت للمنية فهناك اختلاط توهم وتحقق بخلاف ما اعتبره السكاكى فانه أمر وهمى محض لا تحقق له لا باعتبار ذاته ولا باعتبار ثبوته .

الهذلى [١] : فانه لما شبه المنية بالسبع فى الاغتيال على ما تقدم ، أخذ الوهم فى تصويرها [٢] بصورته [٣] ، واختراع مثل ما يلائم صورته ويتم به شكله لها من الهيئات والجوارح [٤] وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتياله للنفوس به ، فاخترع للمنية صورة مشابهة لصورة الاظفار المحققة فأطلق عليها اسمها [٥]

وفيه نظر :

---

(١) وهو : وإذا المنية أنشبت أظفارها الخ.

(٢) أى المنية (٣) أى السبع .

(٤) وهو لوازم السبع المخترع للمنية وعلى الخصوص ما يكون كمال قوام اغتيال السبع للنفوس به .

(٥) أى أطلق على ذلك المثل أعنى الصورة التى هى مثل صورة الأظفار لفظ الأظفار ، الموضوع للصورة الحسية بعد رعاية التشبيه ، فيكون استعارة تصريحية وتخييلية لأنه قد أطلق اسم المشبه به وهو الأظفار المحققة على المشبه وهو صورة وهمية شبيهة بصورة الأظفار المحققة والقرينة اضافة الاظفار إلى المنية فكونها تخييلية لأن اللفظ نقل من معناه الأصلى لمعنى متخيل متوهم لا ثبوت له فى نفس الأمر وأما كونها تصريحية فلأنه قد أطلق اسم المشبه به وهو الأظفار المحققة على المشبه وهو الصورة الوهمية والتخييلية عنده قد تكون بدون الاستعارة بالكناية ولهذا مثل للتخييلية المنفكة عن المكنية بنحو « أظفار المنية الشبيهة بالسبع » فصرح بالتشبيه لتكون الاستعارة فى الأظفار فقط من غير استعارة بالكناية فى المنية ، وأما عند القوم فالمكنية والتخييلية متلازمان ، وكذلك عند المصنف ، وقال المصنف إن وجود التخييلية بدون المكنية كما ذهب إليه السكاكى بعيد جدا لا يوجد له مثال فى الكلام البليغ .

[١ —] لأن تفسير التخييلية بما ذكره بعيد لما فيه من التعسف [١]

[٢ —] وايضا فظاهر تفسير غيره لها بقولهم « جعل الشيء للشيء كجعل لبيد للشمال يدا » يخالفه ؛ لاقتضاء تفسيره أن يجعل للشمال صورة متوهمة مثل صورة اليد [٢] لا أن يجعل لها يدا، فاطلاق اسم اليد على تفسيره استعارة ، وعلى تفسير غيره حقيقة ، والاستعارة اثباتها للشمال كما قلنا فى المجاز العقلى الذى فيه المسند حقيقة لغوية

---

(١) لما فيه من كثرة الاعتبارات التى لا يدل عليها دليل وهى تقدير الصورة الخيالية ثم تشبيهها بالمحققة ثم استعارة اللفظ الموضوع للمحققة لها وفيه مع الممكن عنها اعتبار مشبهين ووجهين ولفظين وقدلا يتفق أو لا يحسن إمكان ذلك فى كل مادة ، بخلاف رأى المصنف والقوم المفسر بأنها اثبات الأمر المختص بالمشبه به للمشبه فانه خال عن تلك الأمور. وقيل أن التعسف هو أنه لو كان الأمر كما زعم لوجب أن تسمى هذه الاستعارة توهمية لا تخييلية ، وهذا ضعيف ، لأنه يكتفى فى التسمية بأدنى مناسبة على أنهم يسمون حكم الوهم تخييلا ، والحاصل أن تصوير المشبه بصورة المشبه به واختراع لوازم للمشبه مماثلة اللوازم المشبه به وان كان بالوهم لكنه نسبه للخيال للمناسبة بينهما .

(٢) فالتخييلية عند السكاكى هى لفظ لازم المشبه به المنقول لصورة وهمية تخيل ثبوتها للمشبه ،

هذا وكأن عبد القاهر ينفى ذلك بعد أن أشار إليه ، كما تراه فى الأسرار ص ٣٥ وفى الدلائل ص ٣٣٥ ، قال عبد القاهر : انه لا خلاف فى أن اليد استعارة ثم أنك لا تستطيع أن تزعم أن لفظ اليد قد نقل عن شيء إلى شيء اذ ليس المعنى على أنه شبه شيئا باليد بل المعنى على أنه أراد أن يثبت للشمال يدا .

[٣ —] وأيضا فيلزمه ان يقول بمثل ذلك — أعنى باثبات صورة متوهمة — فى ترشيح الاستعارة [١] ، لان كل واحد من التخييلية والترشيح فيه إثبات بعض لوازم المشبه به المختصة به للمشبه [٢] ، غير

---

(١) أى المصرحة ، وترشيح المصرحة جائز باتفاق أما ترشيح المكنية ففيه خلاف

(٢) فلما اثبت للمنية التى هى المشبه ما يخص السبع الذى هو المشبه به من الأظفار كذلك اثبت لاختيار الضلالة على الهدى الذى هو المشبه ما يخص المشبه به الذى هو الاشتراء الحقيقى من الربح والتجارة فكما اعتبر هناك صورة وهمية شبيهة بالأظفار فليعتبر هنا فى الترشيح أيضا أمر وهمى شبيه بالتجارة وآخر شبيه بالربح ليكون استعمال الربح والتجارة بالنسبة اليهما استعارتين تخييليتين إذلا فرق بينهما الا بأن التعبير عن المشبه الذى أثبت له ما يخص المشبه به كالمنية مثلا فى التخييلية بلفظ الموضوع له كلفظ المنية وفى الترشيح بغير لفظه كلفظ الاشتراء المعبر به عن الاختيار والاستبدال الذى هو المشبه مع أن لفظ الاشتراء ليس بموضوع له ، وهذا الفرق لا يوجب اعتبار المعنى المتوهم فى التخييلية وعدم اعتباره فى الترشيح فاعتباره فى أحدهما دون الآخر تحكم

وجواب هذا الاعتراض هو ان الأمر الذى هو من خواص المشبه به لما قرن فى التخييلية بالمشبه كالمنية مثلا جعلناه مجازا عن أمر متوهم يمكن إثباته للمشبه ، وفى الترشيح لما قرن بلفظ المشبه به لم يحتج الى جعله مجازا عن أمر متوهم يمكن إثباته للمشبه لأن المشبه به جعل كأنه هو هذا المعنى مقارنا للوازمه وخواصه حتى ان المشبه به فى قولنا « رأيت أسدا يفترس أقرانه » هو الأسد الموصوف بالافتراس الحقيقى من غير احتياج الى توهم صورة واعتبار مجاز فى الافتراس بخلاف ما إذا قلنا « رأيت شجاعا يفترس أقرانه » فانا نحتاج الى ذلك ليصح اثباته للشجاع

أن التعبير عن المشبه فى التخييلية بلفظ الموضوع له وفى الترشيح بغير لفظه وهذا لا يفيد فرقا، والقول بهذا يقتضى أن يكون الترشيح ضربا من التخييلية، وليس وكذلك

[٤ —) وأيضا فتفسيره للتخييلية أعم من أن تكون تابعة للاستعارة بالكناية كما فى بيت الهذلى، او غير تابعة بأن يتخيل ابتداء صورة وهمية مشابهة لصورة محققة فيستعار لها اسم الصورة المحققة، والثانية بعيدة جدا، ويدل على إرادته دخول الثانية فى تفسير التخييلية انه قال: «حسنها بحسب حسن المكنى عنها متى كانت تابعة لها، كما فى قولك «فلان بين أنياب المنية ومخالبها»؛ وقلما تحسن الحسن البليغ غير تابعة لها، ولذلك استهجنت فى قول الطائى:

لا تسقنى ماء الملام فاننى صب قد استعذبت ماء بكائى [1]

فان قيل: لم لا يجوز أن يريد بغير التابعة للمكنى عنها التابعة لغير المكنى عنها؟

قلنا: غير المكنى عنها هى المصرح بها فتكون التابعة لها ترشيح الاستعارة؛ وهو من أحسن وجوه البلاغة، فكيف يصح استهجانه؟

---

(١) الى هنا ينتهى كلام السكاكى «راجعه فى المفتاح ص ١٦٤، وبيت أبى تمام فى ص ١٦٤ المفتاح، ١١٩ الموازنه، ١٦٥ المثل السائر، ٥ طراز المجالس، وهو من قصيدة فى الأدب العباسى لمحمود مصطفى ص ٤٧١

وأما قول أبي تمام فليس له فيه دليل ، لجواز أن يكون أبو تمام شبه الملام بظرف الشراب لاشتماله على ما يكرهه الملوم ، كما ان الظرف قد يشتمل على ما يكرهه الشارب لبشاعته أو مرارته ، فتكون التخييلية في قوله تابعة للمكنى عنها ، أو بالماء نفسه ، لأن اللوم قد يسكن حرارة الغرام ، كما أن الماء يسكن غليل الاوام ، فيكون تشبيها على حد جاءني الماء فيما مر ، لا استعارة ، والاستهجان على الوجهين : لانه كان ينبغي له أن يشبهه بظرف شراب مكروه ، أو بشراب مكروه ، ولهذا لم يستهجن نحو قولهم « أغاظت لفلان القول وجرعته منه كأسامرة ، أو سقيته أمر من العلقم »

[الاستعارة المكنية عند السكاكي [1]] :

ومنها انه عنى بالاستعارة المكنى عنها أن يكون المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه [2] على أن المراد بالمنية في قول الهذلي السبع ، بادعاء السبعية لها [3] وانكار أن يكون شيئا غير السبع بقرينة اضافة

---

(١) راجع ص ١٦٠ مفتاح وما بعدها : وقد سبق شرح مذهب السكاكي في المكنية .

(٢) والمصنف لا يخالفه في ذلك ، فالمذكور هو المشبه ولكن على أن يراد به المشبه به والمصنف يخالفه فيه فهو محل النزاع .

(٣) وأما عند المصنف فالمراد بالمنية الموت حقيقة .

الاظفار اليها [١]

وفيه نظر :

[١ -] للقطع بأن المراد بالمنية فى البيت [٢] هو الموت لا الحيوان المفترس ، فهو مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق [٣] ؛ وكذا كل ما هو نحوه ، ولا شىء من الاستعارات مستعملا كذلك

وأما ذكره [٤] فى تفسير قوله من أنا ندعى ههنا أن اسم المنية اسم للسبع ، مرادف للفظ السبع ، بارتكاب تأويل ، وهو أن ندخل المنية فى جنس السبع للمبالغة فى التشبيه ، ثم نذهب على سبيل التخييل الى أن الواضع كيف يصح منه أن يضع اسمين لحقيقة واحدة ولا يكونان مترادفين ، فيتهيأ لنا بهذا الطريق دعوى السبعية للمنية مع التصريح بلفظ المنية فلا [٥] يفيده ، لان ذلك لا يقتضى كون اسم المنية غير

---

(١) وتقرير الاستعارة بالكناية على رأى السكاكى هو أن تقول : شبهت المنية التى هى الموت المجرد عن إدعاء السبعية بالسبع الحقيقى وادعينا أنها فرد من أفراده وأن السبع فردان : متعارف وغير متعارف وهو الموت الذى ادعيت السبعية له واستعير إسم المشبه وهو المنية لذلك الفرد الغير المتعارف وهو الموت الذى ادعيت السبعية له .

(٢) وهو قول الهذلى « وإذا المنية أنشبت أظفارها » .

(٣) للقطع بأن المراد بالمنية هو الموت لا غير .

(٤) راجع ١٦١ مفتاح .

(٥) هذا هو جواب « أما » فى قوله « وأما ما ذكره فى تفسير قوله » .

مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق من غير تأويل فيدخل فى تعريفه للحقيقة ويخرج من تعريفه للمجاز ؛ وكأنه لما رأى علماء البيان يطلقون لفظ الاستعارة على نحو ما نحن فيه وعلى أحد نوعى المجاز اللغوى الذى هو اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الاصلى ، ويقولون الاستعارة تنافى ذكر طرفى التشبيه ، ظن أن مرادهم بلفظ الاستعارة عند الاطلاق وفى قولهم استعارة بالكناية معنى واحد فبنى على ذلك ما تقدم [1]

---

(١) فالخلاصة أنه يرد على السكاكى بأنه لو أريد المنية معناها الحقيقى فما هو معنى إضافة الأظفار إليها ؟

١ — والجواب أن إضافة الأظفار قرينة التشبيه المضمر فى النفس على رأى المصنف يعنى تشبيه المنية بالسبع.

٢ — وقد يجاب أيضا عن هذا الاعتراض الوارد على السكاكى بانه وإن صرح بلفظ المنية إلا أن المراد به هو السبع إدعاء وهو الموت المدعى سبعيته كما أشار إليه فى المفتاح من أنا نجعل هنا إسم المنية إسما للسبع الادعائى وصادقا عليه بان ندخل المنية فى جنس السبع للمبالغة فى التشبيه بجعل أفراد السبع قسمين متعارفا وغير متعارف ثم نخيل أن الواضع كيف يصح منه أن يضع إسمين كلفظى المنية والسبع لحقيقة واحدة وهى الموت المدعى سبعيته ولا يكونان مترادفين، فيتأتى لنا بهذا الطريق وهو إدعاء دخول المنية فى جنس السبع وتخييل أن لفظيهما مترادفان دعوى السبعية للمنية — فصح بذلك أن لفظ المنية اذا أطلق عليها إنما أطلق على السبع الادعائى فصار مستعملا فى غير ما وضع له وهو الموت المجرد عن دعوى السبعية له. مع صحة اطلاق لفظ المنية على ذلك السبع الادعائى لأن ذلك لازم للترادف بين اللفظين. =

[رأى السكاكى فى الاستعارة التبعية [١]]:

ومنها أنه قال فى آخر فصل الاستعارة التبعية:

هذا ما أمكن من تلخيص كلام الاصحاب فى هذا الفصل؛ ولو

= وفى هذا الجواب نظر لأن ماذكره من إدعاء السبعية للمنية أى الموت لا يقتضى كون المراد بالمنية غير ما وضعت له بالتحقيق حتى يدخل فى تعريف الاستعارة للقطع بأن المراد بها الموت وإدعاء السبعية للموت لا يخرجها عن اطلاقها على معناها الحقيقى فى نفس الأمر إذ الادعاء لا يخرج الأشياء عن حقائقها. وهذا اللفظ موضوع له بالتحقيق وجعله مرادفا للفظ السبع بالتأويل المذكور لا يقتضى أن يكون استعماله فى الموت استعارة.

٣ — وقد يجاب أيضا عن الاعتراض الوارد على السكاكى بانه قد سبق أن قيد الحيثية مراد فى تعريف الحقيقة أى هى الكلمة المستعملة فيما هى موضوعة له بالتحقيق من حيث إنه موضوع له بالتحقيق ولا نسلم أن استعمال لفظ المنية فى الموت فى مثل أظفار المنية استعمال فيما وضع له بالتحقيق مثله فى قولنا دنت منية فلان، بل من حيث أن الموت جعل من أفراد السبع الذى لفظ المنية موضوع له بالتاويل. وهذا الجواب وإن كان مخرجا له عن كونه حقيقة الا أن تحقق كونه مجازا ومرادا به الطرف الآخر غير ظاهر بعد لجواز أن لا يكون حقيقة ولا مجازا بل واسطة.

(١) راجع ص ١٦٣ من المفتاح.

وخلاصة رأى السكاكى فى ذلك أنه يختار رد قرينة الاستعارة التبعية الى المكنية ويرد التبعية الى قرينة المكنية.

والاستعارة التبعية كما سبق هى ما تكون فى الحروف والأفعال وما يشتق منها كاسم الفاعل واسم المفعول واسم الزمان والمكان والآلة فهو يجعل قرينة التبعية استعاره مكنية =

أنهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية من قسم الاستعارة بالكناية ، بان قلبوا ، فجعلوا فى قولهم « نطقت الحال بكذا » الحال التى ذكرها عندهم قرينة الاستعارة بالتصريح استعارة بالكناية عن المتكلم بوساطة المبالغة فى التشبيه على مقتضى المقام ، وجعلوا نسبة النطق اليه قرينة الاستعارة ، كما تراهم فى قوله [أبى ذؤيب] :

واذا المنية أنشبت أظفارها

يجعلون المنية استعارة بالكناية عن السبع ، ويجعلون اثبات الاظفار لها قرينة الاستعارة [١] ، وهكذا لو جعلوا البخل [٢] استعارة بالكناية عن حى أبطلت حياته بسيف أوغير سيف فالتحق بالعدم ، وجعلوا نسبة القتل اليه قرينة الاستعارة ، ولو جعلوا أيضا اللهذميات [٣] استعارة بالكناية عن المطعومات اللطيفة الشهية على سبيل التهكم ، وجعلوا نسبة لفظ القرى اليها قرينة الاستعارة ، لكان أقرب إلى

= وهذا إنما يمكن اذا كانت قرينة التبعية لفظية اما إذا كانت حاليه فلا يمكن ، اذ ليس هناك لفظ يجعل استعارة بالكناية ، وهذا مما يضعف مذهب السكاكى ، وذلك كما فى قوله تعالى « لعلهم يتقون » فان لعل استعارة تبعية لارادته تعالى ، والقرينة استحالة الترجى لكونه علام الغيوب

(١) أى ويجعلون الأظفار المضافة إليها قرينتها لأنها عنده استعملت فى صورة وهمية كما مر ، لأن ذلك هو الملائم لمذهب السكاكى .

(٢) أى فى قول ابن المعتز « قتل البخل وأحيا السماحا » .

(٣) أى فى قول الشاعر : تقريهم لهذميات » .

الضبط »

هذا لفظه [١] ، وفيه نظر :

لأن التبعية التى جعلها قرينة لقرينتها التى جعلها استعارة بالكناية كنطقت فى قولنا «نطقت الحال بكذا» لا يجوز أن يقدرها حقيقة [٢] حينئذ لانه لو قدرها حقيقة لم تكن استعارة تخييلية لان الاستعارة التخييلية عنده [٣] مجاز كما مر ، ولو لم تكن تخييلية ، لم تكن الاستعارة بالكناية مستلزمة للتخييلية [٤] واللازم باطل بالاتفاق [٥] ، فيتعين أن يقدرها

---

(١) وإنما إختار السكاكى ذلك إيثارا للضبط وتقليلا للاقسام لأنه على هذا لاتكون الاستعارة أصلية أو تبعية ، بل أصلية فقط .

(٢) بأن يراد بها معناها الحقيقى وهو النطق .

(٣) أى عند السكاكى لا عند القوم والمصنف ، لأنه جعلها من أقسام الاستعارة المصرح بها المفسرة بذكر اسم المشبه به وإرادة المشبه إلا أن المشبه فى التخييلية يجب أن يكون ممالا تحقق لمعناه حسا ولا عقلا بل وهما فتكون مستعملة فى غير ما وضعت له بالتحقيق فتكون مجازا .

(٤) أى فيصح وجود المكنى عنها بدون التخييلية وذلك لأن المكنى عنها قد وجدت بدون التخييلية فى مثل نطقت الحال بكذا على هذا التقدير .

(٥) لا تفاقهم على لزوم التخييلية للمكنية وإنما الخلاف فى أن التخييلية هل تستلزم المكنى عنها : فعند السكاكى لا تستلزم كما فى قولنا ، أظفار المنية الشبيهة بالسبع ، فالأظفار أطلقت كما قال السكاكى على أمور وهمية تخييلا مع أنه ليس فى الكلام مكنى عنها لوجود التصريح بالتشبيه ، وأما عند غير السكاكى فان التخييلية تستلزم المكنية كما أن المكنية تستلزم التخييلية فالتلازم عند غير السكاكى من الجانبين وعنده المكنية تستلزم التخييلية دون العكس ؛ فالمثال وأظفار المنية الشبيهة بالسبع =

مجازا ، واذا قدرها مجازا لزمه أن يقدرها من قبيل الاستعارة ، لكون العلاقة بين المعنيين هى المشابهة ، فلا يكون ما ذهب اليه مغنيا عن قسمة الاستعارة إلى أصلية وتبعية ، ولكن يستفاد مما ذكر رد التركيب فى

= عندهم إذا صح يجعل من ترشيح التشبيه وليس فى الكلام مكنية ولا تخييلية .

وقال صدر الشريعة جوابا للسكاكى وردا لاعتراض المصنف : مراد السكاكى بقوله « لا تنفك المكنى عنها عن التخييلية » أن التخييلية مستلزمة للمكنى عنها فمتى وجدت التخييلية وجدت المكنية ، لا العكس وهو أن المكنية مستلزمة للتخييلية كما فهمه المصنف .

ورأى صدر الشريعة فاسد لا صحة له نعم يمكن أن ينازع فى الاتفاق على استلزام المكنى عنها للتخييلية ، قال الخطيبى : لا نسلم الاتفاق على أن المكنية تستلزم التخييلية لأن السكاكى يجرى على أن المجاز العقلى استعارة بالكناية وليس مستلزما للتخييلية اذ قرينته عند السكاكى قد تكون حقيقة كالانبات فى أنبت الربيع البقل ، وقال السكاكى فى المجاز العقلى : قرينة المكنية اما أمر وهمى فتكون تخييلية أو أمر محقق فلا تكون تخييلية وكلام الكشاف مشعر كذلك بعدم التلازم فقد قال « ينقضون عهد الله » النقض استعارة تحقيقية تصريحية لأبطال العهد وهى قرينة للمكنى عنها التى هى العهد اذ هو كناية عن الحبل فقد وجدت المكنية بدون التخييلية عند الزمخشرى ، وكلام السكاكى فى المجاز العقلى من أن قرينة المكنية اما أمر وهمى فتكون تخييلية كاظفار المنية وإما أمر محقق فلا تكون تخييلية كالانبات فى أنبت الربيع البقل فالربيع مشبه بالفاعل الحقيقى تشبيها مضمرا والانبات قرينة ، إلا أن ما صرح به السكاكى فى المجاز العقلى لا يدفع الاعتراض عليه مطلقا لأنه وان دفع الاعتراض عليه بأن عدم الاستلزام باطل باتفاق لا يدفع الاعتراض الثانى عليه وهو لزوم القول بالتبعية لأنه قد صرح فى المجاز العقلى بأن « نطقت » مستعمل فى غير ما وضع =

التبعية الى تركيب الاستعارة بالكناية على ما فسرناها ، وتصير التبعية حقيقة واستعارة تخييلية لما سبق أن التخييلية على ما فسرناها حقيقة لا مجاز .

فصل

[شروط حسن الاستعارة] :

وإذ قد عرفت معنى الاستعارة التحقيقية [1] والاستعارة التخييلية والاستعارة بالكناية والتمثيل على سبيل الاستعارة ، فاعلم أن لحسنها شروطا إن لم تصادفها عريت عن الحسن ، وربما تكتسب قبحا :

= له وهو أمر وهمي جعل قرينة للمكنى عنها - لأن ذلك الأمر الوهمي غير الموضوع له - فيكون مجازا ولا شك أن علاقته المشابهة للنطق فيكون استعارة ، ولا شك أنه فعل والاستعارة فى الفعل لا تكون إلا تبعية فقد اضطر الى اعتبار الاستعارة التبعية ، وأيضا يعترض على السكاكى بأنه لما جوز وجود المكنية بدون التخييلية كما فى أنبت الربيع البقل ووجود التخييلية بدونها كما فى أظفار المنية الشبيهة بالسبع فلا جهة لقول السكاكى إن المكنى عنها لا تنفك عن التخييلية لأنها قد انفكت عنده فى أنبت الربيع

هذا والحاصل من مذهب السكاكى فى قرينة المكنيه أن قرينة الاستعارة بالكناية قد تكون استعارة تخييلية مثل أظفار المنية ونطقت الحال ، وقد تكون حقيقة كما فى أنبت الربيع ، وقد تكون استعارة تحقيقية على ما ذكر فى قوله تعالى « يا أرض ابلعى ماءك » أن البلع استعارة عن غور الماء فى الأرض والماء استعارة بالكناية عن الغذاء ، فابلعى مستعار لغورى استعارة تحقيقية وهى قرينة للمكنية ،

(١) هى كما سبق التى تحقق معناها حسا أو عقلا وهى ضد التخييلية ، وذكر التمثيل على سبيل الاستعارة بعد ذلك بالعطف يكون من عطف المباين إن خصت التحقيقية بالأفرادية وإن لم تخص بالأفرادية كان من عطف الخاص على العام

١٦ —] وهى فى كل من التحقيقية والتمثيل رعاية ما سبق ذكره من جهات حسن التشبيه [١] ، وألا يشم [٢] من جهة اللفظ رائحته ،

---

(١) أى بملاحظة الأسباب المحصلة لحسن التشبيه بأن يكون : وجه الشبه شاملا للطرفين أى متحققا فيهما — وافيا بافادة ما علق به من الغرض كبيان إمكان المشبه الخ ، ونحو ذلك مثل كون الوجه غير مبتذل بأن يكون غريبا لطيفا لأحد الأسباب السابقة فى غرابة وجه الشبه . هذا والصحيح أن شمول وجه الشبه للطرفين شرط من شروط الصحة لا من شروط الحسن فالأولى إسقاطه ، وقال العدوى : المراد بكونه متحققا فيهما أى على أنه جزء من مفهوم كل منهما أو لازم لهما فان وجد فى أحدهما دون الآخر بأن كان فى أحدهما جزء من مفهومه وفى الآخر لازما فات الحسن وعلى هذا يندفع الاعتراض

(٢) هذا هو الشرط الثانى من شروط حسن الاستعارة وهو أن لا يشم رائحة التشبيه لفظا أى بأن لا يشم فى شىء من التحقيقية والتمثيل رائحة التشبيه من جهة اللفظ ؛ أما شم التشبيه من جهة المعنى فهو موجود فى كل استعارة بواسطة القرينة ؛ وشم رائحة التشبيه لفظا :

ا — إما أن يكون ببيان المشبه كما فى « الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » فان قوله « من الفجر » هو المشبه بالخيط الأبيض ، والكلام وإن كان ليس على صورة التشبيه ، لكن تفسير الخيط الأبيض بالفجر جعل التشبيه مقدرا أى الخيط الأبيض الذى هو شبيه بالفجر .

ب — وإما أن يكون بذكر وجه الشبه لأن ذكره ينبىء عن التشبيه ويهدى إليه فى التركيب

جـ — وأما أن يكون بذكر الأداة مثل زيد كالأسد .

وأما أن يكون بذكر المشبه على وجه لا ينبىء عن التشبيه مثل « زر أزراره على القمر » ، حيث ذكر فيه ضمنا المشبه وهو المحبوب لكن ليس على =

ولذلك يوصى فيه أن يكون الشبه [١] بين طرفيها [٢] جليا بنفسه [٣] أو عرف [٤] أو غيره [٥] ، والا صار تعمية [٦] وإلغازا لا استعارة وتمثيلا ، كما إذا قيل رأيت أسدا وأريد انسان أبخر ، وكما إذا قيل رأيت [٧] إبلا مائة لا تجد فيها راحلة ، وأريد الناس أو قيل رأيت عودا

= وجه ينبىء عن التشبيه ، فلا يبطل ذلك الاستعارة بعكس الوجوه السابقة فى شم رائحة لفظ التشبيه فتبطل الاستعارة .

فشرط الحسن هو إذا انتفاء الاشمام الذى لا يخرج به الكلام عن الاستعارة وإلا فهو شرط فى الصحة ؛ فمراد المصنف الأول لا الثانى .

وإنما كان هذا شرطا من شروط الحسن فى الاستعارة لأن شم رائحة التشبيه يبطل كمال الغرض من الاستعارة أعنى ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به ، لما فى التشبيه من الدلالة على أن المشبه به أقوى فى وجه الشبه والغرض من الاستعارة مساواتهما فيه

وراجع ذلك فى ص ١٦٤ مفتاح ، و ص ٣٤٦ من الدلائل

(١) أى وجه الشبه

(٢) أى بين طرفى الاستعارة

(٣) لكونه يرى مثلا كما فى تشبيه الثريا بعنقود ملاحية

(٤) أى عام كما فى تشبيه الرجل بالشجاعة فى الجراءة فوصف الجراءة ظاهر فى الأسد عرفا

(٥) كاصطلاح خاص كتشبيه نائب الفاعل بالفاعل فى حكم الرفع مثلا

(٦) وذلك لأنه إذا لم يكن وجه الشبه ظاهرا بل كان خفيا وانضم ذلك لخفاء التشبيه بواسطة عدم شم رائحته اجتمع خفاء على خفاء فتكون الاستعارة إلغازا

(٧) راجع ٣١ / ٢ بيان

مستقيما أوان الغرس وأريد انسان مؤدب فى صباه وبهذا ظهر أنهما لا يجيئان فى كل ما يجىء فيه التشبيه.

ومما يتصل بهذا أنه اذا قوى الشبه بين الطرفين بحيث صار الفرع كأنه الأصل، لم يحسن التشبيه وتعينت الاستعارة (١)؛ وذلك كالنور اذا شبه العلم به، والظلمة اذا شبهت الشبهة بها. فانه لذلك يقول الرجل اذا فهم المسألة: حصل فى قلبى نور، ولا يقول: كأن نورا حصل فى قلبى، ويقول لمن أوقعه فى شبهة: أوقعتنى فى ظلمة ولا يقول: كأنك أوقعتنى فى ظلمة

ملاحظة

كل ما يتأتى فيه الاستعارة يتأتى فيه التشبيه من غير عكس فبينهما عموم مطلق لجواز أن يكون وجه الشبه غير جلى فتصير الاستعارة إلغازا

فان قيل قد سبق أن حسن الاستعارة برعاية جهات حسن التشبيه ومن جملتها أن يكون وجه الشبه بعيدا غير مبتذل فاشتراط جلائه فى الاستعارة ينافى ذلك؛ فالجواب أن الجلاء والخفاء مما يقبل الشدة والضعف فيجب أن يكون من الجلاء بحيث لا يصير إلغازا ومن الغرابة بحيث لا يصير مبتذلا.

(١) أى عند ارادة الاتيان بالحسن، لا أن التشبيه ممتنع ويجب الاستعارة، بل التشبيه فى تلك الحالة جائز إلا أنه غير حسن. فالتشبيه والاستعارة الحسنان بينهما عموم وخصوص وجهى لتصادقهما حيث لا اتحاد ولا خفاء وانفراد الاستعارة حيث وجد الاتحاد وانفراد التشبيه حيث وجد الخفاء، وأما الاستعارة الحسنة ومطلق التشبيه فبينهما عموم وخصوص مطلق، وأما مطلق الاستعارة ومطلق التشبيه فهما متحدان محلا، والتشبيه أعم محلا كما سبق

[٢ -] وكذا [١] المكنى عنها حسنها برعاية جهـــات حسن التشبيه [٢]

[٣ -] وأما التخييلية فحسنها بحسب حسن المكنى عنها لما بينا أنها لا تكون إلا تابعة لها [٣]

---

(١) ١٦٤ مفتاح

(٢) وأما عدم إشمام رائحة التشبيه لفظا فلا يشترط فيها لأن من لوازم المكنية ذكر ما هو من خواص المشبه به وذلك يدل على التشبيه فلا ضرر فى خفاء وجه الشبه فيها وأما القرينة الموجودة فى الاستعارة مطلقا فهى وان ظهر بها قصد التشبيه لكن خفاء وجه الشبه يكسر سورتها

فالمكنية تشبيه مضمر على مذهب المصنف ، وأما عند القوم فهى لفظ المشبه به المضمر فى النفس المرموز إليه بذكر لوازمه .

(٣) فحسنها تابع لحسن المكنية فيستغنى عن ذكر حسنها بذكر حسن المكنى عنها لانها لا تكون إلا تابعة للمكنى عنها وليس لها فى نفسها تشبيه بل هى حقيقة عند المصنف وأما السكاكى القائل بعدم وجوب تبعيتها للمكنى عنها فيقول إن كانت تابعة لها كما فى أظفار المنية حسنت بحسنها وقبحت بقبحها وان كانت غير تابعة لها فقلما تحسن. ولكن اذا كانت التخييلية استعارة تصريحية عند السكاكى فلم لا نقول إن حسنها برعاية جهات التشبيه؟ وكونها تابعة حينا للمكنية لا يقتضى أن حسنها تابع لحسنها، نعم يقتضى أن حسن المكنية موجب لمزيد حسنها

ملاحظات :

١ - السر فى جمال الاستعارة .

١ - قال المتنبي لسيف الدولة وقد حارب الأعداء :

رميتهم ببحر من حديد له فى البر خلفهم عباب =

. . . . . .

=شبه جيشه بالبحر فى اتساعه وكثرة حركاته الشبيهة بحركات الموج المتلاطم ثم اكتفى من التشبيه بالمشبه به - وهو كلمة بحر — فكان الأسلوب استعارة لها جمالها وروعتها وقوة تصويرها للمعنى وتأثيرها فى نفوس السامعين .

٢ — وقال الحطيئة يستعطف عمر بن الخطاب ليطلقه من الحبس ليعول أولاده الصغار الجياع :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ زغب الحواصل لاماء ولا شجر

أفراخ : استعارة والمراد بها أطفاله الصغار ، فعبر الشاعر عنهم بهذا الأسلوب المؤثر الجميل .

٣ — وقال تعالى : « واشتعل الرأس شيبا » أى ظهر بياض المشيب كما يظهر ضوء النار المشتعلة .

فى كل من الأساليب الثلاثة استعارة ، لها جمالها وروعتها وبلاغتها ، فما السر فى ذلك ؟

السر فى جمال الاستعارة يتلخص فى :

١ — أنها تصور المعنى تصويرا قويا مؤثرا فى نفس السامع

٢ — وأنها تؤدى المعنى بايجاز

٣ — تحقيقها لغرض القائل الذى يقصده من الكلام .

فالخلاصة: أن السبب فى بلاغة الاستعارة أنها تفيد القوة فى تصوير المعنى مع شدة تأثيرها فى نفوس السامعين . أما التشبيه فيفيد الايضاح والشرح ولذلك يكثر استعماله فى باب الوصف .

ب — متى تحسن الاستعارة :

١ - جمع الحق لنا فى إمام قتل البخل وأحيا السماحا

٢ - لا تعجبى ياسلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

٣ - وعد البدر بالزيارة ليلا فاذا ماوفى قضيت نذورى=

. . . . . .

= فى الامثلة السابقة استعارات جميلة ، السر فى جمالها أنها تصور المعنى تصويرا جميلا قويا مؤثرا .

وفى الأمثلة الآتية :

١ - ملك منشد القريض لديه يضع الثوب فى يدى بزاز

٢ - وحرام عليك أن تقرعى ها مة قلبى بدمعك المهراق

٣ - أغركم طول الجيوش وعرضها على شروب للجيوش أكول

٤ - أكل هذا الرجل ما كسبت آباؤه له من المجد .

فيها استعارات نافرة قبيحة ، لأنها لا تصور المعنى تصويرا جميلا قويا مؤثرا - لان فيها تعقيدا معنويا ولو أننا قلنا فى بيت الحطيئة :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ زغب الحواصل لاماء ولا شجر

ماذا تقول لأشبال ، لكانت الاستعارة قبيحة غير حسنة ، لأن التعبير عن الطفل الصغير بالفرخ يصور ضعفه وحاجته للرعاية فيكون ذلك أدعى الى الاستعطاف ، أما التعبير عن الطفل الصغير بالشبل فانه لا يصور ما يريده الشاعر من الضعف ولا يحقق ما قصد إليه من الاستعطاف

الخلاصة :

١ - حسن الاستعارة ينشأ عن اختيار أليق مشبه به يصور المشبه تصويراً قويا جميلا مؤثرا يحقق الغرض من الكلام .

٢ - وقبح الاستعارة ينشأ عن اختيار مشبه به غير لائق لأنه لا يصور المشبه تصويرا قويا أو جميلا أو مؤثرا .

ج - اختلاف الأذواق فى تقدير الاستعارة :

١ — تقول العرب فى الاستعارة : أناخ عليه بكلكله ، ووطئه بمنسمه وألقى الحبل على الغارب . وما زال يفتل منه فى الذروة والغارب ، ولا ناقة لى فيها ولا جمل . =

فصل (١)

[المجاز بالحذف] :

واعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلى كما

= وهى استعارات مأخوذة من الجمل ، وهو أكثر حيواناتهم فائدة لهم فى الصحراء .

وفى الدول البحرية نجدهم يقولون : هبت أعاصير الحرب ، ورست سفينة الدولة فى مرفأ أمين ، ودفة الحكومة فى يدى بطلها .

ويقول العرب إذا ساء ما بين الصديقين « يبس الثرى بينهما » ، وتقول أمم الشمال : « جمد الثلج بينهما » ، والعربى لا يستسيغ الأسلوب الثانى « جمد الثلج بينهما » ولا يقبله ذوقه .

ومن هذا ترى أن الاستعارة تختلف باختلاف البيئات .

٢ — ويقول أبو نواس :

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم وأسمت سرح اللهو حيث أساموا

يقول سابقت الغواة فى الغى ، وأرسلت نفسى حيث شاءت فى مسارح اللهو فالشطر الأول استعارة مركبة ، وفى الشطر الثانى استعارة حيث شبه شهواته بالإبل التى ترعى العشب .

وهاتان الاستعارتان مأخوذتان من مشاهد الحياة فى العصور القديمة أما الآن فقد بطلت هذه المشاهد وتغيرت تلك المعالم ومن هنا نعرف أن الأذواق تختلف فى تقدير الاستعارة باختلاف العصور أيضا .

(١) راجع ص١٦٦ مفتاح ، ٣٦٢ أسرار — هذا ولفظ المجاز وضع بوضعين : أحدهما للكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له لعلاقة مع قرينة .

والثانى للكلمة التى تغير حكم إعرابها الأصلى فيكون إطلاق المجاز عليها حقيقة على هذا الاحتمال . =

مضى ، توصف به أيضا لنقلها عن إعرابها الأصلى الى غيره ، لحذف لفظ أو زيادة لفظ :

أما الحـــذف : فكقوله [1] تعـــالى « واسأل القرية » أى أهل القرية . فاعراب القرية فى الأصل هو الجر ، فحذف المضاف وأعطى المضاف اليه إعرابه ، ونحوه قوله تعالى « وجاء ربك » أى أمر ربك ، وكذا قولهم « بنو فلان يطؤهم الطريق » أى أهل الطريق

= وقيل أن الكلمة التى فيها مجاز بالحذف شابهت الكلمة المستعملة فى غير معناها الأصلى بجامع الانتقال عن الأصل فى كل ، وعلى هذا الاحتمال فاطلاق لفظ مجاز على الكلمة التى تغير إعرابها الأصلى مجاز بالاستعارة .

وقسم الغزالى المجاز إلى ١٤ قسما وجعل منها الزيادة فى الكلام بغير فائدة مثل فبما رحمة من الله لنت لهم . قال ابن الأثير : وهذا القول لا أراه صوابا فهذا القسم ليس من المجاز لأن المجاز دلالة اللفظ على غير ما وضع له فى أصل اللغة وهذا غير موجود فى الآية على أن ما ليست بزائدة لأنها لتفخيم الأمر وهى محض الفصاحة (١٤٣ و ١٤٥ المثل السائر) .

(١) راجع ١/٧٢ الكامل للمبرد .

ملاحظات : ١ — إذا لم يتغير حكم الاعراب بالزيادة مثل « فبما رحمة من الله » ، وكذلك إذا لم يتغير بالنقص مثل أو كصيب من السماء » أى كذوى صيب ، فلا تسمى الكلمة مجازا على الأصح .

٢ — « واسأل القرية » أى أهلها مجاز بالحذف ، وإن جعلت القرية مجاز عن أهلها لم تكن من هذا القبيل بل من قبيل المجاز بمعنى الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له لعلاقة وقرينة لأنها حينئذ مجاز مرسل من إطـــلاق اسم المحل على الحال .

وأما الزيادة :

فكقوله تعالى: « ليس كمثله شيء [1] » على القول بزيادة الكاف

(١) فالمقصود نفى أن يكون شيء مثل الله تعالى لانفى أن يكون شيء مثل مثله لأنه لا مثل له حتى ينفى عن ذلك المثل من يكون مثله ،

فالحكم الأصلى فى مثله هو النصب لأنه خبر ليس وقد تغير إلى الجر بسبب زيادة الكاف .

هذا وظاهر عبارة المفتاح أن الموصوف بهذا النوع من المجاز هو نفس الاعراب المستعمل فى غير محله الأصلى ، وما ذكره المصنف من أن الموصوف بكونه مجازا فى هذا النوع هو الكلمة التى تغير إعرابها هو الأقرب مما قاله السكاكى من أن الموصوف بذلك هو الاعراب المستعمل فى غير محله الأصلى وذلك لوجهين

١ - أنه على رأى المصنف يكون لفظ المجاز مدلوله فى الموضعين هو الكلمة

٢ - أن إطلاق المجاز على الاعراب لكونه وقع فى غير محله الأصلى إنما يظهر فى الحذف لا فى الزيادة .

هذا والقول بزيادة الكاف فى نحو قوله تعالى ليس كمثله شيء أخذ بالظاهر ويحتمل أن لا تكون الكاف زائدة بل يكون الكلام نفيا للمثل بطريق الكناية التى هى أبلغ من الحقيقة لما فيها من دعوى الشيء ببينة لأن الله تعالى موجود فاذا نفى مثل مثله الذى هو اللازم لزم نفى مثله الذى هو الملزوم ضرورة أنه لوكان له مثل لكان هو أعنى الله تعالى مثل مثله ، فلم يصح نفى مثل مثله .

والحاصل أنه لو لم ينتف المثل عند نفى مثل المثل لم يصح نفى مثل المثل لأن الله موجود فلوكان له مثل كان الله تعالى مثلا لذلك المثل فيكون مثل المثل موجودا فلا يصح نفيه حينئذ، لكن النفى صحيح لوقوعه فى كلام الله، فتعين أن يكون المراد من نفى مثل المثل نفى المثل ليصح النفى ، فنفى مثل المثل قد توصل به إلى نفى المثل وهو معنى الكناية ، لانه أطلق نفى اللازم وأريد نفى الملزوم ، كما تقول ليس لاخى زيد أخ أى ليس لزيد أخ نفيا للملزوم بنفى لازمه ، وذلك أنه إذا فرض لزيد الموجود =

أى ليس مثله شيء ، فاعراب مثله فى الأصل هو النصب ، فزيدت الكاف فصار حرا .

فان [١] كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغيير الاعراب ؛ كما فى قوله تعالى « أو كصيب من السماء » إذ أصله أو كمثل ذوى صيب ، فحذف « ذوى » لدلالة يجعلون أصابعهم فى آذانهم عليه ؛ وحذف مثل لما دل عليه عطفه على قوله « كمثل الذى استوقد نارا » ، إذ لا يخفى أن التشبيه ليس بين صفة المنافقين العجيبة الشأن وذوات ذوى صيب ، وكقوله (فبما رحمة من الله لنت لهم) وقوله (لئلا يعلم أهل الكتاب) .

فلا [٢] توصف الكلمة بالمجاز ، وقد بالغ الشيخ عبد القاهر فى النكير على من أطلق القول بوصف الكلمة بالمجاز للحذف أو الزيادة [٣]

= أخ لزم أن يكون زيد أخا لذلك الاخ المفروض وجوده ، فقولنا « ليس لاخى زيد أخ » نفى للملزوم وهو أخو زيد بنفى لازمه وهو أخو أخيه ، فقد أريد باللفظ لازم معناه فصدق عليه حد الكناية .

(١) ٢٦٣ الاسرار .

(٢) جواب « فان كان الحذف أو الزيادة » .

(٣) أى اللذين لا يوجبان تغيرا فى حكم الكلمة [راجع ٢٦٢ - ٢٦٨ الاسرار]

القول فى الكناية [١]

الكناية لفظ [٢] أريد به لازم [٣] معناه ، مع جواز إرادة معناه حينئذ [٤] .

---

(١) هى فى اللغة مصدر كنيت بكذا عن كذا والمضارع يكنى ، أو مصدر كنوت والمضارع يكنو إذا تركت التصريح به ويرجح أن لام الفعل يائية قولهم فى المصدر كناية بالتزام الياء فى المصدر، فالواو فى «كنوت» قلبت عن الياء سماعا

(٢) إطلاقها على اللفظ كثير وقد تطلق على المعنى المصدرى أى الاتيان بلفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه وهى بهذا المعنى أخص من معناها لغة

(٣) أى لا ستعماله فيه ، فالكناية لفظ له معنى حقيقى أطلق ولم يرد منه ذلك المعنى الحقيقى بل أريد به لازم معناه الحقيقى . والمراد باللزوم هنا مطلق الارتباط ولو بعرف لا اللزوم العقلى، وخرج بلازم معناه ما أريد به نفس معناه وهو الحقيقة الصرفة

(٤) أى مع إرادة ذلك المعنى مع لازمه فالكناية بعد إرادة اللازم بلفظها يشترط أن لا تصحبها قرينة تمنع من ارادة المعنى الحقيقى ، وحينئذ فتجوز ارادته من اللفظ مع لازمه، وهـــذا القيد مخرج المجاز إذ لا يجوز ارادة المعنى الحقيقى فيه مع المعنى المجازى عنـد من يمنع الجمع بين الحقيقة والمجاز كالمصنف لاشتراطه فى قرينته أن تكون مانعة من إرادة المعنى الحقيقى . والكناية عند المصنف واسطة بين الحقيقة والمجاز . وقيـل أنها لفظ مستعمل فى معناه الحقيقى لينتقل منه إلى المجازى فتكون داخلة فى الحقيقة لأن ارادة الموضوع له باستعمال اللفظ فيه فى الحقيقة أعم من أن تكون وحدها كما فى الصريح أو مع إرادة المعنى كما فى الكنائى

ملاحظات :

١ ـــ المعنى الحقيقى يجوز إرادته لينتقل منه الى المراد فى كل من الكناية والمجاز، =

كقولك (فلان طويل النجاد) أى طويل القامة ، (وفلانة نؤوم الضحى [1]) أى مرفهة مخـــدومة غير محتاجة الى السعى بنفسها فى إصلاح المهمات ، وذلك أن وقت الضحى وقت سعى نساء العرب فى أمر المعاش ، وكفاية أسبابه ، وتحصيل ما يحتاج اليه فى تهيئة المتناولات وتدبير اصلاحها ، فلا تنام فيه من نسائهم الا من تكون لها خدم ينوبون عنها فى السعى لذلك ، ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد والنوم فى الضحى من غير تأويل

= ويمتنع فيهما إرادة المعنى الحقيقى بحيث يكون هو المقصود بالذات ، وأما أن يراد مع لازمه على أن يكون الغرض المقصود بالذات هو اللازم فهذا جائز فى الكناية دون المجاز .

ب — المجاز والكناية يشتركان فى أنه :

١ — لا بد فيهما من مـــلاحظة المعنى الحقيقى لينتقل منه إلى المعنى المجازى والكنائى .

٢ — ويشتركان أيضا فى إرادة مطلق اللازم ، والانتقـال فى كل منهما من الملزوم إلى اللازم .

٣ — وكل منهما يمتنع فيه إرادة المعنى الحقيقى وحده بحيث يكون هو المقصود بالذات .

غير أن الكناية يجوز فيها إرادة المعنى الحقيقى تبعـا للمعنى الكنائى والمجاز لا يجوز فيـه ذلك لا تبعا ولا قصدا عـند من لا يجوز الجمع بين المعنى الحقيقى والمجازى كالمصنف .

(١) راجع ٥٢ و ٢٠٣ الدلائل . وقال امرؤ القيس :

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه، أى من جهة ارادة المعنى [1] مع ارادة لازمه، فان المجاز ينافى ذلك؛ فلا يصح فى نحو قولك: فى الحمام أسد، أن تريد معنى الاسد من غير تأول، لان المجاز ملزوم قرينة معاندة لارادة الحقيقة كما عرفت، وملزوم معاند الشىء معاند لذلك الشىء

---

(١) أى الحقيقى مع إرادة لازم ذلك المعنى الحقيقى كارادة طول النجاد مع طول القامة

فقد ظهر أن المجاز والكناية يشتركان فى إرادة اللازم، ويفترقان من جهة أن الكناية لا تصحبها قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى فيها، بل يبقى معها جواز إرادته والمجاز لابد أن تصحبه قرينة مانعة.

هذا وقوله «من جهة إرادة المعنى» معناه من جهة جواز إرادة المعنى:

١ — ليوافق ما ذكره فى تعريف الكناية إذلم يشترط فى التعريف إلا جواز الارادة لا وقوعها، ثم إن ابن السبكى يشترط فى الكناية وجود القرينة التى تصرف الى إرادة اللازم أو الى إرادة اللازم مع ملزومه.

٢ — ولأن الكناية كثيرا ما تخلو عن إرادة المعنى الحقيقى، للقطع بصحة قولنا «فلان طويل النجاد وجبان الكلب ومهزول الفصيل» وأن لم يكن له نجاد ولا كلب ولا فصيل وعدم إرادة المعنى الحقيقى لعدم وجوده كثير فى الكلام

هذا والمراد بجواز إرادة المعنى الحقيقى فى الكناية هو أن الكناية من حيث إنها كناية لا تنافى إرادة المعنى الحقيقى؛ كما أن المجاز ينافيه لكن قد يمتنع إرادة المعنى الحقيقى فى الكناية بواسطة خصوص المادة كما ذكر الزمخشرى فى قوله تعالى «ليس كمثله شىء» أنه من باب الكناية أى من حيث أن سلب الشبيهية عن مثل مثله يستلزم سلبها عن مثله وإلا لزم التحكم فى نفى الشبيهية عن أحد المثلين دون الآخر - كما فى قولهم «مثلك لا يبخل»، لأنهم إذا نفوا البخل عمن يماثل المخاطب وعمن يكون على أخس أوصافه فقد نفوه عن المخاطب كما يقولون «بلغت ترابه يريدون بلوغه

وفرق السكاكى [١] وغيره بينهما بوجه آخر أيضا وهو أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم ، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى اللازم وفيه نظر : لان اللازم مالم يكن ملزوما يمتنع أن ينتقل منه الى الملزوم ، فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم الى اللازم [٢] .

---

(١) ص ١٧٠ و ١٧٤ مفتاح

(٢) ملاحظة : خلاصة الاعتراض هى أن اللازم إما مساو للملزوم أو أعم منه ، فالانتقال فى الكناية من اللازم الأعم الى الملزوم الأخص غير صحيح ، وأما الانتقال من اللازم الأعم الى الملزوم المساوى فصحيح .

ويرد هذا الاعتراض بأن اللازم فى الكناية مساو الملزوم ، فالمراد باللازم المساوى أو الأخص فيكون معنى اللزوم الارتباط واللازم التابع والملزوم المتبوع

ويعترض على رأى السكاكى بأن المجاز كما ينتقل فيه من الملزوم الى اللازم مثل « رعينا الغيث » كذلك ينتقل فيه من اللازم الى الملزوم مثل أمطرت السماء نباتا ؛ فما الفرق بين الكناية والمجاز . ويمكن الرد بأن المجاز إن انتقل فيه من اللازم إلى الملزوم كان كناية ؛ لكن هذا تعسف .

هذا ولنبسط فرق السكاكى بين المجاز والكناية : الانتقال فى الكناية من اللازم إلى الملزوم كالانتقال من طول النجاد الى طول القامة . وفى المجاز الانتقال من الملزوم إلى اللازم كالانتقال من الغيث إلى النبت ومن الأسد إلى الشجاعة .

ورد هذا الفرق بأن اللازم مالم يكن ملزوما — بأن بقى على لازميته ولم يكن ملزوما لملزومه لكنه أعم من ملزومه — بنفسه كالناطق بالنسبة للانسان أو بانضمام قرينة إليه كالعرف ، لم ينتقل منه الى الملزوم لأن اللازم من حيث إنه لازم يجوز أن يكون أعم من ملزومه ولا دلالة للعام على الخاص ، وحين إذ كان اللازم ملزوما يكون الانتقال من الملزوم الى اللازم كما فى المجاز فلا يتحقق الفرق ، والسكاكى أيضا معترف بأن اللازم مالم يكن ملزوما امتنع الانتقال منه .

ولو قيل [١] : اللزوم من الطرفين من خواص الكناية دون المجاز أو شرط لها [٢] دونه [٣] اندفع هذا الاعتراض لكن اتجه منع الاختصاص والاشتراط [٤]

---

(١) أى لتصحيح فرق السكاكى

(٢) هذا بمعنى ما قبله

(٣) أى فيكون مراده من قوله « الانتقال فى الكناية من اللازم الى الملزوم اللازم المساوى لملزومه لأن اللزوم بين الطرفين من خواصها ، ومراده بقوله « والانتقال فى المجاز من الملزوم الى اللازم أى الى اللازم مطلقا لأن اللزوم بين الطرفين لا يشترط فى المجاز

(٤) لأنه لا دليل على اختصاص الكناية باللزوم بين الطرفين دون المجاز بل قد يكون اللزوم فيها أعم كما يكون مساويا وكذا المجاز .

وقد يجاب عن السكاكى بأن مراده باللازم فى جانب الكناية وفى جانب المجاز ما يكون وجوده فى الخارج أو فى الاعتبار على سبيل التبعية لوجود الغير أو لاعتبار الغير كطول النجاد التابع لطول القامة ، ولهذا جوز كون اللازم أخص لأن اللازم بمعنى التابع فى الوجود لوجوده غيره أو فى الاعتبار لاعتبار غيره يجوز أن يكون أخص بخلاف اللازم المتعارف فانه إنما يكون أعم أو مساويا ولا يكون أخص . فالكناية على هذا أن تذكر من المتلازمين - أى ما بينهما لزوم ولو فى الجملة لا ما بينهما التلازم الحقيقى فقط - ما هو تابع ورديف ويراد به ما هو متبوع ومردوف ، والمجاز بالعكس .

وفى هذا الجواب كما قالوا نظر بالنسبة لقوله « والمجاز بالعكس » لأن المجاز قد ينتقل فيه من التابع فى الوجود الخارجى إلى المتبوع فيه كالنبات فى الغيث . هذا ولا يخفى عليك أنه ليس المراد باللزوم ههنا اللزوم العقلى وهو امتناع الانفكاك بل المراد باللزوم مطلق الارتباط ولو بقرينة أو عرف .

[أقسام الكناية [1]]

ثم الكناية ثلاثة أقسام :

لأن المطلوب بها إما غير صفة ولا نسبة ، أو صفة ، أو نسبة

والمراد الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة وأمثالها ، لا النعت .

الأولى [2] المطلوب بها غير صفة ولا نسبة [3] :

[ا —] فمنها [4] ما هو معنى واحد [5] كقولنا المضياف كناية عن زيد ، ومنه قوله كناية عن القلب [6] :

---

(١) راجع ١٧٠ المفتاح .

(٢) تأنيث الأولى باعتبار كونها عبارة عن الكناية .

(٣) أى ولا نسبة صفة لموصوف ، بأن كان المطلوب بها هو الموصوف .

(٤) ١٧٠ مفتاح .

(٥) بأن يتفق فى صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض فتذكر تلك الصفة ليتوصل بها إلى ذلك الموصوف .

(٦) هو لعمرو بن معد يكرب الزبيدى . والبيت فى ص ٣٤ من الموازنة وص ٢٢٢ صناعتين . الضاربين منصوب على المدح . المخذم : القاطع . الأضغان جمع ضغن وهو الحقد . مجمع الأضغان معنى واحد كناية عن القلب . فان قيل إن مصدوق قولنا « مجمع الضغن » هو القلب وإطلاق اللفظ على مصدوقه حقيقة لا كناية ، فالجواب أن مجامع ، وإن كان مشتقا لم يرد منه الذات الموصوفة بالصفة بل المراد منه خصوص الصفة وهى مجمع الضغن وهى لا تطعن فيكون الشاعر أطلق الصفة التى هى لازم وأراد محلها وهو الموصوف كناية .

الضاربين بكل أبيض مخذم والطاعنين مجامع الاضغان

ونحوه قول البحترى فى قصيدته التى يذكر فيها قتله للذئب :

فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها

بحيث يكون اللب والرعب [١] والحقد

فقوله بحيث يكون اللب والرعب والحقد ثلاث كنايات لا كناية واحدة ، لاستقلال كل واحد منها بافادة المقصود

[ب] ومنها ما هو مجموع معان [٢] كقولنا كناية عن الانسان: حى مستوى القامة عريض الاظفار

وشرط كل واحد منهما أن تكون [٣] مختصة بالمكنى عنه لا تتعداه ليحصل الانتقال منها اليه وجعل [٤] السكاكى الاولى قريبة [٥] والثانية بعيدة .

---

(١) فالشطر الثانى كله ثلاث كنايات عن موصوف هو القلب .

(٢) بأن تؤخذ صفة فتضم إلى لازم آخر وآخر لتصير جملتها مختصة بموصوف فيتوصل بذكرها إليه .

(٣) هذا الشرط لا يختص بهما وحدهما بل كل كناية يشترط فيها ذلك .

(٤) ص ١٧٠ مفتاح .

(٥) « الأولى » هى ما تكون معنى واحدا وسميت قريبة لسهولة المأخذ والانتقال فيها لبساطتها واستغنائها عن ضم لازم إلى آخر وتلفيق بينهما ، أما الثانية وهى ما تكون مجموع معان فسماها بعيدة لخلاف ذلك ، وهذه غير البعيدة بالمعنى الذى سيجىء ، وهو تعدد الوسائط .

وفيه نظر [١]

الثانية [٢] المطلوب بها صفة [٣] :

وهى ضربان : قريبة وبعيدة :

[ا —] القريبة ما ينتقل منها الى المطلوب [٤] بها لا بواسطة [٥] وهى :

---

(١) لأن دلالة الوصف الواحد على الشيء ليست أقرب من دلالة الأوصاف بل ربما كان الأمر بالعكس .

هذا ومن مثل الكناية عن موصوف قول الشاعر :

وإن جعلت لا ينقض النأى وعدها فليس لمخضوب البنان يمين

(١٠٢ ج ٢ حماسة) ، ونسبه الحصرى لكثير (٥٢ ج ١ زهر الآداب)

(٢) ١٧٠ مفتاح .

(٣) أى من الصفات كالجود والكرم ونحو ذلك ، ومعنى طلب الصفة بالكناية دون النسبة ان يكون المقصود بالذات هو إفهام معنى الصفة من صفة أخرى أقيمت مقام تلك الصفة فصار تصور المثبتة أعنى المكنى عنها هو المقصود بالذات ، لا نفس إثباتها لأنه كالمعلوم من وجود نسبة المكنى بها ، وأما طلب النسبة بالكناية دون الصفة ففيما إذا صرح بالصفة وقصد الكناية باثباتها لشيء عن إثباتها للمراد فيصير الاثبات بسبب ذلك هو المقصود بالذات ، وأما طلب النسبة والصفة بالكناية ففيما إذا جهلا معا وقصد الانتقال لهما . فالصفة لا تخلو من النسبة والنسبة لا تخلو من الصفة ، ولكن اختلفا فى الاعتبار والقصد الأولى وعدمه .

(٤) الذى هو الصفة المكنى عنها .

(٥) لكون المعنى المنتقل إليه يسهل إدراكه بعد إدراك المنتقل عنه لكونه لازما بينا بحسب العرف أو القرينة أو بحسب ذاته .

[١ —] إما واضحة كقولهم كناية عن طول القامة طويل نجاده وطويل النجاد [١] . والفرق بينهما [٢] : أن الأول [٣] كناية ساذجة [٤] ، والثانى [٥] كناية مشتملة على تصريح [٦] ما لتضمن الصفة [٧] فيه ضمير الموصوف [٨] بخلاف الاول ، ومنهما قول الحماسى :

---

(١) قال المبرد : الرجل يمدح بالطول فلذلك يذكر طول حمائله والنجاد حمائل السيف (١٢ / ٢ الكامل للمبرد)

وقال : قالت الخنساء :

طويل النجاد رفيع العماد وساد عشيرته أمردا

(٢٨٠ / ٢ الكامل) ، ثم قال :

النجاد : حمائل السيف تريد بطوله طول قامته ، وهذا مما يمدح به الشريف ، ورفيع العماد انما تريد ذلك ، أى رجل معمد أى طويل (٢٨١ / ٢ الكامل) . وراجع فى ذلك ٢٤٣ من الصناعتين

(٢) أى طويل نجاده وطويل وطويل النجاد

(٣) وهو طويل نجاده

(٤) أى لايشوبها شىء من التصريح بالمعنى المقصود وهو المكنى عنه لأن فاعل طويل هو النجاد فينتقل منه الى طول القامه .

(٥) وهو طويل النجاد

(٦) أى بالمقصود الذى هو طول القامة المكنى عنه

(٧) وهو « طويل »

(٨) فكأنه قيل « فلان طويل » ولو قيل ذلك لم يكن كناية بل تصريحا بطوله ولما لم يصرح بطوله لاضافته للنجاد وأومىء اليه بتحمل الضمير كانت كناية مشوبة بالتصريح ولم تجعل تصريحا حقيقيا . =

أبت الروادف والثدى لقمصها

مس البطون وأن تمس ظهورا [١]

[٢ —] وإما خفية [٢] كقولهم كناية عن الابله عريض [٣] القفا، فان عرض القفا وعظم الرأس اذا أفرط فيما يقال دليل الغباوة ، ألا ترى إلى قول طرفة بن العبد [٤] :

= هذا والدليل على تضمن « طويل » الضمير أنك تقول هند طويلة النجاد والزيدان طويلا النجاد والزيدون طوال النجاد فتؤنث وتثنى وتجمع الصفة البتة لاسنادها الى ضمير الموصوف ، بخلاف هند طويل نجادها والزيدان طويل نجادهما والزيدون طويل نجادهم ، وإنما جعلنا الصفة المضافة كناية مشتملة على نوع تصريح ولم نجعلها تصريحا للقطع بأن الصفة فى الحقيقة ونفس الأمر صفة للمضاف اليه ، واعتبار الضمير رعاية لأمر لفظى وهو امتناع خلو الصفة عن معمول مرفوع بها .

(١) راجع (٨٧ ج ٢ حماسة ، ٤٦٥ ج ١ العقد)

الروادف : الاعجاز . الثدى جمع ثدى . القمص جمع قميص . وهذا كناية عن عظم الروادف والثدى .

(٢) وخفاؤها بأن يتوقف الانتقال منها على تأول وإعمال روية وذلك حيث يكون اللزوم بين الممكنى به وعنه فيه غموض ما فيحتاج الى إعمال روية فى القرائن وسير المعانى ليستخرج المقصود منها .

(٣) هو مؤخر الرأس

(٤) الرجل الضرب : أى الخفيف اللحم . الخشاش صغير الرأس .

فى البيت كناية عن الذكاء

أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه

خشاش كرأس الحية المتوقد

[ب —] والبعيدة [١] ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة، كقولهم كناية عن الابله عريض الوسادة، فانه ينتقل من عرض الوسادة إلى عرض القفا؛ ومنه الى المقصود. وقد جعله السكاكى من القريبة على أنه كناية عن عرض القفا، وفيه نظر. وكقولهم «كثير [٢] الرماد» كناية عن المضياف؛ فانه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة احراق الحطب تحت القدور، ومنها إلى كثرة الطبائخ، ومنها الى كثرة الاكلة ومنها الى كثرة الضيفان؛ ومنها الى المقصود [٣].

وكقوله

ومابك فى من عيب فانى

جبان الكلب مهزول الفصيل [٤]

فانه ينتقل من جبن الكلب عن الهرير فى وجه من يدنو من دار من هو بمرصد لان يعس دونها، مع كون الهرير فى وجه من لايعرفه

---

(١) لبعد زمن ادراك المقصود فيها لاحتياجها فى الغالب الى استحضار تلك الوسائط

(٢) راجع ١٧١ مفتاح، ٣٢٠ الدلائل

(٣) وهو الكرم والمضيافية

(٤) هو لابن هرمة، وهو فى المفتاح ص ١٧١، والدلائل ص ٢٣٧، والصناعتين ص ٢٤٢، والحماسة ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣. والفصيل ولد الناقة

طبيعيا له ، الى استمرار تأديبه لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى ، ومن ذلك الى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوها أثر وجوه ، ومن ذلك الى كونه مقصد أدان وأقاص ، ومن ذلك الى انه مشهور بحسن قرى الأضياف ، وكذلك ينتقل من هزال الفصيل الى فقد الام ، ومنه الى قوة الداعى الى نحرها ، لكمال عناية العرب بالنوق لاسيما المتليات ، ومنها إلى صرفها الى الطبائخ ومنها الى أنه مضياف . ومن هذا النوع قول نصيب [1] :

لعبد العزيز على قومه وغيرهم منن ظاهرة
فبابك أسهل أبوابهم ودارك مأهولة عامرة
وكلبك آنس بالزائرين من الأم بالابنة الزائرة

فانه ينتقل من وصف كلبه بما ذكر إلى أن الزائرين معارف عنده ، ومن ذلك الى اتصال مشاهدته إياهم ليلا ونهارا ، ومنه الى لزومهم سدته ، ومنه إلى تسنى مباغيهم لديه من غير انقطاع ، ومنه الى وفور احسانه الى الخاص والعام ، وهو المقصود

ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر :

---

(١) هو فى المفتاح ص ١٧١ ، والدلائل ص ٢٣٨ ، وطراز المجالس ص ٩٩

يـكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا

يـكلمه من حبـه وهو أعجم (١)

ومنه قوله (٢) :

لأمتع العوذ بالفصال ولا أبتاع الا قريبة الاجل

فانه ينتقل من عدم امتاعها الى أنه لا يبقى لها فصالها لتأنس بها ويحصل لها الفرح الطبيعى بالنظر اليها ومن ذلك الى نحرها ، أولا يبقى العوذ ابقاء على فصالها . وكـذا قرب الاجل ، ينتقل منه الى نحرهـا ، ومن نحرها الى أنه مضياف . ومن لطيف هذا القسم قوله تعالى: ولما سقط فى أيديهم، أى ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل؛ لان من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها . وكذا قول أبى الطيب كناية عن الـكذب

تشتكى ما اشتـكيت من ألم الشو

ق اليها والشوق حيث النحول (٣)

---

(١) هو لابن هرمة ، وهـو فى البيـان ١٢٣ ج ٢ ، والمفتـاح ص ١٧١ ، والدلائل ص ٢٣٩ ، وهو فى الحماسة مع ابيات [٢٤٨ ج ٢] ولـكن لم ينسبهـا لشاعر . وفى العصر الجاهلى لمحمد هاشم (ص ١١٣) ذكر أنه ينسب للنابغة الجعدى

هذا وفاعل « يكاد » ضمير يعود على الـكلب

(٢) أى ابن هرمة الشاعر ايضا . وهو فى ١٧٩ رسالة الغفران مع أبيات ، وفى الدلائل ص ٢٤١ و ٢٠٧ ، وفى المفتاح ص ١٧١ و ١٤١

(٣) ضمير « تشتكى » يعود لحبيبته

وكذا قوله [١] .

الى كم ترد الرسل عما أتوا له كأنهمو فيما وهبت ملام

فأن أوله كناية عن الشجاعة ، وآخره كناية عن السماحة.

وكذا قول أبي تمام [٢] :

فان أنا لم يحمدك عنى صاغرا عدوك فاعلم انني غير حامد

يريد بحمده عنه حفظه مدحه فيه وانشاده ، أى ان لم أكن أجيد القول فى مدحك حتى يدعو حسنه عدوك الى أن يحفظه ويلهج به صاغرا فلا تعدنى جامدا لك بما أقول فيك ؛ ووصفه بالصغار لان من يحفظ مديح عدوه وينشده فقد أذل نفسه ، فكنى بحفظ عدو الممدوح مدحه له عن اجادته القول فى مدحه .

وكذا قول من يصف راعى إبل أو غنم :

ضعيف العصا بادى العروق ترى له

عليها اذا ما أجدب الناس اصبعا [٣]

---

(١) هو لأبى الطيب أيضا فى مدح سيف الدولة

(٢) هو فى زهر الآداب ص ٢٦ ج ٣

(٣) نسبه الجاحظ للراعى [٢٩ ج ٣ البيان] ، قال الجاحظ : يقال للراعى ضعيف العصا إذا كان قليل الضرب بها الأبل شديد الأشفاق عليها ، وأنشد البيت ثم قال : وإذا كان الراعى جلدا قويا عليها قالوا صلب العصا (٢٩ ج ٣ البيان) . والبيت فى الأسرار ص ٣٠٦ ، والصناعتين فى ٩٠ . والاصبع معناه الأثر الحسن من السمن وغيره على طريق المجاز المرسل.

وقول الآخر :

صلب العصا بالضرب قد دماها [1]

أى جعلها كالدم فى الحسن . والغرض من قول الأول ضعيف العصا وقول الثانى « صلب العصا » وهما وان كانا فى الظاهر متضادين فانهما كنايتان عن شىء واحد، وهو حسن الرعية والعمل بما يصلحها ويحسن أثره عليها ، فأراد الاول أنه رفيق مشفق عليها لا يقصد من حمل العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائدة ، فهو يتخير مالان من العصا . وأراد الثانى أنه جيد الضبط لما عارف بسياستها فى الرعى ، يزجرها عن المراعى التى لا تحمد ويتوخى بها ما تسمن عليه ، ويتضمن أيضا انه يمنعها عن التشرد والتبدد ، وانها لما عرفت من شد شكيمته وقوة عزيمته تنساق فى الجهة التى يريدها ، وقوله « بالضرب قد دماها » تورية حسنة [2] ، ويؤكد أمرها قوله صلب العصا

---

(١) راجع هذا الشطر فى ص ٣٠٦ الأسرار . وقال أبو هلال : ومن الغلط قول أبى النجم « صلب العصا جاف عن التعزل » يصف راعى الابل بصلابة العصا وليس بالمعروف (٩٠ صناعتين)

(٢) لأن معناه جعلها كالدمى فى الحسن ، جمع دمية ؛ ويحتمل معنى قريبا وهو أن يضربها فيسيل دمها

ملاحظة : بحسب قلة الوسائط وكثرتها تختلف الدلالة على المقصود وضوحا وخفاء. وذلك لأن كثرة الوسائط من شأنها خفاء الدلالة ، وإن كان يصح فيها الوضوح لكثرة الاستعمال فيسرع الانتقال. أما قلة الوسائط فمن شأنها الوضوح وإن كان يمكن فيها أن تكون مع قلتها فيها خفاء كما تقدم فى عرض القفا .

الثالثة : المطلوب بها نسبة [1]

كقول زياد الأعجم [2] :

ان السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

فانه حين أراد أن لا يصرح باثبات هذه الصفات لابن الحشرج ، جمعها فى قبة ، تنبيها بذلك على أن محلها [3] ذوقبة، وجعلها مضروبة عليه لوجود ذوى قباب فى الدنيا كثيرين ، فأفاد إثبات الصفات المذكورة له بطريق الكناية ؛ ونظيره قولهم « المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه » . قال السكاكى [4] : وقد يظن هذا من قسم « زيد طويل نجاده وليس بذاك فطويل نجاده باسناد الطويل إلى النجاد تصريح باثبات الطول للنجاد ، وطول النجاد كما تعرف قائم مقام طول القامة فاذا صرح

---

(١) أى اثبات صفة لموصوف أو نفى صفة عن موصوف وهو المراد بالاختصاص هنا .

(٢) هو فى المفتاح ص ١٧٢ ، والدلائل ص ٢٣٧ . القبة : شبه الخيمة ولكنها أعظم منها وتقام للرؤساء وابن الحشرج هو ممدوحه وهو عبد الله بن الحشرج من ولاة الدولة الأموية .

(٣) وهو الممدوح

(٤) راجع ١٧٠ مفتاح ، ٢٣٩ الدلائل

من بعد باثبات النجاد لزيد بالاضافة كان ذلك تصريحا باثبات الطول لزيد فتأمل ، وكقول الآخر [١] :

والمجد يدعو أن يدوم لجيده عقد مساعى ابن العميد نظامه

فانه شبه المجد بانسان بديع الجمال فى ميل النفوس اليه، وأثبت له جيدا على سبيل الاستعارة التخييلية، ثم أثبت لجيده عقدا ترشيحا للاستعارة، ثم خص مساعى ابن العميد بانها نظامه ، فنبه بذلك على اعتنائه خاصة بتزيينه . وبذلك على محبته وحده له ، وبها على اختصاصه به ، ونبه بدعاء المجد أن يدوم لجيده ذلك العقد على طلبه دوام بقاء ابن العميد ، وبذلك على اختصاصه به

وكقول ابى نواس [٢] :

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير

فانه كنى عن جميع الجود بأن نكره ونفى أن يجوز ممدوحه ويحل دونه فيكون متوزعا يقوم منه شىء بهذا وشىء بهذا ، وعن اثباته له بتخصيصه بجهته ، بعد تعريفه باللام التى تفيد العموم ، ونظيره قولهم:

---

(١) هو فى المفتاح ص ١٧٢

الجيد : العنق . العقد : القلادة . المساعى : المكارم . هذا وفى البيت استعارتان وكنايتان .

(٢) راجعة فى ص ٢٢٣ وساطة ، و ٣٣ موازنة ، ٦٤ ج ٤ زهر الآداب ، ٤٢٥ ج ٣ العقد ، ١٧٣ مفتاح ، ٢٣٩ الدلائل

مجلس فلان مظنة الجود والكرم، هذا قول السكاكى وقيل كنى بالشطر الاول عن اتصافه بالجود وبالثانى عن لزوم الجود له؛ ويحتمل وجها آخر، وهو أن يكون كل منهما كناية عن اختصاصه به، وعدم الاقتصار على أحدهما للتأكيد والتقرير، وذكرهما على الترتيب المذكور لان الاولى بواسطة بخلاف الثانية [1] : وكقولهم : « مثلك لا يبخل »؛ قال الزمخشرى: نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته، قصدوا المبالغة فى ذلك، فسلكوا به طريق الكناية، لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده، وعمن هو على أخص أوصافه، فقد نفوه عنه. ونظيره قولك للعربى، العرب لا تحفر الذمم» فانه أبلغ من قولك أنت لا تحفر. ومنه قولهم 'أيفعت لداته وبلغت أترابه' يريدون ايفاعه وبلوغه وعليه قوله 'ليس كمثله شىء' [2] ، على أحد الوجهين؛ وهو أن لا تجعل الكاف زائدة، قيل: وهذا غاية لنفى التشبيه، إذ لو كان له مثل لكان لمثله شىء وهو ذاته تعالى، فلما قال 'ليس كمثله' دل على أنه ليس له مثل. وأورد أنه يلزم منه نفيه تعالى لانه مثل مثله، ورد

---

(١) فى البيت ثلاثة توجيهات :
١ — أن فيه كناية عن صفة فى الشطر الأول وعن نسبة فى الشطر الثانى
٢ — أو أنه كناية عن نسبة فى الشطر الأول وعن صفة فى الشطر الثانى.
٣ — أو أن كل شطر منهما كناية عن نسبة.
(٢) راجع ٥٠٦ من المطول

يمنع أنه تعالى مثل مثله، لان صدق ذلك موقوف على ثبوت مثله، تعالى عن ذلك . وكقول الشنفرى الازدى فى وصف امرة بالعفة [١]

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها اذا ما بيوت بالملامة حلت

فانه نبه بنفى اللوم عن بيتها على انتفاء أنواع الفجور عنه ، وبه على براءتها منها، وقال «يبيت» دون يظل لمزيد اختصاص الليل بالفواحش. هذا على ما رواه الشيخ عبد القاهر والسكاكى ، وفى الاغانى الكبير «يحل بمنجاة»

وقد يظن ان هنا قسما رابعا وهو ان يكون المطلوب بالكناية الوصف والنسبة معا، كما يقال «يكثر الرماد فى ساحة عمرو [٢]» فى الكناية عن ان عمرا مضياف؛ وليس بذاك، اذ ليس ما ذكر بكناية واحدة، بل هو كنايتان : احداهما عن [٣] المضيافية ؛ والثانية عن اثباتها

---

(١) هو فى المفتاح ص ١٧٢ والدلائل ص ٣٣٩ والمفضليات ص ٤١ .

(٢) الساحة هى الفسحة التى بين بيوت الدار وقدام بابها - فى المثال كناية عن المضيافية وإثباتها لعمرو ، أما الأثبات فلانا لم نثبت كثرة الرماد لعمرو ولا لما أضيف لضميره كما فى طويل نجاده حتى تكون النسبة معلومة وإنما أثبتناها فى ساحته لينتقل من ذلك إلى ثبوتها له وأما المضيافية فلانا لم نصرح بها حتى يكون المطلوب نفس النسبة بل كنينا عنها بكثرة الرماد

(٣) أى أن المطلوب بها صفة وهى كثرة الرماد كناية عن المضيافية .

لعمرو [١] ، وقد ظهر بهذا أن طرف النسبة المثبتة بطريق الكناية يجوز أن يكون مكنيا عنه أيضا ؛ كما فى هـــذا المثال ، ونحوه بيت الشنفرى المتقدم ؛ فان حلول البيت بمنجاة من اللوم كناية عن نسبة العفة الى صاحبه ؛ والمنجاة من اللوم كناية عن العفة

واعلم أن الموصوف فى القسم الثانى والثالث [٢] قد يكون مذكورا كما مر ، وقد يكون غير مذكور [٣] كما تقول فى عرض [٤] من يؤذى

---

(١) فالثانية مطلوب بها نسبة المضيافية إلى زيد وهو جعلها فى ساحته ليفيد إثباتها له .

كما أن قولنا « كثر الرماد فى ساحة العالم » إذا دل الدليل كالشهرة على أن المراد بالعالم زيد . ففيه كناية عن صفة وكناية عن موصوف وكناية عن نسبة .

ملاحظة :البيت « يبيت بمنجاة من اللوم الخ » :

اللوم مجاز مرســـل أطلق اللوم وأراد سببه ، ومعنى « منجاة من اللوم » بعد عنه ، ومنجاة من اللوم كناية عن صفة هى العفة فكأنه قال يبيت بيتها عفيفا وذلك كناية عن نسبه العفة إليها .

وقوله « بيتها » لا يصح . إطلاقه على المرأة مجازا مرسلا علاقته المحلية وذلك لا ضافة البيت إلى ضمير المرأة . هذا وفى الشطر الثانى كناية عن نسبة هى نسبة الفحش إلى بيوت غيرها . حلت بالملامة كناية عن صفة هى الفجور والملامة مجاز مرســـل .

(٢) وهما الكناية المطلوب بها صفة ، والمطلوب بها نسبة .

(٣) أى لا لفظا ولا تقديرا . أما الموصوف فى القسم الأول فهو طبعا غير مذكور لأنه نفس المطلوب بالكناية ، فمثال ذكره فى القسم الثانى زيد كثير الرماد وفى الثالث إن الساحة البيت ، ويلاحظ أنه إذا كان المطلوب بها صفة وكانت النسبة موجودة فلا =

المسلمين المسلم من سلم المسلمون من لسانه [1] ويده ، أى ليس المؤذى مسلما ، وعليه قوله تعالى فى عرض المنافقين : « هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب » اذا فسر الغيب بالغيبة أى يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبى (ص) أو أصحابه ض ؛ أى هدى للمؤمنين عن إخلاص لا للمؤمنين عن نفاق

قال السكاكى [2] :

الكناية تتفاوت [3] الى : تعريض ، وتلويح ، ورمز ، وايماء ، وإشارة :

= بد ذكر الموصوف لفظا أو تقديرا ضرورة استحالة نسبة لغير منسوب اليه مثل: زيد كثير الرماد .

(٤) أى جانب ، والمراد به التعريض بمن يؤذى المسلمين

(١) فهو كناية عن نفى صفة الاسلام عن المؤذى وهو غير مذكور ووجه الكناية أن مدلول الجملة حصر الاسلام فيمن لا يؤذى، ولا ينحصر فيه الا بانتفائه عن المؤذى فأطلق الملزوم وأريد اللازم .

هذا وأما القسم الأول وهو ما يكون المطلوب بالكناية نفس الصفة لكون النسبة مصرحا بها مثل زيد كثير الرماد فلا يخفى أن الموصوف فيها يكون مذكور لا محالة لفظا وتقديرا ،

(٢) راجع ١٧٠ مفتاح و١٧٣ و ١٧٤

(٣) أى تتنوع

ملاحظات :

١ — الكناية كما سبق الانتقال فيها بحسب ذهن السامع من اللازم الى =

. . . . . .

= الملزوم ، وبحسب ذهن المتكلم بالعكس .

والمجاز الانتقال فيه بحسب ذهن السامع من الملزوم إلى اللازم وبحسب ذهن المتكلم بالعكس .

٢ - المجاز يحصل فيه الانتقال من اللازم إلى الملزوم تارة كما فى « أمطرت السماء نباتاً » ، وتارة من الملزوم إلى اللازم كما فى رعينا الغيث : وجعل السكاكى الانتقال فى المجاز دائما من الملزوم إلى اللازم ، فى الكناية بالعكس .

٣ - التعريض هو أن تذكر الشىء تدل به على شىء لم تذكره مثل « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ، فقولنا المسلم من سلم يقتضى الحصر أى انحصار الإسلام فيمن سلم المسلمون من لسانه ويده ، ومعنى هذا ثبوت الاسلام لمن سلم منه الناس ونفيه عمن لم يسلم الناس منه ؛ أى انتفاء الإسلام عن المؤذى مطلقا ، ونفى الاسلام عن مؤذ معين لازم لذلك المعنى الذى هو نفيه عن المؤذى مطلقاً ، فهو تعريض

هذا وإنما قال « تتفاوت » ولم يقل « تنقسم » لأن التعريض وما عطف عليه [التلويح والرمز والايماء] ليس من أقسام الكناية فقط بل هو اعم ، فالتعريض مثلا قد يكون مجازا وقد يكون كناية .

وفى ذلك نظر من وجهين :

١ - أن تعدية التفاوت بالى إنما يصح بتضمينه معنى الانقسام ،

٢ - ان اقسام الشىء لا يجب أن تكون أخص منه لصحة أن يكون بينها وبين المقسم عموم من وجه كما مر فى تقسيم الأبيض إلى حيوان وغيره والحيوان إلى أبيض وغيره ، هذا رأى السعد ، والمحققون على أن قسم الشىء يجب أن يكون أخص .

هذا والأقرب أنه إنما قال « تتفاوت » لأن هذه الأقسام قد يدخل بعضها فى بعض فيمكن اجتماع الجميع فى صورة واحدة باعتبارات مختلفة لجواز أن يعبر =

[١ —] فان كانت عرضية فالمناسب أن تسمى تعريضاً [1]

[٢ —] وإلا فان كان بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط [2] ، كما فى « كثير الرماد » واشباهه ، فالمناسب أن يسمى تلويحاً ، لأن التلويح هو أن يشير الى غيرك من بعد .

= عن اللازم باسم الملزوم فيكون كناية ، ومع ذلك قد يكون تعريضاً بالنظر لسامع يفهم أن اطلاقه على ذلك التميد بالسياق ، وقد يكون تلويحا بالنظر لسامع آخر يفهم كثرة الوسائط ولم يفهم المعرض به ، وقد يكون رمزاً بالنسبة لسامع آخر يخفى عليه اللازم ، فهى أقسام اعتبارية لا أقسام حقيقية .

(١) أى أن الكناية إذا كانت مسوقة لأجل موصوف غير مذكور كان المناسب أن يطلق عليها اسم التعريض لأنه إمالة الكلام وتوجيهه إلى عرض — اى ناحية وجانب — يدل ذلك العرض على المقصود ، فالعرض الذى أميل الكلام إليه هو المعنى الكنائى ، والمقصود هو المعنى المعرض به المقصود من سياق الكلام ، فالمسلم من سلم المسلمون الخ المعنى الصريح حصر الاسلام فى غير المؤذى ، ويلزم منه نفى الاسلام عن كل مؤذ وهذا هو المعنى الكنائى ، والمقصود من السياق نفى الاسلام عن المؤذى المعين كزيد وهذ هو المعرض به ، وليس اللفظ مستعملا فيه بل هو مستعمل فى المعنى الكنائى ، والمعنى المعرض به ليس حقيقيا ولا مجازيا للفظ ولا كنائيا له ، لأن التعريض هو أن يفهم من اللفظ معنى بالسياق والقرائن من غير أن يقصد استعمال اللفظ فيه أصلا ، والحقيقة مستعملة فى الموضوع له ، والمجاز فى غير الموضوع له (لازم معناه) ، والكناية فى اللازم مع جواز إرادة الملزوم ، ولذلك يكون لفظ التعريض تارة حقيقة وتارة مجازا وتارة كناية ، فقولهم إن الكناية تكون تعريضا أى إن اللفظ قد يستعمل فى معنى مكنى عنه ليلوح بمعنى آخر بالقرائن .

(٢) أى بين اللازم الذى استعمل لفظه والملزوم الذى أطلق اللفظ عليه كناية .

[٣ -] والا[1] فان كان فيها نوع خفاء [2] فالمناسب أن تسمى رمزا لان الرمز هو أن تشير الى قريب منك على سبيل الخفية قال[3]

رمزت الى مخافة من بعلها من غير أن تبدى هناك كلامها

[٤ -] وإلا[4] فالمناسب أن تسمى ايماء واشارة كقول أبى تمام يصف[5] إبلا :

أبين فما يزرن سوى كريم وحسبك أن يزرن أبا سعيد

فانه فى افادة أن أبا سعيد كريم غير خاف ؛ وكقول البحترى[6]

أو ما رأيت المجد ألقى رحله فى آل طلحة ثم لم يتحول

فانه فى افادة أن آل طلحة أماجد ظاهر ؛ وكقول الآخر[7] :

اذا الله لم يسق الا الكرام فسقى وجوه بنى حنبل

وسقى ديارهم باكرا من الغيث فى الزمن المحل

---

(١) أى بأن قلت الوسائط أو انعدمت .

(٢) أى فى اللزوم كعريض القفا وعريض الوسادة .

(٣) هو فى ص ١٧٤ المفتاح .

(٤) بأن قلت الوسائط بلا خفاء .

(٥) البيت فى ص ٢٤١ دلائل ، وص ١٧٤ مفتاح .

(٦) البيت فى ص ٢٤٠ دلائل ، وص ١٧٤ مفتاح .. فالقاء المجد رحله فى آل طلحة معنى مجازى على طريق المكنية ، ويلزم من ذلك كون محله وموصوفه آل طلحة لعدم وجود غيرهم معهم .

(٧) الزمن المحل : المجدب . والكناية هنا عن ثبوت الكرم لبنى حنبل .

وقال الآخر :

متى تخلو تميم من كريم ومسلمة بن عمرو من تميم

ثم قال[1] :

والتعريض كما يكون كناية قد يكون مجازا ، كقولك « آذيتنى فستعرف » ، وأنت لا تريد المخاطب ، بل تريد انسانا معه ، وان أردتهما جميعا كان كناية[2] .

تنبيـــه[3]

أطبق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأن الاستعارة[4]

---

(١) ١٧٤ مفتاح . أى انتقل السكاكى من الكناية فى التعريض إلى تحقيق المجاز فيه ؛ والحاصل أن السكاكى بعد ما سمى أحد أقسام الكناية تعريضاً انتقل إلى تحقيق الكلام التعريضى وأنه قد يكون تارة مجازا وقد يكون تارة أخرى كناية .

(٢) ولا بد فى الصورتين — أى صورة كون الكلام التعريضى مجازا وكونه كناية — من قرينة دالة على أن المراد فى الصورة الأولى هو الانسان الذى معه المخاطب وحده ليكون مجازا ، وفى الثانية كلاهما ليكون كناية .

وتحقيق ذلك ان « آذيتنى فستعرف » كلام دال على تهديد المخاطب لسبب الايذاء ويلزم منه تهديد كل من صدر عنه الايذاء ، فان استعملته واردت به تهديد المخاطب وغيره من المؤذين كان كناية ، وان أردت به تهديد غير المخاطب بسبب الايذاء لعلاقة اشتراكه مع المخاطب فى الايذاء اما تحقيقاً واما فرضاً وتقديراً مع قرينة دالة على عدم ارادة المخاطب كان مجازا .

(٣) راجع ١٧٤ مفتاح ، ٥٥ — ٨٥ دلائل .

(٤) المراد بها التحقيقية والتمثيلية لا المكنية والتخييلية فليسا مرادين له هنا =

أبلغ من التصريح بالتشبيه ، وأن التمثيل على سبيل الاستعارة أبلغ من التمثيل لا على سبيل الاستعارة ، وأن الكناية أبلغ من الافصاح بالذكر ؛ قال الشيخ [1] عبد القاهر : ليس ذلك لأن الواحد من هذه الأمور يفيد زيادة فى المعنى نفسه لا يفيدها خلافه ، بل لأنه يفيد تأكيدا لاثبات المعنى لا يفيده خلافه ، فليست فضيلة قولنا « رأيت أسداً » على قولنا « رأيت رجلا هو والأسد سواء فى الشجاعة » أن الأول أفاد زيادة فى مساواته للأسد فى الشجاعة لم يفدها الثانى ، بل هى أن الأول أفاد تأكيدا لاثبات تلك المساواة له لم يفده الثانى ؛ وليست فضيلة قولنا « كثير الرماد » على قولنا « كثير القرى » أن الاول أفاد زيادة لقراه لم يفدها الثانى ، بل هى أن الأول أفاد تأكيدا لاثبات كثرة القرى له لم يفده الثانى ؛ والسبب فى ذلك أن الانتقال فى الجميع من الملزوم إلى [2] اللازم ، فيكون إثبات المعنى به كدعوى الشىء ببينة ، ولا شك

لانهما ليسا من المجاز اللغوى عنده .

(١) ٥٦ - ٥٨ دلائل ، ٣٤٣ — ٣٤٥ دلائل أيضاً .

ملاحظة : قوله « أبلغ من الحقيقة » الظاهر أنه من بلغ بلاغة ، فيرد عليه أن البلاغة لا تكون صفة للمفرد ولا شك أن الكناية لفظ مفرد والمجاز قد يكون مفردا . والجواب أن المراد بأبلغ معناها اللغوى أى أفضل وأحسن .

(٢) فلا يفهم المعنى المراد من نفس اللفظ بل بواسطة الانتقال من الملزوم إلى اللازم : أما فى المجاز فظاهر أنه لا يفهم الرجل الشجاعة من نفس قولك « رأيت أسدا » بل بواسطة الانتقال من الحيوان المفترس إلى لازمه وهو الشجاع =

أن دعوى الشيء ببينة أبلغ فى إثباته من دعواه بلا بينة ؛ ولقائل أن يقول : قد تقدم أن الاستعارة أصلها التشبيه ، وأن الاصل فى وجه الشبه أن يكون فى المشبه به أتم منه فى المشبه وأظهر ، فقولنا ، رأيت أسدا ، يفيد للمرئى شجاعة أتم مما يفيدها قولنا ، رأيت رجلا كالأسد ، لأن الاول يفيد شجاعة الاسد والثانى شجاعة دون شجاعة الاسد ، ويمكن أن يجاب بحمل كلام الشيخ على أن السبب فى كل صورة ليس هو ذلك لا أن ذلك ليس بسبب فى شىء من الصور أصلا

هـذا آخر الـكلام فى الفن الثانى .

= وأما فى الكناية فلأن اللازم الذى قيل أن الانتقال فيها منه إلى الملزوم هو اللازم المساوى فهو ملزوم أيضاً فصح أن الانتقال فيها من الملزوم إلى اللازم فالمراد بالملزوم بالنسبة لها الملزوم فى الذهن وإن كان لازما فى الخارج .

ملاحظات :

١ — الكناية والاستعارة قد يكون كل منهما خبرا وقد يكون إنشاء . وأما التشبيه فالظاهر أنه خبر .

٢ — بلاغة الكناية تتخلص فيما يلى :

ا — التعبير عن اللفظ الخسيس بلفظ شريف .

ب — تمثيل المعنى للذهن بجزئيات محسوسة يستدل بمجموعها عليه .

حـ — والكناية تفيد الالفاظ جمالا وتكسب المعانى سحرا .

د — وتزيد بلاغة الكناية إذا وفت بالغرض المقصود منها وأدت الفائدة الموجودة بلفظ شريف حسن .

[البلاغة والفصاحة عند السكاكى]

وذكر السكاكى بعد الفراغ منه [١] تفسير البلاغة بما نقلناه عنه فى صدر الكتاب [٢].

ثم [٣] قسم الفصاحة إلى معنوية ولفظية :

[١ -] وفسر المعنوية بخلوص المعنى عن التعقيد ؛ وعنى بالتعقيد اللفظى على ما سبق تفسيره .

[٢ -] وفسر اللفظية بأن تكون الكلمة عربية أصلية ، وقال [٣] : وعلامة ذلك أن تكون على ألسنة الفصحاء الموثوق بعربيتهم أدور ، واستعمالهم لها أكثر ، لا مما أحدثه المولدون ، ولا مما أخطأت فيه العامة ، وأن تكون أجرى على قوانين اللغة ، وأن تكون سليمة عن التنافر ، فجعل الفصاحة غير لازمة للبلاغة وحصر مرجع البلاغة فى الفنين ، ولم يجعل الفصاحة مرجعا لشىء منه .

ثم قال [٤] :

وإذ قد وقفت على البلاغة والفصاحة المعنوية واللفظية ، فأنا أذكر على سبيل الأنموذج آية أكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين ما عسى يسترها عنك ، وذكر ما أورده الزمخشرى فى

---

(١) أى من بحوث الفن الثانى

(٢) راجع ص ١٧٥ مفتاح

(٣) راجع ص ١٧٦ مفتاح

(٤) ١٧٦ مفتاح

تفسير قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك ، ويا سماء أقلعى ، وغيض الماء ، وقضى الأمر ، واستوت على الجودى ، وقيل بعدا للقوم الظالمين ،[1] وزاد عليها نكتا لا بأس بها ، فرأيت أن أورد تلخيص ما ذكره جاريا على اصطلاحه فى معنى البلاغة والفصاحة ، قال[2] :

[١ — ا أما النظر فيها من جهة علم البيان :

فهو أنه تعالى لما أراد أن يبين معنى أردنا أن نرد ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتد ، وانقطع طوفان السماء فانقطع ، وان يغيض الماء النازل من السماء فغاض ، وان يقضى امر نوح وهو انجازما كنا وعدناه من اغراق قومه فقضى ، وان تسوى السفينة على الجودى فاستوت ، وابقينا الظلمة غرقى . بنى الكلام على تشبيه المراد منه بالمأمور الذى لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان ؛ وتشبيهه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ فى تكون المقصود ، تصويرا لاقتداره تعالى وان السموات والأرض وهذه الاجرام العظام تابعة لارادته كأنها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته وأحاطوا علما بوجوب الانقياد لامره ، وتحتم بذل المجهود عليهم فى تحصيل مراده ، ثم بنى على تشبيهه هذا نظم

---

(١) راجع الآية والكلام عليها فى ص ٣٦ من الدلائل ، وفى ص ١٦٩ صناعتين .

(٢) ١٧٦ مفتاح

الـكلام ، فقال تعالى « قيل » على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول القائل ، وجعل قرينة المجاز خطاب الجماد وهو « يا أرض ويا سماء » ثم قال « يا أرض ويا سماء » مخاطبا لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغور الماء فى الأرض البلع الذى هو إعمال الجاذبة فى المطعوم ، بجامع الذهاب إلى مقر خفى واستتبع ذلك تشبيه الماء بالغذاء على طريق الاستعارة بالكناية ، لتقوى الأرض بالماء فى الانبات للزرع والأشجار وجعل قرينة الاستعارة لفظ « ابلعى » ، لكونه موضوعا للاستعمال فى الغذاء دون الماء ، ثم أمر على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره ، ثم قال « ماءك » باضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز ، تشبيها لاتصال الماء بالأرض باتصال الملك بالمالك ، واستعار لحبس المطر الاقلاع الذى هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما فى عدم ما كان ، وخاطب فى الامرين ترشيحا للاستعارة ، ثم قال « وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين » فلم يصرح بالغائض والقاضى والمسوى والقائل كما لم يصرح بقائل يا أرض ويا سماء ، سلوكا فى كل واحد من ذلك سبيل الـكناية ، وأن تلك الأمور العظام لاتتأتى إلا من ذى قدرة لاتـكتنه ، قهار لا يغالب ، فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون الفاعل لشىء من ذلك غيره ، ثم ختم الـكلام بالتعريض لسالـكى مسلـكهم فى تـكذيب الرسل ظلما لانفسهم ، ختم اظهار لمكان السخط ولجهة استحقاقهم اياه .

[٢ ـ] وأما النظر فيها من حيث علم المعانى [1] :

وهو النظر فى فائدة كل كلمة فيها ، ووجهة كل تقديم وتأخير بين جملها ، فذلك أنه اختير « يا » دون سائر أخواتها ، لكونها أكثر استعمالا ، ولدلالتها على بعد المنادى الذى يستدعيه مقام اظهار العظمة ويؤذن بالتهاون به ؛ ولم يقل « يا أرض » بالكسر تجنبا لاضافة التشريف تأكيدا للتهاون ؛ ولم يقل يا أيتها الأرض للاختصار ، مع الاحتراز عما فى « أيتها » من تكلف التنبيه غير المناسب للمقام ، لكون المخاطب غير صالح للتنبيه على الحقيقة ؛ واختير لفظ الأرض دون سائر أسمائها لكونه أخف وأدور ؛ واختير لفظ السماء لمثل ذلك مع قصد المطابقة ؛ واختير « ابلعى » على ابتلعى لكونه أخصر ؛ ولمجىء حظ التجانس بينه وبين أقلعى أو فى « وقيل » ماءك ، بالأفراد دون الجمع لدلالة الجمع على الاستكثار الذى يأباه مقام اظهار الكبرياء ؛ وهو الوجه فى إفراد الأرض والسماء ؛ ولم يحذف مفعول ابلعى لئلا يفهم ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وغيرها ، نظراً الى مقام ورود الامر الذى هو مقام عظمة وكبرياء ؛ ثم إذ بين المراد اختصر الكلام على اقلعى ، فلم يقل اقلعى عن ارسال الماء احترازا عن الحشو المستغنى

---

(١) ١٧٨ مفتاح

عنه من حيث الظاهر ، وهو الوجه فى أنه لم يقل يا أرض ابلعى ماءك فبلعت ويا سماء أقلعى فأقلعت ، واختير « غيض المـــاء » على غيض المشددة لكونه أخصر وأخف وأوفق لقيل ، وقيل ، الماء ، دون أن يقال ماء طوفان السماء ، وكذلك الامر دون أن يقال أمر نوح ، للاختصار ، ولم يقل سويت على الجود بمعنى أقرت على نحو قيل وغيض وقضى فى البناء للمفعول ، اعتبارا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة فى قوله وهى تجرى بهم مع قصد الاختصار ، ثم قيل ، بعدا للقوم ، دون أن يقال ليبعد القوم طلبا للتوكيد مع الاختصار ، وهو نزول « بعدا » منزلة ليبعدوا بعدا ، مع افادة أخرى وهى استعمال اللام مع بعد الدال على معنى أن البعد حق لهم ثم أطلق الظلم ليتناول كل نوع حتى يدخل فيه ظلمهم لأنفسهم بتكذيب الرسل .

هـــذا من حيث النظر إلى الكلم ؛ وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل ؛ فذلك أنه قدم النداء على الأمر ، فقيل يا أرض ابلعى ويا سماء اقلعى ، دون أن يقال ابلعى يا أرض وأقلعى يا سماء ، جريا على مقتضى اللازم فيمن كان مأمورا حقيقة ، من تقديم التنبيه ليتمكن الامر الوارد عقيبه فى نفس المنادى ، قصدا بذلك لمعنى الترشيح ؛ ثم قدم أمر الارض على أمر السماء لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك

فى القصة منزلة الاصل ، ثم أتبعهما قوله « وغيض الماء » لاتصاله بقصة الماء، ثم أتبعه ما هو المقصود من القصة وهو قوله « وقضى الأمر » أى أنجز الوعد من اهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه فى السفينة ثم اتبعه حديث السفينة ؛ ثم ختمت القصة بما ختمت .

هذا كله نظر فى الآية من جانب البلاغة .

وأما [1] النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية :

فهى كما ترى نظم للمعانى لطيف ، وتأدية لها ملخصة مبينة ؛ لا تعقيد يعثر الفكر فى طلب المراد ، ولا التواء يشيك الطريق إلى المراد بل ألفاظها تسابق معانيها ، ومعانيها تسابق ألفاظها .

وأما [2] النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية : فألفاظها على ماترى عربية مستعملة ، جارية على قوانين اللغة ، سليمة عن التنافر ، بعيدة عن البشاعة ، عذبة على العذبات ، سلسة على الاسلات ، كل منها كالماء فى السلاسة ، وكالعسل فى الحلاوة ، وكالنسيم فى الرقة [3] والله أعلم .

---

(١) ١٧٨ مفتاح

(٢) ١٧٨ مفتاح

(٣) راجع الكلام على الآية فى دلائل الأعجاز ص ٣٦ و٣٧

آراء فى الكناية

بحث للأستاذ محمد خفاجى

١ -- التعريض أن يكنى عن الشىء ويعرض به ولا يصرح على حسب ماعملوا باللحن والتورية عن الشىء[١] .

والكناية قسمان : لغوية واصطلاحية ؛ فاللغوية ذكرها المبرد فى كامله وذكر أقسامها[٢] ، ويشير إلى مثل الكناية الاصطلاحية[٣] وكلامه يفهم منه أنه يسميها إيماء ، ويسميها قدامة « الأرداف[٤] » ، وكذلك أبو هلال[٥] ، ويسميها ابن رشيق التتبع[٦] ، ويقول الجاحظ فى البيان عن أبى عبيدة : العارضة كناية عن البذاء وإذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل الخ[٧] ، وقال شريح : الحدة كناية عن الجهل وذكر مثلا أخرى[٨] . وقال الجاحظ : وقد يستعمل الناس الكناية وربما وضعوا الكلمة بدل الكلمة يريدون أن يظهر المعنى بألين لفظ إما تنوها وإما تفضلا كما سموا المعزول مصروفا والبخيل مقتصدا[٩]

وفى خطابة أرسطو : « ومن حسن أدب الخطيب إذا حاول العبارة عن معنى فاحسن ألا يصرح بل يستعير له ويقيم شيئا بدله » ، وذلك أساس لبحث الكناية التى ذكرها الجاحظ فى بيانه .

---

(١) ٣٦٠ صناعتين .

(٢) ٥ و ٦ / ٢ الكامل .

(٣) ٧٧ و ١٦٦ / ١ و ٩٢ و ٢٨١ / ٢ الكامل .

(٤) ٩٢ نقد الشعر .

(٥) ٣٤١ الصناعتين .

(٦) ٢٨٢ / ١ العمدة .

(٧) ١٨٠ ج ١ البيان .

(٨) ٢٩ — ٣١ ج ٢ البيان .

(٩) ١٢٣ ج ١ رسالة النساء للجاحظ بهامش الكامل للمبرد .

وقد ذكر ثعلب « لطافة المعنى » وعرفه بأنه هو الدلالة بالتعريض على التصريح[١] وذكر مثلا له[٢] . وفى العقد باب للكناية والتعريض[٣] ، وفى الصاحبى أيضا[٤] . ويذكر صاحب نقد النثر « اللحن » بمعنى التعريض والكناية[٥] ، وتكلم ابن المعتز فى كتابه البديع عليه وجعله نوعا من أنواع البديع .

٢ — هذا وراجع الكناية فى ص ١٧٠ مفتاح ، والارداف فى الصناعتين ص ٣٤١ ، وراجع ص ٥ و ٦ ج ٢ الكامل للمبرد ، وفى الصناعتين باب باسم الكناية والتعريض [ص ٣٦٠] ؛ وفى الدلائل (ص ٥٢ و ٢٢٧) كلام على الكناية ، وراجع نقد الشعر ص ٩٢ .

وراجع الفرق بينها وبين المجاز فى شرح الدسوقى ص ١٠٨ ج ١ و ص ٢٨٧ ج ٢ ، وص ٢٨٣ ج ٣ وما بعدها السبكى .

وراجع معناها عند المصنف والسكاكى فى ص [٣٠٠ ج ١ شرح الدسوقى] .

٣ — هذا و « زيد كثير الرماد » إذا لم يكن له رماد ولا طبخ من قبيل الكناية التمثيلية (٦٣ ج ٢ السبكى) .

واخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر كناية عند السكاكى (ص ٥١ مطول)

٤ — الكناية على مذهب السكاكى كما سبق هى اللفظ المستعمل فى ملزوم معناه أى الذى أريد به الملزوم ، وعند المصنف هى اللفظ المستعمل فى لازم معناه ، أى

---

(١) ١٩ قواعد الشعر .

(٢) ١٩ — ٢١ المرجع .

(٣) ١٠ — ١٤ ج ٢ العقد .

(٤) وينقد ابن الأثير الجاحظ لعده بيتا لنصيب من الكناية وهو :

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

ويرى أن البيت من التشبيه المضمر الأداة الخارج عن الكناية [٢٤٩ وما بعدها المثل السائر] .

(٥) ٥٩ نقد النثر .

لفظ الملزوم المستعمل فى اللازم مع جواز إرادته .

١٢ — الكناية حقيقة ، وقيل مجاز ، وقيل لا حقيقة ولا مجاز (٧ ج ٤ دسوقى) . ويرد السبكى على الخطيب فى أنها ليست حقيقة ولا مجازا ، ويذكر أن الكناية محتاجة لقرينة (٢٣ ج ٤ السبكى) . والكناية عند المصنف ليست حقيقة لاستعمالها فى غير ما وضعت له والحقيقة يجب أن تكون مستعملة فى ما وضعت له ، وليست مجازا لأن قرينتها غير مانعة والمجاز قرينته يجب ان تكون مانعة (٢٦ ج ٤ دسوقى) .. والكناية عند الجمهور ومنهم السكاكى حقيقة ، وعند السبكى قد تكون حقيقة وقد تكون مجازا . وقيل إنها مجاز .

٦ — الفرق بين الكناية والمجاز :

عند السكاكى الانتقال فى الكناية من اللازم إلى الملزوم وفى المجاز بالعكس ، وعند المصنف يجوز فيها إرادة المعنى المطابق مع ارادة لازمه والمجاز لا يجوز فيه ذلك .

وعند السبكى الكناية لفظ أريد به موضوعه ليستفاد غير موضوعه ، والمجاز لفظ أريد به غير موضوعه ، وغير الكناية من الحقيقة لفظ أريد به موضوعه ليستفاد منه ذاك الموضوع له ، والمقصود بالكناية بالذات اللازم وارادة الملزوم تبع ؛ والمقصود بالحقيقة الملزوم فان فهم منه بعض لوازم معناه تضمنا والتزاما كان ارادة اللازم تبعا وكان حقيقة قطعا (٢٨٧ ج ٣ ابن يعقوب) .

فاذن الكناية يصح أن يقال فيها إنها لفظ أريد به غير معناه باعتبار إرادة الافادة وأن يقال لفظ أريد به معناه باعتبار الاستعمال ، فالكناية عند السبكى تفارق المجاز فى أنها ليس فيها انتقال الاستعمال بل انتقال الذهن فقط (وهو انتقال الافادة) .

فخلاصة رأى السبكى فى الفرق بين المجاز والكناية : هى أن فى الكناية ارادة شيئين : أحدهما مدلول اللفظ وتلك إرادة استعمال ، والثانى ملزومه وتلك إرادة إفادة ، أما المجاز ففيه إرادة شىء واحد هو مدلول اللفظ ، والتحقيق أن المجاز فيه إرادتان أيضا : إرادة استعمال وإرادة إفادة ، غير أنهما تواردا على محل واحد ،

بخلاف الكناية فان إرادة الاستعمال فيها فى الموضوع وإرادة الافادة فى متعلقه ، فلا تفاوت بينهما إلا فى أن محل الارادتين فى أحدها واحد وفى الآخر متعدد .

٧ - الفرق بين التشبيه والاستعارة والكناية :

ا — التشبيه من أساليب الحقيقة ، والاستعارة من أساليب المجاز ، والكناية وسط بين الحقيقة والمجاز لجواز إرادة المعنى الحقيقى والكنائى فيها ، فقولك « فلان نقى الثوب » تكنى به عن طهارته واستقامته ، وقد يكون مع ذلك نقى الملابس أيضا

ب — التشبيه فيه أداة للتشبيه . والاستعارة لا أداة للتشبيه فيها مع ملاحظة التشبيه . والكناية بعيدة عن أسلوب التشبيه .

جـ — والتشبيه : الدلالة على مشاركة أمر لآخر فى معنى بأداة لغرض مثل محمد كالأسد .

وأما الاستعارة : فهى نقل اللفظ من معناه الأصلى الذى وضع له إلى معنى آخر بينه وبين المعنى الأصلى مشابهة لقصد المبالغة . مثل : رأيت أسدا .

والكناية تأدية المعنى المراد بذكر لازم من لوازمه . مثل الكرم فى أثوابه .

٨ — الانتقال عند السكاكى فى الكناية لا المجاز من اللازم الى الملزوم : واعترض عليه المصنف بأن اللازم قد يكون أعم فلا ينتقل منه إلى الملزوم : إذ لا إشعار للأعم بالأخص . والجواب عن السكاكى أن اللازم إنما ينتقل عنه لا من حيث إنه لازم بل من حيث انه ملزوم : وإنما سماه لازما من حيث إنه تابع للغير وإلا فهو ملزوم فى المعنى .

فالخلاف بين السكاكى والمصنف فى الانتقال من الكناية لفظى (٢٨٧ ج ٣ دسوقى) . ومذهب المصنف أن الانتقال فى الكناية كالمجاز هو من الملزوم إلى اللازم . ولتوضيح ذلك نقول : عرفت الكناية بأنها لفظ أريديه لازم معناه : فمعنى اللفظ إذا ملزوم والمعنى الكنائى لازم : وفرق السكاكى بين الكناية والمجاز بأن الكناية مبناها على الانتقال من اللازم إلى الملزوم ؛ فمقتضى هذا أن معنى اللفظ لازم والمعنى الكنائى ملزوم .

وهذا تناقض واضح ، لذلك رأى الخطيب أن اللازم يراد به ضرورة فى الكناية

ما كان مساويا للملزوم ، حتى يصح الانتقال حينئـــذ من اللازم إلى الملزوم وما دام اللازم مساوياً فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم إلى اللازم . وهناك رأى آخر فى دفع هذا التناقض ، فقد قيل : إن هناك تلازما فى الوجود وتلازما فى العلم ، فالتلازم الوجودى ان يوجد شىء أولا ، ثم يستتبع وجود ذلك الشىء وجود شىء آخر ، كنزول المطر مع النبات ، فنزول الماء ملزوم وظهور النبات لازم ، وكطول النجاد والقامة فالأول لازم والثانى ملزوم ؛ وأما التلازم فى العلم فأن يكون العلم بوجود شىء مستتبعا العلم بوجود شى آخر فيكون أول المعلومين ملزوما وثانيهما لازما ، فالعلم بظهور النبات فى صحراء مستلزم للعلم بنزول المطر ، والعلم بطول النجاد لشخص مستلزم للعلم بطول القامة ، فنرى أن اللازم فى الوجود قد صار ملزوما فى العلم فاذا نظر إلى التلازم من حيث الوجود لا يخرج الملزوم عن كونه ملزوما واللازم عن كونه لازما ؛ أما إذا نظر إلى التلازم فى العلم فيصح اعتبار كل منهما لازما وملزوما والسكاكى إنما أراد اللزوم فى الوجود ، فمدلول اللفظ الحقيقى دائما هو اللازم فى الوجود والمعنى الكنائى هو الملزوم ؛ فاعتراض الخطيب على السكاكى باشتراط التساوى فى التلازم غير صحيح ، ومنشؤه إغفال الفرق بين التلازم فى الوجود وفى العلم ، ففى الأول الملزوم فى الوجود ملزوم واللازم لازم ، والثانى يقتضى التساوى فيه صحة كونه لازما وملزوما . فتعريف الخطيب ملاحظ فيه التلازم فى العلم ، فمعنى اللفظ الحقيقى ملزوم فى العـــلم والمعنى الكنائى لازم ؛ وسنفصل الكلام على ذلك فيما يلى . والخلاصة أن الكناية عند السكاكى الانتقال فيها على ما ذكره من اللازم إلى الملزوم والمجاز بالعكس ، أما المصنف فالانتقال عنده فى المجاز والكناية من الملزوم إلى اللازم ، وعند السبكى الانتقال فيهما من الملزوم إلى اللازم أو من اللازم إلى الملزوم

٩ — عرفوا (١) الكناية بأنها لفظ أريد به لازم معناه ومقتضى هذا التعريف أن معنى اللفظ يكون ملزوما والمعنى الكنائى يكون لازما ، ولما فرق السكاكى بين المجاز والكناية قال : إن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم

(١) من بحث للاستاذ حامد محيسن فى البلاغة

ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم ، ومقتضى هذا الفرق أن المعنى الكنائى يكون ملزوما والمعنى الحقيقى للفظ يكون لازما ، فيكون هذا الفرق مناقضا فى مقتضاه للتعريف ، فان المعنى الكنائى كما رأيت لازم بمقتضى التعريف وملزوم بمقتضى فرق السكاكى . والخطيب فى إيضاحه قد نظر فيما فرق به السكاكى بأن اللازم مالم يكن ملزوما يمتنع أن ينتقل منه إلى الملزوم ، يريد أن اللازم مالم يكن مساويا للملزوم لا يمكن الانتقال فلا تصح الكناية ، ثم أخذ الخطيب بعد ذلك يحتال على تصحيح الفرق الذى نقله عن السكاكى ، وانتهى الأمر بعدم صحة ذلك الفرق .. وأقول إن هناك تلازما فى الوجود وتلازما فى العلم أما التلازم فى الوجود فان يوجد شىء أولا ثم يستتبع وجود ذلك الشىء وجود شىء آخر ، كنزول المطر مثلا مع النبات ، وكتناول الماء والرى ، وكطول القامة وطول النجاد ، فأنت ترى فى هذه كلها أن أول الشيئين وجد أولا وثانيهما وجد ثانيا ، فنزول الماء ملزوم وبدو النبات لازم ، وتناول الماء ملزوم والرى لازم ، وطول القامة ملزوم وطول النجاد لازم ، وكله تلازم فى الوجود . وأما التلازم فى العلم : فان يكون العلم بوجود شىء مستتبعا العلم بوجود شىء آخر ، فيكون أول المعلومين ملزوما وثانيهما لازما ، كما ترى فى الأمثلة الثلاثة المتقدمة ؛ ترى أن العلم ببدو النبات فى صحراء لا يأتيها الماء إلا من السماء مستلزم للعلم بنزول الماء من السماء ، والعلم بالرى مستلزم للعلم بتناول الماء ، والعلم بطول النجاد لشخص مستلزم للعلم بطول القامة ، فترى أن اللازم فى الوجود قد صار ملزوما فى العلم ، ومن هذا ما تراه فى استدلالهم بوجود هذه المخلوقات على وجود الصانع : من أن وجود المخلوقات تابع لوجود الصانع ، ولكن وجود المخلوقات لما اعتبر دليلا على وجود الصانع ، والدليل كما قرروا ملزوم والنتيجة لازمة ، فقد صار بذلك اللازم فى الوجود ملزوما فى العلم ، والتساوى بين اللازم والملزوم إذا نظر إلى التلازم من حيث الوجود لا يخرج الملزوم عن كونه ملزوما واللازم عن كونه لازما ، أما إذا نظر إلى التلازم من حيث العلم صح أن يعتبر كل منهما لازما وملزوما ؛ فاذا كانت الناطقية مساوية للانسانية فلك أن تعتبر الناطقية ملزوما من حيث العلم والانسانية لازما ،

ولك أن تعتبر الانسانية من هذه الحيثية ملزوما والناطقية لازما وعلى هذا الاعتبار انبنى التلازم فى الكناية ، فلم يكن اللازم مساويا للملزوم لا تصح الكناية .

بهذا يتبين لك أن ما أورده الخطيب فى إيضاحه على ما فرق به السكاكى بين الكناية والمجاز مبنى على عدم الالتفات الى الفرق بين اللازم فى الوجود واللازم فى العلم . والسكاكي إنما أراد اللزوم ، وأنت إذا تتبعت أساليب الكناية وجدت مدلول اللفظ الحقيقى دائما هو اللازم فى الوجود ، والمعنى الكنائى هو الملزوم فى الوجود . واليك الأمثلة : يقولون فلان كثير الرماد ، كثرة الرماد فى الوجود تابعة للكرم فيه ، فالكرم أولا وكثرة الرماد ثانيا ؛ ويقولون بعيدة مهوى القرط فبعد مهوى القرط فى الوجود تابع لطول العنق فيه ؛ ويقولون المجد بين برديه ، وجود المجد بين بردى الشخص إن فرض وجوده إنما يكون بعد وجود ذى البردين ؛ وهكذا لا ترى المعنى الكنائى إلا تابعا فى الوجود لمعنى اللفظ . وعلى هذا فاعتراض الخطيب على السكاكى باشتراط التساوى فى التلازم غير صحيح ، ومنشؤه اغفالهم هذا الفرق بين التلازمين ، فانك كما علمت ترى التساوى بين المتلازمين لا يخرج الملزوم فى الوجود عن كونه ملزوما واللازم فيه عن كونه لازما ، وإنما يقتضى التساوى صحة اعتبار كل منهما لازما وملزوما إذا نظر إلى التلازم فى العلم .

أما تعريف الخطيب فهو ملاحظ فيه التلازم فى العلم ، والذى يوضح لك هذا أنهم يقولون إن الكناية بمثابة دعوى الشىء ببينة ، والبينة كما تعلم هى الدليل ، والدليل ملزوم فى العلم والنتيجة لازمة . فيكون معنى اللفظ الحقيقى فى أسلوب الكناية هو البينة والدليل ، فهو ملزوم فى العلم ، والمعنى الكنائى لازم . فاذا قلت مثلا : فلان مهزول الفصيل ، فمعنى مهزول الفصيل الحقيقى مجعول دليلا على الكرم ، فمتى علمت هزال الفصيل لامرىء علمت أنه كريم : وهم حين يستدلون على العلم بوجود الشىء يستدلون عليه بوجود آثاره ولوازمه ، فاللوازم فى الوجود ملزومات فى العلم

هذا وأما التعريض : فيقال فى اللغة على غير التصريح فاذا قلت عرض فلان بفلان أو لفلان كان معناه أنه رماه بشىء لا عن طريق التصريح بل أفهمه بوساطة المقام

والقرينة . وعلى ذلك جاء قول الرسول الكريم « إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب » ، وعلى ذلك أيضا جاء قوله تعالى « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » ، أما التعريض فى اصطلاح البيانيين فقد اختلفت عباراتهم فى تعريفه ولقد يكون أظهر ما يقال فى تحديده « أنه إيراد الكلام لافهام معنى ليس له بمعنى اللفظ المراد منه علاقة كالمشابهة أو التلازم ، لا المعول فى إفهامه على القرينة والمقام » .

فانك مثلا إذا قلت فى مجلس فيه كذاب : أنا لست بكذاب ، معرضا بهذا الكذاب تريد أن تنسب إليه الكذب وذلك هو المعنى التعريضى ، فاذا نظرت الى المعنى الحقيقى للفظ وهو نفى الكذب عن المتكلم ، والمعنى التعريضى الذى هو نسبه الكذب ، لشخص معين ، اذا نظرت اليهما لم تجد بينهما ما بين الرجل الشجاع والأسد من مشابهة اذا قلت رأيت أسدا يخطب الناس ، ولم تجد بينهما كذلك ما بين الجنة والرحمة من حالية ومحلية فى مثل قوله تعالى « ففى رحمة الله هم فيها خالدون » ، ولم تجد بينهما كذلك ما بين طول النجاد وطول القامة من تلازم حين تقول فلان طويل النجاد لتكنى به عن طول القامة ، لا تجد بينهما من مثل ذلك شيئا ، بل كل ما انفهم به المعنى التعريضى هو القرينة والمقام ، ولذلك ترى بعضهم قد قارب فى تعريفه فكاد يصيب حين قال : « التعريض هو افهام المعنى بواسطة السياق والقرائن » .

فاذا كان التعريض هو ذلك المعنى الذى فهمته من التعريفين المتقدمين فى اصطلاح البيانيين ، ظهر لك أن التعريض شىء غير الكناية والواقع كذلك ، اذ الكناية قد عرف مما تقدم أنها تدور على أن تذكر شيئا وتريد متبوعه فى الوجود وملزومه ، فلا تتم الكناية حتى يكون بين المعنيين الحقيقى والكنائى تلازم ، يرجع الى عقل أو الى عرف أو الى عادة . أما المعنى التعريضى فلا يتوقف افادته على ذلك الارتباط بينه وبين المعنى المراد من اللفظ ، بل مدار افهامه وفهمه على القرينة والسياق ، كما اتضح لك هذا فى المثال السابق . وكما ظهر أن التعريض غير الكناية ، فقد ظهر أن التعريض غير المجاز ، اذ المجاز لا بد أن يكون فيه ارتباط بين المعنى الحقيقى وبين المعنى المجازى وهو ما يسمونه بالعلاقة ، والعلاقة قد تكون المشابهة وقد تكون غير المشابهة . وهى ما فصلوه فى المجاز المرسل

وقد يدور بالذهن سؤال ، هو أن مقتضى تعريف التعريض أنه يباين الكناية كما يباين المجاز ، ومقتضى ما نقله صاحب التلخيص عن السكاكى من قوله: « الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وايماء وإشارة » أن التعريض كالتلويح والرمز وغيرهما قسم من الكناية ، والمقتضيان كما ترى متناقضان ، وهذا هو الاشكال الذى يعترض القارىء فى هذا المقام ، ولا يقدح فى هذا التعبير بالتفاوت دون التعبير بالانقسام إذ ان ما وجهوا به عبارته لا يفضى على أى حال إلى أن التعريض مباين للكناية بل يؤدى على أى تقدير إلى أن التعريض قسم من الكناية ، لأن التوجيه بأن التعبير بالتفاوت إنما أوثر على التعبير بالانقسام لأن التعريض أعم من الكناية من وجه إذ قد يكون كناية تارة وقد يكون مجازا أخرى ، لا يجعل التعريض مباينا للكناية ، بل يجعله باعتبار من اعتباراته قسما من الكناية ، كما نظروا لذلك بتقسيم الحيوان إلى الأبيض والأسود حيث لم يكن عموم الأبيض من وجه حين يوجد فى الثلج والقطن مثلا مانعا من اعتبار الأبيض قسما للحيوان بقيد كونه حيوانا فكذلك يكون التعريض قسما من الكناية بقيد كونها كناية . وتوجيه بعضهم التعبير بالتفاوت دون الانقسام بأنه إنما عبر بهذا لتداخل تلك الأقسام التى هى التعريض والتلويح والرمز والايماء والاشارة ، كذلك لا يخرج التعريض عن كونه قسما من الكناية ، فالاشكال على أى تقدير واضح محوج إلى تحقيق المقام ، ويزيد فى هذا الاشكال ما نقله صاحب التلخيص أيضا عن السكاكى من أن التعريض أيضا قد يكون مجازا كقولك آذيتنى فستعرف وأنت تريد إنسانا بمع المخاطب دونه ، وإن أردتهما كان كناية ، فأنت ترى أن ما نقله السكاكى صريح فى أن التعريض يكون مجازا تارة ، ويكون كناية أخرى على حسب إرادة المتكلم واختلاف المقام المقتضى لاختلاف الارادة ، وهو يقضى بأن التعريض ليس مباينا للكناية مما يتم به الاشكال ويتضح —

الواقع أن التعريض يباين الكناية ، وأن الصحيح هو ما يقتضيه تعريف التعريض ، أما ما نقله صاحب التخليص عن السكاكى ، فالعبارة الأولى التى هى قوله : الكناية تتفاوت الخ ، غرض السكاكى من هذا الاشارة إلى أن الكناية

أحيانا قد تكون طريقا للتعريض ، على معنى أن اللفظ إن كان يستعمل فى معنى كنائى فقد يقصد منه إفادة معنى تعريضى عن طريق السياق والقرينة ، فيكون اللفظ أحيانا مفيدا لمعنى كنائى ولمعنى تعريضى عن طريق السياق والقرينة ، وأحيانا لا يصحب الكناية تعريض ؛ وحين ذاك يتحقق فيها معنى التلويح إذا كان المعنى الكنائى بعيدا كثير الوسائط ، أو معنى الرمز إذا كان المعنى الكنائى قريبا خفيا ، أو معنى الايماء والاشارة إذا لم يكن خفاء ولا بعد ولتوضح هـذا بمثال يتبين الأمر جليا ، مثلا إذا أنت قلت « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » ، فان المعنى الحقيقى لهذا اللفظ قصر الاسلام على الذى لا يؤذى الناس أبدا غير أن هذا المعنى ليس هو المقصود إنما المقصود لازم هذا ، وهو نفى الاسلام عن المؤذى مطلقا وهذا هو المعنى الكنائى وأنت أحيانا قد تريد التعريض بشخص معين فتريد نفى الاسلام عن مؤذ معين ، وهذا هو المعنى التعريضى فانت تراه قد جاء مع المعنى الكنائى ، فاذا قال السكاكى إن الكناية قد تتفاوت إلى تعريض وتلويح الخ كان المعنى أن الكناية قد يصحبها التعريض كما فى المثال المتقدم وقد لا يصحبها . وبهذا يتبين أن عبارة السكاكى لم تقتض أن التعريض قسم من الكناية إلا أنه يبقى أن عبارته الثانية التى نقلها صاحب التخليص . وهى قوله :

والتعريض قد يكون مجازا كقولك آذيتنى فستعرف الخ : نص فى أن التعريض يكون أحيانا كناية ، ويبقى الأشكال بحاله كما كان ، والواقع ليس كذلك إذ أن صاحب التلخيص عزى تلك العبارة إلى السكاكى مع أن عبارة السكاكى فى هذا المقام ليست كذلك ، وإليك نصها : حتى تعلم أنها تفيد غير ما تفيده تلك العبارة التى فى التلخيص ، عبارة السكاكى فى المفتاح : « واعلم أن التعريض تارة يكون على سبيل الكناية وأخرى على سبيل المجاز فاذا قلت آذيتنى فستعرف وأردت المخاطب ومع المخاطب إنسانا آخر معتمدا على قرائن الأحوال كان من القبيل الأول ، وإن لم ترد إلا غير المخاطب كان من القبيل الثانى ، فتأمل وعلى هذا فقس وفرع إن شئت فقد نبهتك » ، وأنت ترى أن عبارة السكاكى تفيد بكثير من الوضوح أن التعريض

تارة يجرى مجرى المجاز على معنى أنه قد يمنع المقام من إرادة غير المعنى التعريضى مع المعنى التعريضى فيكون شأنه شأن المجاز من أن قرينته تمنع من إرادة المعنى الحقيقى ، وقد يجرى التعريض مجرى الكناية ، على معنى أنه قد يراد المعنى الحقيقى للفظ مع المعنى التعريضى ، فيكون شأنه شأن الكناية ، إذ الكناية لا تمنع قرينتها من إرادة المعنى الحقيقى مع المعنى الكنائى . وليس معنى كلام السكاكى أن التعريض تكون حقيقته ، حقيقة الكناية تارة وتكون حقيقته حقيقة المجاز تارة أخرى ، وإلا لما قال : التعريض تارة يكون على سبيل الكناية ، بل لو كان الأمر كما يفيده عبارة التلخيص لقال : التعريض تارة يكون كناية ولا يقول على سبيل الكناية ، المفيد أنه يريد أن التعريض قد يكون طريقه كطريق المجاز ، من حيث أنه قد يراد مع المعنى التعريضى المعنى الحقيقى ، فيكون شأنه كشأن الكناية ، وقد لا يراد فيكون شأنه كشأن المجاز . هـذا ما أراده السكاكى وبفهمه يندفع الأشكال والاضطراب الذى وقع بين الكاتبين ، وسبب ذلك كله فهم صاحب التلخيص لعبارة السكاكى على غير وجهها فنقلها بالمعنى الذى فهمه ، وإلا فالكناية غير التعريض وأنه ليتجلى لك هذا حين تتبع كلام العرب ، فتجدهم يفرقون فى كلامهم بين التعريض والكناية .

١٠ — أغراض الكناية وبلاغتها :

تستعمل الكناية لتحقيق الأغراض الآتية :

١ — تأكيد المعنى بتصويره تصويراً واضحا مصحوبا بما يؤيده ، وذلك كالكناية عن الندم بعض الأنامل وعن الحزن بتقطيب الجبين .

٢ تهجين الشىء والتنفير منه ، كما فى قوله تعالى فى التنفير من البخل وتهجينه « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك » .

٣ — تحسين المعنى وتجميله مع إخفاء الأمر على المخاطبين ، كقولك فى رجل لا يجيد الشعر « هو نبى الشعر » تكنى به عن عدم إجادته للشعر لقول الله تعالى فى نبيه « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » .

٤ — التعبير عن الشيء بلفظ جميل بدل اللفظ المستهجن الموضوع له كالكناية عن الصمم بثقل السمع وعن العمى باستمرار لبس النظارة .

السر فى بلاغة الكناية :

١ — الكناية تأدية المعنى بذكر لازم من لوازمه والملازم يستدعى وجود الملزوم حتما ، فى أسلوب الكناية تؤدى المعنى مصحوبا بدليله ، وذلك أوقع فى النفس ، وآكد لاثباته ؛ وهذا هو سر بلاغة الكناية ؛ مثل قولك فى رجل « المجدبين ثوبيه » ، وقول الشاعر :

فمساهم وبسطهم حرير وصبحهم وبسطهم تراب

فى الشطر الأول كناية عن العز والغنى وفى الشطر الثانى كناية عن الذل والفقر

٢ — والكناية يؤتى بها لتحقيق الأغراض السابقة ، وكلما كانت الكناية أكثر تحقيقا للغرض الذى سيقت له كانت أكثر بلاغة وجمالا .

اختلاف الأذواق فى تقدير الكناية باختلاف الزمن والبيئة :

ا — تختلف الكناية باختلاف الزمن :

فقد كان العربى يمدح المرأة فيكنى عن ترفها بقوله : (هى نئوم الضحى) ، ونحن الآن نعد ذلك مظهر الكسل والخمول .

والكناية : هو كثير الرماد كناية عن الكرم ، كانت لها بلاغتها فى العصور القديمة . أما الآن فلا نكاد نشعر لها بجمال ، لأن الذوق يختلف فى تقدير الكناية باختلاف العصور . شأنه فى ذلك شأنه فى التشبيه والاستعارة .

ب — وتختلف الكناية باختلاف البيئة :

يكنى العربى فى الصحراء عن الإقامة فيقول : ألقى عصا التسيار .

ويكنى عن المجد فيقول : جبان الكلب ومهزول الفصيل .

قال شاعرهم : وما يك فى من عيب فانى جبان الكلب مهزول الفصيل

أما نحن فنكنى عن الثراء مثلا بقولنا : فلان يقتنى السيارات الفاخرة ، أو هو معروف الاسم فى المصارف

توليد الصور البيانية :

١ — الاديب الفذ يولد دائما صور البيان مما يرى ويلاحظ من أشياء ومناظر واختراعات .

ا — فيقول فى التشاؤم : يرى الأمور بمنظار أسود .

ب — ويقول فى الرجل الطموح : هو يلمق فى أفق من الآمال والمجد والعبقرية .

ح — وقال أبو تمام يستدل على أنه ليس بعيب أن يكون كريما مع فقره بما يراه كل الناس من عدم استقرار المطر على رؤس الجبال .

لا تنكروا عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالى

د — ويصور الله عز وجل الحق فى بقائه والباطل فى تلاشيه بما يراه الناس فى كل وقت من رسوب الأجسام الكثيفة فى الماء وتأرجح الأجسام الخفيفة فوق سطح الماء :

فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

٢ — وبعض الصور المولدة الجديدة قد يعم استعمالها لشهرتها . فيؤدى ذلك لابتذالها وضياع كثير من بهجة جدتها وطرافتها وجمالها كما نرى من : تشبيه الوجه الجميل بالقمر أو الشمس ، وكتشبيه الشجاع بالأسد ، والكريم بالبحر .

٣ — وقد يتناول البليغ الأديب هذه الصور المألوفة . فيتصرف فيها تصرفا ساحراً يجعلها كأنها جديدة طريفة . وذلك كقول المتنبى :

كالبدر من حيث التفت رأيته يهدى إلى عينيك نورا ثاقبا
كالبحر يقذف للقريب جواهرا جودا ويبعث للبعيد سحائبا
كالشمس فى كبد السماء وضوءها يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

وكقول البحترى :

دنوت تواضعا وعلوت مجـــدا فشأناك انحـــدار وارتفاع
كذاك الشمس تبعد أن تســـامى ويدنو الضـــوء منها والشعاع

تشبيه الرجل بالشمس فى الرفعة مبتذل . ولكن البحترى جعل الممدوح قريبا بتواضعه بعيدا بمجده كالشمس قريبة بشعاعها وضوئها بعيدة بمكانها وجرمها .

تجدد صور البيان :

١ — صور البيان فى تجدد دائم . تحتضر أساليب قديمة مبتذلة . وتحل محلها أساليب جديدة طريفة .

٢ — والصور التى تضيع قيمتها البلاغية إنما يحدث ذلك لها بسبب تغير مناظر البيئة وعادات العصور وإلفها . . والصور الجديدة تتولد من مشاهد البيئة والزمن والحضارة ومناظرها .

فقد كان العرب يدلون على الكرم بكثرة الرماد وجبن الكلب . وقد أصبحنا لا نستجيد هذه الصور البدائية . كما ضربوا المثل فى الذلة بالوتد فقالوا : هو أذل من وتد . ولا نباهة لهذا المثل عندنا . وكانوا يقولون : زأر زئير الأسد . ونحن الآن نقول : زأر زئير المدفع والقنبلة . وكانوا يقولون : هو فى عدوه كالفرس والظبى ونحن نقول : يطير ويطوى الأرض كالطيارة .

٣ — ورغم ذلك فصور البيان القديمة من تشبيه ومجاز وكناية لا تزال كثيرة جدا ، أما صور البيان الجديدة الرائعة فلا تزال قليـــلة نادرة رغم أننا نعيش فى عصر الكهرباء والطيران والمذياع والبخار والذرة .

٤ — ومن الواجب أن نستمد مما يحيط بنا من مناظر الحضارة ومستحدثاتها الكثير من صور البيان وألوانه من التشبيهات والكنايات والاستعارات ، كما فعل حافظ ابراهيم حين قال .

كأن فؤادى إبرة قد تمغطست بحبك أنى حرفت عنك تعطف

٥ — وإحداث الصور البيانية الجديدة يزيد فى ثروتنا الأدبية واللغوية ، ويجعل

اللغة سهلة المقياد ويدل على مدى نشاطنا الفكرى والأدبى ، فلملون صور التشبيه والاستعارة والكناية بألوان حضارتنا وحياتنا وبيئتنا وعصرنا الحاضر.

تراكم صـــور البيان :

١ - قال الشاعر :

فأمطرت لؤلوا من نرجس ، وسقت وردا ، وعضت على العناب بالبرد

استعار اللؤلؤ للدموع ، والنرجس للعيون ، والورد للخدود ، والعناب للانامل والبرد للاسنان فى بيت واحد فكثرت الاستعارات وكانت كثرتها وتراكمها سببا فى ضعف قوة الأسلوب وضعف المعنى وعدم وضوحه .

٢ — وقال آخر :

بدت قمرا ، ومالت خوطا بان وفاحت عنبرا ، ورنت غزالا

شبه طلعتها بالقمر ، وقامتها بالغصن ، ورائحتها بالعنبر ، وعيونها بعيون الغزال فى بيت واحد ، فكان الأسلوب ضعيف التصوير قليل التأثير. ومن هذا ترى كيف أن تراكم صور البيان وكثرتها يضعف روعة الأسلوب وقوة المعنى .والخلاصة أنه:

١ - قد تكثر صور التشبيه أو الكناية فى الكلام فتكون سببا فى ضعف قيمته البيانية وقلة تأثيره فى النفوس وتصويره للمعنى .

٢ - والأديب البليغ هـــو الذى يستعمل ألوان الاستعارات والتشبيهات والكنايات بقدر ، ووفق إرشاد ذوقه وطبعه ، ليكون الكلام أبلغ وأتم تصويرا للمعنى .

٣ — ومهما كان فيجب ألا يقصـــد الأديب الناشئ إلى استعمال التشبيهات والكنايات والاستعارات لذاتها ونفسها ولا لتجميل الكلام وتزيينه بها ، ولكن يجب أن يفهم أنها وسائل لتوضيح المعانى وتصويره تصويرا جميلا قويا مؤثرا .

الكلمة الأخيرة

هذا هو الجزء الخامس من شرحنا على الايضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى المتوفى عام ٧٣٩ هـ ، وهو يشمل بحوث المجاز والاستعارة والكناية جميعا .

ورغم دقة هذه البحوث وصعوبتها ، فان كتابتنا فيها تعتبر من أوفى ما كتب حولها حتى الآن ؛ وفى هذه البحوث خلاصة لآراء عبد القاهر فى أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ، ولآراء سواه من أئمة البلاغة .

وكانت لدى بحوث كثيرة كنت عازما على نشرها فى ملحق هذا الجزء ، ومن بينها بحوث فى الاستعارة ونقد اراء عبد القاهر والبلاغيين حولها ، ومنها بحث جديد عن نقد النثر ؛ إلا أن طول هذا الجزء جعلنى أوخر ذلك الى الجزء السادس الذى سيظهر قريبا جدا إن شاء الله .

وبعد فانى أحمد الله على توفيقه ، وأسأله السداد والعون والرعاية ، وما توفيقى إلا بالله .

محمد عبد المنعم خفاجى
الأستاذ بكلية اللغة العربية

١٦ / ١٩٥٠ /

كلمة إنصاف

نشرت مجلة الرسالة فى أحد أعدادها الكلمة الآتية :

نشر الأستاذ الكاتب الموهوب عباس خضر رأيه فى معركة الخطيب القزوينى فى الأزهر، وقد تفضل أستاذنا الجليل فضيلة الشيخ عبد المتعال الصعيدى ، فنشر فى الرسالة تعقيبا على كلمته . ويبدو أن استاذنا الجليل يريد أن ينقل المعركة إلى ميدان الرسالة الغراء إذ بدأ فنشر واتهم . وإنى إنصافا للحقيقة أضع أمام القراء الحقائق الآتية :

١ — ليس شرح الأستاذ الصعيدى للايضاح مقررا فى الكلية ، ولا شرحى أيضا

٢ — لكثير من كبار الأساتذة فى كلية اللغة كتب متعددة فى علم واحد ومقرر سنة واحدة ، فلم يؤد ذلك إلى أن يهاجم السابق اللاحق ولا العكس ، بل إنى أثنيت فى شرحى على الأستاذ الصعيدى ومجهوده فى شرح الايضاح .

٣ — وأساتذتنا فى الكلية يحرصون على إباحة حرية البحث والتأليف لطلبتهم فكيف يحجر أستاذ على زميله أن يؤلف فى البلاغة لأن له كتابا فيها ؟

٤ — وعندما ظهر الجزء الأول من شرحى بدأنى الأستاذ الجليل بالخصومة ، وطاف على الطلبة فى الفصول ينبههم إلى أن كتابه هو المعتمد للدراسة وكتابى مملوء بالأخطاء ثم نشر بيانا للطلبة سماه « تنوير لطلبة كلية اللغة » يندد فيه بأخطاء مزعومة فى الجزء الأول من شرحى .

وقال له كثير من الأساتذة : إنه يتهم فى نقده مهما كان ، لأن هـــذا النقد لا يحمل على شىء أكثر من أنه دفاع عن كتاب .

٥ — ورأى أنه لا يصح أن يلحق بغباره أحد ، لأن له عشرين مؤلفا . والطريف أن أحد الأساتذة الأجلاء ذكر له أن هذا ليس موضعا للفخر ، لأن للذى ينقده — خفاجى — أكثر من عشرين كتابا بعضها مراجع ومصادر ، مع أنه أستاذ ناشىء .

وليت شعرى بعد ذلك كله كيف انقلبت هذه المعركة العلمية إلى خصومة اشخصية عند أستاذنا الجليل الشيخ الصعيدى .

٦ — وإنى أعيذ القارىء من أن أطيل عليه ، وأكتفى بملاحظات صغيرة أنشرها توضيحا لمذهب أستاذنا الجليل فى إصلاح البلاغة :

ا — ذكر أستاذنا الجليل الجاحظ فى شرحه ، فعرفه بأنه عمرو بن بحر الأصفهانى !! ونسب فيه بيت حافظ المشهور : « الأم مدرسة إذا أعددتها » لشوقى ؛ ورأى أن جميع الآراء والمذاهب البلاغية مما حكات لفظية ساقطة ؛ وأن الخلاف بين عبد القاهر والسكاكى فى التقديم والتأخير مثلا جدل عمل ، إذ ليس بينهما نزاع حقيقى فى التقديم وإفادته التخصيص أو التقوى ، وعبد القاهر عند أستاذنا الجليل اضطرب كلامه فى البلاغة ، وكذلك أبو هلال . فاذا ما ذكرت الآراء والمذاهب البلاغية ووازنت بينها فى شرحى كان ذلك عملا يستحق النقد من أستاذنا الجليل ، وكذلك إذا كتبت بعض بحوث جديدة عن نشأة البلاغة وعلمائها ومصادرها كان ذلك خطأ كبيرا منى لأنه يهدم مذهب أستاذنا الجليل فى إصلاح البلاغة ؛ وإذا ما حققت الكلام على متعلقات الفعل ألامها كسورة أم مفتوحة كان ذلك عملا لا داعى إليه فى عصر الذرة ، وإذا ورد ذكر الكناية مثلا فى علم المعانى فشرحت معناها فى شرحى كان ذلك ذكرا للشىء فى غير موضعه ، والبيت :

ومهمه مغبرة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه

صدره زيادة زدتها أنا على الايضاح كما يرى أستاذنا الجليل والطريف أن البيت موجود كما هو أيضا فى شرحه هو على الايضاح .

ب — ومن مذهب أستاذنا الجليل فى إصلاح البلاغة أن ينشر إيضاح القزوينى ويكتب على الكتاب ما نصه : « تأليف عبد المتعال الصعيدى المدرس فى كلية اللغة العربية » وأن يفصل بين كلام صاحب الايضاح بعناوين وتطبيقات دون أن ينبه على أن ذلك مزيد على الكتاب .

حـ — وذكر أستاذنا الجليل فى شرحه هذا البيت :

ظعنوا فكان بكاى حولا كاملا ثم ارعويت وذاك حكم لبيد

وقال إن فيه تعقيدا معنويا ، فلفت نظره إلى أنه ليس فيه شيء من التعقيد . فخطأني وقال إنه ليس هو الذي يقول بذلك وحده ، ولكن صاحب الصناعتين صرح بذلك ، فرجعت إلى كلام صاحب الصناعتين ، فوجدته ذكر البيت ، ووصله بيت ثان هو :

أجدر بجمرة لوعة إطفاؤها بالدمع أن تزداد طول وقود

وقال أبو هلال : هذا خلاف ما يعرفه الناس لأنهم قد أجمعوا على أن البكاء يطفيء الغليل الخ ، والمتذوق للأدب يفهم أن كلام صاحب الصناعتين إنما هو عن البيت الثاني « أجدر الخ » ولكن أستاذنا الجليل صرف كلامه الى البيت الأول « ظعنوا الخ » فذكره وحده وحذف موضع الشاهد . وبدل كلام صاحب الصناعتين فنسب اليه القول بأن في البيت تعقيدا معنويا ، وأبو هلال لا يعنى أكثر من أنه معنى جديد مبتدع .

وذكر أستاذنا الجليل أن بيت الحطيئة « أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا الخ » قد نسبه السبكي لابن الرومي ، فلفت نظره إلى أن السبكي ينسبه للمتنبي لا لابن الرومي فرد علي بأنه نقل ذلك عن السبكي لوجود ابن الرومي فيه بجوار المتنبي ! !

وقال استاذنا إنه كان يريد أن يؤاخذني في تكرار التعليق على بيت أبي نواس « وصيرني هواك الخ » وإن كان قاله قدسبق إلى بيت آخر بجواره ، ومن الطريف أن هذا البيت ليس لأبي نواس إنما هو لابن البواب .

أليس في ذلك وغيره مما لم أذكره ياسيدي القارىء ما يصلح أن يكون دعامة مذهب جديد في إصلاح البلاغة ، يجب أن ننسبه إلى أستاذنا الجليل ، ولا يصح أن يؤلف فيها أحد بعده لأنه صاحب مذهب جديد فيها .

محمد عبد المنعم خفاجي
المدرس في كلية اللغة العربية

ظهرت الكتب الاتية :

١ أبو هلال العسكرى وأثره فى البلاغـــة العربية ـ تأليف الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى .

٢ ـ شاعر وكتاب ـ تأليف الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

٣ ـ بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى ـ الجزء الأول والثانى .

وتطلب من

المطبعة الفاروقية الحديثة بشارع الأمير أرغون بالناصرية بالقاهرة

أو من مكتبة الجامعة الأزهرية لصاحبها نجيب الرافعى بميدان الأزهر

تحت الطبع :

كتاب

عبد القاهر والبـــلاغة العربية

تأليف

الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

وكتاب

سر الفصاحة

تأليف الامام الأديب الناقد ابن سنان الخفاجى م ٤٦٦ هـ

شرح

محمد عبد المنعم خفاجى — الاستاذ بكلية اللغة

حسن جاد — الاستاذ بكلية اللغة

ملحق للجزء الخامس من شرح الايضاح

بحوث جديدة فى البلاغة للاستاذ محمد خفاجى

سر الفصاحة

دراسة وتحليل للكتاب وأثره فى دراسات البلاغة

— ١ —

سر الفصاحة كتاب جليل، عظيم الخطر، كبير الأثر فى بحوث النقد والبلاغة، مشهور بين العلماء، مشهود له بالأهمية والابتكار والخلق

مؤلفه علم من أعلام النقد والبلاغة فى القرن الخامس الهجرى، هو ابن سنان الخفاجى ٤٢٢ — ٤٦٦ هـ

— ٢ —

و « سر الفصاحة » بحث مفصل فى أسرار الفصاحة والبلاغة

تكلم فيه الخفاجى على اللغة ثم على الحروف ثم على الالفاظ المفردة وصفاتها وأسباب الفصاحة فيها ثم على الالفاظ المؤلفة وأسرار فصاحتها ثم على المعانى المفردة وما يجب أن تكون عليه فى التأليف ليكون الكلام موائما للعقل والتفكير

بدأه الخفاجى بمقدمة أبان فيها ان الغرض من كتابه معرفة حقيقة الفصاحة وسرها لما للبلاغة والفصاحة ومعرفتهما من تأثير بعيد فى العلوم الادبية ولأنهما اللذان يكشفان عن سر الاعجاز فى الذكر الحكيم

لذلك بدأ بحثه فى الكلام على الصوت وتحديد معناه وخصائصه وأنه يخرج مستطيلا ساذجا حتى يعرض له فى الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده فيسمى المقطع أينما وجد حرفا

ثم تكلم على الحروف ومعناها وأن عدد الحروف العربية تسعة وعشرون حرفا وأن المبرد يجعلها ثمانية وعشرين لأنه لا يعتد بالهمزة، وأن هذه الحروف

يحسن استعمال بعضها فى الكلام الفصيح ولا يحسن استعمال البعض الآخر؛ وأبان مقاطع الحروف وصفاتها

ثم حدد معنى الكلام وأنه ما انتظم من حرفين فصاعدا من الحروف المعقولة إذا وقع ممن تصح منه الافادة ؛ ذاهبا الى أنه يشمل المفيد وغيره ، مخالفا لمن رأى قصره على المفيد ، وأبان فساد رأى الجبائى من أن جنس الكلام يخالف جنس الصوت كما أبان فساد رأى المجبرة التى تزعم أن الكلام معنى فى النفس ، ثم ذكر أقسام الكلام ، وان المفيد من الكلام منه حقيقة ومجاز ، وأنه كله يرجع الى معنى الخبر ، كما أبان ان المتكلم من وقع منه الكلام قصدا ، وأن الحكاية هى المحكى عند قوم ، فالتالى للقرآن يسمع منه كلام الله على الحقيقة ، وهى غير المحكى عند قوم آخرين وإن كانت مثله وانتصر لهذا الرأى

ثم ذكر اللغة ومعناها وأصلها أمواضعة ام توقيف وانتصر للرأى القائل إن أساس اللغة مواضعة واصطلاح ، وأن العقلاء استعانوا على هذه المواضعة بالحروف لسهولتها وتكلم على فضل اللغة العربية ومميزاتها وخصائصها ، وذكر أقسام تأليف الحروف وأن منه ما هو تأليف من الحروف المتباعدة مخرجا وهو الاحسن ومنه ما هو تأليف من الحروف المتقاربة وهو قليل أو منبوذ

ثم تكلم على الفصاحة وانها مقصورة على الالفاظ بعكس البلاغة فهى وصف للألفاظ مع المعانى ، وأبان عن شرف الفصاحة وأنها صفة للألفاظ متى ما استكملت عناصر عذة ؛ وأنه متى تكاملت تلك العناصر فلا مزيد على فصاحة الألفاظ ، وبحسب الموجود منها تأخذ نصيبها من الوصف ، وبوجود أضدادها تستحق الذم بأنها غير فصيحة ، وذكر أن تلك العناصر والشروط قسمان :

١ — ما يوجد فى اللفظة الواحدة على انفرادها

٢ — وما يوجد فى الالفاظ المنظومة

ا — فأما ما يجب ان يوجد فى اللفظة المفردة فثمانية عناصر :

١ — ان يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج

٢ — ان يكون لتأليفها فى السمع حسن ومزية على غيرها

٣ — ان تكون الكلمة غير متوعرة وحشية ، ونقدهنا رأى من مدح المعرى بأن كلامه غير مفهوم لكثير من الادباء

٤ — ان تكون الكلمة غير ساقطة عامية

٥ — ان تكون الكلمة جارية على العرف العربى الصحيح

٦ — ان لا تكون قد عبربها عن أمر آخر يكره ذكره

٧ — ان تكون الكلمة غير كثيرة الحروف

٨ — ان تكون مصغرة فى موضع عبر بها فيه عن شىء لطيف أو خفى

ب — وأما عناصر الفصاحة فى الألفاظ المؤلفة :

١ — فمنها ما تشترك فيه مع الالفاظ المفردة وهى [1] :

١ — اجتناب تكرار الحروف المتقاربة فى تأليف الكلام ويرى ابن سنان ان التأليف على ضربين فقط : متلائم ومتنافر ، والمتلائم درجات ولا فرق بين القرآن وغيره فى ذلك ؛ وأبان أن وجه الاعجاز هو صرف الله العرب عن الاتيان بمثله وناقش رأى الرمانى الذى ذهب فيه الى أن تباعد الحروف فى المخرج تباعدا شديدا مدعاة للتنافر كتقارب الحروف ، وذهب الخفاجى الى الثانى فقط

٢ — ان يكون التأليف جاريا على العرف العربى الصحيح

٣ — ان لا يكون التأليف قد عبر به عن أمر آخر يكره ذكره

ب — ومنها ما يختص به التأليف مما يرجع الى الألفاظ بانفرادها أو اشتراكها مع المعانى

---

(١) وقبل ان يذكر الخفاجى ذلك يوضح أن تاليف الكلام صناعة موضوعها هو الكلام مخالفا لقدامة الذى ذهب الى ان موضوعها المعانى ، وان الفصاحة عبارة عن حسن التأليف فى الموضوع المختار ، ولذلك بدأ يتكلم على التأليف ووجوه حسنه او قبحه ليبين أمر الفصاحة

فمن أصول حسن التأليف :

ا وضع الألفاظ موضعها حقيقة أو مجازا :

١ بأن لا يكون فى الكلام تأخير وتقديم يفسد المعنى أو الاعراب ،

٢ — وبأن لا يكون الكلام مقلوبا فيفسد المعنى .

٣ — ومن وضع الألفاظ موضعها حسن الاستعارة ، وهنا يشرح الاستعارة ويذكر خصائصها والفرق بينها وبين التشبيه وينقد رأى الرمانى الذى جعل من الفروق بينهما عدم ذكر أداة التشبيه فى الاستعارة وذكرها فى التشبيه ، ثم ذكر أثر الاستعارة فى الفصاحة ، وأقسامها ، وأنها قليلة فى شعر المتقدمين كثيرة فى شعر المحدثين وخاصة أبا تمام .

٤ — ومن وضع الألفاظ موضعها أن لا تكون الكلمة حشوا وهنا يتحدث عن الحشو والغرض المنشود منه وما عيب منه وما استحسن ؛ وأدخل فى الحشو الايغال ، وكلام الخفاجى فى الحشو له صلة وثيقة برأى قدامة فيه .

٥ — ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يكون فيها معاظلة وهنا يتحدث عن المعاظلة والفرق بينها وبين مشاكلة النظم بعضه لبعض ودلالة البيت على قافيته (مما يسمى تسهيما أو توشيحا) . والخفاجى فى هذا متأثر بقدامة والآمدى جد التأثر .

٦ — ومن وضع الألفاظ موضعها أن لا يعبر عن المدح بألفاظ الذم ولا العكس .

٧ — ومنه حسن الكناية فى الحال الذى يستدعى عدم التصريح .

٨ — وعدم استعمال الالفاظ العلمية والاصطلاحية ، وهو هنا متأثر برأى الجاحظ فى ذلك .

ب — ومن شروط الفصاحة المناسبة بين الالفاظ : من طريق الصيغة ، أو من طريق المعنى :

فأما المناسبة بينها من طريق الصيغة فأثرها فى الفصاحة ظاهر ، ومن هـــذه المناسبة :

ا — السجع والازدواج وهنا يذكر الخفاجى مذاهب العلماء فى قبول السجع

والازدواج وفى كراهتهما ويستحسن السجع المطبوع، وهو هنا متأثر بالجاحظ وبنقد النثر، وينقل هنا كلمة بشر بن المعتمر — التى ذكرها الجاحظ فى البيان — فى قلق الالفاظ فى مكانها، ثم يبين معنى السجع وأقسامه، وينقد الرمانى فيما رآه من ذم السجع وفصاحة الفواصل، ويتكلم عن منهج القرآن فى اسلوبه وأنه لم يكن كله مسجوعا لأن ذلك من أمارات التكلف والاستكراه، كما انه لم يخل من السجع لأن السجع من صفات الفصاحة، ويذكر الكتاب المحدثين الذين أكثروا من السجع والذين أقلوا منه والذين كانوا بين هؤلاء وهؤلاء. كما ذكر أن جعل الرسالة كلها مسجوعة قبيح

٢ — القوافى فى الشعر ويذكر الخفاجى انها تجرى مجرى السجع وان المختار منها ما كان متمكنا يدل الكلام عليه، وان الحطيئة وحسان التزما فى بعض قصائدهما ما لا يلتزم فى القافية، وكذلك كثير وابن الرومى والمعرى ويتكلم على شروط حسن القافية ويلم بكثير من عيوبها

٣ — التصريع ويفيض فى الكلام فيه

٤ — الترصيع وهو ان تكون الجمل التى يشتمل عليها البيت أو الفصل المنثور مسجوعة، ويستحسن الخفاجى من ذلك ما قل دون ما كثر. وهو فى ذلك يحتذ حذو قدامة فى نقد الشعر وان كان يخالفه فيه فان قدامة يستحسن الكثير منه والخفاجى يستحسن القليل دون الكثير

٥ — الف والنشر المرتب

٦ — عدم كثرة الزحاف فى الشعر، وتساوى الفصول او ان يكون الفصل الثانى اطول من الأول دون العكس فى النثر

٧ — التجانس وهنا يفيض الخفاجى فى الكلام عليه وفى تحديد معناه وذكر اقسامه وفى استحسان القليل الغير المتكلف منه، والخفاجى متأثر فيما كتبه عن الجناس بقدامة والآمدى

وأما المناسبة بين الالفاظ من طريق المعنى فعلى وجهين :

١ - تقارب معنى اللفظين

٢ - تضاد معنيهما أو تقارب المعنى من التضاد. وهذا هو المطابقة عند العلماء ويسميها قدامة تكافؤا وأنكر عليه ذلك الآمدى والأخفش ، وأبان الخفاجى ان علماء الشعر يسمون ما كان قريبا من التضاد « المخالف » ، ثم يذكر الخفاجى اقسام الطباق واسم كل قسم عند العلماء ويختار تسمية الجميع بالمطابق ، ثم يذكر حقيقة الطباق وما يستحسن منه ومثلا لجيده ورديئه ؛ ويجعل التقديم والتأخير فى الاسلوب مما يجرى مجرى الطباق

ح - ومن شروط الفصاحة والبلاغة: الايجاز؛ وهنا يذكر مقام الايجاز ومقام الاطناب ، متأثرا فى ذلك بنقد النثر ، ومناقشا لمن يجعل الاطناب بلاغة، ويشترط فى الايجاز وضوح المعنى وعدم خفائه والا كان قبيحا مذموما، ويتبع هذا بالكلام على المساواة والتذييل والاشارة والمقام الذى يستوجب كل واحد منها ، ويؤثر منها الايجاز ويذكر رأى علماء الأدب فيه ، ويوضح أقسامه ، وينانش تعريف الرمانى للايجاز ، ويشرح معنى الاطناب والتطويل والمساواة والتذييل والحشو الى آخر هذه البحوث القيمة

د - ومن شروط الفصاحة والبلاغة الوضوح فى الأسلوب شعرا أو نثرا، وهنا ينقد رأى الصابى الذى ذهب الى استحسان الوضوح فى النثر دون الشعر، ويشرح الخفاجى أسباب غموض الكلام ، ويؤكد أن سر الاعجاز هو صرف الله تعالى الناس عن معارضته، ويمثل للكلام الواضح والمغلق، ويذكر وصية بشر ابن المعتمر التى ذكرها الجاحظ من قبل والتى توصى بعدم التوعر، كما يذكر كلمة للجاحظ فى ذلك

هـ - ومن اوصاف الفصاحة والبلاغة الكناية التى تكلم عليها الخفاجى متأثرا فى ذلك بقدامة فى نقد الشعر

و — ومنها التمثيل

ج - وأما أسباب الفصاحة فى المعانى التى تستعمل فى صناعة تأليف الكلام فهى:

١ - صحة التقسيم .

٢ — تجنب الاستحالة والتناقض .

٣ — الايضع الجائز موضع الممتنع .

٤ — صحة التشبيه .

٥ — صحة الأوصاف فى الأغراض .

٦ — صحة المقابلة فى المعانى .

٧ — صحة النسق والنظم وحسن التخلص .

٨ — صحة التفسير .

٩ — وأما المبالغة والغلو فى المعنى فنقاد الأدب مختلفون فيهما : مدحا وذما .. والخفاجى يستحسن الغلو مع استعمال ما يقربه إلى الصحة .

١٠ — الاستدلال بالتمثيل .

١١ — الاستدلال بالتعليل .

والخفاجى فى هذا الباب كله متأثر بخطى قدامة فى نقد الشعر إلى حد بعيد .

وبعد ذلك كله يذكر الخفاجى الآراء الفاسدة فى نقد الشعر وفى نقد الكلام :

١ — فيخطىء من يفضل أشعار المتقدمين على شعر المحدثين، ويناقش هذا الرأى فى تفصيل وقوة

٢ — ويبين أن مذهب النقاد والمنهج فى نقد الشعر هو ما قدمه من نعوت الألفاظ والمعانى، دون التفات إلى تقدم الزمن أو تأخره فذلك لا تأثير له ، وهذا مذهب الجاحظ والمبرد والمعرى .

٣ — ويبين أن المعنى الفاحش (من المجون ووصف الخمر وسواها) لايعيب الشعر — كما ذهب إليه بعض النقاد — ما دام تأليفه جميلا .

٤ — ويبين المناهج الخاطئة لبعض النقاد فى النقد ، من اختيار ما يوافق ذوق طبع الناقد وحده ، ومن إيثار الوحشى دون المشهور ، ومن عكس ذلك ، ومن استحسان الشعر لأجل قائله .

وأخيرا يتكلم الخفاجى على النثر والشعر ومكانة كل منهما .

ويذكر ما يحتاج إليه البليغ من العلوم اللغوية والأدبية وسواها .

وكل هذه البحوث يذكرها الخفاجى فى إقاضة وجمال شرح وقوة حجة وعفة مناقشة وطهارة نقد وسداد غرض وصواب غاية وأعدل منهج .

وأخيرا وبعد ذلك كله ينتهى الكتاب .

- ٣ -

فهذا الكتاب إذا بحث مفصل فى أسرار الفصاحة والبلاغة وأوصافهما فى اللفظ وفى النظم وفى المعنى .

وهو فى ذلك كله وبما فيه من كثير من الآراء الحافلة فى الأدب والنقد والبيان ذو أثر كبير خالد على الثقافة الأدبية والبيانية ، وقد نوه ابن الأثير م ٦٢٧ هـ فى أول مثله السائر بالكتاب وبمؤلفه وأشاد به أعظم إشادة وتأثر به فى بحوث كتابه المثل السائر ، ونقد بعض آراءه فى بعض الأحايين ، وكتب البلاغة المؤلفة فى العصور الأخيرة وخاصة الإيضاح للخطيب م ٧٣٩ هـ قد تأثرت بسر الفصاحة وآرائه إلى حد بعيد ، فهو المصدر الأول للبلاغيين كما هو أهم مصدر من مصادر الأدب والنقد .

- ٤ -

ومع ذلك كله فيمكننا أن نقول إن مصادر ابن سنان الأولى التى اعتمد عليها فى تاليف كتابه الحافل هى :

١ - البيان والتبيين للجاحظ م ٢٥٥ حيث احتذى حذوه فى كثير من الآراء البيانية والأدبية التى تضمنها الكتاب .

٢ - الشعر والشعراء لابن قتيبة م ٢٧٦ حيث اعتمد على مقدمته اعتمادا كبيرا .

٣ - نقد الشعر لقدامة بن جعفر م ٣٣٧ وقد وضعه الخفاجى موضع العناية حين الف كتابه وسار على نهجه فى التاليف واحتذى حذو مؤلفه فى كثير من الآراء .

٤ - نقد النثر حيث اعتمد عليه فى بعض فصول الكتاب وخاصة حينما كتب على مقامات الايجاز والاطناب

٥ - الموازنة للآمدى م ٣٧١ فقد اعتمد عليها الخفاجى اعتمادا كبيرا وحفل

بآرائها ونقد الكثير منها ناهجا فى ذلك منهج المرتضى فى نقده للآمدى فى كتابه « الشيب والشباب »

٦ ـ الوساطة للجرجانى م ٣٩٢ فقد ركن اليهـــا فى بعض الآراء ونقل عنها الكثير من مباحث الاستعارة ونقدها

٧ ـ كتاب الرمانى م ٣٨٤ فى البلاغة فقد أخذ منه الخفاجى بعض أرائه ونقد ما هو فى حاجة الى النقد

٨ ـ اعجاز القرآن للباقلانى م ٤٠٦ فهو كذلك يظهر أثره فى سر الفصاحة وخاصة فى مباحث السجع والفواصل فى القرآن

ومع ذلك كله فشخصية الخفاجى قوية جدا فى كتابه بنقده لما يستحق النقد من هذه الآراء وبحسن عرضه وجمـــال تنسيقه وقوة حجته وحسن ذوقه فى النقد والتحليل

— ٥ —

وابن سنان كما يبدو من كتابه رجل ذو ثقافة واسعة درس كتب الادب والنقد واللغة، وكانت من خصائص وميزات ثقافته هذه الناحية الكلامية التى مهر فيها، وأسلوبه فى الجدل أسلوب قوى من اساليب المتكلمين، وهو ينتصر لهم حتى يرى كلامهم دون ما سواه هو الحجة الدامغة

وهو فوق ذلك كله منصف فى حكمه معتدل فى نقده يعتمد على الحجة والدليل قبل كل شىء ويختبر كل شىء بميزان العقل والتفكير ويرتب كل شىء على أساس حكم العقل واستنتاجه

— ٦ —

ومع ذلك كله فاننا نأخذ على ابن سنان الخفاجى بعض المآخذ :

١ ـ فقد عاب قول ابى تمام :

يضحكن من أسف الشباب المدبر ... وزعم أن المدبر مثل الأدبار

وهذا لا أراه الا نتيجة التفكير البعيد الذى امتاز به ابن سنان والذى لا يصل ير الجمهور ولا يقبله ذوقهم

٢ - ونقده ابن الأثير فى عيبه للكلمات الطويلة مثل المستنشدين

٣ - كما نقده فى جعل الاستعارة المبنية على غيرها قبيحة . واقول ان ذلك مذهب ارسطو فى « الخطابة » احتذى حذوه قدامه فى كتابه نقد الشعر ، ثم احتذى حذوهما الخفاجى فى هذا الكتاب ، وقد شرحت ذلك شرحا وافيا فى كلمة نشرتها عن الموازنة

— ٧ —

وبعد فقد عاصر الخفاجى ٤٦٦ شيخ البلاغة والبيان عبد القاهر الجرجانى م ٤٧١ هـ كما عاصر ابن رشيق صاحب العمدة المتوفى سنة ٤٥٦

ويغلب على ظنى أن بعد مواطن هذه الشخصيات الفذة عن بعض كان سببا فى عدم تأثر كل شخصية منها بالأخرى فى تفكيرها فى النقد واحكام البلاغة

فعبد القاهر عاش فى جرجان والخفاجى فى حلب وابن رشيق فى القيروان ، وألف الأول اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز من حيث الف الثانى كتابه سر الفصاحة ، ومن حيث ألف الثالث العمدة فى صناعة الشعر ونقده

فأما الصلة الباقية بين ابن رشيق وابن سنان فمصدرها اعتماد الرجلين فى تأليفهما على مصدر واحد له أهميته وهو نقد الشعر ، فكان كتاب العمدة وكان كتاب سر الفصاحة تجديدا يسير حول منهج قدامة فى النقد وفى التأليف

وللان لا تتجلى صلة واضحة بين الخفاجى والجرجانى ولا يظهر أى أثر للشبه أو التأثر بين الرجلين اللهم الا فى مواضع قليلة :

فقد ذكر ابن سنان - كما ذكر عبد القاهر - شبهة الذين زعموا أن الحكاية هى المحكى ، ودليلهم عليها أن الحكاية لو كانت غير المحكى بل مثله لكان من قرأ القرآن آتيا بمثله على الحقيقة ، وأجاب الخفاجى عن هذه الشبهة كما أجاب عبد القاهر فى دلائله بأن التحدى انما وقع بفعل مثل القرآن على الابتداء دون الاحتذاء والتالى للقرآن قد أتى بمثله محتذيا فلا يكون بذلك معارضا وعلى هذا أيضا كان يقع التحدى بين العرب بالشعر على سبيل الابتداء [سر الفصاحة والدلائل ص ٢٧٠] .

وأرى أن ذلك مصدره هو التشابه بين الثقافة العامة فى عصر الرجلين لاغير وعلى ذلك فلم يتأثر الخفاجى بالجرجانى ولم يتأثر الجرجانى بالخفاجى ، ولو أن الرجلين اطلع أحدهما على مجهود الآخر فى دراسة البلاغة لكان لذلك أثره الخطير فى تحويل مناهج البحث البلاغى .

ومن الجدير بالذكر أن نشير الى أن مؤلف الخفاجى أعمق تفكيرا وأشمل فكرة وأوسع مدى وأبلغ بيانا من كتابى الجرجانى : الأسرار والدلائل .

ولا يفوتنا أن نذكر أن ابن الأثير فى كتابه « المثل السائر » أشاد بسر الفصاحة وأيد الكثير من آرائه ونقد بعضها .

— ٨ —

ابن الأثير وسر الفصاحة :

ا — أشاد ابن الأثير فى مطلعه كتابه بكتاب سر الفصاحة ونوه بمنزلته فى علم البلاغة ،

ب — وتعقب آراءه بكثير من النقد :

١ — فهو فى أول الكتاب يأخذ عليه إكثاره فى ذكر الأصوات والحروف والكلام عليها .

٢ — وذكر فى [ص ٩٢ — ٩٥] ما ذكره ابن سنان من بعد مخارج الحروف وأثره فى فصاحة الكلمة وينقد رأيه فى جعل ذلك شرطا فى اختيار الألفاظ وينقد رأيه أيضا فيما ذكره ابن سنان من جريان اللفظة على العرف العربى ، وفى تصغير اللفظة فيما يعبر عن شىء لطيف أو خفى أو ما جرى مجراه .

٣ — وقد أيد رأيه فى نقد بيت الشريف الرضى :

أعز على بان أراك وقد خلا عن جانبيك مقاعد العواد

[ص ١١٠ المثل السائر] .

٤ — وينقد رأيه فى جعله من أوصاف فصاحة الكلمة أن تكون مؤلفة من أقل الأوزان تركيباً [١١١ المثل السائر] ،

٥ — ويأخذ صاحب المثل السائر على ابن سنان وسواه أنهم لم يفرقوا بين الاستعارة والتشبيه المضمر الأداة ، ويجعل ابن الأثير بيت إمرىء القيس « فقلت

له لما تمطى بصلبه ، من التشبيه المضمر الأداة لا من الاستعارة كما يذهب إليه ابن سنان ، ويأخذ عليه جعله البيت من الاستعارة الوسطى التى ليست بجيدة ولا رديئة . [ص ٢٣٠ المثل السائر)

٦ - ويأخذ على ابن سنان وسواه عدم فرقهم بين الكناية والتعريض .

٧ - وينقد رأى ابن سنان فى ترك ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم (ص ٤٦٣ المثل السائر) .

وأخيرا فهذا هو خاتمة ذلك البحث الجديد عن كتاب ,, سر الفصاحة ،، وأثره ومنزلته فى البلاغة

صور لابن سنان من شعره

قال ابن سنان :

هل تسمعون شكاية من عاتب ... أو تقبلون إنابة من تائب
ام كل ما يتلو الصديق عليكم ... فى جانب وقلوبكم فى جانب
أما الوشاة فقد أصابوا عندكم ... سوقا تنفق كل قول كاذب
فملتم من صابر ، ورقدتم ... عن ساهر وزهدتم فى راغب

وقال على مذهب لزوم ما لا يلزم

مضى الصبا وأناس فى الصبا عرفوا ... أستودع الله أطرابى وأترابى
ولو عقلت لما عنيت بعدهم ... نفسى وأتعبت آرابى بآرابى
وكنت فى جانب الغبراء معتزلا ... عزى قنوعى وحضنى ظل محرابى
لا أطلب الرزق من سيف ومن قلم ... ولا أفكر فى روم وأعراب
اقول حقا ولكنى أخالفه ... ولو عقلت لكان الصمت أحرى بى

وقال :

من مبلغ اللوام أن مطامعى ... صارت حديثا بينهم وقصائدا
ركضت على اعراضهم وهى التى ... تطوى البلاد شواردا وروا كدا

مالى أجاذب كل وقت معرضا منهم وأصلح كل يوم فاسدا
وأقيم سوق المجد فى ناديهم حتى أنفق فيه فضلا كاسدا
أرأيت أضيع من كريم راغب يدعو لخلته لئيما زاهدا
ومعرس بركابه فى منزل يلقى الصديق به عدوا حاسدا
عكس الأنام فان سموت بناقص فاعلم بأن لديه حظا زائدا
وتفاوت الارزاق ار جب فيهم ان يجعلوه مصالحا ومفاسدا
ومعدد فى الفخر طارف ماله حتى تلوت عليه مجدا تالدا
طوقته بأوابدى ولطالما اهديت أغلالا بها وقلائدا
مهلا فانك ما تعد « مباركا » خالا ولاتحصى « سنانا » والدا
بيت له النسب الجلى ، وغيره دعوى تريد أدلة وشواهدا

وقال

أستغفر الله لا فخر ولا شرف ولا وفاء ولا دين ولا أنف
كأنما نحن فى ظلماء داجية فليس ترفع عن أبصارنا السجف
تزيد بالبحث جهلا ان طلبت هدى وهل يضىء لعين المدلج السدف
وفى الفلاسفة الماضين معتبر فطالما قصدوا فيها وما عسفوا
وقد أتوك بمين من حديثهم يكاد يضحك منه الحبر والصحف
ظن بعيد وأقوال ملفقة تخفى على الغمر أحيانا وتنكشف
الأمر أكبر من فكر يحيط به والعمر أقصر أن يلقى له طرف
فاعظم بدائك ان حاولت واضحة ومت به فعلى هذا مضى السلف
جاءت أحاديث عن قوم أظنهم عاشوا طويلا وقالوا بعدما خرفوا
يدين قوم بأن الشهب خالدة وعند قوم لها وقت ومنصرف
وما رضيت بعقلى فى جدالهم ولا توهمت إلا غير ما وصفوا
ورب قوم أضاعونى وقد فهموا قدرى فما أنكروا فضلى ولا اعترفوا

وقال على طريق الشعر المعروف باستغفر واستغفرى :

استغفر الله القديم وعذبه من شرعاو فى الحطام منافس

وافعل جميلا لا يضع لك صنعه ... واسمح بقوتك للضعيف البائس
واقنع ففي عيش القناعة نعمة ... لا تتقى كف الزمان الخالس
لا تركبن إلى المراء فانه ... سبب لكل تنافر وتشامس
عاذت بنو حواء من إبليس في الدنيا م ... وكم فيهم فنون أبالس
درسوا العلوم ليملأوا بجدالهم ... فيها صدور مراتب ومجالس
وتزهدوا حتى أصابوا فرصة ... في أخذ مال مساجد وكنائس [1]
إيوان كسرى صار مرتع ثلة ... وديارة بانت مناخ عرائس
والحيرة البيضاء بدل أنسها ... قدر أطاعته مدائن فارس
ياعقل مالك في اللطائف منهج ... فاذا عثرت فلالعا للتاعس
عندى لقد ذهب الذين تفكروا ... فيها وما ظفروا بغير وساوس
ما قول بطليموس عنها حجة ... عندى ولا المروى من رسطالس
جار الأنام فلا دلالة ناظر ... تشفى العقول ولا إمارة قابس
لاتحفلن بما حوته صحائف ... لهم وإن وجدت بخط دارس
عجبا لهمام ينازع خصمه ... في آل يربوع وأسرة حابس
هيهات ما شرف الأصول بنافع ... حتى يكون ذوائب كمغارس
لا تفخرن وإن فضلت فبالتقى ... ناضل وفي بذل المكارم نافس

---

(١) وينسب هذا البيت والذى قبله لابن خفاجة الأندلسى (راجع ديوان ابن خفاجه شاعر الأندلس م ٥٢٣ طبعة سنة ١٢٦٦ بمصر ص ٧٨)

ترجمة فوات الوفيات لابن سنان

عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان ، أبو محمد الخفاجي الشاعر الأديب ، كان يرى رأى الشيعة ، وكان قد عصى بقلعة عزاز من أعمال حلب ، وكان بينه وبين أبي نصر محمد بن الحسن بن النحاس الوزير لمحمود بن صالح مودة مؤكدة ، فأمر محمود أبا نصر بن النحاس ان يكتب إلى الخفاجي كتابا يستعطفه ويؤنسه ، وقال لا يأمن إلا إليك ، ولا يثق إلا بك ، فكتب إليه كتابا ، فلما فرغ منه وكتب إن شاء الله تعالى شدد النون من إن ، فلما قرأه الخفاجي خرج من عزاز قاصدا حلب ، فلما كان في الطريق أعاد النظر في الكتاب فلما رأى التشديد على النون أمسك رأس فرسه ، وفكر في نفسه؛ وأن ابن النحاس لم يكتب هذا عبثا ، فلاح له انه أراد ، إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ، فعاد إلى عزاز ، وكتب الجواب : أنا الخادم المعترف بالانعام ، وكسر الألف من أنا وشدد النون وفتحها ، فلما وقف أبو نصر على ذلك سر وعلم أنه قصد به ، إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، وكتب الجواب يستصوب رأيه ، فكتب إليه الخفاجي

خف من أمنت ولا تركن إلى أحد فما نصحتك إلا بعد تجريب
إن كانت الترك فيهم غير وافية فما تزيد على غدر الأعاريب
تمسكوا بوصايا اللؤم بينهم وكاد أن يدرسوها في المحاريب

واستدعى محمود أبا نصر بن النحاس ، وقال : أنت أشرت علي بتولية الخفاجي ، وما أعرفه إلا منك ، ومتى لم يفرغ بالي منه قتلتك ، وألحقت بك جميع من بينك وبينه صلة وحرمة ، فقال له :

مرني بأمر أمتثله ، قال : تمضي إليه وفي صحبتك ثلاثون فارسا ، فاذا قاربته عرفه بحضورك ، فانه يلقيك ، فاذا حضر سالك النزول عنده والأكل منه ،

فامتنع ؟ وقل له : إنى حلفتك أن لا تاكل زاده ، ولا تحضر مجلسه حتى يطيعك فى الحضور عندى ؛ وطاوله فى الحديث ، وأخرج هذه الخشكانجتين فكل أنت هذه ، وأطعمه هذه ، فاذا استوفى أكلها عجل الحضور إلى ، فان منيته فيها ، ففعل ما أمره به ، ولما أكلها الخفاجى رجع أبو نصر إلى حلب ورجع الخفاجى إلى عزاز ، ولما استقر بها وجد مغصا شديدا ، ورعدة شديدة ، فقال : قتلنى والله أخى أبو نصر ، ثم أمر بالركوب خلفه ورده ، ففاتهم ؛ ووصل إلى حلب وصبح من الغد محمود ، فجاءه من عزاز[1] من أخبره أن الخفاجى فى الرمق الأخير ، ومات

وكانت وفاته فى سنة ٤٦٦ هـ . وحمل إلى حلب [2] .

ويلى ذلك عدة مختارات صغيرة من شعره

(٢٩٧ — ٣٠٠ / ١ فوات الوفيات لابن شاكر ط ١٢٨٣ هـ) .

وما توفيقنا الا بالله ، منه نستمد العون والهداية والتوفيق

---

(١) بلدة فيها قلعة ولها رستاق شمالى حلب . بينهما يوم ، وهى طيبة الهواء ، عذبة الماء ، صحيحة لا يوجد فيها عقرب وليس بها شىء من الهوام (٦ / ١٦٧ معجم البلدان لياقوت ط ١٩٠٦) .

(٣) جاء فى معجم البلدان لياقوت عند ذكر حلب من رسالة لابن بطلان كتبها سنة ٤٤٠ هـ ما نصه : وفيها حدث يعرف بابى محمد بن سنان قد ناهز العشرين ، وعلا فى الشعر طبقة المحنكين ، فمن قوله :

إذا هجوتكم لم أخش صولتكم ... وإذ مدحت فكيف الرى باللهب

فحين لم ألق لا خوفا ولا طمعا ... رغبت فى الهجو اشفاقا من الكذب

(٣١٣ ج ٣ معجم البلدان لياقوت ط ١٩٠٦ م) .

بحث جديد فى المجاز[1]

وهل هو مبنى على تقدير مضاف أو على المبالغة ؟

١ — الحديث عن المجاز وحقيقته مشهور معروف ؛ فالتعبير فى شتى اللغات يجرى على إحدى طريقتين : إما على أسلوب الحقيقة الذى تجد فيه الألفاظ والكلمات مستعملة فيما وضعت له ، والجمل موضوعة على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه فى العقل وواقع موقعه عارياً عن التأول لابسا ثوب الأسناد المألوف والمعروف[2] ، وإما على أسلوب المجاز الذى نجد فيه الكلمات قد أريد بها غير ما أرادته اللغة وجرى عليه الوضع المألوف ، لمعنى سوغ هذه الارادة ، وارتباط بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الوضعى الذى اقترن اسمها بالدلالة عليه ، أو نجد فيه الجمل وقد أخرج الحكم المفاد بها عن موضوعه فى العقل وطريقته فى المألوف من الأسناد لضرب من التأول والتقدير[3] .

٢ — والمجاز فى الكلمة المفردة لغوى ، وفى الجملة من الكلام عقلى ؛ إذ طريق التجوز فى الأول هو اللغة والوضع ، وفى الثانى المعنى والمعقول[4] .

والمجاز — لغويا أو عقليا — يقع على وجه لا يعرى من ملاحظة أصله فى الوضع أو الأسناد ، فلا يكون مجاز حتى يكون هناك سبب بين معنى اللفظ المجازى وبين أصله الذى نجعله حقيقة فيه أو بين أصل الأسناد وما خرج إليه وتجوز به عنه[5]

---

(١) للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى .

(٢) راجع تعريف الحقيقة اللغوية ص ٣٠٢ أسرار البلاغة ، وحد الحقيقة العقلية ص ٣٣١ الأسرار .

(٣) راجع تعريف المجاز اللغوى ص ٣٠٤ الأسرار .

(٤) ٣٥٥ الأسرار .

(٥) ٣٤٣ و ٣٠٤ الأسرار .

والأسباب الكائنة بين المنقول والمنقول عنه — فى المجاز اللغوى — تختلف فى القوة والضعف والظهور وخلافه ؛ فنقول : رأيت اسدا نريد رجلا شجاعا شبيها بالأسد، فلا يشتبه علينا الأمر فى حاجة الثانى الى الأول، اذ لا يتصور أن يقع الأسد للرجل على هذا المعنى الذى أردناه على التشبيه على حد المبالغة وايهام أن معنى من الأسد حصل فيه إلا بعد أن نجعل كونه اسما للسبع ازاء العين ، فهذا إسناد نعلمه ضرورة ، ولو حاول محاول دفعه عن وهمك حاول محالا، فمتى عقل فرع من غير أصل ومشبه من غير مشبه به ؟ وكل ما طريقه التشبيه فهذا سبيله، وهو حرى بلقب الاستعارة ؛ وأما ما عدا ذلك فلا يقوى استناده هذه القوة حتى لو حاول محاول أن ينكره امكنه فى ظاهر الحال كاليد للنعمة ، لو تكلف متكلف فزعم أنه وضع مستأنف أو فى حكم لغة مفردة لم يمكن دفعه الا برفق وباعتبار خفى ، وهذا وأشباهه يأخذ اسم المجاز الرسل[1] .

فالخلاصة أن المجاز عقلى ولغوى ، واللغوى استعارة ومرسل ، والاستعارة ضروب : تحقيقية ومكنية وتخييلية وإفرادية وتمثيلية . هذا هو تحديد البيانيين لأنواع المجاز وشتى ألوانه ، ولكن لن نقنع بذلك التحديد ، ففيه القصور ، وهو بعيد عن أن يشبع حاجة البحث والذوق .

والمجاز حكمى ولغوى ، واللغوى مرسل واستعارة ، والاستعارة يدخل فيها عندى التشبيه البليغ ؛ والحقيقة إما قياس أو غير قياس ، والقياس تشبيه وتمثيل على غير حد المبالغة ، والتمثيل ألوان عدة ؛ وهو عندى ينتظم ما كان مثل يد الشمال مما يجعلونه استعارة مكنية ، وما كان مثل أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، وأخذ القوس باريها مما يسمونه استعارة تمثيلية ، وما وضحت فيه صورة التمثيل مثل مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ؛ وغير القياس يشمل الأمثلة المنوعة والألوان المتعددة لأساليب الحقيقة ، كما يشمل الكناية بشتى ألوانها مما يذكر فيها التابع والرادف ويراد منه المتبوع والمردوف . ثم الكلام إما تحقيق وسم بميسم العقل

(١) ٢٠٤ و ٣٠٥ الأسرار .

والحق، وإما تخييلى ألبسه الوهم والخيال صورا لا يؤيدها الواقع المحسوس ولا المعقول. والاستعارة التخييلية إنما هى تخييل وإيهام لا استعارة ومجاز، والتخييل لا يستلزم المجاز ولا الاستعارة (١)، فلدينا من صور المجاز الأساليب الآتية :

١ — أسلوب المجاز العقلى .

٢ — أسلوب المجاز المرسل .

٣ — أسلوب الاستعارة المفردة ومنها التشبيه البليغ

وهذه الأنواع هى التى يشملها بحثنا الآن .

٣ — والذى نريد بحثه هو : هل جاءت ألوان المجاز هذه فى كلام العرب على المبالغة أو على تقدير مضاف محذوف ؟ فأمثال هذه الأساليب : نام ليلى، وشاعت يدك النبيلة فى الآفاق ، وجاء الأسد ظافرا من ميدان الحرب ؛ أهى على تقدير محذوف حتى كأن تقدير الكلام : نمت فى ليلى ، وشاعت آثار يدك النبيلة ، وجاء شبيه الأسد ، أم هى لا تجرى هذا المجرى ولا تسير على ذلك النهج ، بل جيء بها على حد المبالغة، ليريك المتكلم الليل نائما، واليد تفيض بالنعم والأسد مقبلا ظافرا

لا نشك ولا يشك معنا كل ذى ذوق سليم أن ليس إلى تقدير محذوف فى شتى ألوان المجاز من سبيل ، وأى بليغ وأية بلاغة أراد وتريد من أسلوب : جاء الأسد ظافرا جاء شبيه الأسد ، ومن أسلوب نام ليلى نمت فى ليلى ، ومن أسلوب ذاعت يدك النبيلة ذاعت نعمة يدك ؟ ثم أى فرق حينئذ بين بلاغة أساليب المجاز هذه وأساليب الحقيقة المجددة، وأى فضل لأسلوبه على أسلوبها ؛ ومبنى المجاز بشتى ألوانه على المبالغة فى التصوير أو التشبيه ، وأى مبالغـــة تبقى حينذاك إذا ما ذهبنا هذا المذهب السطحى فى فهم بلاغة أساليب المجاز ؟ ، لا يمكننا على أى حال أن نسير فى هذا النهج ولا أن نذهب هذا المذهب ، فانما المجاز مبالغة والمبالغة لا تعرف طريق هذا التأويل ، فانما نريد ويريد كل بليغ إذا قال : نام ليلى أن يصور لك الليل نائما لتحس من وراء ذلك مايريد ذوقه من مثل هذا الأسلوب، وإذا قال : برت

(١) راجع تفصيل ذلك كله فى كتابى « عبدالقاهر وأثره فى البلاغة العربية » وهو تحت الطبع .

بعهد الانسانية الكريمة يده النبيلة فانما أراد أن يصور اليد نفسها وقد فاضت بالجود وكريم السخاء فى صورة رائعة تشير إلى أنها هى نفسها الجود وانها مطبوعة عليه وأن آثارها لا بد أن تنطلق منها انطلاق الخير من الغريزة الكريمة والفطرة الطاهرة الطيبة، كما تشير إلى اليد وقد امتدت بالخير وتصورها فى صورتها الصادقة حين خرجت إلى ميدان الفعل والتنفيذ وكأنها مفكر يعمل وإنسان يريد، وإذا قال قائل : جاء الأسد الظافر فقد أراد أن يدعى لهذا القائد فى شجاعته معانى الأسد فى قوته . وكل ذلك محال أن يكون على سبيل تقدير محذوف .

ولكن من أين أخذ العقل والفكر أصول هذه الأساليب المجازية ، ومن أين استمدها : أمن طريق الحقيقة أم من طريق التمثيل والادعاء ؟ فالأسد الظافر حضر: كيف تناول عقل أجدادنا العرب هذا الأسلوب المجازى ، اذهبوا إلى الدعوى والمبالغة فجعلوا القائد الظافر أسدا ، وصار اسم الأسد ، وهو العلم فى الشجاعة ، أولى به من هذا الحيوان المفترس ، وكأن خيالهم حلق فى آفاق الوهم فتخيلوه أسدا ، أم أنهم ذهبوا إلى معنى المشابهة والحقيقة والقياس والتقدير فقالوا : زيد شجاع كالأسد ثم قالوا زيد أسد ثم قالوا جاء الأسد ، وهم فى صعودهم فى سلم التدرج البيانى فى الأداء يلاحظون معنى الحقيقة ويجعلون الأصل الأول — وهو زيد شجاع شبيه بالأسد فى شجاعته — أمامهم ونصب أعينهم فى كل تدرج بيانى تدرجت إليه أساليبهم فى الأداء ؟

أما أنا فأذهب إلى أن العقل الأدبى والعربى والبيانى الأول إنما استعمل هذه الاساليب الجديدة على سبيل التخييل والوهم والادعاء ، لا على طريق الحقيقة الأولى المجردة ؛ ونحن فى استعمالنا لهذه الاساليب نسير معهم فى هذه السبيل ؛ ورأيى أن ذلك أسلم من التكلف الذى تعثر فيه بعض البيانيين ، كما انه آلف للذوق وأكثر ملاءمة لمشاعر الانسان الاولى التى تنزع الى التخيلات قبل الحقائق ، وتجد فى تحليق الخيال فى الآفاق سبيلا الى التعبير عما يجيش فى صدرها من عواطف يصعب على الحقيقة كثيرا أو أحيانا التعبير عنها .

أما جمهور البيانيين من أصحاب الذوق البلاغى فيرون عكس ذلك ، ويحملون الكلام على أنه فرع أصله الحقيقة ، وبناء أسه الواقع ، وان جميع أساليب المجاز إنما هى على تقدير محـــذوف . ووقف عبد القاهر موقفا وسطا ، فذهب إلى أن المجاز من أسلوب التحقيق لا التخييل ، وإلى أن المجاز على تقدير المبالغة لا على تقدير محذوف فان تقدير المحذوف فى رأيه أصل تنوسى وصار شريعة منسوخة لا ينظر اليها الذوق ولا يعتبرها بليغ؛ وأول كلام من ذهب الى أن الكلام على تقدير محذوف بأنهم أرادوا أنه كذلك فى أصله الاول وفى شريعته المنسوخة ، أما الآن وما نفهمه من هذا السحر وذلك البيان فلا

وعبدالقاهر فى انكاره لهذا الرأى الساذج ساحر متذوق لسحر الكلام وبلاغة الاساليب صاعد فى ذلك الى الذروة العليا ، ولكنه فى تكلفه رد تأويل من أول أسلوب المجاز على تقدير محذوف الى أصل سليم لا يجافى الذوق ولا يعرضهم للنقد متكلف ، محاول لما يجب أن لا نسلك فيه سبيله ، ولم لا نذهب الى خطأ رأى أمثال هؤلاء اللغويين الذين حاولوا أن يقيسوا اللغة واساليبها بحدود الاوضاع لا بمقاييس الذوق والفطرة ؟ ولم لا نسلك سبيل البيانيين الناقدين المتذوقين لسحر الكلام وبلاغة الاساليب كالجاحظ ، وقد رأيناه حين مر بالبيت :

وطفقت . سحابة تغشاها .·. تبكى على عراصها عيناها ـ حلله وأشار إلى ما أملاه ذوقه عليه فقال : « جعل المطر بكاء من السماء على سبيل الاستعارة ، أو نجعل المطر بكاء من السماء الا ونحن قد نهجنا منهج التخييل ، وصدقنا عن سبيل الحقيقة والتقدير المتكلف ؟

هذا رأيى فى هذه الناحية الخطيرة فى البيان وحقيقة نشأة أساليبه المجازية .

٤ — ولكن ما هو نص رأى عبد القاهر الذى يحدد فكرته ، ويوضح مذهبه فى ذلك ؟

أقول إن كلام عبد القاهر فى ذلك هو غاية الغايات فى الدقة والذوق والبيان وهو صريح لا لبس فيه ولا التواء ، ويغنينا كل الغنى عن أن نتجشم جمع آراء البيانيين سواء من أولى الذوق اللغوى للرد عليها ونقدها :

أ ـ قال عبد القاهر عن المجاز العقلى ونفى أن يكون على تقدير مضاف محذوف وتعرض للاستعارة ، مانصه :

« واعلم أن ليس الوجه أن يعد هذا على الإطلاق معد ما حذف منه المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، مثل قوله : « واسأل القرية ، ومثل قول النابغة :

وكيف تواصل من أصبحت خلالته كأبى مرحب

وقول الاعرابى :

حسبت بغام راحلتى عناقا فما هو ويب غيرك بالعناق

وإن كنا نراهم يذكرونه حيث يذكرون حذف المضاف ويقولون إنه فى تقدير : « فانما هى ذاك إقبال وإدبار[1] » ؛ ذاك لأن المضاف المحذوف من الآية والبيتين فى سبيل ما يحذف من اللفظ ويراد من المعنى ، كمثل أن يحذف الخبر أو المبتدأ إذا دل الدليل عليه إلى سائر ما إذا حذف كان فى حكم المنطوق به ، وليس الأمر كذلك فى بيت الخنساء ، لأنا إذا جعلنا المعنى فيه الآن كالمعنى إذا نحن قلنا « فانما هى ذات إقبال وإدبار » أفسدنا الشعر ، وخرجنا إلى شىء مغسول ، وإلى كلام عامى مرذول ، وكان سبيله سبيل من يزعم مثلا فى بيت المتنبى : بدت قمرا ومالت خوط بان ، أنه فى تقدير محذوف ، وأن معناه الآن كالمعنى إذا قلت بدت مثل قمر ومثل خوط بان ، فى أنا نخرج إلى الغثاثة ، وإلى شىء يعزل البلاغة عن سلطانها ، ويسد باب المعرفة بها وبلطائفها علينا ؛ فالوجه أن يكون تقدير المضاف فى هذا على معنى أنه لو كان الكلام قد جىء به على ظاهره ، ولم يقصد إلى الذى ذكرنا من المبالغة والاتساع ، وأن تجعل الناقة كأنها صارت بجملتها إقبالا وإدبارا حتى كأنها تجسمت منهما ، لكان حقه حينئذ أن يجاء فيه بلفظ الذات ، فيقال : « إنما هى ذات إقبال وإدبار » ؛ فأما أن يكون الشعر الآن موضوعا على إرادة ذلك وعلى

---

(١) أى فى بيت الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فانما هى إقبال وإدبار

تنزيله منزلة المنطوق به ، حتى يكون الحال فيه كالحال فى « حسبت بغام راحلتى عناقا » ، فمما لا مساغ له عند من كان صحيح الذوق ، صحيح المعرفة ، نسابة للمعانى[1]

ب - وقال عن المجاز المرسل ونفى أن يكون على تقدير محذوف ما نصه :

« ويشبه هذا فى أن عبر عن أثر اليد والاصبع باسمهما وضعهم الخاتم موضع الختم كقولهم : عليه خاتم الملك ، وعليه طابع من الكرم ، والمحصول أثر الخاتم وأثر الطابع ، قال : « وتترك أموال عليها الخواتم » ، وكذا قال الآخر : « إذا فضت خواتمها وفكت » ، وأما تقدير الشيخ أبى على فى هذين البيتين حذف المضاف وتأويله على معنى : وتترك أموال عليها نقش الخواتم ، واذا فض ختم خواتمها ، فبيان لما يقتضيه الكلام فى أصله ، دون أن يكون الأمر على خلاف ما ذكرته من جعل أثر الخاتم خاتما ، وأنت اذا نظرت الى الشعر من جهته الخاصة به ، وذقته بالحاسة المهيأة لمعرفة طعمه ، لم تشك فى أن الأمر على ما أشرت لك اليه ، ويدل على أن المضاف وقع فى المنسأة وصار كالشريعة المنسوخة تأنيث الفعل فى قوله وفضت خواتمها ، ولو كان حكمه باقيا لذكرت الفعل كما تذكره مع الأظهار ، وينظر الى هذا قولهم ضربته سوطا ، عبروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسمه وجعلوا أثر السوط سوطا ، وتفسيرهم له بقولهم ان المعنى ضربته ضربة سوط بيان لما كان عليه الكلام فى أصله وأن ذلك قد نسى ونسخ وجعل كأن لم يكن (٢) .

ح - وقال أيضا عن التشبيه البليغ : إذا قلت : زيد الأسد ، فالقصد أن تبالغ فى التشبيه ، فتجعل المذكور كأنه الأسد ، وتشير الى ما يحصل لك من المعنى اذا حذفت ذكر المشبه أصلا فقلت : رأيت أسدا ، فأما نحو « فانك كالليل الذى هو مدركى » ، فلا يجوز أن تقصد جعل الممدوح الليل ، ولكنك تنوى أنك أردت أن تقول انه مثل الليل ، ثم حذفت المضاف من اللفظ ، وأبقيت المعنى على حاله اذا لم تحذف ؛ وأما هناك فانه وان كان يقال أيضا ان الأصل زيد مثل الأسد ثم

---

(١) ٢٣٣ - ٢٣٥ دلائل الاعجاز .

(٢) ٣٠٧ و ٣٠٨ أسرار البلاغة

تحذف فليس الحذف فيه على هذا الحد ، بل على أنه جعل كأنه لم يكن لقصد المبالغة ألا تراهم يقولون جعله الأسد وبعيد أن تقول جعله الليل[1] .

هذا هو رأى عبد القاهر فى وضوحه وقوته ودقته ، ولا يلتبس علينا بعد ذلك فهم رأى عبد القاهر فى رد الاستعارة الى التشبيه ، فانما يعنى بذلك الرد أن أصل الاستعارة التشبيه ، ولكن هذا الأصل نسى وصار شريعة منسوخة كما قال سابقا ، ولا بأس أن ننقل أهم فقرة لعبد القاهر فى رد الاستعارة الى التشبيه ، لنرى أن ما ذكرناه فى تأويلها وفهمها صحيح لا يتعارض معه نص ، لأنه هو الذى صرح به عبد القاهر سابقا ، قال :

أما المجاز فالاسم والشهرة فيه لشيئين :

الاستعارة، والتمثيل على حد الاستعارة ، فالاستعارة أن تريد تشبيه الشىء بالشىء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجىء إلى اسم المشبه به فتستعيره للمشبه وتجريه عليه ، تريد أن تقول رأيت رجلا هو كالاسد فى شجاعته وقوة بطشه سواء فتدع ذلك وتقول رأيت أسدا (٥٣ دلائل) .

وكذلك إنى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، الأصل فيه أراك فى ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى ثم اختصر الكلام وجعل كأنه يقدم رجلا ويؤخرها على الحقيقة كما كان الأصل فى قولك رأيت أسدا رأيت رجلا كالأسد ثم جعل كأنه الأسد على الحقيقة (٥٤ الدلائل)

∴

فالخلاصة فى ذلك : أن المجاز كله مبنى على المبالغة والادعاء لا على تقدير محذوف لا الآن كما يسلم به عبد القاهر ولا فى الأصل كما يذهب إليه هو واللغويون من البيانيين ، وأن أساليب المجاز تحلق فى أفق التخييل بجناح من الوهم ؛ وليس سيرها إلى المبالغة فى طريق الحقيقة المعبدة ، فذلك مالم يلاحظه ذوق أجدادنا العرب ولا ذوق من

---

(١) ٢١٥ أسرار البلاغة

من ينطق بهذه الأساليب المجازية الآن ، وأن تقدير اعتماد الاستعارة على التشبيه إنما هو تقدير من عبد القاهر لأصلها الأول المنسوخ ؛ وان كنا لا نوافقه فى هذه الدعوى ، ولا نسلم له ابتناء الاستعارة على التشبيه لا الآن ولا فى الأصل الأول المنسى المتروك .

وهذا آخر ما نراه . . وما توفيقنا الا بالله ؟

محمد عبد المنعم خفاجى
— الأستاذ بكلية اللغة العربية
بالأزهر الشريف
والحاصل على العالمية من درجة أستاذ
فى الأدب والبلاغة

١٦ / ٨ / ١٩٥٠

استدراك

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
٧	١٣	الشرع	فى الشرع
٧	١٣	المخصوصة له	المخصوصة
٥٧	١٧	فقصد	فقد
٦٨	١٠	٥٦٣	٣٦٥
٩٧	٦	بنهم	٤٣٠
١٠١	٣	للتشبه	التشبيه
١٠٢	٢٠	٤	١
١٠٤	١٠	التفصيل	التفضيل
١٠٥	١٦	بالرفاد	بالرقاد
١٠٩	١٦	النطق	فالنطق
١١٢	١١	الثابية	الثابتة
١٧٦	١٣	قريته	قرينته
١٩١	١٦	الملزرم	الملزوم
١٩١	٢١	يتحق	يتحقق
١٩٢	٣	الاختاصص	الاختصاص
١٩٢	١٥	الاعتنار	الاعتبار
٢٢٣	٢	١٢	٥

فهرست الكتاب

الصحيفة	الموضوع
٣	الكلمة الاولى
٤	القول فى الحقيقة والمجاز
١٣	المجاز المفرد
٣٢	الضرب الاول المجاز المرسل
٤٣	الضرب الثانى الاستعارة
١٢٦	المجاز المركب
١٣٩	الاستعارة المكنية والتخييلية
١٥٥	مناقشة آراء السكاكى فى الحقيقة والمجاز
١٧٧	شروط حسن الاستعارة
١٨٤	المجاز بالحذف
١٨٨	القول فى الكناية
١٩٣	أقسام الكناية
٢١٢	تنبيه
٢١٥	الفصاحة والبلاغة عند السكاكى
٢٢١	*آراء فى الكناية — ٢٣٦ الكلمة الأخيرة
٢٣٧	كلمة إنصاف
١	سر الفصاحة ومنزلته فى كتب البلاغة
١٧	بحث جديد فى المجاز
٢٦	استدراك — ٢٧ فهرست
٢٩٠	مطبوعات المؤلف

انتهى الجزء الخامس

من شرح

الإيضاح
في علوم البلاغة

للخطيب القزويني [٦٦٦ — ٧٣٩ هـ]

بشرح وتعليق

محمد عبد المنعم خفاجي
الأستاذ بكلية اللغة العربية

ويليه

الجزء السادس

وهو خاص بعلم البديع

وفي آخره بحوث جديدة في البلاغة

مطبوعات للمؤلف

١ — شرح الايضاح — ٦ أجزاء — ١٦٠٠ صفحة

٢ — فن الشعر — جزءان — نحو ٣٠٠ صفحة

٣ — بنو خفاجة — ٥ أجزاء — الف صفحة — ظهر الجزءان الاولان منه

٤ — الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام — ٦٠٠ صفحة

٥ — الحياة الادبية فى العصر الجاهلى — ٤٠٠ صفحة

٦ — ابن المعتز وتراثه فى الادب والنقد والبيان — ٤٠٠ صفحة

٧ — فصيح ثعلب — ٤٠٠ صفحة

٨ — الشعراء الجاهليون — ٢٠٠ صفحة

٩ — رسائل ابن المعتز — ١٤٤ صفحة

١٠ — شرح البديع لابن المعتز — ١٣٦ صفحة

١١ — شرح قواعد الشعر لثعلب

١٢ — شرح متن التلخيص — ١٤٤ صفحة

١٣ — الشعر العربى أوزانه وقوافيه — ١٢٠ صفحة

١٤ ـــ التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى

١٥ ـــ حكومة القاضى الجرجانى فى النقد

١٦ ـــ ابو هلال وأثره فى البلاغة

١٧ ـــ شاعر وكتاب

١٨ ـــ ليلى الاخيلية الشاعرة

١٩ ـــ موقف النقاد من الشعر الجاهلى

٢٠ ـــ الشاعر الخالد

٢١ ـــ مرشد البيان فى البلاغة

٢٢ ـــ أحلام الشباب ـ ديوان شعر

٢٣ ـــ وحى العاطفة ـ ديوان شاعر

٢٤ — نشيد الصحراء ـــ قصة

٢٦ ـــ أعلام الشعر الجاهلى ـ بالاشتراك مع أستاذ

٢٧ — عبد القاهر والبلاغة العربية

٢٨ — سر الفصاحة ـ يطبع بالاشتراك مع الاستاذ حسن جاد المدرس بكلية اللغة

الايضاح فى علوم البلاغة

للامام الخطيب القزوينى

كتاب الخطيب : « الأيضاح » أهم كتب البلاغة ، وأحفلها بالبحوث والدراسات والآراء والمذاهب

وهو فوق ذلك أمثل كتب البلاغة أسلوبا ، وأجلها بيانا ، وأوفاها بحثا ، وقد جمع فيه المؤلف كثيرا من آراء ونظريات المتقدمين فى البلاغة وخاصة عبد القاهر الجرجانى إمام البلاغة ، والسكاكى فيلسوفها المتوفى عام ٦٢٦ هـ .

وكتاب الأيضاح هو الكتاب الدراسى المقرر فى شتى كليات اللغة والأدب فى الشرق العربى .

وقد قام محمد عبد المنعم خفاجى الأستاذ بكلية اللغة بعمل جليل ، هو شرح الكتاب شرحا جديدا ضافيا ؛ فى ستة أجزاء كبيرة تبلغ صفحاتها ألف وستمائة صفحة ، والتزم طبعه ونشره مكتبة الجامعة الأزهرية بميدان الأزهر بمصر لصاحبها نجيب الرافعى .

وقد حرص فى شرحه على تلخيص آراء المتقدمين وتوضيحها ودراستها ونقدها. وأعظم عمل فى هذا الكتاب فوق ذلك : ذكر جميع المصادر والمراجع ؛ وشرح الشواهد ، وذكر مصادرها ، وموضع الشاهد فيها ؛ فوق ما فيه من تحقيقات علمية واسعة وتعليقات فى غاية الأهمية لعلماء البلاغة ودارسيها

وفى آخر كل جزء من أجزاء هذا الشرح بحوث ضافية ودراسات جديدة فى البلاغة ومؤلفاتها وعلمائها مما لم يسبق إليه أحد الناشر ؟

الإيضاح
في علوم البلاغة

للخطيب القزويني (٦٦٦ - ٧٣٩ هـ)

شرح وتعليق

محمد عبد المنعم خفاجي

الاستاذ بكلية اللغة العربية

الجزء السادس

على بطبعه ونشره

محمد علي صبيح وأولاده

بميدان الأزهر الشريف بمصر

١٣٦٩ - ١٩٥٠

المطبعة الفاروقية الحديثة

شارع محمد بك فريد بالناصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الاول الى آخر المجاز العقلى .

الجزء الثانى - الى آخر متعلقات الفعل .

الجزء الثالث — الى آخر علم المعانى .

الجزء الرابع — الى آخر التشبيه .

الجزء الخامس - الى آخر علم البيان .

الجزء السادس - علم البديع .

الكلمة الاولى

هذا هو الجزء السادس والأخير من شرحى على الايضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى (٦٦٦ - ٧٣٩ هـ) .

وإنى لأحمد الله على توفيقه ، وأسأله الرعاية والعون والسداد ، وأضرع إليه أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ؟

محمد عبد المنعم خفاجى
أستاذ بكلية اللغة العربية

الفن الثالث

عـــلم البديع

وهو عـــلم يعرف به وجوه تحسين (١) الـكلام ، بعد رعاية : تطبيقه على مقتضى الحال (٢) ، ووضوح (٣) الدلالة .

---

(١) أى يتصور معانيها ويعلم أعدادها وتفاصيلها بقدر الطاقة ، ووجوه تحسين الـكلام إشارة الى الوجوه المذكورة فى صدر كتاب « الايضـاح » فى قوله « ويتبعها وجوه أخر تورث الـكلام حسنا » . وهذه الوجوه كثيرا ما يعد بعضها من مباحث علم المعانى ، ولـكن يجب أن نعلم أنها إذا طلبت من حيث المطابقة كانت من مباحث علم المعانى ، وان طلبت من حيث التحسين كانت من بحوث علم البديع

(٢) فلا يعتد بوجوه التحسين عند فقد المطابقة ووضوح الدلالة ، كما أنه لا يعتد بوضوح الدلالة عند فقد المطابقة لمقتضى الحال

(٣) أى وبعد رعاية وضوح الدلالة أى بالخلو عن التعقيد المعنوى

فوجوه التحسين إذا إنما تعد محسنة للـكلام بعد رعاية الأمرين ، والا لـكانت زينة فى وجه جارية سوداء

وقوله « بعد رعاية » متعلق بالمصدر أعنى « تحسين الـكلام » . ولا يجوز ان أن يكون المراد بوجوه التحسين مفهومها الأعم الشامل للمطابقة لمقتضى الحال والخلو عن التعقيد وغير ذلك مما يورث الـكلام حسنا سواء كان داخلا فى البلاغة أو غير داخل ، ويكون قوله « بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة احترازا عما يكون داخلا فى البلاغة مما يتبين فى علم المعانى والبيان واللغة والنحو والصرف ؛ لأنه يدخل فى وجوه التحسين حينئذ - أى حين يراد بها مفهومها الاعم — بعض ما ليس من المحسنات التابعة لبلاغة الـكلام كالخلو عن التنافر مثلا ، بل نقول =

وهذه الوجوه [١] ضربان : ضرب يرجع الى المعنى [٢] ، وضرب يرجع إلى اللفظ [٣]

[المحسنات المعنوية]

أما المعنوى [٤]:

فنـــه :

= لا يخرج منها الا مطابقة مقتضى الحال والخلو عن التعقيد مطلقا بأن يجرى وضوح الدلالة أيضا على مفهومه المتبادر، فيبقى الخلوعن التنافر بين الحروف أو الكلمات والخلو عن مخالفة القياس والخلو عن ضعف التأليف كلها مندرجة فيها مع انها ليست من علم البديع، وأما الخلوعن الغرابة فيمكن ادراجه فى وضوح الدلالة

هذا ووضوح الدلالة قد خص بالخلو عن التعقيد المعنوى مع انه بحسب مفهومه يتناول الخلو عن التعقيد اللفظى أيضا ، ليكون إشارة الى علم البيان على على ما ذكر فى صدر الكتاب ، كما أن رعاية المطابقة إشارة الى علم المعانى ، فهذا تنبيه على أن منزلة علم البديع بعد منزلة هذين العلمين

(١) أى وجوه التحسين

(٢) أى يرجع الى تحسين المعنى بحسب الأصل ، وان كان بعضها لا يخلو من تحسين للفظ

(٣) أى يرجع الى تحسين اللفظ بحسب الأصل ، وان كان بعضها لا يخلو من تحسين للمعنى

وراجع ذلك فى المفتاح ص ١٧٩

(٤) أى المحسن المعنوى الراجع إلى المعنى ، وقد ذكـــر المصنف منه ثلاثين نوعا .

وبدأ بذكر المحسن المعنوى لأن المقصود الأصلى والغرض الأولى هو المعانى والألفاظ توابع وقوالب لهـــا . =

المطابقة [١]

= ويؤكد عبد القاهر رجوع التحسين فى بعض الوجوه المذكورة فى المحسنات المعنوية إلى المعنى فيقول :

« وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع فلا شبهة أن الحسن والقبح لا يعترض الكلام بهما إلا من جهة المعانى خاصة ، من غير أن يكون للألفاظ فى ذلك نصيب » . ويقول : « وأمر التطبيق فى ذلك أبين وكونه معنويا أجلى وأظهر فهو مقابلة الشىء بضده ، والتضاد بين الألفاظ المركبة محال ، وليس لأحكام المقابلة ثم مجال » [١٤ و ١٥ الأسرار] .

(١) راجع ١٧٩ مفتاح ، ١٤ و ١٥ و ٣٥٠ الأسرار ، ٢٩٧ الصناعين ، ٢٧٥ - ٢٧٩ المثل السائر .

ولا بأس بأن نعرض عليك كلمة موجزة فى بدء البحث البديعى وأطواره عن هذا اللون من المحسنات البديعية المعنوية فنقول : ذكر الأصمعى المطابقة فى الشعر فقال : أصلها وضع الرجل موضع اليد فى مشى ذوات الأربع ، ثم قال : وأحسن بيت قيل لزهير فى ذلك :

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا

(٦ ج ٢ العمدة) . وقال الأصمعى والخليل :

يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد وألصقتهما (٧٤ شرح البديع ، ٦ ج ٢ العمدة) ، فذلك هو مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان ، كما قال الرمانى : المطابقة مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان ، قال ابن رشيق : هذا أحسن قول سمعته فى المطابقة وهو يشتمل على قول القوم وغيرهم جميعا (٦ ج ٢ العمدة) . =

وتسمى الطباق والتضاد أيضا .

= وفى البيان للجاحظ وردت كلمة التطبيق بمعنى إصابة الكلام الغرض المسوق له : ٨٧ — ٨٩ ج ١ و ١٣٣ ج ١ البيان - وذكر تطبيق الحديث وأنه غير التطبيق الأول (١٠٢ ج ١ البيان) ، وفى كامل المبرد : كلمة المطابقة بمعنى الجمع بين الشيء وما يقابله فى الكلام (١٤١ ج ١ الكامل) ؛ وكذلك أراد ابن المعتز هذا المعنى من هذا الاصطلاح ؛ ويسميه ثعلب مجاورة الأضداد (٢٤ قواعد الشعر لثعلب) ويسميه قدامة التكافو (٨٥ نقد الشعر)

فالمطابقة إذا لها معنيان : مساواة المقدار ، والجمع بين الشيء وضده ، وأول من سماه هذا الاسم الأصمعى مريدا منه المعنى الثانى ، وورد فى اشتقاقه كلام عن الخليل والأصمعى رآه ابن رشيق ظاهرا فى المعنى الأول . ويقول الباقلانى : وأكثر العلماء على أن المطابقة أن يذكر الشيء وضده كالليل والنهار وإليه ذهب الخليل والأصمعى ومن المتأخرين ابن المعتز ، وقال آخرون : المطابقة أن يشترك معنيان بلفظة واحدة وإليه ذهب قدامة (٧٩ إعجاز القرآن للباقلانى) ويذكر الآمدى أن قدامة لقب هذا الباب المتكافى . وأنه سمى ضربا من المجانس ، المطابق ، وينقده فى مخالفته للعلماء ولابن المعتز فى هذه الاصطلاحات (١٢٤ الموازنة) ، ورد الأخفش على قدامة أيضا (٢٩١ ج ١ العمدة) ونقل ابن سنان كلمة الآمدى فى نقده وأشاد بها (١٨٥ سر الفصاحة) .

وقد ذكر ابن المعتز فى هذا الباب فى كتابه البديع كثيرا من الشواهد ، وذكر مثلا لما عيب منها (٧٤ — ٩٢ البديع شرح محمد خفاجى).

ومن الغريب أن يكون أرسطو قد تكلم على المطابقة والمقابلة حيث ذكر التقابل وأن المتقابلات إذا توافت أحدثت رونقا لظهور بعضها ببعض وأن المعتدل (الذى لا يفرط فى الصفة حتى يدخل فى حيز الكذب الظاهر) وخصوصا إذا شحن بالمطابقات المأخوذة من المتقابلات لذيذ جدا وأن المتقابلات بعضها أضداد وبعضها كأضداد .

وهى [١] الجمع [٢] بين المتضادين [٣] ، أى معنيين متقابلين [٤] فى الجملة [٥] .
ويكون ذلك إما :

= وابن المعتز فرق معرفته بالمطابقة فهو يعرف المقابلة ويذكرها باسمها (١١ رسائل ابن المعتز) ولم يذكرها فى كتابه البديع ، وقد ذكر قدامة المقابلة وعرفها فى نقد الشعر (ص ٧٩) تعريفا تأثر فيه بأرسطو ، وأخذ السكاكى تعريف قدامة رأيا له فى تعريفه للمقابلة ، وفى الصناعتين باب للمطابقة تأثر فيه أبو هلال بابن المعتز (٢٩٧ - ٣١٠ صناعتين) - وكذلك فعل ابن رشيق (٥ ج ٢ العمدة)

(١) هى فى اللغة الموافقة . وسمى المعنى الاصطلاحى موافقة لأن المتكلم وافق بين المعنيين المتقابلين ، أو لموافقة الضدين فى الوقوع فى جملة واحدة واستوائهما فى ذلك مع بعد الموافقة بينهما .

(٢) أى فى كلام واحد أو ما هو كالكلام الواحد فى الاتصال .

(٣) أى أو أكثر ، فالجمع بين الأمور المتضادة أيضا مطابقة .

(٤) لما توهم أن المراد بالمتضادين هنا خصوص الأمرين الوجوديين المتواردين على محل واحد بينهما غاية الخلاف كالسواد والبياض ، وليس ذلك شرطا ؛ بين المصنف أن المراد بالمتضادين ماهو أعم من ذلك ، أعنى الأمرين اللذين بينهما تقابل وتناف ولو فى بعض الأحوال وذلك كما فى التقابل الاعتبارى فان التنافى فيه باعتبار المتعلق .

(٥) أى ولو فى الجملة ، فليس التنافى فى بعض الأحوال شرطا بدليل التعميم فسواء كان التقابل حقيقيا - كتقابل الأمرين الذين بينهما غاية الخلاف لذاتيهما كتقابل القدم والحدوث — أو اعتباريا - كتقابل الأحياء والأماتة فانهما لا يتقابلان إلا باعتبار بعض الأحوال وهو أن يتعلق الأحياء بحياة جرم فى وقت والأماتة باماتته فى ذلك الوقت ، وإلا فلا تقابل بينهما باعتبار أنفسهما ولا باعتبار المتعلق عند تعدد الوقت . وسواء كان التقابل الحقيقى تقابل التضاد — كتقابل الحركة والسكون على الجرم الموجود بناء على أنهما وجوديان — أو تقابل الايجاب =

[ا —] بلفظين من نوع واحد :

[١ —] اسمين : كقوله تعالى : « وتحسبهم أيقاظا وهم رقود » .

[٢ —] أو فعلين ؛ كقوله تعالى : « تؤتى الملك من تشـــاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ؛ وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء [١] » ، وقول النبى عليه السلام للانصار : « إنكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع » ، وقول أبى صخر الهذلى :

أما والذى أبكى وأضحك والذى أمات وأحيا والذى أمره الأمر [٢]

وقول بشار :

إذا أيقظتك حروب العدى فنبه لهـــا عمـــرا ثم نم [٣]

والسلب — كتقابل مطلق الوجود وسلبه — أو تقابل العدم والملكة — كتقابل العمى والبصر — أو تقابل التضايف — كتقابل الأبوة والبنوة ؛ وقيل أن الجمع بين الابوة والبنوة من باب مراعاة النظير لا من المطابقة ؛ ورد بأن مراعاة النظير الجمع بين أمور لا تنافى فيها كالشمس والقمر بخلاف ما فيه التنافى كالأبوة والبنوة — أو ما يشبه شيئا من ذلك مما يشـــعر بالتنافى لاشتماله بوجه على ما يوجب التنافى كهاتا وتلك فى بيت أبى تمام لما فى هاتا من القرب وتلك من البعد .

(١) « وتعز من تشاء وتذل من تشاء » زيادة موجودة فى الإيضـاح طبعة مصر ، وليست موجودة فى نسخة تهذيب الإيضاح للتنوخى . طبع سوريا ١٣٦٧ هـ

(٢) راجع البيت فى ٦١ ج ٢ الحماسة ، ١٧٩ مفتاح ، ٥٩ ج ١ زهر الآداب ٢٩٧ صناعتين ، ص ٢ ج ١ الكامل للمبرد ، ٣٠ ج ٢ البيان ؛ وهو من قصيدة تجدها فى الأمالى ص ١٤٩ ج ١ — وأبو صخر إسلامى أموى مدح عبد الملك . وجواب القسم فى البيت التالى وهو :

لقد تركتنى أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما الذعر

ومن الطباق قوله تعالى : وأنه هو أضحك وأبكى [راجع ٤٣٤ صناعتين]

(٣) هو لبشار فى عمر بن العلاء (راجع ٤٦ ج ٢ زهر الآداب ، ١٧٥ ج ٢ العمدة ، ١٩٣ ج ٣ الأغانى ، ٥٥١ السمط) .

[٣ -] أو حرفين كقوله تعالى : (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت [١])
وقول الشاعر [٢] :

على أننى راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا على ولا ليا

[ب -] وإما بلفظين من نوعين [٣] : كقوله تعالى « أو من كان ميتا فأحييناه [٤] » أى ضالا فهديناه ؛ وقول طفيل :

بساهم الوجه لم تقطع أباجله يصان وهو ليوم الروع مبذول [٥]

* * *

ملاحظة :

التقابل فى « وتحسبهم أيقاظا وهم رقود » من شبه العدم والملكة باعتبار لازمهما أما باعتبار أنفسهما فمن التضاد لأن النوم عرض يمنع إدراك الحواس واليقظة عرض يقتضى الإدراك بها .

أما التقابل فى « يحيى ويميت » فمن تقابل العدم والملكة باعتبار متعلقيهما وهما الحياة والموت ، أو من التضاد بناء على أن الموت عرض وجودى فالتنافى بينهما اعتبارى .

(١) فان فى اللام معنى الانتفاع وفى على معنى التضرر ، أى لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعصيتها غيرها .

(٢) هو مجنون ليلى كما فى روضة الأدب ص ١٨٨ ، وفى تهذيب الايضاح للتنوخى : « لم نعثر على صاحب هذا البيت مع فرط البحث عنه » .

(٣) وهو الاسم مع الفعل

(٤) أفانه قد اعتبر فى الأحياء معنى الحياة والموت والحياة مما يتقابلان ، والتقابل اعتبارى هنا لأن تقابل الأحياء للموت باعتبار تعلقه بالحياة التى هى ضد الموت وقد دل على الأول بالاسم وعلى الثانى بالفعل . وراجع الآية فى ص ٢٦٠ صناعتين .

(٥) البيت فى الصناعتين ص ٢٠٣ . ساهم الوجه أى متغيره من كثرة الجرى . الأباجل : جمع أبجل وهو عرق من الفرس والبعير بمنزلة الأكحل من الانسان . الروع : الفزع والحرب — طفيل الغنوى شاعر جاهلى مشهور مجيد

ومن لطيف الطباق قول ابن رشيق :

وقد أطفؤا شمس النهار وأوقدوا نجوم العوالى فى سماء عجاج[1]

وكذا قول القاضى الارجانى :

ولقد نزلت من الملوك بماجد فقر الرجال اليه مفتاح الغنى

وكذا قول الفرزدق[2] :

لعن الاله بنى كليب أنهم لا يغدرون ولا يفون لجار

يستيقظون إلى نهيق حمارهم وتنام أعينهم عن الأوتار

وفى البيت الأول تكميل حسن إذ لو اقتصر على قوله « لا يغدرون » لاحتمل الكلام ضربا من المدح ، إذ تجنب الغدر قد يكون عن عفة ، فقال « لا يفون » ليفيد أنه للعجز كما أن ترك الوفاء للؤم ؛ وحصل مع ذلك إيغال حسن لأنه لو اقتصر على قوله « لا يغدرون ولا يفون » تم المعنى الذى قصده ، ولكنه لما احتاج إلى القافية أفاد بها معنى زائدا حيث قال (لجار) لأن ترك الوفاء للجار أشد قبحا من ترك الوفاء لغيره

والطباق قد يكون ظاهرا كما ذكرنا ، وقد يكون خفيا نوع خفاء كقوله تعالى « مما خطاياهم أغرقوا فأدخلوا نارا » طابق بين « أغرقوا وأدخلوا نارا » . وقول أبى تمام[3] .

---

(١) العوالى . جمع عالية وهو أعلى الرمح أو النصف الذى يلى السنان العجاج الغبار — وابن رشيق هو صاحب العمدة المتوفى عام ٤٦٣ هـ .

(٢) فى الصناعتين ص ٣٠٣ . والأوتار جمع وتر وهو الثأر . والبيتان من قصيدة فى هجاء جرير وقومه .

(٣) نجده فى الوساطة ص ٤٦ ، وراجع نقد الآمدى للبيت فى الموازنة ص ٦٩

المها واحدها مهاة وهى البقرة الوحشية يشبه بها فى حسن العينين . والقنا واحدها قناة وهى الرمح . والخط بلد تصنع فيه الرماح . والذوابل . الأغصان الجافة .

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخـ ـط إلا أن تلك ذوابل

طابق بين « هاتا ، وتلك »

* * *

والطباق ينقسم :

[١ —] إلى طباق الايجاب كما تقدم [١]

[٢ —] وإلى طباق السلب :

وهو الجمع بين فعلى مصدر واحد : مثبت[٢] ومنفى ؛ أو أمر[٣] ونهى ؛ كقوله تعالى « ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا » وقوله « ولا تخشوا الناس ، واخشون » وقول الشاعر [٤] :

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

وقول البحترى [٥] .

يقيض لى من حيث لا أعلم النوى ويسرى إلى الشوق من حيث أعلم

وقول أبى الطيب

ولقد عرفت وما عرفت حقيقة ولقد جهلت وما جهلت خمولا [٦]

---

(١) وهو أن يكون اللفظان المتقابلان معناهما موجبا

(٢) فيكون التقابل بين الايجاب والسلب لا بين مدلولى الفعل : [راجع طباق السلب فى ص ٣٩٤ من الصناعتين]

(٣) أى أن يجمع بين فعلين أحدهما أمر والآخر نهى

(٤) هو السموأل [١/٣٩ الحماسة] ، وهو فى ص ٣٩٥ صناعتين

(٥) راجع البيت فى الوساطة ص ٤٦ . النوى : الفراق . يقيض : يهيأ ، والنوى نائب فاعل « يقيض »

(٦) البيت من قصيدة يمدح بها ابن حمار ، ومعناه واضح ، يقول عرف الناس شخصك وما عرفوا شخصيتك وشمائلك ، وجهلوك لأنك عبقرى الصفات عالى القدر ، ولم يجهلوك لأنك خامل الذكر

وقول الآخر :

خلقوا وما خلقوا لمكرمة فكأنهم خلقوا وما خلقوا
رزقوا وما رزقوا سماح يد فكأنهم رزقوا وما رزقوا

قيل ومنه قوله تعالى: ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، أى لا يعصون الله فى الحال ويفعلون ما يؤمرون فى المستقبل ، وفيه نظر لأن العصيان يضاد فعل المأمور به فكيف يكون الجمع بين نفيه وفعل المأمور به تضادا

(التدبيج) :

ومن الطباق قول أبى تمام :

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى لها الليل إلا وهى من سندس خضر

وقال ابن حيوس [١] :

طالما قلت للمسائل عنكم واعتمادى هداية الضلال
أن ترد علم حالهم عن يقين فالقهم يوم نائل أو نزال
تلق بيض الوجوه سود مثار النـ ـقع خضر الأكفان حمر النصال

وقول الحريرى : فمذ ازور المحبوب الأصفر ، واغبر العيش الأخضر ، اسود يومى الأبيض ، وابيض فودى الأسود : حتى رثى لى العدو الأزرق ، فيا حبذا الموت الأحمر [٢] .

---

(١) لقبه « ابن حيوس » ، لا « أبو حيوس » ، كما صنع الشيخ عبد المتعال الصعيدى خطأ فى كتاب متن الايضاح الذى نشره صبيح — الطبعة الثانية وابن حيوس من شعراء الشام وتوفى عام ٤٧٣ هـ ، وكان يمدح بنى مرداس ملوك حلب وله ديوان شعر .

هداية الضلال من إضافة المصدر إلى مفعوله. النائل: العطاء. مثار النقع : منتشر الغبار . النصال : جمع نصل وهو حديدة الرمح والسهم والسكين .

(٢) خضرة العيش كناية عن طيبه ، واغبراره كناية عن ضيقه .

ومن الناس من سمى ما ذكرناه تدبيجا [١] ، وفسره بأن يذكر فى معنى من المدح أو غيره ألوان ، بقصد الكناية أو التورية [٢] أما تدبيج الكناية فكبيت أبى تمام [٣] وبيت ابن حيوس ؛ وأما تدبيج التورية فكلفظ الأصفر فى قول الحريرى [٤] .

ويلحق بالطباق شيئان :

---

(١) والتدبيج دخل فى تعريف الطباق لما بين الألوان من التقابل . وهو من دبج المطر الأرض بألوان النبات إذا زينها .

(٢) فان كان القصد الحقيقة أو المجاز فلا يكون تدبيجا ؛ وذكر بعضهم أن ذكر الألوان على وجه الحقيقة لا يمنع التدبيج .

وقوله « أو التورية » أو فيه مانعة خلو تجوز الجمع كما فى مثال الحريرى .

والذى يقصد به الكناية أو التورية هو الكلام المشتمل على تلك الألوان . والمراد بالألوان ما فوق الواحد .

(٣) فقد ذكر لون الحمرة والخضرة ، والقصد من الأول الكناية عن القتل ، ومن الثانى دخول الجنة .

(٤) التورية هى أن يكون للفظ معنيان : قريب وبعيد ، ويراد به البعيد ، وقوله « وأما تدبيج التورية » أى وأما التدبيج المشتمل على التورية .

ففى قول الحريرى السابق : المعنى القريب للمحبوب الأصفر هو الانسان الذى له الصفرة ، والبعيد هو الذهب وهو المراد ههنا ؛ فيكون تورية .

هذا وجمع الألوان لقصد التورية لا يقتضى أن يكون فى كل لون منها تورية كما توهمه بعضهم ، فالحريرى قد جمع بين عدة ألوان وكل تلك الألوان فى كلامه كناية إلا الأصفر فان فيه التورية ، فجمع الألوان لا يجب أن يكون على أنها كلها كنايات أو توريات ، بل يجوز جمعها على أن بعضها كناية وبعضها تورية .

أحدهما(١) نحو قوله تعالى «أشداء على الكفار رحماء بينهم» ، فان الرحمة مسببة عن اللين الذى هو ضد الشدة؛ وعليه قوله تعالى «ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله» فان ابتغاء الفضل يستلزم الحركة المضادة للسكون والعدول عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل ، لأن الحركة ضربان : حركة لمصلحة وحركة لمفسدة ، والمراد الأولى لا الثانية ؛ومن فاسد هذا الضرب قول أبى الطيب (٢) .

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرور محب أو إساءة مجرم

فان ضد المحب هو المبغض والمجرم قد لا يكون مبغضا ، وله وجه (٣) بعيد والثانى (٤) ما يسمى إيهام التضاد كقول دعبل (٥) :

---

(١) هو الجمع بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق مثل السببية واللزوم ، والحال أنه ليس بين هذين المعنيين اللذين تعلق أحدهما بما يقابل الآخر تناف بل يجتمعان كالرحمة والشدة فان الرحمة قد تكون شديدة ، وبهذا يمتاز عن الطباق .

(٢) راجعه فى المثل السائر ص ٢٧٨ ، وفى الأبانة عن سرقات المتنبى للعميدى ص ٨١

(٣) هو أن بين الاجرام والبغض تلازما بحسب الادعاء كأنما يشير إلى أن المجرم لا يكون إلا مبغضا له .

(٤) وهو الجمع بين معنيين غير متقابلين ولا يستلزم ما أريد بأحدهما ما يقابل الآخر وبهذا فارق ما قبله وإنما عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان والفرق بين التدبيج الذى فيه الكناية وبين إيهام التضاد مع أن فى كل منهما المعنيين المرادين لا تضاد بينهما ولكن يتوهم التضاد من ظاهر اللفظين باعتبار معنييهما الأصليين أن الكناية التى فى التدبيج يصح أن يراد بها معناها الأصلى فينافى مقابله بخلاف إيهام التضاد فلا يصح فيه معناه الأصلى .

(٥) هو فى الصناعتين ص ٢٩٧ ، وفى الوساطة ص ٤٥ ، وفى العقد ص ٢ ج ٤٠ .

لا تعجبي يا سلم من رجـــل ضحك المشيب برأسه فبـكى

وقول أبي تمام :

ما إن ترى الاحساب بيضا وضحا إلا بحيث ترى المنـــايا سودا (١)

وقوله أيضا فى الشيب :

له منظر فى العين أبيض ناصع ولكنه فى القلب أسود أسفع (٢)

وقوله

وتنظرى خبب الركاب ينصها محي القريض إلى نمير المـال (٣)

[المقابلة] . (٤)

ودخل فى المطابقة ما يخص باسم المقابلة :

وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين (٥) ، أو معان متوافقة

* * *

= ، ضحك المشيب برأسه ، أى ظهر ظهورا تاما فهو استعارة تبعية .

وقوله ، فبكى ، أى ذلك الرجل يعنى نفسه .

فظهور الشيب لا يقابل البكاء إلا أنه قد عبر عنه بالضحك الذى معناه الحقيقى مقابل للبكاء .

(١) والبيت فى المثل السائر ص ٢٧٧ ، وهو من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيبانى .

(٢) أبيض ناصع : شديد البياض . أسود أسفع : أسود إلى حمرة — والبيت لأبى تمام من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغرى .

(٣) تنظرى : انتظرى . ينصها : يستحثها ويسوقها . محي القريض هو الشاعر ، ونمير المال هو الممدوح . والخبب أن يراوح الفرس فى عدوه بين يديه ورجليه بأن يقوم على إحداهما مرة وعلى الأخرى مرة

(٤) راجع ص ١٧٩ مفتاح ، و ص ٧٤ دلائل

ويجعله السكاكى وغيره نوعا مستقلا من أنواع المحسنات البديعة .

(٥) أى غير متقابلين .

ثم بما يقابلهما ، أو يقابلها ، على الترتيب(١)

والمراد بالتوافق خلاف التقابل(٢) . وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به

[١ —] مثال مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا

---

(١) أى بحيث يكون الأول للاول والثانى للثانى ، فيدخل فى الطباق ، لأنه جمع بين معنيين متقابلين فى الجملة، أى على وجه مخصوص دون آخر اذ ليس التقابل بين كل اثنين من المعانى ، الاترى انه لا تقابل بين الضحك والقلة ولا بين البكاء والكثرة فى المثال الآتى وان كان فيه مقابلة بين الضحك والبكاء والقلة والكثرة. ثم فى الطباق حصول التوافق بعد التنافى ، وفى المقابلة حصول التنافى بعد التوافق ، وفى كليهما ايراد المعنيين بصورة غريبة ، فكل منهما محسن بانفراده

(٢) حتى لا يشترط أن يكونا متناسبين أو متماثلين بخلاف مراعاة النظير فانه يشترط فيها ذلك

هذا وقوله « خلاف التقابل » أى فيشمل المتناسبين أى ما يكون بينهما مناسبة وإن اختلفا ما صدقا ومفهوما كالشمس والقمر كما فى مراعاة النظير ولذا توجد المقابلة معه، ويشمل المتماثلين فى أصل الحقيقة مع عدم التناسب فى المفهوم كمصدوق الفاسم والانسان ، ويشمل الخلافيين كالطائر والانسان وكالضحك والقلة فانهما غير متماثلين وغير متناسبين

هذا والمقابلة كما ذكرنا داخلة فى الطباق باعتبار جمع المتقابلين ، ولم تجعل داخلة فى مراعاة النظير باعتبار جمع المتوافقين لأنه يشترط فى المراعاة تماثل المعنيين وتناسبهما ولا يشترط ذلك فى المقابلة ، وهذا لا ينفى كون بعض المقابلة من مراعاة النظير لأنه كما يشترط فى المقابلة التناسب لم يشترط عدمه

كثيرا)[١] وقول النبى عليه السلام : إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ولا ينزع من شىء إلا شانه . وقول الذبيانى[٢]

فتى تم فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

وقول الآخر :

فواعجبا كيف اتفقنا : فناصح وفى ، ومطوى على الغل غادر

فان الغل ضد النصح ، والغدر ضد الوفاء

[٢ —] ومثال مقابلة ثلاثة بثلاثة قول أبى دلامة :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والافلاس بالرجل

وقول أبى الطيب[٣]

فلا الجود يفنى المال والجد مقبل ولا البخل يبقى المال والجد مدبر

[٣ —] ومثاله مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ، فان المراد باستغنى أنه زهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتق أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق

---

(١) فأتى بالضحك والقلة المتوافقين ثم بالبكاء والكثرة المقابلين لهما أى أتى بالضحك والقلة وهما متوافقان ثم بالبكاء والكثرة وهما متوافقان أيضا وقابل الأول من الطرف الثانى وهو البكاء بالأول من الطرف الأول وهو الضحك وقابل الثانى من الطرف الثانى وهو الكثرة بالثانى من الطرف الأول وهو القلة

(٢) يريد النابغة الذبيانى ، وهو خطأ لأنه للنابغة الجعدى [راجع ٤٠٨ /١ الحماسة ، ٤٤٧ /١ الحماسة أيضا] وهو فى ص ٢٣٢ الأمالى ، ٢٣٠ و ٢٩٧ صناعتين .

(٣) راجعه فى ص ٣٠٥ صناعتين

[٤ — مقابلة خمسة بخمسة] : قيل وفى قول أبى الطيب :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

مقابلة خمسة بخمسة ، على أن المقابلة الخامسة بين لى وبى ؛ وفيه نظر ، لأن اللام والباء فيهما صلتا الفعلين فهما من تمامهما ؛ وقد رجح بيت أبى الطيب على بيت أبى دلامة : بكثرة المقابلة ، مع سهولة النظم ، وبأن قافية هذا ممكنة وقافية ذاك مستدعاة فان ما ذكره غيره مختص بالرجال ؛ وبيت أبى دلامة على بيت أبى الطيب بجودة المقابلة ، فان ضد الليل المحض هو النهار لا الصبح .

* * *

ومن لطيف المقابلة ما حكى عن محمد بن عمران الطلحى [١] ، إذ قال له المنصور بلغنى أنك بخيل ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما أجد فى حق ، ولا أذوب فى باطل

* * *

وقال السكاكى [٢] .

المقابلة أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما ثم إذا شرطت [٣] هنا شرطا [٤] شرطت هناك ضده كقوله تعالى: « فأما من أعطى الآيتين » ، لما جعل

---

(١) وفى البديع لابن المعتز شرح محمد عبد المنعم خفاجى ص ١٣ : « التيمى ، وكان محمد هذا قاضى المدينة [٢٠١ جـ ١ زهر الآداب]

(٢) ص ١٧٩ مفتاح ، فقد زاد السكاكى فى تعريف المقابلة قيدا آخر

(٣) أى فيما بين المتوافقين أو المتوافقات

(٤) أى إذا قيدت المعانى الأول بقيد فلا بد أن تقيد المعانى المقابلة لها بقيد يضاد القيد الأول ، والمراد بالشرط ههنا الاجتماع فى أمر لا الشرط المعروف ، لأن التيسير والتعسير ليسا شرطين بل هما أمران اشترك كل منهما فى أمور متوافقة

ملاحظة :

المقابلة قد تتركب من الطباق ، وقد تتركب مما هو ملحق بالطباق كما فى مقابلة =

التيسر مشتركا بين الأعطاء والاتقاء والتصديق ، جعل ضده وهو التعسير مشتركا بين أضداد تلك ، وهى المنع والاستغناء والتكذيب .

— ٢ —

[مراعاة النظير (١)]

ومنه (٢) مراعاة النظير ، وتسمى التناسب والائتلاف والتوفيق أيضا وهى أن يجمع فى الكلام بين أمر وما يناسبه (٣) لا بالتضاد (٤) كقوله تعالى : « الشمس والقمر بحسبان (٥) » ، وقول بعضهم للمهلبى الوزير: « أنت أيها الوزير اسماعيلى الوعد ، شعيبى التوفيق ، يوسفى العفو ، محمدى الخلق »

= الاتقاء بالاستغناء ، فانه جمع بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق

ثم قد يكون الطباق مقابلة ستة بستة كما مر مثل قول عنترة :

على رأس عبد تاج عز يزينه وفى رجل حر قيد ذل يشينه

(١) راجع ١٧٦ مفتاح ، ويعرفه السكاكى بأنه الجمع بين المتشابهات

(٢) أى من الضرب الذى يرجع الى المحسنات المعنوية

(٣) أى هى أن يجمع بين أمرين متناسبين أو أمور متناسبة

(٤) أى بل بالتوافق فى كون ما جمع من واد واحد لصحبته فى إدراكه أو لمناسبته فى شكله أو لترتب بعضه على بعض أو ما أشبه شيئا من ذلك

هذا والمناسبة بالتضاد أن يكون كل منهما مقابلا للآخر أى منافيا له ، هذا وبقوله « لا بالتضاد » يخرج الطباق لأنه جمع بين أمرين متضادين أى بينهما مطلق التقابل

(٥) جمع هنا بين أمرين متناسبين وهما الشمس والقمر ، بحسبان : بحساب مقدر

وقول أسيد بن عنقاء الفزارى[١] :

كأن الثريا علقت فى جبينه وفى خده الشعرى وفى وجهه القمر

وقول الآخر فى فرس :

من جلنار ناضر خـــده وأذنه من ورق الآس[٢]

وقول البحترى فى صفة الابل الانضاء[٣] :

---

(١) راجعه فى ص ٣٢٣ معجم الشعراء للمرزبانى ، ٢٥٢ ج ٢ الحماسة ، ٩٦ ج ٤ زهر الآداب ، ١٣٧ ج ١ أمالى

ومن الغريب أن الدسوقى ينسبه للبحترى [٣١٧ ج ٤ الدسوقى] وقد استشهد بأغلبه على بن أبى طالب يعنى به طلحة :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

كأن الثريا علقت فى يمينه وفى خده الشعرى وفى الآخر البدر

(ص ٠٠ ج ٣ العقد) ، ورواية الايضاح : وفى وجهه البدر

على أن الأبيات المروية من هذه القصيدة توجب أن يكون البيت هكذا « وفى وجهه القمر »

هذا والثريا : سبعة كواكب فى عنق الثور . والشعرى : كوكب فى الجوزاء . والشاهد فى البيت مراعاة النظير بجمع « الثريا والشعرى والبدر » ، وكذلك بجمع « الجبين والخد والوجه »

(٢) البيت لابن خفاجة الأندلسى فى وصف فرس

الجلنار : زهر الرمان . الآس : الريحان . والشاهد فى البيت تناسب : الجلنار والآس » ، « الخد والأذن »

(٣) الأنضاء . جمع نضو وهو المهزول . القسى جمع قوس . المعطفات : المنحنيات . مبرية : منحوتة . الأوتار جمع وتر وهو الخيط الجامع بين طرفى القوس وهى أرق من السهام

فقد جمع بين أمور متناسبة هى القسى والسهام والأوتار . والبيت فى ص ٢١٣ صناعتين ، ١٧٧ المثل السائر

كالقسى المعطفات بل الأسهم مبرية بل الأوتار

وقول ابن رشيق [1] :

أصح وأقوى ما سمعناه فى الندى من الخبر المأثور منذ قديم

أحاديث ترويها السيول عن الحيا عن البحر عن كف الأمير تميم

فانه ناسب فيه بين الصحة والقوة والسماع والخبر المأثور والأحاديث والرواية ثم بين السيل والحيا والبحر وكف تميم ؛ مع ما فى البيت الثانى من صحة الترتيب فى التعنعة ، إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر ، كما يقع فى سند الأحاديث ، فان السيول أصلها المطر والمطر أصله البحر على ما يقال ، ولهذا جعل كف الممدوح أصلا للبحر مبالغة

***

[تشابه الأطراف] :

ومن مراعاة النظير ما يسميه بعضهم «تشابه الأطراف» ، وهو : أن يختم الكلام بما يناسب أوله [2] فى المعنى : كقوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) ؛ فان اللطف يناسب مالا يدرك بالبصر [3] ؛ والخبرة تناسب من

---

(١) البيت فى ص ١٠٣ حسن التوسل فى صناعة الترسل

(٢) لكون ما ختم به الكلام كالعلة لما بدىء به أو العكس أو كالدليل عليه أو نحو ذلك ، فهذا نوع خاص من مراعاة النظير لأنها الجمع بين متناسبين مطلقا سواء كان أحدهما فى الختم والآخر فى الابتداء كما فى تشابه الأطراف أو كانا معا فى الابتداء أو فى الاختتام أو فى الوسط ؛ والمراد بالكلام هنا ما يقصد من التراكيب المفيدة سواء كان جملة واحدة أو أكثر ، والمراد بأول ما ليس بآخر

(٣) هذا إذا كان اللطيف مشتقا من اللطافة ، أما إذا كان مشتقا من اللطف أى الرأفة وهو المراد هنا فلا يظهر إلا أن تقول إن بين « اللطيف » و« لا تدركه الأبصار » إيهام تناسب كالمثال الآتى « الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر الخ »

يدرك شيئا ، فان من يدرك شيئا يكون خبيرا به ؛ وقوله تعالى (له ما فى السموات وما فى الأرض وإن الله لهو الغنى الحميد) ، قال: الغنى الحميد ، لينبه على أن ماله ليس لحاجة بل هو غنى عنه جواد به فاذا جاد به حمده المنعم عليه . ومن خفى هذا الضرب قوله تعالى « إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » فان قوله « وإن تغفر لهم » يوهم أن الفاصلة الغفور الرحيم ، ولكن إذا أنعم النظر علم أنه يجب أن تكون ما عليه التلاوة ؛ لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو العزيز لأن العزيز فى صفات الله هو الغالب ، من قولهم عزه يعزه عزا إذا غلبه ، ومنه المثل : من عز بز أى من غلب سلب ، ووجب أن يوصف بالحكيم أيضا لأن الحكيم من يضع الشىء فى محله والله تعالى كذلك إلا أنه قد يخفى وجه الحكمة فى بعض أفعاله ، فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة ، فكان فى الوصف بالحكيم احتراس حسن ، أى وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لاحد فى ذلك والحكمة فيما فعلته

***

[إيهام التناسب](١):

ومما يلحق بالتناسب(٢) نحو قوله تعالى « الشمس والقمر بحسبان والنجم(٣) والشجر يسجدان » ، ويسمى إيهام التناسب (٤)

---

(١) راجع ص ٣٨٥ / ١ الكامل للمبرد

(٢) أى بمراعاة النظير

وهذا الذى يلحق بالتناسب هو أن تجمع بين معنيين غير متناسبين فى أنفسهما - لعدم وجود شىء من أوجه التناسب - بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان، وان لم يكونا مقصودين هنا ، بأن لا يقصد واحد منهما أو يكون أحدهما مقصودا دون الآخر كما فى المثال المذكور فى المتن

(٣) النجم هو النبات الذى ينجم أى يظهر فى الأرض لا ساق له كالبقول . والشجر الذى له ساق، ويسجدان أى ينقادان لله تعالى فيما خلقا له . فالنجم=

[التفويف[1]] :

وأما ما يسميه بعض الناس « التفويف » ، وهو أن يؤتى فى الكلام بمعان متلائمة فى جمل مستوية المقادير أو متقاربتها

كقول من يصف سحابا[2] :

تسربل وشيا من خزوز تطرزت ... مطارفها طرزا من البرق كالتبر

فوشى بلا رقم ، ونقش بلا يد ... ودمع بلا عين ، وضحك بلا ثغر

وكقول عنترة :

إن يلحقو أكرر وأن يستلحقوا ... أشدد وان نزلوا بضنك انزل[3]

= بهذا المعنى وإن لم يكن مناسبا للشمس والقمر لكنه قد يكون بمعنى الكوكب وهو مناسب لها لاقترانه معهما فى الخيال

(٤) لمثل مما مر فى إيهام التضاد ، من أن اللفظين الذين ذكر بهما المعنى يوهمان التضاد فكذا هنا يوهمان التناسب هذا ومن مراعاة النظير قول أبى القاسم الزاهى :

سفرن بدورا ، وانتقبن أهـــلة ... ومسن غصونا والتفتن جآذرا

(١) راجع جمع المؤتلف فى الصناعتين ص ٣٩٢

وهو من قولهم « برد مفوف » للذى على لون وفيه خطوط بيض على الطول

(٢) هو أبو العباس الناشىء (٢٤٠ ج ١ زهر الاداب) وينسب البيت للمهلبى الوزير أيضا . ولم ينسب البيتين لأحد جميع من كتبوا على الايضاح

الضمير فى « تسربل » للسحاب . الوشى : نوع من الثياب منقوش . المطارف أردية من خز . مربعة بها أعلام . الطرز جمع طراز وهو علم الثوب؟ والخزوز جمع خز تطرزت اتخذت الطراز

والشاهد فى البيت الثانى لأنه أربع جمل متساوية ومعانيها متلائمة

(٣) اللحوق : الادراك . الاستلحاق : طلبه . الكر : الحمل على العدو . الشد : الركض . والبيت فى الوساطة ص ٤٧

وكقول ابن زيدون .

ته أحتمل، واحتكم أصبر، وعز أهن ودل أخضع، وقل أسمع، ومر أطع

وكقول ديك الجن :

أحل وأمرر وضر وانفع ولن واخ شن ورش وابر وانتدب للمعالى[1]

فبعضه[2] من مراعاة النظير ، وبعضه من المطابقة

— ٣ —

[الأرصاد[3]]

ومنه[4] الأرصاد ، ويسمى التسهيم[5] أيضا

وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة[6] أو البيت مايدل على العجز[7] إذا

---

(١) « رش » أمر من راش بمعنى أصلح . « ابر » أمر من برى بمعنى أفسد وأصله من برى السهم والقلم نحتهما . انتدب أمر من انتدب يقال : ندبه لأمر دعاه ، فانتدب هو أى فأجاب

(٢) هذا جواب « وأما ما يسميه بعض الناس » ويريد ببعضه مثل الأول ، وببعضه الثانى مثل البيت الأخير

(٣) هو نصب الرقيب فى الطريق من رصدته أى رقبته ، والرصيد السبع الذى يرصد ليثب ، والرصد القوم يرصدون كالحرس يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث ويسميه قدامه التوشيح (ص ٩٩ نقد الشعر) وكذلك العسكرى (ص ٣٧٤ صناعتين) — وراجع المثل السائر ص ٢٩٦

(٤) أى من الضرب المعنوى

(٥) يقال : بردمسهم أى فيه خطوط مستوية

(٦) هى فى النثر بمنزلة البيت فى النظم فى أن رعاية الروى واجبة فيهما والفقرة بفتح الفاء وكسرها وسكون القاف فى الأصل حلى يصاغ على شكل فقرة الظهر

(٧) أى كلمة تدل على مادة العجز وصورته فالمادة يدل عليها الارصاد والصورة يدل عليها الروى ، فالمتوقف على معرفة الروى هو الصورة فقط . والعجز : آخر كلمة من الفقرة أو البيت

عرف الروى (١) . كقوله تعالى (وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون(٢)) وقوله (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون) ، قول زهير (٣)

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم

وقول الآخر (٤)

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

وقول البحترى .

---

(١) أى مع معرفة صيغة القافية ، وقوله « ما يدل » فاعل يجعل ، وقوله « اذا عرف » متعلق بقوله « يدل » فمعرفة الروى وصيغة القافية شرط فى الدلالة . هذا والروى : الحرف الذى ينبنى عليه أواخر الأبيات أو الفقر ويجب تكرر الروى فى كل منهما .

وقيد بقوله « إذا عرف الروى » ، لأن من الأرصاد ما لا يعرف به العجز — أى باعتبار صورته ومادته لا باعتبار مجرد مادته — لعدم معرفة حرف الروى كما فى قوله تعالى « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا الخ » ، فلو لم يعرف أن حرف الروى هو النون . ولا بد من العلم بصيغة القافية أيضا — لربما توهم أن العجز فيما هم فيه اختلفوا أو فيما اختلفوا فيه

(٢) فيظلمهم إرصاد لدلالته على أن مادة العجز هى الظلم ويعين كون المادة مختومة بنون بعد واو معرفة الروى الكائن فيما قبل الآية

وراجع الاية فى الصناعتين ص ٣٧٥

(٣) راجع كلام الآمدى على البيت فى الموازنة ص ١٢٦

والارصاد فى البيت هو « سئمت »

(٤) هو عمرو بن معدى كرب [٢٠٩ معجم الشعراء للمرزبانى] . والبيت فى الصناعتين ص ٢٧٩ . والارصاد فيه قوله « اذا لم تستطع »

أبكيكما دمعا ولو أنى على قدر الجوى أبكى بكيتكما دما (١)

وقوله (٢)

أحلت دمى من غير جرم ، وحرمت بلا سبب يوم اللقاء كلامى

فليس الذى حللته بمحلل وليس الذى حرمته بحرام

— ٤ —

(المشاكله (٣))

ومنه (٤) المشاكلة ، وهى : ذكر الشىء (٥) بلفظ غيره (٦) لوقوعه (٧) فى صحبته (٨) تحقيقا (٩) أو تقديرا .

---

(١) الارصاد فيه قوله « ابكيكما دمعا » لأنه لا يبقى بعد بكاء الدمع عندهم إلا بكاء الدم

(٢) هما للبحترى أيضا ، وهما فى الصناعتين ص ٣٧٦

والارصاد فى قوله « حرمته »

(٣) راجع ص ٥٩ و ١٧٧ ج من الكامل طبعة قديمة فى الكلام على البيت « متقلدا سيفا ورمحا » ، و ص ٤٠٣ ج ١ الكامل طبعة التجارية ، وراجع المشاكله فى المفتاح ص ١٧٩

(٤) أى من المعنوى

(٥) كالخياطة فى المثال الآتى

( ) كلفظ الطبخ أى بنفس لفظ غيره أى وكذلك ذكره بلفظ ضد المذكور أو بلفظ مناسبه لجريانها فى الضد مثل لم تجعد شهادتى لمن قال لك أنت سبط الشهادة وأما جريانها فى المناسب مثل لا إله إلا الله مفتاح الجنة وما من مفتاح الاوله أسنان فان جئت بالأسنان (المراد بها الأعمال) فتح لك

(٧) أى لوقوع ذلك الشىء وهو الخياطة

(٨) أى فى صحبة ذلك الغير كالطبخ (٩) بأن ذكر ذلك الشىء عند ذكر الغير والمتبادر من الكلام أن المشاكلة مجاز لغوى لأنها كلمة مستعملة فى غير ماوضعت =

أما الأول فكقوله :

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لى جبة وقميصا (١)

= له لعلاقة بناء على أن اللام فى : « لوقوعه » تعليلية وأن الوقوع المذكور من العلاقات المعتبرة لرجوعها للمجاورة « فذكر الشىء بلفظ غيره شامل للمجاز والكناية و « لوقوعه فى صحبته » مخرج لما عدا المشاكلة ، فوقوع الشىء فى صحبة غيره أى قصد المتكلم الوقوع فى الصحبة يرجع إلى علاقة المجاورة وقيل المشاكلة لا حقيقة ولا مجاز ، فهى غير حقيقة لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له ، وهى غير مجاز ، لعدم العلاقة المعتبرة لأن الوقوع فى الصحبة ليس من العلاقة ولا يرجع الى المجاورة لأنها المجاورة بين مدلول اللفظ المتجوز به وبين مدلول اللفظ المتجوز عنه أى تقاربهما فى الخيال ، والمشاكلة ليست كذلك ، لأنها العدول عن اللفظ الدال على المعنى المراد إلى لفظ غيره من غير أن يكون هنا مجاورة وتقارن بين مدلولى اللفظين فليس فيها إلا ذكر المصاحب بلفظ غيره لاصطحابهما فى الذكر وهذا القدر لا يكفى فى التجوز ، فعلى هذا اللام فى « لوقوعه توقيتية أى وقت وقوعه فى صحبته وعلى هذا فخروج المجاز والكناية بهذا القيد ظاهر ، ومعنى « الوقوع فى صحبته » على هذا أنه ذكر هذا عند ذكر هذا وليس المراد وقوعه فى صحبته فى قصد المتكلم كما يقوله الأول وهذا الوجه ارتضاه عبد الحكيم وابن يعقوب : لأن القول بأنها مجاز ينافى كونها محسنا بديعا

ولأن المشاكلة قد لا يكون بين المعنيين فيها علاقة من العلاقات

ولأن فى المشاكلة نقل المعنى من لباس إلى لباس وفى المجاز نقل اللفظ من معنى إلى آخر ، والتغليب كالمشاكلة فيه نقل المعنى من لباس إلى لباس لنكتة فهو لا حقيقة ولا مجاز وإن صرح الشارح فيما سبق بكونه مجازا

(١) البيت لأبى الرقعمق أحمد بن محمد الإنطاكى م ٣٩٩ هـ وهو شاعر ماجن ظريف

كانه قال خيطوا لى ؛ وعليه قوله تعالى «تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك(١) وقوله « وجزاء (٢) سيئة سيئة مثلها ؛ ومنه قول أبى تمام :

من م بلغ أفناء يعرب كلها أنى بنيت الجار قبل المنزل (٣)

وشهد رجل عند شريح ، فقال إنك لسبط الشهادة (٤) ، فقال الرجل إنها لم تجعد عنى (٥) ، فالذى سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ، ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار ، ولولا سبوطة الشهادة لا متنع تجعيدها

ومنه قول بعض العراقيين فى قاض شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادته (٦) .

اقترح من اقترحت عليه شيئا إذا سألته إياه من غير روية، وطلبه على سبيل التكليف والألزام. نجد هو جواب الشرط من الاجادة وهى تحسين الشىء : اطبخوا لى جبة أى خيطوا لى ، وذكر خياطة الجبة بلفظ الطبخ لوقوعها فى صحبة طبخ الطعام

(١) حيث اطلق النفس على ذات الله لوقوعها فى صحبة « نفسى»

(٢) راجع الآية فى ٣٨ ج ٤ السبكى ، وكذلك ٤٤ ج ٤ السبكى حيث سماها مجاز المقابلة

(٣) الأفناء جمع فنء وهو الجماعة . ومحل الشاهد قوله « بنيت الجار »

(٤) أى تامها

(٥) أى لأنى حافظ لها وليست قاصرة عن إدراكى كما فى البديع لابن المعتز وفى بعض المراجع أن « سبط الشهادة » بمعنى أنها ليست مضبوطة من قولهم شعر سبط أى مسترسل ، وقوله « إنها لم تجعد عنى » يعنى به أنه لو قبل شهادته لكانت مجعدة أى مضبوطة من قولهم شعر مجعد أى مضبوط ملوى . وهذا تفسير خاطىء ويخالف ما فى البديع لابن المعتز .

(٦) راجع ٢٦١ ريحانة الألبا . ونسبها الثعالبى فى يتيمته للصاحب بن عباد . والشاهد فى « سرق العيد » فهو مشاكلة لوقوعه فى صحبة أموال اليتامى .

أترى القاضى أعمى أم تراه يتعامى
سرق العيد كان العيد أموال اليتامى

وأما الثانى (١) فكقوله تعالى « صبغة الله » وهو مصدر مؤكد منتصب عن قوله: آمنا بالله ، والمعنى تطهير (٢) الله ، لأن الايمان يطهر النفوس ، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى أصفر ماء يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم ، فأمر المسلم أن يقولوا لهم: قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا ، أو يقول المسلمون « صبغنا الله بالايمان صبغته ولم يصبغ صبغتكم، وجىء بلفظ الصبغة للمشاكلة وإن لم يكن قد تقدم لفظ الصبغ ، لأن قرينة الحال التى هى سبب النزول من غمس النصارى أولادهم فى الماء الأصفر دلت على ذلك ، كما تقول لمن يغرس الأشجار : « أغرس كما يغرس فلان » تريد رجلا يصطنع (إلى) الكرام (٣) .

---

(١) وهو ما يكون وقوعه فى صحبة الغير تقديرا بأن ذكر الشىء عند حضور معنى الغير فيكون اللفظ الدال على معنى الغير مقدرا والمقدر كالمذكور .

(٢) فاطلاق لفظ الصبغة على التطهير استعارة .

والشاهد التعبير عن الايمان بالله بصبغة الله للمشاكلة أى لمناسبة المعنى المعبر عنه والمعنى الذى يستحق أن يعبر عنه بلفظ الصبغة ، وذلك لوقوعه فى صحبة صبغة النصارى تقديرا بالقرينة الحالية التى هى سبب النزول من غمس النصارى أولادهم فى الماء الأصفر

(٣) أى يحسن اليهم ، فعبر عن الاصطناع بلفظ الغرس للمشاكلة بقرينة الحال وإن لم يكن له ذكر فى المقال .

والصحيح أن هذا المثال مقلوب ، لأنه على ما هو عليه من الضرب الأول للمشاكلة ، لا من الضرب الثانى لأنها وقعت فى مصاحبة مشاكل محقق .

فأصل المثال أن يقول لرجل : اغرس إلى الكرام كما يغرس هذا مشيرا لرجل يغرس الشجر . قال الدسوقى : عبرت عن الصنع بالغرس لمصاحبته للغرس الحاضر ولو لم يذكر ، فكأنما قلت هذا يغرس الأشجار فأغرس أنت الاحسان مثله ، فان قدرته مجازا للتشبيه فى رجاء النفع كان مجازا للتشبيه ومشاكلة للصحبة وإن لم تقدره كان مشاكلة محضة .

— ٥ —

[الاستطراد]

(قال الخطيب) :

ومنه (١) الاستطراد (٢) :

وهو الانتقال من معنى الى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوسل الى ذكر الثانى

كقول الحماسى (٣) :

وإنا لقوم لا نرى القتل سبة اذا ما رأته عامر وسلول

وقول الآخر (٤) :

اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه فليس به بأس وان كان من جرم

وعليه قوله تعالى . « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون » . قال الزمخشرى : هذه الاية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوآت وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق الله من اللباس ، ولما فى العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بان التستر باب عظيم من أبواب التقوى

هذا أصله (٥)

وقد يكون الثانى هو المقصود ، فيذكر الأول قبله ليتوصل اليه ، كقول أبى اسحاق الصابى

---

(١) أى ومن المعنوى

(٢) راجع ص ٣٨٩ صناعتين

(٣) هو السموأل (١/ ٣٨ حماسة) . والبيت فى الصناعتين ص ٣٩٠ . السبة : العيب . أراد الشاعر مدح نفسه فاستطرد الى ذم هاتين القبيلتين

(٤) ص ٣٩٠ صناعتين ، والبيت لزياد الأعجم

(٥) أى أصل الاستطراد

ان كنت خنتك فى المودة ساعة ... فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت أن له شريكا فى العلى ... وجحدته فى فضله التوحيدا (١)
قسما لو أنى حالف بغموسها ... لغريم دين ما أراد مزيدا (٢)

---

(١) أى بتوحيد الناس اياه فى الفضل
(٢) الغموس . أشد الأيمان أو التى لم توصل باستثناء

والشاهد فى هذه الأبيات ذكره حديث الخيانة ليتوصل به الى ما ذكره من مدح سيف الدولة

ملاحظة :

١ — الاستطراد يسميه بعض علماء البديع حسن الخروج ، ولا بأس بأن تبسط القول فى حسن الخروج والاستطراد معا فنقول :

قال ابن رشيق : حسن الخروج هو عندهم شبيه بالاستطراد وليس به لأن الخروج إنما هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل ثم تتمادى فيما خرجت اليه [٢٠٦ ج ١ العمدة]، والاستطراد أن يبنى الشاعر كلاما كثيرا على لفظه من غير ذلك النوع يقطع عليها الكلام وهى مرادة دون جميع ما تقدم ويعود إلى كلامه الأول وكأنما عثر بتلك اللفظة من غير قصد [٢٠٨ ج ١ العمدة]. فحسن الخروج على هـذا الرأى هو حسن التخلص ، ويقول ابن رشيق : ومن الناس من يسمى الخروج تخلصا وتوسلا ، وعلى هذا الرأى سار ثعلب فى قواعد الشعر ، وهو أول من لقبه هذا اللقب قال : حسن الخروج من بكاء الطلل ووصف الأبل وتحمل الأظعـان وفراق الجيران بغير « دع ذا » و « عد عن ذا » و « اذكر ذا » بل من صـدر الى عجز لا يتعداه إلى سواه [٢٢ قواعد الشعر] وقد سار ابن المعتز على نهج أستاذه ثعلب فى اللقب ، وعرفه بأنه حسن الخروج من معنى إلى معنى [١٠٩ البديع] ولم يزد على ذلك ، على أن المثل التى ذكرها له منها أمثلة واضح فيها الاستطراد كقول الشاعر : =

. . . . . .

= إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه فليس به بأس وإن كان من جرم

ومثل أخرى واضح فيها حسن التخلص كقول الشاعر :

وأحببت من حبها الباخلين حتى ومقت ابن سلم سعيدا

فالظاهر أن ابن المعتز يريد بحسن الخروج مايشمل التخلص والاستطراد . والحاتمى يسمى الخروج استطرادا اتساعا كما يقول ابن رشيق (٣٨ ج ٢ العمدة) ، وعلى أى حال فالاستطراد قريب من التخلص ، وكان شبيب بن شيبة يقول : الناس موكلون بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبه (٨٩ ج ١ العمدة) وجودة القطع هى حسن التخلص ، فاذا قد كان القدماء يعرفون هذا المعنى ولا يسمونه « تخلصا » ، أما الاستطراد فقد أشار إليه الجاحظ فى بيانه دون أن يلقبه هذا اللقب (٢٠٥ ج ١ و ١٣٨ ج ٢ البيان) ، وهو ضرب من البديع يظهر الشاعر أنه يذهب لمعنى فيعن له آخر فيأتى به كأنه على غير قصد وعليه يبنى وإليه كان مغزاه وقد أكثر المحدثون منه ، ومنه قول أبى تمام يصف فرسا :

أيقنت إن لم تثبت أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان

واحتذى البحترى هذا الحذو فى حمدويه الأحول فقال فى فرس .

ما إن يعاف قذى ولو أوردته يوما خلائق حمدويه الأحول

وهذا المعنى (الاستطراد) أعجب به المحدثون ، وقد وقع لمن قبلهم قال الفرزدق .

كأن فقاح الأزد حول ابن مسمع إذا جلسوا افواه بكر بن وائل

وأتى جرير بهذا النوع فقال .

لما وضعت على الفرزدق ميسمى وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل

وأول من ابتكره السموأل وكل أحد تابع له فقال :

وإنا أناس لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول =

— ٦ —

[المزاوجة [١]]

ومنه المزاوجة :

وهى أن يزاوج [٢] بين معنيين فى الشرط [٣] والجزاء كقول البحترى :

= [١٤٩ - ١٥١ ج ٤ زهر الآداب ، ٣٨٨ - ٣٩١ ج ٢ الذخيرة]

ولإسحاق الموصلى :

فاذر قرن الشمس حتى رأيتنا من العى نحكى أحمد بن هشام

ومن الاستطراد قول ابن المعتز :

علت بماء بارد فكأنما علت ببرد قصيدة (ابن سعيد)

وأول من سماه استطرادا أبو تمام، قال البحترى أنشدنى أبو تمام بيته « أيقنت إن لم تثبت أن حافره الخ » ثم قال لى : ما هذا الشعر ؟ قلت : لا أدرى ، قال هذا المستطرد والاستطراد ، يرى أنه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان ، قال الصولى : فاقتدى البحترى فى هذا بأبى تمام فقال : « ما إن يعاف قذى البيت » [٦٨ أخبار أبى تمام ، ٢٨ ج ٢ العمدة ، ١٩٣ الباقلانى] :

وقال صاحب حسن التوسل: الاستطراد هذه التسمية نقلها البحترى عن أبى تمام وسماه ابن المعتز الخروج (٨٠ المرجع) . وقد تكلم على الاستطراد أبو هلال وابن فارس [٣٨٩ صناعتين ، ٢٢٦ الصاحبى]

(١) راجع ١٧٩ مفتاح ، ٧٤ و ٥٠ دلائل

(٢) أى يوقع المزاوجة . وهو بكسر الواو والفاعل ضمير الغائب وبفتحها ونائب الفاعل ضمير يعود على المصدر المفهوم من الفعل أى يزاوج الزواج أى يوقع المزاوجة أو نائب الفاعل هو الظرف « بين » على قول من قال إنه ظرف متصرف غير ملازم للنصب على الظرفية

(٣) الظرفية « بين » من ظرفية المدلول فى الدال ، فالمراد بجعل المعنيين فى =

إذا ما نهى الناهى فلج بى الهوى أصاخت الى الواشى فلج بها الهجر (١)

وقوله أيضاً :

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها (٢)

— ٧ —

(العكس (٣))

ومنه العكس والتبديل وهو أن يقدم فى الكلام جزء (٤) ثم يؤخر (٥) ويقع على وجوه :

= الشرط والجزاء أن تجعل أحدهما فى مكان الشرط بأن يؤتى بعد أداته والآخر فى موضع الجزاء بأن يربط بالشرط ويساق جوابا له. والمعنى : يجعل معنيان واقعان فى الشرط والجزاء مزدوجين أى مستويين فى أن يرتب على كل منهما معنى مرتب على الآخر

(١) زاوج بين نهى الناهى وإصاختها إلى الواشى الواقعين شرطا وجزاء فى أن رتب عليهما لجاج شىء وإن كان فى الشرط لجاج الهوى وفى الجواب لجاج الهجر. وقد يفهم من ظاهر العبارة أن المزاوجة هى أن تجمع بين معنيين فى الشرط ومعنيين فى الجزاء كما جمع فى الشرط بين نهى الناهى ولجاج الهوى وفى الجزاء بين اصاختها الى الواشى ولجاج الهجر ؛ وهو فاسد إذ لا قائل بالمزاوجة فى مثل قولنا « إذا جاء زيد فسلم على أجلسته فأنعمت عليه. وما ذكرناه هو المأخوذ من كلام السلف . هذا والبيت من قصيدة بعضها فى ١١١ ج زهر الآداب

(٢) هو للبحترى أيضا ، وهو فى ص ٧٤ دلائل ، وص ٢٠٢ صناعتين ؛ احتربت : تحاربت

(٣) ٣٦٣ صناعتين . والعكس يحسن بديعى معنوى ، لأن فيه عكس المعنى وتبديله أولا ثم يتبعه تبديل اللفظ ، بخلاف رد العجز على الصدر فانه إيراد اللفظين أحدهما فى أول الكلام والآخر فى آخره مثل (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) فلذا كان محسنا لفظيا بخلاف العكس =

[١ —] منها أن يقع بين أحد طرفى (١) جملة وما أضيف (٢) اليه كقول بعضهم : « عادات السادات سادات العادات (٣) » .

[٢ —] ومنها أن يقع بين متعلقى فعلين فى جملتين (٤) ، كقوله تعالى: (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) ، وكقول الحماسى :

فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا (٥)

=(٤) أى كلمة ، فخرج تقديم الحرف مثل، مودته تدوم لكل هول، البيت ، فهو قلب لأن فيه تقديم حروف ثم عكسها

والمراد يقدم جزء على جزء

(٥) أى يؤخر ذلك المقدم على الجزء المؤخر أولا

والعبارة الواضحة ما ذكره بعضهم، وهو أن تقدم فى الكلام جزءا ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت ، وظاهر عبارة المصنف هنا صادق على نحو « عادات السادات أشرف العادات» مع أنه ليس من العكس بل من رد العجز على الصدر، والحاصل أن تقديم جزء من الكلام على جزء آخر ثم عكس ذلك بتقديم المؤخر وتأخير المقدم هو العكس، وهو يستلزم تكرار الجزءين الواقع فيهما العكس بالتقديم والتأخير . أما تقديم جزء من الكلام على جزء آخر ثم تأخير المقدم على غير المؤخر فهو من رد العجز على الصدر ولا يقتضى تكرار الجزءين معا

(١) وهو المبتدأ مثلا إذا كان ذلك المبتدأ مضافا إلى شىء

(٢) أى « وما أضيف ذلك الطرف اليه . والمعنى أن يقع متعلقا بهما أى بالطرف وما أضيف اليه ويكون العكس هو الخبر فى تلك الجملة

(٣) فالعادات أحد طرفى الكلام والسادات قرن بذلك الطرف ، وقد وقع العكس بينهما بأن قدم أولا العادات على السادات ثم السادات على العادات

(٤) ففى المثال : الحى والميت متعلقان بيخرج وقد قدم أولا الحى على الميت وثانيا الميت على الحى

(٥) البيت لعبد الله بن الزبير الاسلامى الشاعر [٢٩٧ ج ١ حماسة] =

[٣-] ومنها أن يقع بين لفظين فى طرفى جملتين[١] كقوله تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن، وقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون[٢] لهن، وقوله: ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء، وقول الحسن البصرى[٣] :

« إن من خوفك حتى تلقى الأمن خير ممن امنك حتى تلقى الخوف . . وقول أبى الطيب :

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده[٤]

وقول الآخر[٥] :

ان الليالى للأنام منازل تطوى وتنشر دونها الأعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

= أو لفضالة بن شريك الكوفى لمامات يزيد بن معاوية [٣٠٨ و ٣٠٩ معجم الشعراء] ؛ والبيت مشروح فى البديع لابن المعتز شرح محمد عبد المنعم خفاجى هذا وضمير « هن » لنسوة آل حرب

(١) أى موجودين فى طرفى كل من جملتين

(٢) فقد قدم أولا « هن » على « هم » ، وثانيا « هم » على « هن » ، وهما لفظان وقع أحدهما فى جانب المسند إليه والآخر فى جانب المسند

(٣) هو فى البديع لابن المعتز ، وفى البيان (٣/٩٧)

(٤) ومثله قول الخوارزمى:

فلا حر الا وهو عبد لجوده ولا عبد الا وهو فى عدله حر

وقول الشاعر [١٤٠ رسالة الغفران) :

وما كل ذى لب بمؤتيك نصحه
وما كل مؤت نصحه بلبيب

(٥) هو عتاب بن ورقاء (ص ١٣٤ من الأقصى القريب للتنوخى) ، وقال التنوخى فى تهذيب الايضاح : هو للمتنبى على رأى بعض العلماء بالشعر ولم أجد البيتين فى الديوان ولا فى زيادات اليمنى صاحب سمط اللآلى

— ٨ —

[الرجوع] (١)

ومنه الرجوع :

وهو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة ، كقول زهير (٢) :

قف بالديار التى لم يعفهـــا القدم

بلى ، وغـــيرها الأرواح والديم

قيل لما وقف على الديار تسلطت عليه كآبة أذهلته، فأخبر بما لم يتحقق فقال « لم يعفها القدم» ، ثم ثاب اليه عقله ، فتدارك كلامه ، فقال : بلى وغيرها الأرواح والديم ، وعلى هذا بيت الحماسة (٣) :

أليس قليلا نظرة إن نظرتها إليك ، وكلا ليس منك قليل

ونحوه :

« فأف لهذا الدهر ، لا بل لأهله »

---

(١) عرفه ابن المعتز بأن تقول شيئا وترجع عنه (١٠٨ شرح البديع) ، وذكر شواهد له (١٠٨ و ١٠٩ البديع و ٣٦٧ خزانة الأدب) ، وابن المعتز أول من ابتكر هذا اللقب له ، فكانت الرواة تعيب مثل هذا الأسلوب البيانى لان الشاعر يكذب نفسه ، وكان استاذه الاسدى يشتد فى نقد زهير فى قوله : بلى وغيرها الأرواح والديم ، (٣٥ و ٣٦ الموشح للمرزبانى) ، ويرد صاحب العقد على هذا النقد (٤١٦ ج ٣ العقد) ، وابن المعتز يعده من ألوان البديع . هذا وراجع « الرجوع » فى الصناعتين ص٣٨٦

(٢) راجعه فى الوساطة ص ٢٢٤

لم يعفها : لم يبلها . الارواح جمع ريح . الديم : جمع ديمة وهى السحابة الكثيرة المطر . ونكتة الرجوع هنا إظهار التحير أو إظهار التحسر

(٣) هو ايزيد بن الطثرية من قصيدة فى (٤/٤ زهر الآداب ١٩٦ ج ١ الامالى) ، والبيت فى الصناعتين ص ٣٨٩ ، وفى ١٨٣ الوساطة ، وفى البديع لابن المعتز .

- ٩ -

[التورية] (١)

ومنه التورية ، وتسمى الايهام أيضا :

وهى أن يطلق لفظ لة معنيان(٢) : قريب (٣) وبعيد، ويراد به البعيد منهما(٤)

وهى ضربان : مجردة ومرشحة :

أما المجردة : فهى التى لا تجامع شيئا مما يلائم المورى به ، أعنى المعنى القريب ، كقوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » (٥)

---

(١) منقولة من مصدر ورى الخبر أى ستره وأظهر غيره لأن فيها ستر المعنى البعيد بالقريب .

(٢) سواء كانا حقيقيين أو مجازيين أو أحدهما حقيقيا والآخر مجازيا فلا يعتبر بينهما لزوم وانتقال من أحدهما إلى الآخر وبهذا تمتاز التورية عن المجاز والكناية .

(٣) اى الى الفهم لكثرة استعمال اللفظ فيه ، والبعيد بعكسه فكأن المعنى القريب ساتر للبعيد والبعيد خلفه وبه صارت التورية محسنا معنويا فلو كان المعنيان متساويين لم يكن تورية بل اجمالا .

(٤) اعتمادا على قرينة خفية لأجل أن يذهب الوهم قبل التأمل الى المعنى القريب فلو كانت القرينة واضحة لم يكن اللفظ تورية لعدم ستر المعنى القريب للبعيد ، وخفاء القرينة لا يشترط أن يكون بالنسبة للمخاطب بل يكفى ولو باعتبار السامعين .

هذا فان لم توجد قرينة أصلا لم يفهم الا القريب فيخرج اللفظ عن التورية .

(٥) اراد من استوى معناه البعيد وهو استولى ولم يقرن به شىء مما يلائم المعنى القريب الذى هو الاستقرار . والقرينة خفية وهى استحالة الاستقرار حسا (وهو المعنى القريب) على الله تعالى .

وأما المرشحة : فهى التى قرن بها ما يلائم المورى به (١) :

[١ -] إما قبلهـــا كقوله تعالى « والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون (٢) » .

قيل : ومنه قول الحماسى : (٣)

فلما تأت عنا العشيرة كلها أنخنا فخالفنا السيوف على الدهر

فما أسلمتنا عند يوم كريهة ولا نحن أغضينا الجفون على وتر

فان الاغضاء مما يلائم جفن العين ، لا جفن السيف ، وان كان المراد به أغماد السيوف ، لأن السيف اذا غمد انطبق الجفن عليه ، واذا جرد انفتح ، للخلاء الذى بين الدفتين .

---

(١) اما التورية المقترنة بمـــا يلائم المعنى البعيد عكس الآية المتقدمة فهى لاتسمى مرشحة تحقيقا ، والظاهر انها تسمى مجردة لأن عدم مجامعة شىء مما يلائم المعنى القريب فى المجردة ظاهره جامعت شىء من ملائمات البعيد أولا . ثم الفرق بين التورية المرشحة والاستعارة المرشحة هو أن مع الاستعارة قرينة تصرف اللفظ لها وتجعل المعنى البعيد قريبا والتورية ليس كذلك والغالب عليها الترشيح بما يبعد إرادة المجاز ولذلك سميت تورية ، والتورية المرشحة فى الأصل نوع من الاستعارة المرشحة ، والتورية المجردة تدخل فيها الاستعارتان المجردة والمطلقة .

هذا وترشيح التورية تارة يكون بلفظ قبلها وتارة يكون بعدها .

(٢) فقد أراد بالايدى معناه البعيد وهو القدرة والقوة وقد قرن بها مايلائم المعنى القريب الذى هو الجارحة المخصوصة ، وهو قوله « بنيناها » ، إذ البناء يكون باليد وهذا مبنى على ما اشتهر بين أهل الظاهر من المفسرين والا فالتحقيق أن هذا استعارة تمثيلية .

(٣) هو يحيى بن منصور الحنفى [١٢٦ / ١ الحماسة] وفى الوساطة : موسى بن جابر الحنفى (ص ١٧٩) ، وكذلك « فى المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء » نسبتها لموسى (ص ١٦٥ المرجع) ، وكذلك فى معجم الشعراء (ص ٣٧) .

نأت : بعدت . أنخنا : أقمنا بدارنا واكتفينا بأنفسنا . الكريهة : الحرب . أغضينا أغمضنا . الوتر الثأر .

[٢ -] وإما بعدها كلفظ الغزالة فى قول القاضى الامام أبى الفضل عياض فى صيفية باردة .

كأن كانون أهدى من ملابسه لشهر تموز أنواعا من الحلل
أو الغزالة من طول المدى خرفت فما تفرق بين الجدى والحمل (١)

واعلم أن التوهم ضربان ضرب يستحكم حتى يصير إعتقادا كما فى قوله :

حملناهم طرا على الدهم بعدما خلعنا عليهم بالطعان ملابسا (٢)

وضرب لا يبلغ ذلك المبلغ ، ولكنه شىء يجرى فى الخاطر ، وأنت تعرف حاله كما فى قول ابن الربيع :

لولا التطير بالخلاف وأنهم قالوا مريض لا يعود مريضا
لقضيت نحبى فى فنائك خدمة لأكون مندوبا قضى مفروضا (٣)

---

(١) كانون من أشهر البرد : تموز من أشهر الدفء . الحمل أول بروج الربيع الجدى برج ملاصق للدلو .

والشاهد هنا فى الغزالة فان المراد منها المعنى البعيد وهو الشمس وقد قرن بها مايلائم المعنى القريب الذى ليس بمراد وهو الحيوان المعروف بذكر الخرافة وكذا ذكر الجدى والحمل ، وفى الجدى والحمل أيضا تورية ولكنها مجردة ، وقيل كل من التوريتين ترشيح للاخر والاولى ترشيحها واقع بعدها و الثانية ترشيحها قبلها.

ومعنى البيت الأخير : كان الشمس من كبرها وطول مدتها صارت خرفة قليلة العقل فنزلت فى برج الجدى فى اوان الحلول ببرج الحمل .

(٢) الابهام هنا واقع فى الدهم فالمراد به القيود ويوهم الكلام أن المراد به الأفراس (راجع ١٨٠ مفتاح)

(٣) التطير : التشاؤم . الخلاف المراد به مخالفة العرف والعادة . والنحب : الأجل. ومندوبا صفة لمحذوف اى ميتا مند وباعليه، وهو محل الشاهد لأنه ظاهر فى معنى السنة وليس بمراد .

ولا بد من اعتبار هذا الأصل (١) فى كل شىء بنى على التوهم فاعلم .

وقال السكاكى : أكثر متشابهات القرآن من التورية :

— ١٠ —

[الاستخدام]

ومنه الاستخدام (٢) :

وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم بضميره (٣) معناه الآخر ؛ أو يراد بأحد ضميريه (٤) أحدهما (٥) وبالآخر (٦) الآخر (٧)

---

(١) وهو الاكتفاء بمجرد خطور المعنى بالبال وإن لم يكن مستحكما .

(٢) راجع الفرق بين : الاستخدام ، ورجوع الضمير على متقدم باعتبار لفظه لا معناه فى الدسوقى (ص ٢٨٩ ج ١)

(٣) اى ثم يراد بالضمير العائد إلى ذلك اللفظ

(٤) ولا بد أن يراد بالاسم الظاهر غير مفاد الضميرين وإلا كان أحدهما ليس استخداما ، وهذا القسم مستلزم للقسم الأول لأنه لا يتحقق استخدام باعتبار الضمير إلا ويتحقق استخدام باعتبار الاسم الظاهر، ثم الفرق بين التورية والاستخدام أن المراد من التورية أحد المعنيين وهو البعيد وفى الاستخدام كل من المعنيين مراد

ملاحظة : راجع الاستخدام فى ص ٢٧٢ من « طراز المجالس » ، وص ١٤ من « ريحانة الألبا » للشهاب الخفاجى

(٥) اى احد المعنيين للفظ الذين لم يرادا باللفظ بل أريد به غيرهما معا ، فلا بد أن يراد بالاسم الظاهر غير مفاد الضميرين

(٦) أى بضميره الآخر

(٧) هذا وفى كلا المعنيين للاستخدام يجوز أن يكون المعنيان حقيقيين وأن يكونا مختلفين ؛ فالاستخدام يكون بالضمير ؛ قيل وقد يكون بالاستثناء مثل « أبدا حديثى ليس بالمنسوخ إلا فى الدفاتر » ، وباسم الاشارة مثل « رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره » ، وبالتمييز مثل « حكى الغزال طلعة ولفتة » . والحق أن هـذا من شبه الاستخدام

فالأول كقوله :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا[1]

أراد بالسماء الغيث وبضميرها النبت .

والثانى كقول البحترى :

فسقى الغضا والساكنيه وإن هموا

شبوه بين جوانح (وقلوب) [2]

أراد بضمير « الغضا » فى قوله « والساكنيه » المكان ، وفى قوله « شبوه » النار [3] .

- ١١ -

(اللف والنشر [4])

ومنه اللف والنشر :

وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الاجمال[5] ، ثم ما[6] لكل واحد من غير تعيين [7] ، ثقة بان السامع يرده [8] اليه . فالأول [9] ضربان : لأن النشر اما

---

(١) البيت لجرير . ونسبه صاحب المفضليات لمعاوية بن مالك (١٧٢ مفضليات)

الغضا : نوع من الشجر. شبوه : أوقدوه، والايقاد فى الحقيقة لناره

والصحيح أن آخر البيت « وقلوب »، لا « وضلوع » كما ذكر الخطيب خطأ ، وذلك لأن البيت من قصيدة بائية للبحترى

(٣) فى الاصل : الشجر ، بدل النار

(٤) راجع ١٧٩ مفتاح

(٥) وهذا هو اللف

(٦) أى ثم ذكر ما لكل واحد من آحاد هذا المتعدد . وهذا هو النشر

(٧) فلو عين لم يكن من اللف والنشر بل من التقسيم

(٨) أى يرد ما لكل من آحاد هذا المتعدد الى ماهو له لعلمه بذلك بالقرائن اللفظية أو المعنوية، فاللفظية مثل رأيت الشخصين: ضاحكا وعابسة، فتأنيث عابسة =

على ترتيب اللف، كقوله تعالى: ومن رحمته(١) جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وقول ابن حيوس :

فعل المدام ولونها ومذاقها في مقلتيه ووجنتيه وريقه

وقول ابن الرومى :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات اذا دجون نجوم
فيها معالم للهدى ، ومصابح تجلو الدجى، والأخريات رجوم

وإما على غير ترتيبه كقول ابن حيوس(٢) :

كيف أسلو وأنت حقف وغصن وغزال : لحظا وقدا وردفا

وقول الفرزدق (٣):

لقد خنت قوما لو لجأت اليهم طريد دم أو حاملا ثقل مغرم

=لا ضاحكا يدل على أن الشخص العابس هو المرأة والضاحك هو الرجل، والمعنوية مثل: لقيت الصديق والعدو فأكرمت وأهنت

(٩) وهو أن يكون ذكر المتعدد على التفصيل

(١) تكلم العسكرى على الآية فى صحة التفسير (ص ٣٣٦ صناعتين) ، ويقول المبرد : والعرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمى بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يرد الى كل خبره ، قال تعالى : « ومن رحمته الخ » (٦٥ ج ١ الكامل » وراجع أيضا ٣٦ ج ٢ الكامل ، هذا والآية ذكر فيها الليل والنهار على التفصيل ثم ذكر ما لليل وهو السكون فيه وما للنهار وهو الابتغاء من فضله على الترتيب . فان قيل ان المجرور من فيه عائد الى الليل ففى الآية تعيين ، . قلنا : نعم ولكن باعتبار أن أن يعود الى كل من الليل والنهار - بالنظر للفظ لا للواقع - يتحقق عدم التعيين

(٢) نسبة العسكرى لنفسه (٣٣٨ صناعتين) . الحقف مجتمع الرمل اذا عظم واستدار شبه به ردفها

(٣) هما فى المثل السائر ص ٢٨٦ والصناعتين ٣٢٧

لألفيت فيهم معطيا ، أو مطاعنا

وراءك شزرا بالوشيج المقوم (١)

والثانى (٢) : كقوله تعالى « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى » قان الضمير فى « قالوا » لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا ، والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى ، خالف بين القولين ، ثقة بأن السامع يرد الى كل فريق قوله ، وأمنا من الالباس ، لما علم من التعادى بين الفريقين ، وتضليل كل واحد منهما لصاحبه .

---

(١) طريد دم كناية عن ارتكابه جناية قتل . حاملا ثقل مغرم اى غرم مالا فوق طاقته فى صلح أو غيره . الوشيج : شجر الرماح .

« معطيا أو مطاعنا » : الأول يرجع لقوله « حاملا »

والثانى يرجع : لقوله « طريد دم » والفرذدق يهجو بالبيتين هبيرة بن ضمضم لقتله القعقاع بن زرارة .

ملاحظة :

هذا النوع من اللف والنشر وهو ما كان على سبيل التفصيل من غير ترتيب اللف يسمى اللف والنشر المشوش سواء كان معكوس الترتيب كالبيت « كيف اسلو الخ » فان اللحظ فيه للغزال والقد للغصن والردف للحقف ، أو كان مختلطا كقوله « هو شمس وأسد وبحر وجودا وبهاء وشجاعة » . والذى فى شرح المفتاح ، أن المشوش هو المختلط الترتيب .

(٢) وهو ان يكون ذكر المتعدد على الاجمال .

ملاحظة : من غريب اللف والنشر أن يذكر متعددان أو أكثر ثم يذكر فى نشر واحد مايكون لكل من آحاد كل من المتعددين ، كما تقول الراحة والتعب والعدل والظلم قد سد من أبوابها ما كان مفتوحا وفتح من طرقها ما كان مسدودا ، فقوله « قد سد من أبوابها ما كان مفتوحا » =

— ١٢ —

« الجمع [١] »

ومنه الجمع :

وهو أن يجمع بين شيئين أو أشياء فى حكم واحد : كقوله تعالى « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » ، وقول الشاعر :

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة [٢]

ومنه قول محمد بن وهيب :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

— ١٣ —

« التفريق [٣] »

ومنه التفريق :

وهو إيقاع تباين بين أمرين من نوع واحد فى المدح أو غيره ، كقوله [٤]

= راجع لراحة من اللف الأول وللعدل من اللف الثانى ، وقوله ، « وفتح من طرقها ما كان مسدودا راجع للتعب من اللف الأول وللظلم من اللف الثانى ؛ فالشق الأول من النشر راجع للأول من كل من اللفين ، والشق الثانى فيه راجع للثانى من كل من اللفين فالمعنى سد من ابواب الراحة والعدل ما كان مفتوحا وفتح من أبواب التعب والظلم ما كان مسدودا .

(١) ١٧٩ مفتاح

(٢) البيت لأبى العتاهية . الجدة : الاستغناء من وجد فى المال وجدا (مثلث الواو) وجدة (بحذف الواو وتعويض الهاء عنها) والبيت فى ص ١٧٩ مفتاح

(٣) ١٧٩ مفتاح

(٤) البيتان للوطواط وهما فى المفتاح ص ١٨٠

البدرة بفتح الباء كيس فيه ألف دينار أو عشرة آلاف درهم . والمراد بالعين المال .

والشاهد التفريق بين النوالين

ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير يوم سخاء
فنوال الأمير بدرة عين ونوال الغمام قطرة ماء

ونحوه قوله (١) :

من قاس جدواك بالغمام فما أنصف فى الحكم بين شكلين
أنت إذا جدت ضاحك أبدا وهو إذا جاد دامع العين

— ١٤ —

[التقسيم] (٢)

ومنه التقسيم :

وهو ذكر متعدد ثم إضافة مالكل إليه على التعيين (٣) كقوله أبى تمام (٤) :

فما هو إلا الوحى أو حد مرهف تميل ظباه أخدعى كل مائل

---

(١) هما للوطواط أيضا ، وفى ص ٢٠ من حسن التوسل وينسبان للواواء الدمشقى أيضا . الجدوى : العطية . شكلين تثنية شكل بمعنى مثل والشاهد التفريق بين جدواه وجدوى الغمام

(٢) راجع ٧٤ دلائل ، ١٨٠ مفتاح :

(٣) بهذا القيد يخرج اللف والنشر .

وقد اهمل السكاكى ذكر هذا القيد فتوهم بعضهم أن التقسيم عنده أهم من اللف والنشر ، لأنه شرط فى اللف عدم تعيين مالكل واحد وترك قيد التعيين فى التقسيم ، فصدق التقسيم بأن يكون هناك تعيين أولا .

والجواب عن السكاكى ان ذكر الاضافة مغن عن هذا القيد اذ ليس فى اللف والنشر إضافة مالكل اليه بل يذكر فيه مالكل حتى يضيفه السامع اليه ويرده .

(٤) هما فى ص ٢٨٦ المثل السائر .

الضمير للاسلام او الحق . المرهف : المحدد . الظبا . جمع ظبة : حد السيف . الأخدعان : عرقان فى صفحتى العنق :

فهذا دواء الداء من كل عالم وهذا دواء الداء من كل جاهل

وقول الآخر (١) :

ولا يقيم عـلى ضيم يراد به إلا الاذلان : عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثى له أحـد

وقال السكاكى (٢) :

هو أن تذكر شيأ ذا جزأين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك : كقوله (٣) .

أديبان فى بلخ لا يأكلان إذا صحبـا المرء غير الكبد
فهذا طويل كظل القناة وهذا قصير كظل الوتد

وهذا يقتضى أن يكون التقسيم أعم من اللف والنشر (٤) .

---

(٤) هما للمتلمس خال طرفة . الضيم : الظلم : الضمير فى « يرادبه » راجع الى المستثنى منه المقدر : العـام وهو « أحد » مقدرا . العير : الحمار الأهلى . الخسف : الذل : الرمة : قطعة حبل بالية . يشج : يدق : يرثى : يرق . ذكر العير والوتد، ثم أضاف الى الأول الربط على الخسف وإلى الثانى الشج على التعيين لأن ، ذا إشارة للقريب ، و هذا إشارة للبعيد

وقيل : لا تعيين لأن هـذا وذا متساويان فى الاشارة إلى القريب فكل منهما يحتمل أن يكون اشارة الى العير أو الوتد ، فالبيت من اللف والنشر دون التقسيم . والجواب : انا لا نسلم التساوى بين ، هذا وذا ، بل فى حرف التنبيه فى هذا إيماء الى أن القرب فيه أقل بخلاف المجرد عن هاء التنبيه ، فهذا للقريب أعنى العير وذا للأقرب أعنى الوتد (١) ص ١٨٠ مفتاح

(٢) ١٨٠ مفتاح . وهما لبعض شعراء الفرس . القناة : الرمح . وأكل الكبد كناية عن الغيبة وسوء العشرة أو وصف لهما بسوء المأكل

(٣) أى عموما مطلقا كما سبق تحقيقه وشرحه . ورأى السكاكى مأخوذ عن قدامة فى نقد الشعر

— ١٥ —

[الجمع مع التفريق] (١)

ومنه الجمع مع التفريق :

وهو أن يدخل شيآن (٢) فى معنى (٣) واحد ويفرق بين جهتى الأدخال : كقوله (٤) :

فوجهك كالنار فى ضوئها وقلبى كالنار فى حرها

شبه وجه الحبيب وقلب نفسه بالنار ، وفرق بين وجهى المشابهة ، ومنه قوله تعالى « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة »

— ١٦ —

[الجمع مع التقسيم] (٥)

ومنه الجمع مع التقسيم :

---

(١) ١٨٠ مفتاح : (٢) أى أو أكثر

(٣) أى فى حكم أى فى شىء محكوم به كالمشابهة بالنار ، والمراد بجمعهما فى الحكم ان يحكم عليهما بشىء واحد .

(٤) هو للوطواط .

فقد أدخل قلبه ووجه الحبيب فى كونهما كالنار أى فى المماثلة للنار وهذا هو الجمع ، ثم فرق بين التشبيهين بأن جعل وجه الشبه فى الوجه الضوء واللمعان وفى القلب الحرارة والاحتراق .

(٥) ١٨٠ مفتاح ، ٧٤ و ٧٥ دلائل

وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه (١) أو تقسيمه ثم جمعه :

فالأول (٢) كقول ابى الطيب : (٣)

حتى اقام على ارباض خرشنة ... تشقى به الروم والصلبان والبيع

للسبى ما نكحوا ، والقتل ما ولدوا ... والنهب ما جمعوا ، والنار ما زرعوا

جمع فى البيت الأول شقاء الروم بالممدوح على سبيل الاجمال ، حيث قال : تشقى به الروم ، ثم قسم فى الثانى وفصله .

والثانى كقول حسان :

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة ... ان الخلائق فاعلم شرها البدع (٤)

قسم فى البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضر الأعداء ونفع الاولياء ثم جمعها فى البيت الثانى حيث قال سجية تلك .

---

(١) أى تقسيم الحكم أى إضافة ما لكل متعدد إليه من ذلك الحكم :

(٢) أى الجمع ثم التقسيم.

(٣) هما فى ص ٢١ شرح لامية العجم. فاعل أقام يعود إلى سيف الدولة الممدوح، وضمن الاقامة معنى التسليط فعداها بعلى . ارباض جمع ربض بفتح الباء وهو ما حول المدينة . خرشنة : بلدة من بلاد الروم . الصلبان جمع صليب النصارى . البيع جمع بيعة : وهى متعبدهم . وحتى متعلقة بالفعل فى البيت السابق « قاد المقانب الخ » (المقانب : العساكر)

جمع فى هذا البيت الروم الشاملين للنساء والأولاد والمال والزروع فى حكم وهو الشقاء ، ثم قسم ذلك الحكم الى سبى وقتل ونهب واحراق ، ورجع لكل واحد من هذه الأقسام ما يناسبه ، وأما ما عطف على الصلبان والبيع فلم يتعرض له فى التقسيم :

(٤) هما فى ٧٤ دلائل ، و١٨٠ مفتاح . الاشياع الأتباع . الخلائق جمع خليقة وهى الطبيعة والخلق . البدع : المبتدعات .

ومن لطيف هذا الضرب قول الآخر : (١)

لو أن ما أنتم فيـــه يدوم لكم ظننت ما أنا فيـــه دائما أبداً
لكن رأيت الليالى غير تاركة ما بسر من حادث أو ساء مطرداً
فقد سكنت الى انى وأنكم سنستجد خلاف الحالتين غداً

فقوله « خلاف الحالتين » جمع لما قسم لطيف ، وقد ازداد لطفا بحسن ما بناه عليه من قوله :

فقد سكنت ألى انى وانكم

— ١٧ —

[الجمع مع التفريق والتقسيم (٢)]

ومنه الجمع مع التفريق والتقسيم :

كقوله تعالى: «يوم لا تكلم نفس إلا باذنه فمنهم شقى وسعيد ، فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق، خالدين فيها مادامت السموات والأرض الا ماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد ؛ وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ، إلا ما شاء ربك ، عطاء غير مجذوذ . »

أما الجمع ففى قوله: «يوم يأتى لا تكلم نفس إلا باذنه»، فان قوله نفس متعدد معنى،

---

(١) الأبيات لابراهيم بن العـــباس الصولى ، وهى فى ص ٧٥ من الدلائل ولم ينسبها أحد قبلى إلى صاحبها .

(٢) راجع ١٨٠ مفتاح وهو أن يجمع بين متعدد فى حكم ، ثم يفرق أى يوقع الثباين بينها ، ثم يضاف لكل واحد ما يناسبه .

لأن النكرة فى سياق النفى تعم . وأما التفريق ففى قوله « فمنهم شقى وسعيد » . وأما التقسيم ففى قوله « فأما الذين شقوا الى آخر الآية الثانية »[1] .

وقول ابن شرف القيروانى :

لمختلف الحاجات جمع ببابه فهذا له فن ، وهذا له فن
فللخامل العليا ، وللمعدم الغنى وللمذنب العتبى وللخائف الامن

(معنيان آخران للتقسيم) :

وقد يطلق التقسيم على أمرين :

أحدهما : أن يذكر أحوال الشىء مضافا[2] الى كل حال مايليق بها كقول أبى الطيب :

سأطلب حقى بالقنا ومشايخ كأنهم من طول ما التثموا مرد

---

(١) قوله تعالى (غير مجذوذ) أى غير مقطوع ، بل ممتدا الى نهاية و ، معنى الاستثناء فى الأول أن بعض الأشقياء لا يخلدون فى النار كالعصاة من المؤمنين الذين شقوا بالعصيان ، وفى الثانى أن بعض السعداء لا يخلدون فى الجنة ، بل يفارقونها ابتداء ، يعنى أيام عذابهم كالفساق من المؤمنين الذى سعدوا بالايمان ؛ والتأبيد من مبدأ معين كما ينتقض باعتبار الانتهاء فكذلك باعتبار الابتداء ، فقد جمع الأنفس بقوله :لا تكلم نفس ، ثم فرق بينهم بأن بعضهم شقى وبعضهم سعيد بقوله « فمنهم شقى وسعيد » . ثم قسم بأن أضاف الى الاشقياء مالهم من عذاب النار والى السعداء مالهم من نعيم الجنة بقوله « فاما الذى شقوا الى آخره »

(٢) المراد بالاضافة مطلق النسبة ولو بالاسناد لا خصوص الاضافة النحوية وهذا المعنى مغاير للتقسيم بالمعنى المتقدم لأن ماتقدم أن التقسيم يذكر متعدد أولا ثم يضاف لكل ماينا سبه على التعيين بخلاف ما هنا فانه يذكر المتعدد ويذكر مع كل واحد ما يناسبه

ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا كثير إذا شدوا قليل اذا عدوا (١)

وقوله أيضا (٢) :

بدت قمرا ، ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ، ورنت غزالا

ونحوه قول الآخر (٣) :

سفرن بدورا ، وانتقبن أهلة ومسن غصونا والتفتن جاذرا

والثانى (٤) استيفاء أقسام الشيء بالذكر ، كقوله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله » وقوله « يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء (٥) عقيما » ، ومنه ماحكى عن أعرابى وقف على حلقة الحسن فقال (٦) رحم الله من تصدق من فضل أو آسى من كفاف أو آثر من قوت ، فقال الحسن : ما ترك لأحد عذرا ، ومثاله من الشعر قول زهير (٧) :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم مافى غد عمى

---

(١) القنا الرماح. التشموا : لبسوا لثام الحرب على ماهى عادة الأبطال. المرد جمع أمرد وهو الشاب الذى لم تنبت لحيته . ثقال : شديدو الوطأة على الاعداء . خفاف : مسرعون . شدوا : حملوا على العدو

ذكر أحوال المشايخ وأضاف لكل حال ماينا سبها مما ذكره معها

(٢) هو لابى الطيب أيضا . وقد سبق فى التشبيه

(٣) هو لابى هلال العسكرى ، ولبعض البغداديين ، ونسبه الثعالبى للزاهى (١٩٨ ج ١ اليتيمة ، ٨٩ صناعتين) . وينسب لديك الجن أيضا

الجآذر جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية

(٤) راجع ٣٣٢ صناعتين

(٥) راجع ٣٣٢ الاسكافى

(٦) راجع ١٥٧ ج ٣ البيان للجاحظ

(٧) راجعه فى ص ٤٣٠ صناعتين

وقول طريح[1] :

إن يعلموا الخير يخفوه، وان علموا شرا أذاعوا ، وان لم يعلموا كذبوا

وقول أبي تمام في الافشين لما أحرق :

صلى لهم حيا ، وكان وقودها ميتا ، ويدخلهـــا مع الفجار[2]

وقول نصيب[3] :

فقال فريق القوم : لا ، وفريقهم نعم : وفريق ، لعين الله ما ندرى

فانه ليس فى أقسام الاجابة غير ما ذكر ، وقول آخر :

فهبها كشىء لم يكن ، أو كنازح به الدار ، أو من غيبته المقابر(٤)

— ١٨ —

(التجريد)

[قال الخطيب] :

ومنه التجريد :

---

(١) راجع فى ١٨ ج ٢ الكامل للمبرد

(٢) صلى لها أى للنار . الوقود: ما توقد به . الفجار : العصاة

الأفشين قائد تركى غضب عليه المعتصم الخليفة العباسى فقتله حرقا وكان يتهم بالمجوسية وعبادة النار

(٣) هو فى ١٤٧ و ٢٧٣ ج ٢ من الكتاب لسيبوية ، وفى ص ٣٣٢ صناعتين

(٤) النازح : البعيد . لم يكن أى لم يوجد . هبها : أى احسبها

والبيت فى الأسرار ص ٢٩١ ، والمفتاح ص ١٥١ . وهو لعمر بن أبى ربيعة كما فى ديوانه

وقال صاحب العمدة [٢١ ج ٢] بعد أن ذكر البيت :

فلم يبق مما يعبر به عن إنسان مفقود إلا أتى به فى هذا البيت

وهو أن ينتزع من أمر(١) ذى صفة أمر آخر مثله فى تلك الصفة(٢) مبالغة(٣) فى كمالها فيه(٤) وهو أقسام(٥)

[١ -] منها (٦) نحو قولهم لى من فلان صديق (٧) حميم ، أى بلغ من الصداقة مبلغا صح معه أن يستلخص منه صديق آخر

[٢ -] ومنها نحو قولهم (٨) لئن سألت فلانا لتسألن به البحر

(٣ -] ومنها نحو قول الشاعر :

وشوهاء تعدوبى الى صارخ الوغى بمستلئم مثل الفنيق المرحل (٩)

---

(١) أى أو أكثر

(٢) أى مماثل لذلك الأمر ذى الصفة فى تلك الصفة

(٣) أى لأجـــل المبـــالغة أى لافادة أنك بالغت فى وصف المنتزع منه بتلك الصفة .

(٤) أى فى ذلك الأمر ، أى لادعاء كمال تلك الصفة فى ذلك المنتزع منه ، ووجه دلالة الانتزاع على المبالغة المبنية على ادعاء الكمال ما تقرر عقلا من أن الأصل والمنشأ لما هو مثله يكون فى غاية القوة أى يفيض بمثالاته

(٥) أى سبعة أقسام

(٦) أى ما يكون بمن التجريدية ، وقد جعل بعضهم التجريد معنى برأسه لكلمة « من » ، والاصح انها ابتدائية كما أن باء التجريد باء المصاحبة ، وأما جعل من للبيان فلا تفيد المبالغة فان بيان شىء بشىء لا يدل على كمال المبين فى الوصف ، بخلاف جعله مبدأ ومنشأ لذى وصف باعتبار ذلك الوصف وتدخل « من » على المنتزع منه ولم يوجد دخولها على المنتزع بخلاف الباء .

(٧) أى لى صديق حميم ناشىء من فلان أى مبتدأ ومنتزع منه

(٨) أى بكون بدخول باء المعية فى المنتزع

(٩) شوهاء : أى فرس قبيح المنظر لسعة اشداقها أو لما أصابها من شدائد =

أى تعدو بى ومعى من نفسى لكمال استعدادها للحرب مستلئم أى لابس لأمة

(٤-) ومنها نحو قوله تعالى [1] (لهم فيها دار الخلد) فان جهنم أعاذنا الله منها هى دار الخلد لكن انتزع منها مثلها وجعل معدا فيها للكفار تهويلا لأمرها

(٥-) ومنها [2] نحو قول الحماسى [3] :

= الحرب . تعدو : تسرع . صارخ الوغى . أى مستغيث فى الحرب . مستلئم : لابس لأمة وهى الدرع ، والباء للملابسة والمصاحبة . الفنيق الفحل المكرم .

المرحل من رحل البعير . أى شخصه عن مكانه وأرسله . أى تعدو ومعى من نفسى شخص مستلئم مصاحب لى ، ويصح جعلها للسببية ، وليست للتعدية ، وليس قوله بمستلئم بدلا من الباء فى قوله (بى) لأن ذلك يفوت التجريد ولأنه لا يبدل الظاهر من ضمير الحاضر الا اذا كان مفيدا للاحاطة ، ولا للسببية متعلقة بتعدو أى تعدو بى بسبب مستلئم لانه على هذا يكون « لمستلئم » الذى هو المنتزع كالسبب للمجرد منه مع أن المقرر هو أن المجرد منه سبب ومنشأ لا العكس . أما جعلها للسببية بدعوى أن فى الكلام قلبا حتى صار الأصل فرعا والفرع اصلا وسببا فتكلف محض .

(١) وهو مايكون بدخول « فى » على المنتزع منه .

(٢) أى ما يكون بدون توسط حرف بل يؤتى بالمنتزع على وجه يفهم منه الانتزاع بقرائن الأحوال من غير حرف مستعان به على إفادة التجريد

(٣) هو قتادة الحنفى [١ / ٣٢٧ الحماسة]

تحوى : تجمع . كريم يعنى نفسه .

انتزع من نفسه كريما مبالغة فى كرمه ، فان قيل هذا من قبيل الألتفات من التكلم إلى الغيبة ، وحينئذ لايكون من قبيل التجريد لأن الألتفات مبنى على الاتحاد والتجريد مبنى على التعدد وهما متنافيان وذلك لأن المعنى المعبر عنه فى الألتفات على أن الطريق الأول والثانى واحد والمعبر عنه باللفظ الدال على المنتزع منه

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوى الغنائم أو يموت كريم

وعليه قراءة من قرأ « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة : وقيل تقدير الأول أو يموت منى كريم [1] والثانى فكانت منه وردة كالدهان ، وفيه نظر [2] :

= باللفظ الدال على المنتزع متعدد بحسب الاعتبار، إذ يقصد أن المجرد شيء آخر غير المجرد منه قلنا : الالتفات لاينافى التجريد على ماذكرنا أى على مقتضى ماذكرنا من تعريف التجريد فانه يقتضى أنه قد يجامعه الالتفات اذ المراد بالاتحاد فى الالتفات الاتحاد فى نفس الأمر لا الاتحاد فيه وفى الاعتبار والمراد بالتعدد فى التجريد التعدد بحسب الاعتبار لافى نفس الأمر أيضا حتى ينافى الالتفات ففى البيت تجريد نظرا للتغاير الادعائى والتفات نظرا للاتحاد الواقعى . وقال بعضهم: إن الالتفات لاينافى احتمال التجريد فكما صح فى البيت الالتفات يصح فيه التجريد على البدلية لاعلى الاجتماع وذلك لأن من المراد مايصلح لقصد التجريد فقط مثل لى من فلان صديق ومنها يصلح للالتفات فقط مثل إنا أعطينا الكوثر إذ لا معنى للانتزاع فيه كما أنه لامعنى الالتفات فى الأول لاتحاد الطريقين فيه إذ هما معا غيبة ومنها مايصلح لهما معامثل هذا البيت. وأما كون الالتفات والتجريد يجتمعان فى مادة قصدا فلا يصح . قال عبد الحكيم والصواب أن اجتماعهما واقع فى صورة يكون الأسلوب المنتقل اليه دالا على صفة كالبيت . « فكريم » التفات من حيث إنه انتقل من التكلم الى الغيبة وتجريد من حيث التعبير بصيغة الصفة لأجل المبالغة فى الكرم .

(١) اى فيكون من قبيل لى من فلان صديق حميم ولايكون قسما آخر

(٢) اى لحصول التجريد وتمام المعنى بدون هذا التقدير .

(٦-) ومنها [١] نحو قوله :

ياخير من يركب المطى ولا يشرب كأسا بكف من بخلا [٢]

---

(١) اى مايكون تجريدا معه كناية بأن ينتزع المعنى ثم يعبر عنه بكناية ، كما أنه يعبر عنه بصريح .

(٢) هو للأعشى [١/٢٩ الكامل] . فالمراد وهو المعنى الكنائى : يشرب الكاس بكف جواد ، قال المبرد [١/٢٩ الكامل] : أى إنما تشرب بكفك ولست بخيل . انتزع من المخاطب جوادا آخر غير المخاطب يشرب الممدوح بكفه أى بكف ذلك الجواد المنتزع على طريق الكناية ، حيث اطلق اسم الملزوم الذى هو نفى الشرب بكف البخيل على اللازم وهو الشرب بكف كريم ومعلوم أنه يشرب بكف نفسه فيكون المراد بالكريم نفسه ، ففيه تجريد ، لأنه إذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبت له الشرب بكف كريم ومعلوم أنه يشرب بكفه فهو ذلك الكريم .

وقد خفى كونه انتزع منه جوادا - على طريق الكناية الذى يفهم منه اجتماع التجريد والكناية — على الخلخالى فزعم أن الخطاب فى قوله « يا خير من يركب المطى » ان كان لنفسه فهو تجريد لأنه صير نفسه إنسانا خاطبها ، فقوله ولا يشرب كناية عن الكريم ، وإلا فليس من التجريد فى شىء بل كناية عن كون الممدوح غير بخيل مستفادة من قوله ولا يشرب . ونقول باختيار أن الخطاب لغيره والتجريد حاصل وكونه كناية لا ينافى التجريد على ما قررنا ، لأنه ان كان الخطاب لنفسه لم يكن قسما بنفسه بل يكون داخلا فى النوع الآتى

هذا وتقرير السيد للكناية فى البيت فى حاشيته على المطول هو : كونه بخيلا يستلزم شربه بكف بخيل فكنى بنفى اللازم عن نفى الملزوم فهى كناية فقط لا تجريد. وتقرير السعد هو : نفى عنه الشرب بكف بخيل فأثبت له الشرب بكف كريم منتزع منه مغاير له ادعاء فكان تجريدا وكناية معا

وقول الآخر (١) :

إن تلقنى لا ترى غيرى بناظرة
تنس السلاح وتعرف جبهة الأسد(٢)

(٧ —] ومنها مخاطبة الانسان نفسه(٣) كقول الأعشى

ودع هريرة أن الركب مرتحل وقد تطيق وداعا أيها الرجل

وقول أبى الطيب (٤)

لا خيل عندك تهديها ولا مال
فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

---

(١) هو أرطاة بن سهية

(٢) ناظرة صفة لمحذوف أى عين ناظرة ، نسيانه السلاح يعتريه من الدهشة والشاهد قوله « وتعرف جبهة الأسد » لأن أصله وتعرف منى أسدا وقد كنى بذلك عنه .

(٣) وبيان التجريد فى ذلك أنه ينتزع من نفسه شخصا آخر مثله فى الصفة الذى سيق لها الكلام ثم يخاطبه

(٤) ٢٥٧ الوساطة

فكأنه انتزع من نفسه شخصا آخر مثله فى فقد الخيل والمال وخاطبه

ملاحظة :

بحوث التجريد تجدها فى ص ١٦٢ المثل السائر ، وفى المصباح لبدر الدين ابن ابن مالك ، وفى حسن التوسل فى صناعة الترسل للحلبى وفى ص ١٢ طراز المجالس ، وفى ١٥١ مفتاح ، وص ٢٩١ الأسرار

ولا بأس بأن أعرض أمامك كلمة فى هذا الموضوع :

. . . . . .

= اختلف البيانيون فى التجريد مما كان على مثل أسلوب : لقيت من فلان أسدا . وصحبت من فلان بحرا .

فمن قائل : انه تشبيه ، ويكون المشبه هو المنتزع منه ، وهو لفظة فلان فى المثالين السابقين ، والمشبه به هو المنتزع ، وهو لفظة أسد وبحر ؛ غاية الأمر أنه لم يجأ به على الأسلوب المعتاد فى التشبيه ، ويرى صاحب هذا الرأى أن ذلك أسلوب آخر فى التشبيه . وردوا ذلك بأن أساليب التشبيه يكون الحكم فيها باثبات المشابهة وأسلوب التجريد ليس كذلك .

ومن قائل : انه استعارة . ولكن لم يدر على أى وجه تجرى هذه الاستعارة ، إذ الاستعارة لابد فيها أن يجرى المشبه به على المشبه بوجه من وجوه الاجراء كان يستعمل فيه أو يحمل عليه .

وأسلوب التجريد ليس فيه شىء من ذلك إذ قولك : لقيت من زيد أسدا لا ترى فيه إجراء أسد على زيد بأحد الوجهين . فلا هو مثل رايت أسدا . ولا هو مثل زيد أسد

ويرى البعض أن يكون ذلك الأسلوب استعارة بالكناية فيكون لفظة زيد فى لقيت من زيد أسدا هو لفظ المشبه ويكون لفظة أسد هى القرينة .

ويمكننا أن نقول إن هذا الأسلوب ليس تشبيها وليس استعارة على الوجه الذى بينوه والذى شرحه الخطيب فى علم البيان واستدل عليه بأن هناك أساليب ليس فيها جمع بين ما يصح أن يكون مشبها وما يصح أن يكون مشبها به حتى تعتبر استعارة أو تشبيها . وذلك كقولهم : لى بزيد صديق وفى .

فهذا التركيب لا يمكن أن يكون تشبيها لأن زيدا هو الصديق الوفى ، وليس كالصديق الوفى حتى يكون تشبيها ، أو حتى يكون استعارة لأن الاستعارة مبناها التشبيه .. ولو كان أسلوب التجريد استعارة كما قرروا ، أو تشبيها

. . . . . .

لاطرد فى أسلوبه التشبيه . أما وقد وجد من أساليب التجريد مالا يمكن فيه التشبيه لاتحاد المنتزع والمنتزع منه فهذا شاه . على أنه لم يقصد فيه ذلك ، ويجب ألا يفرق فى القصد بين تركيب وتركيب .

والحق هو أن أسلوب التجريد ليس فيه بين المنتزع والمنتزع منه تشبيه ولا إستعارة ، ولكن المنتزع قد يعبر عنه أحيانا بلفظه الحقيقى ، وقد يعبر عنه أحيانا بلفظه المجازى .

مثل : لقيت من زيد رجلا شجاعا ، لقيت من زيدا أسدا .

فأسلوب التجريد إن وجدت فيه الاستعارة فانما تكون فى خصوص لفظ المنتزع ، أما بلاغة هذا الأسلوب فهى آتية من ناحية أن الذى يقول صحبت زيدا فصحبت منه بحرا فياضا . أراد أن يثبت له صفة الكرم على سبيل المبالغة . لكن لما كان اثبات صفة الكرم لزيد المعروف للسامع ، قد يكون فى ذهن السامع عن زيد مايتعارض مع إثبات تلك الصفة أراد المتكلم أن يثبتها له على وجه لاينازعه فيه منازع فترك إثباتها لزيد المعروف الذى يقال إنا عرفنا عنه حوادث بخل إلى إثباتها لمتولد عنه جديد كأن المتكلم يريد أن يقول إن حال زيد قد تغير فليس كما تعرفون بل أصبح شيئا آخر جديدا له هذه الصفة .

يدل على ذلك أنك لاتكاد تظفر بأسلوب التجريد الا وقد جعل فيه تولد المنتزع عن المنتزع منه مرتبا بحدث من الأحداث كاللقاء و لقيت من زيد أسدا مما يفهم أن هذه الصيغة قد ادركها فيه المتكلم إثر ذلك الحديث كان المتكلم بين هذا الوصف فيه بذلك الحديث بعد أن لم يكن يعرفه .

— ١٩ —

(المبالغة)

ومنه المبالغة المقبولة [١] :

والمبالغة أن يدعى لوصف [٢] بلوغه فى الشدة أو الضعف حدا [٣] مستحيلا أو مستبعدا [٤] لئلا يظن [٥] أنه غير متناه فى الشدة أو الضعف .. وتنحصر فى التبليغ والاغراق والغلو ؛ لأن المدعى [٦] للوصف من الشدة أو الضعف إما أن يكون ممكنا فى نفسه أولا، الثانى الغلو [٧] ، والأول إما أن يكون ممكنا فى العادة أيضا أولا : الأول [٨] التبليغ والثانى الاغراق [٩] .

---

(١) فالمردودة لا تكون من المحسنات. وفى هذا إشارة إلى الرد على من قال إن المبالغة مقبولة مطلقا ، وعلى من زعم أنها مردودة مطلقا

(٢) أى يثبت لوصف بالدعوى لا بالتحقيق

(٣) أى طرفا ومكانا

(٤) يقرب من المحال

(٥) أى بلوغ الوصف تلك المنزلة لدفع توهم أن ذلك الوصف غير بالغ فيه النهاية

(٦) وهو بلوغ الوصف الى النهاية شدة أوضعفا

(٧) وهو غير الممكن لا عقلا ولا عادة ، لامتناع أن يكون ممكنا عادة ممتنعا عقلا إذ كل ممكن عادة ممكن عقلا ولا عكس

(٨) وهو الممكن عقلا وعادة ، أى فدعوى بلوغه ما ذكره تسمى تبليغا لأن فيه مجرد الزيادة على المقدار المتوسط فناسب معناه اللغوى المتقدم

(٩) وهو الممكن عقلا لا عادة ، فدعوى بلوغه الى حيث يستحيل بالعادة تسمى اغراقا لأن الوصف بلغ الى حد الاستغراق حيث خرج عن المعتاد

فالاقسام ثلاثة :

الغلو : وهو غير الممكن لا عقلا ولا عادة =

[التبليغ] (١)

أما التبليغ فكقول امرىء القيس : (٢)

فعادى عداء بين ثور ونعجة دراكا فلم ينضح بماء فيغسل

وصف هذا الفرس بانه ادرك ثورا وبقرة وحشيين ، فى مضمار واحد ، ولم يعرق ، وذلك غير ممتنع عقلا ولا عادة ، ومثله قول أبى الطيب (٣)

واصرع أى الوحش قفيته به وانزل عنه مثله حين أركب

[الأغراق] (٤)

وأما الاغراق فكقول الآخر (٥) :

ونكرم جارنا مادام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا

= التبليغ : وهو الممكن عقلا وعادة

الأغراق : وهو الممكن عقلا لا عادة

(١) هو الممكن عقلا وعادة .

(٢) العداء: الموالاة بين الصيدين يصرع أحدهما اثر الآخر فى شوط واحد . الثور الذكر من بقر الوحش . النعجة : الأنثى منها . ينضح : يعرق .

(٣) راجعه فى الوساطه ص ٣٠٢

الصرع : الطرح على الأرض . قفيته : أتبعته والضمير فيه للوحش ، وفى « به » لفرسه . والشاهد فى الشطر الثانى :

(٤) هو الممكن عقلا لاعادة . والمبالغة عند صاحب الصناعتين تشمل الأغراق والتتميم (٣٥٧ صناعتين) .

(٥) هو عمرو بن الأيهم التغلبى ، كما فى نقد الشعر ، وترجمته فى ص ٢٤٢ معجم الشعراء .

وفى الصناعتين « عميرة » بدل « عمرو » (٥٧ صناعتين) . وفى تهذيب الايضاح للتنوخي : الأهتم ولعله تحريف .

فانه ادعى أن جاره لايميل عنه إلى جهة الا وهو يتبعه الكرامة وهذا ممتنع عادة ؛ وإن كان غير ممتنع عقلا (١)

وهما (٢) مقبولان

[الغلو(٣)]

وأما الغلو فكقول أبى نواس (٤)

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التى لم تخلق

والمقبول منه (٥) أصناف : أحدها (٦) ما أدخل عليه مايقربه إلى الصحة ، نحو لفظة يكاد فى قوله تعالى « يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار » وفى قول الشاعر يصف فرسا(٧)

ويكاد يخرج مرعة عن ظله لوكان يرغب فى فراق رفيق

والثانى : ما تضمن نوعا حسنا من التخييل(٨) كقول أبى الطيب .

---

(١) فقد أدعى الشاعر أنهم يكرمون الجار فى حال إقامته عندهم وفى حال ارتحاله عنهم وكونه مع غيرهم ، فالوصف المبالغ فيه كرمهم ، واكرام الجار حال ارتحاله عنهم محال عادة .

(٢) أى التبليغ والأغراق .

(٣) هو غير الممكن لا عقلا ولا عادة. أى أن ادعاء بلوغ الشىء الى حد كونه غير ممكن عقلا وعادة يسمى غلوا

(٤) يجد الكلام عليه فى ٦٠ و ٣٢٣ الوساطة ، وفى العقد [ص ٢١ ج ١] ويرد ابن عبد ربه على من نقده (٤١٨ ج ٣ العقد) إذ أن خوف النطفة الغير المخلوقة ممتنع عقلا وعادة

(٥) أى من الغلو (٦) راجع ٣٥٥ صناعتين

(٧) هو ابن حمديس الصقلى

(٨) أى من تخييل الصحة وتوهمها

وأرى أن معناها : من تلوين الشىء بلون مستمد من الخيال .

عقدت سنابكها عليها عثيرا لو تبتغى عنقا عليه لأمكنا (١)

وقد جمع القاضى الارجانى بينهما(٢) فى قوله يصف الليل بالطول :

يخيل لى أن سمر الشهب فى الدجى وشدت بأهدابى اليمن أجفانى (٣)

والثالث : ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة كقول الآخر :

اسكر بالامس ان عزمت على الشرب غدا ان ذا من العجب

---

(١) السنابك : حوافر الخيل . عليها يعنى فوق رؤوسها . العثير : الغبار

ادعى تراكم الغبار المرتفع من سنابك الخيل فوق رؤوسها بحيث صار أرضا يمكن السير عليها . وهذا ممتنع عقلا وعادة لكنه تخييل حسن

(٢) أى بين ادخال ما يقربه الى الصحة وتضمين التخييل الحسن

(٣) سمر : أى أحكمت بالمسامير . الدجى : ظلام الليل . الاهداب جمع هدب وهو شعر أشفار العينين

ملاحظة :

المبالغة راجعها فى ص ٢٤٨ صناعتين ، باب الغلو ، وفى ص ٤٠ ج ١ الكامل للمبرد ، ٧٦ و ٧٧ ج ٢ المرجع نفسه ، وفى الاسرار ص ٢٤٠ — ٢٦٢

ويسميها ابن المعتز فى كتابه (البديع) الأفراط فى الصفة

وقد ذكر الأفراط أرسطو فى خطابته فذهب إلى أنه لا يحسن استعمال اللفظ المفرط فى الصفة حتى لا يدخل فى حيز الكذب ولا يفرط أيضا تقصيرا لسلب الصفة ورونقها ، ويقول : ومن الأفراطات التى تقال للتعظيم مع العلم بكذب من يدعيها قول القائل : لو أعطيت مثل هذه المرأة ذهبا لما رضيت فى نكاحها ، فهذه ليست أمثالا ولا تشبيهات بل هى أكاذيب ظاهرة ؛ ويؤاخذ المبرد الشعراء على إفراطهم فى شعر لهم فى كامله ، ويذكر ثعلب الأفراط فى الأغراق وشواهد له —

— ٢٠ —

(المذهب الكلامى)[1]

ومنه المذهب الكلامى، وهو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق

= [قواعد الشعر لثعلب]، وذكره ابن قتيبة فى الشعر والشعراء [ص ٩٦ و١٠٦ و ١٨٦].

وقد ذكره ابن المعتز مع شواهد له فى كتابه البديع [١١٦ — ١٢١] وذكره الصاحبى [ص ٢٢٤]، واستحسن قدامة السرف والمبالغة فى الشعر لأن أرسطو ذكر أن الكذب فيه أكثر من الصدق [٩٠ نقد النثر]، ويذكر قدامة الغلو فى المعنى والافراط فيه ويستحسنه ويؤثره على الاقتصار على الحد الوسط [٣٥ نقد الشعر] ويذكر البيت (وأخفت أهـــل الشرك الخ) [٣٦ نقد الشعر] ويستحسنه، وذكره صاحب العقد [٢١ ج ١ و٤١٨ ج ٣] واعتذر عن إفراطه فيه كما اعتذر عن النابغة فى إفراطه فى وصف السيف [٩١ ج ١ العقـد]، وفى نقد النثر باب للمبالغة [٧٠ و ٧١] وفى نقد الشعر باب للمبالغة [٨٤ نقد الشعر] وكذلك ذكرها الباقلانى [٨٤ الأعجاز]؛ ويقول صاحب الخزانة: وتسمية المبالغة منسوبة إلى قدامة ومنهم من سمى هذا النوع التبليغ وسماه ابن المعتز الأفراط فى الصفة وهذه التسمية طابقت المسمى ولكن الناس رغبوا فى تسمية قدامة لخفتها [٢٢٥ خزانة الأدب للحموى]

وقد ذكر ابن سنان الخفاجى م ٤٦٦ هـ صاحب سر الفصاحة فى كتابه المبالغة والغلو وحمدهما [ص ٢٥٦ سر الفصاحة طبع الخانجى].

وراجع تعريف أبى هلال للغلو [ص ٣٤٨ صنـــاعتين] وللمبالغة [ص ٣٥٦ صناعتين].

(١) هو إيراد حجة على المطلوب على طريقة أهل المنطق، وهى أن تكون المقدمات مستلزمة للمطلوب، والجاحظ أول من سماه هذا الاسم [١٠١ البديع

أهل الكلام[1] كقوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) ، وقوله (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) ، أى والاعادة أهون عليه من البدء ، والأهون من البدء أدخل فى الامكان من البدء ، فالاعادة أدخل فى الامكان من البدء ، وهو المطلوب . . . وقوله تعالى (فلما أفل قال لا أحب الآفلين) أى القمر آفل ، وربى ليس بآفل ، فالقمر ليس بربى . . وقوله تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) ، أى أنتم تعذبون والبتون لا يعذبون فلستم ببنين له ، ومنه قول النابغة يعتذر إلى النعمان .

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مطلب
لئن كنت قد بلغت عنى خيانة ... لمبلغك الواشى أغش وأكذب
ولكننى كنت امرأ لى جانب ... من الارض فيه مستراد ومذهب[2]
ملوك وإخوان[3] إذا ما مدحتهم ... أحكم فى أموالهم وأقرب
كفعلك فى قوم أراك اصطفيتهم ... فلم ترهم فى مدحهم لك أذنبوا

يقول : أنت أحسنت الى قوم فمدحوك ، وأنا أحسن إلى قوم فمدحتهم ، فكما أن مدح أولئك لا يعد ذنبا ، فكذلك مدحى لمن أحسن إلى لا يعد ذنبا .

= لابن المعتز شرح محمد عبد المنعم خفاجى ، ٧٥ / ٢ العمدة] . وابن المعتز يذكر أنه ليس فى القرآن منه شىء وأنه ينسب للتكلف [١٠١ البديع] وقد نقده أبو هلال لانه عد هذا الباب من البديع مع أنه نسبه إلى التكلف [٣٩٨ صناعتين] ، وذكر ابن المعتز شواهد له [١٠١ - ١٠٤ البديع] ، ومثلا لما عيب منه ١٠٤ و ١٠٥ المرجع] . واحتذاه ابو هلال [٣٩٨ - ٣٩٩ الصناعتين] وابن رشيق [٢ ٧٥ وما بعدها العمدة] .

(١) بأن يؤتى بها على صورة قياس استثنائى أو اقترانى ، فكونها على طريقتهم من المحسنات لأن المحاورة لا تتوقف على كونها على طريقتهم .

(٢) المستراد موضع طلب الرزق .

(٣) يعنى بهم بنى جفنة ملوك بنى غسان بالشام .

— ٢١ —

[حسن التعليل]

ومنه حسن التعليل :

وهو أن يدعى [١] لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف [٢] غير [٣] حقيقى

وهو [٤] أربعة أقسام :

لأن الوصف [٥] إما : ثابت قصد بيان علته ، أو غير ثابت أريد إثباته .

والأول [٦] إما أن لا يظهر له فى العادة علة [٧] أو يظهر له علة غير المذكورة [٨]

والثانى [٩] أما ممكن أو غير ممكن .

---

(١) أى يثبت .

(٢) أى بأن ينظر نظرا يشتمل على لطف ودقة ، أى حال كون الاثبات ملتبسا بنظر دقيق بحيث لا يدرك كون هذا المثبت علة إلا من له تصرف فى دقائق المعانى

(٣) صفة الاعتبار بمعنى الأمر المعتبر لا بمعنى المصدر ، أى لا يكون ما اعتبر علة لهذا الوصف علة له فى الواقع ، كما إذا قلت (قتل فلان أعاديه لدفع ضررهم) فانه ليس من حسن التعليل فى شىء .

(٤) أى باعتبار الصفة ، وأما العلة فى الجميع فغير مطابقة للواقع .

(٥) أى الذى أريد إثباته فى نفسه بما أتى به من العلة المناسبة .

(٦) وهو الثابت الذى قصد بيان علته .

(٧) أى غير التى أريد بيانها ، وإن كانت لا تخلو فى الواقع من علة .

(٨) أى يظهر لتلك الصفة فى العادة علة غير العلة المذكورة أى غير العلة التى ذكرها المتكلم لحسن التعليل .

(٩) أى الوصف الغير الثابت الذى أريد إثباته .

أما الأول [١] فكقول أبي الطيب [٢] :

لم يحك نائلك السحاب وأنما حمت به فصيبها الرحضاء

فان نزول المطر لايظهر له فى العادة علة . . . وكقول أبي تمام [٣]

لاتنكرى عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالى

علل عدم إصابة الغنى الكريم بالقياس على عدم إصابة السيل المكان العالى كالطود العظيم ، من جهة أن الكريم لاتصافه بعلو القدر كالمكان العالى ، والغنى لحاجة الخلق إليه كالسيل .

ومن لطيف هذا الضرب قول ابى هلال [٤] العسكرى ،

زعم البنفسج أنه كعذاره حسنا فسلوا من قفاه لسانه [٥]

---

(١) أى الوصف الثابت الذى قصد بيان علته لأنه لايظهر له فى العادة علة .

(٢) البيت فى صفحة ١٤٦ وساطة ، والكلام عليه فى الأسرار ص ٢٤٢ .

يحكى : يشابه : النائل : العطاء . السحاب . فاعل يحكى . حمت به أى صارت محمومة بسبب نائله وتفوقه عليها . الصبيب : المصبوب من السحاب . الرحضاء : عرق الحمى .

فنزول المطر من السحاب صفة ثابتة لايظهر لها فى العادة علة ، وقد علله بأنه عرق حماه الحادثة له بسبب غيرته من عطاء الممدوح .

(٣) راجعه والكلام عليه فى ٢٣١ الأسرار .

(٤) راجع ص ٢٤٨ الأسرار .

ولأبى هلال فى فرس [٢٤١ صناعتين] :

فكأنما لطم الصباح جبينه فاقتص منه فخاض فى إحسانه .

(٥) العذار : أول مايبدو على الخد من شعر ، وللبنفسج شىء من تحت ورقه ، فجعله كاللسان له سل من قفاه عقابا له على زعمه والبيت فى ديوان المعانى ص ٢٤ ج ٢

وقول ابن نباتة فى صفة فرس [١] .

وادهم يستمد الليل منه وتطلع بين عينيه الثريا
سرى خلف الصباح يطير مشيا ويطوى خلفه الافلاك طيا
فلما خاف وشك الفوت منه تشبث بالقوائم والمحيا

وأما الثانى [٢] فكقول أبى الطيب :

مابه قتل أعاديه ولكن يتقى إخلاف ماترجو [٣] الذئاب

فان قتل الملوك أعداءهم فى العادة لارادة هلاكهم ، وأن يدفعوا مضارهم عن أنفسهم ، حتى يصفولهم ملكهم من منازعتهم ، لالما ادعاه من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ، ، ومحبته أن يصدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعدائه ، لما علم أنه لما غدا للحرب غدت الذئاب تتوقع أن يتسع عليها الرزق من قتلاهم ، وهذا مبالغة فى وصفه بالجود ، ويتضمن المبالغة فى وصفه بالشجاعة على وجه تخييلى ، أى تناهى فى الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم فاذا غدا للحرب رجت الذئاب أن تنال من لحوم أعدائه : وفيه نوع آخر من المدح ، وهو أنه ليس ممن يسرف فى القتل ، طاعة للغيظ والحنق . . . وكقول أبى طالب المأمونى فى بعض الوزراء ببخارى [٤]

---

(١) ٢٤٩ و٢٠١ الأسرار .

يستمد الليل منه : أى يستمد ظلمته منه . سرى : سار ليلا والضمير للفرس الموصوف . يطوى : يقطع . الوشك : السرعة والقرب . القوائم : جمع قائمة وهى وهى الرجل او اليد . المحيا : الوجه .

(٢) وهو الوصف الثابت الذى يظهر له فى العادة علة غير العلة التى ذكرها المتكلم لحسن التعليل . فيقصد بيان علة أخرى له فالعلة المذكورة غير حقيقية فتكون من حسن التعليل .

(٣) البيت والكلام عليه فى الأسرار ص ٢٥٧

(٤) راجع ذلك فى ص ٢٥٨ الأسرار

السماح : الجود . الاغفاء : النوم الخفيف . الرواح : العشى

الشاهد هو البيت الثانى لأنه علل نومه بهذه العلة وهى غير علته فى العادة

مغرم بالثناء ، صب بكسب المجـ ـــد يهتز للسماح ارتياحا
لا يذوق الاغفاء إلا رجاء أن يرى طيف مستميح رواحا

وكأن تقييده بالرواح ليشير إلى أن العفاة إنما يحضرونه فى صـــدر النهار على عادة الملوك فاذا كان الرواح قـلوا فهو يشتاق اليهم فينام ليـأنس برؤية طيفهم ؛ وأصله من نحو قول الآخر (١) .

وإنى لاستغنى وما بى نعســـة لعل خيالا منك يلقى خياليا

وهذا غير بعيد أن يكون أيضـا من هـذا الضرب ، إلا أنه لا يبلغ فى الغرابة والبعد عن العـادة ذلك المبلغ فانه قد يتصور أن يريد المغرم المتيم إذا بعـد عهده بحبيبه أن يراه فى المنام ، فيريد النوم لذلك خاصة

ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز (٢) :

قالوا اشتكت عينه ، فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء من قتلت والدم فى النصل شاهد عجب

وقول الآخر (٣) :

أتتنى تؤنبنى بالبـــكاء فأهـــلا بهـا وبتأنيبها

---

(١) هو لمجنون ليـــلى [١٢٤ ج ٣ زهر الآداب] . والبيت فى الاسرار ص ٢٥٩ . أستغنى : أى أطلب النوم . ولم ينسب البيت إلى صاحبه أحد من الشراح

(٢) راجع البيتين والتعليق عليهما فى الأسرار ص ٢٤٤

الوصب : المرض . النصل : السيف . فالعلة الحقيقية لحمرة العين الرمد ، ولكنه ادعى أنها من دماء من قتلتهم من العشاق

(٣) هى أبو بكر ابن العربى م ٥٤٣ هـ [٨٨ ج ٣ أزهار الرياض - ط لجنة التأليف] وهى فى الأسرار ص ٣٦٢ وفى الصناعتين ص ٤٣٢ وورودها فى أسرار البلاغة والصناعتين ينفى نسبتها لأبى بكر ابن العربى لأن عبد القاهر وأبا هلال توفيا قبل أبى بكر بكثير .

تقول وفى قولها حشمة أتبكى بعين ترانى بها
فقلت إذا استحسنت غيركم أمرت الدموع بتأديبها

وذلك أن العادة فى دمع العين أن يكون السبب فيه إعراض الحبيب، أو اعتراض الرقيب؛ ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب؛ لا ما جعله من التأديب على الأساءة باستحسان غير الحبيب.

وأما الثالث[1] فكقول مسلم بن الوليد:

ياواشيا حسنت فينا إساءته نجى حذارك إنسانى من الغرق[2]

فان استحسان إساءة الواشى ممكن[3]، لكن لما خالف الناس فيه عقبه بذكر سببه، وهو أن حذاره من الواشى منعه من البكاء فسلم إنسان عينيه من الغرق فى الدموع وما حصل ذلك فهو حسن.

وأما الرابع[4] فكمعنى بيت فارسى ترجمته[5].

لولم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منتطق

فان نية الجوزاء خدمته ممتنعة[6].

---

(١) وهو ان يكون الوصف غير ثابت أريد إثباته، وهو ممكن.
(٢) حذارك أى حذارى إياك: إنسانى أى إنسان عينى.
(٣) وإن كان غير واقع عادة.
(٤) وهو أن يكون الوصف غير ثابت أريد إثباته وهو غير ممكن
(٥) نسبه السعد للقزوينى الخطيب، والظاهر أنه ليس كذلك لأن عبدالقاهر قد ذكره فى ص ٢٦١ من الأسرار، وعبد القاهر يقول (ترجمته) فنقل الخطيب ذلك فظن السعد أنها (ترجمته) فنسبه للمصنف. وهذا من غريب الخطأ والتحريف.
(٦) ولكنه ادعى ثبوتها بتلك العلة، وعلى هذا لا تكون لو هنا لامتناع الجواب لامتناع الشرط بل للاستدلال بانتفاء الجزاء على انتفاء الشرط؛ فان حمل=

ومما يلحق بالتعليل ، وليس به ، لبناء الأمر فيه عـلى الشك (١) نحو قول أبي تمام (٢)

= معناها هنا على الأول بأن جعل نية خدمة الممدوح علة لانتطاق الجوزاء كان هذا من الضرب الأول لا من هذا الضرب .

هذا وانتطق أي شد النطاق ، وحول الجوزاء كواكب يقال لها نطاق الجوزاء ، فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها أي بالعلة المناسبة لها وهي كونها منتطقة أي شادة النطاق وسطها وفي ذلك بحث لأن مفهوم هذا الكلام هو أن نية الجوزاء خدمة الممدح علة لرؤية عقد النطاق عليها أعني لرؤية حالة شبيهة بانتطاق المنتطق ، كما يقال لولم تجعني لم أكرمك ، يعني أن علة الاكرام هي المجيء ، وهذه صفة ثابتة قصد تعليلها بنية خدمة الممدوح ، فيكون من الضرب الأول وهو الصفة الثابتة التي قصد علتها ، وما قيل إنه اراد ان الانتطاق صفة ممتنعة الثبوت للجوزاء ، قد أثبتها الشاعر وعللها بنية الجوزاء خدمة الممدوح ، فهو مع أنه مخالف لصريح كلام الخطيب ليس بشيء ، لأن حديث انتطاق الجوزاء اعني الحالة الشبيهة بذلك ثابت بل محسوس ، والاقرب أن يجعل لو هنا مثلها في قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) أعني الاستدلال بانتفاء الثاني على انتفاء الأول كما ذكرنا فيكون الانتطاق علة لكون نية الجوزاء خدمة الممدوح ، أي دليلا عليه ، وعلة للعلم ، مع أنه وصف غير ممكن .

(١) فلذلك لم يجعل من حسن التعليل الذي فيـه ادعاء وإصرار ، والشك ينافيه

(٢) راجع ص ٢٥٢ الأسرار . الربى : جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض الصبا : ريح تهب جهة الشرق . المزن : السحاب الأبيض . جادها : أمطرها . هامع : سائل في كثرة . الغر جمع الأغر والمراد السحاب الماطرة الغزيرة الماء . غيبين تحتها أي تحت الربا . . ترقى الأصل ترقأ بالهمزة خففت أي تسكن =

ربى شفعت ريح الصبا لرياضها إلى المزن حتى جادها وهو هامع
كان السحاب الغر غيبن تحتها حبيبا فما ترقا لهن مدامع

وقول أبي الطيب[١]:

رحل العزاء برحلتى فكأننى أتبعته الأنفاس للتشييع

علة تصعيد الأنفاس فى العادة هى التحسر والتأسف لا ما جوز أن يكون اياه، والمعنى رحل عنى العزاء بارتحالى عنك أى معه، أو بسببه؛ فكأنه لما كان الصدر محل الصبر، وكانت الأنفاس تتصعد منه أيضا، صار العزاء والنفس الصعداء كأنهما نزيلان، فلما رحل ذلك كان حقا على هذا أن يشيعه قضاء لحق الصحبة

— ٢٢ —

[التفريع[٢]]

ومنه التفريع:

وهو أن يثبت لمتعلق أمر حكم[٣] بعد اثباته[٤] لمتعلق له آخر[٥]،

= علل على سبيل الشك نزول المطر من السحاب بأنها غيبت حبيبا تحت تلك الربا فهى تبكى عليه.

(١) ٣٦٠ الأسرار

(٢) هو لغة كون الشىء فرعا لغيره

(٣) أى أن يثبت أمر محكوم به على شىء بينه وبين أمر آخر نسبة وتعلق بعد أن يثبت ذلك الحكم لمنسوب له آخر

(٤) أى إثبات ذلك الحكم

(٥) أى على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب؛ أى على وجه يشعر بتفريعه على =

كقول الكميت :

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفى من الكلب (١)

فرع من وصفهم بشفاء أحلامهم لسقام الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب .

— ٢٣ —

=إثباته للاول وذلك بأنه يثبت الحكم ثانيا للمتعلق الثانى مع أداة ليست لمطلق الجمع مثل غلام زيد مسرور كما أن أباه مسرور ، فالمراد بالتفريع التبعية فى الذكر والتعقيب الصورى من غير أن يكون هناك أداة تفيد مطلق الجمع سواء كان ذلك باداة تفريع أم لا وليس المراد أن يكون ذلك الاثبات باداة تفريع فقط وإلا لم يكن البيت المذكور من هذا النوع

(١) الكلب بفتح اللام شبه جنون يحدث للانسان من عض الكلب إذ لادواء له أنجع من شرب دم ملك كما قال أبو البرج المرى .

بناة مكارم وأساة كلم دماؤكم من الكلب الشفاء

فرع على وصفهم بشفاء أحلامهم من داء الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب يعنى أنهم ملوك وأشراف وأرباب العقول الراجحة .

ملاحظة :

قولنا على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب احتراز كما سبق عن نحو غلام زيد راكب وأبوه راكب .لأن الواو لمطلق الجمع فما قبلها وما بعدها سيان فى التقدم لكل والتأخر للاخر . أما غلام زيد راكب وأبوه راجل فقد خرج من التفريع لأن التفريع يستدعى اتحاد الحكم للمتعلقين وفى المثال المذكور حكمان مختلفان ثبتا لمتعلق أمر فالمراد من التفريع (أى تفريع الثانى على الأول) كونه ناشئا ذكره عن ذكر الأول حيث جعل الأول وسيلة للثانى كالتقدمة والتوطئة .

— ٢٣ —

[تأكيد المدح بما يشبه الذم [١]]

ومنه تأكيد المدح بما يشبه الذم :

وهو ضربان :

[١ -] أفضلهما أن تستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها : كقول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب [٢]

أى إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب ، فاثبت شيئا من العيب على تقدير أن فلول السيف منه ، وذلك محال ، فهو فى المعنى تعليق بالمحال كقولهم « حتى يبيض القار » . . . فالتأكيد فيه [٣] من وجهين :

احدهما أنه كد عوى الشيء ببينة :

والثانى أن الاصل فى الاستثناء [٤] أن يكون متصلا فاذ نطق المتكلم بالا أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن مايأتى بعدها مخرج مما قبلها ، فيكون شيء من صفة الذم ثابتا ؛ و هذا ذم ، فاذا أتت بعدها صفة مدح

---

(١) هو من ابتكار ابن المعتز واصطلاحه ، ويجعله ابو هلال ضربا من أضرب نوع من البديع يسميه الاستثناء [٣٩٦ صناعتين] ، وكذلك فعل ابن رشيق [٢/٤٥ العمدة] .

وهو الباب الخامس من أبواب البديع لابن المعتز . وهو فى المفتاح ص ١٨٠

(٢) الفلول جمع فل وهو الثلمة فى حد السيف . القراع . المضاربة . الكتائب جمع كتيبة وهى الجماعة المستعدة للقتال .

(٣) أى فى هذا الضرب .

(٤) أى فى مطلق الاستثناء لا فى كل استثناء لأن الأصل فى الاستثناء فى الضرب الثانى الانقطاع

تأكد المدح ، لكونه مدحا على مدح وإن كان فيه نوع من الخلابة .

[٢ —] والثانى أن يثبت لشىء صفة مدح ، ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له ، كقول النبى صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصح العرب بيدانى من من قريش » : وأصل الاستثناء فى هذا الضرب أيضا أن يكون منقطعا (١) لكنه (٢) باق على حاله لم يقدر متصلا فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثانى من الوجهين المذكورين ، ولهذا قلنا الأول (٣) أفضل

ومنه قول النابغة الجعدى

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا (٤)

وأما قوله تعالى (٥) (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما . إلا قيلا سلاما سلاما) فيحتمل الوجهين . . وأما قوله تعالى (لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما) فيحتملهما ، ويحتمل وجها ثالثا وهو أن يكون الاستثناء من أصله متصلا لأن معنى السلام

---

(١) أما الانقطاع فى الضرب الأول فلان محصله أن يستثنى من العيب خلافه فلم يدخل المستثنى فى جنس المستثنى منه . وأما الانقطاع فى الضرب الثانى فلانتفاء العموم فى المستثنى منه فيه

وقوله « أيضا » أى كما أن الاستثناء فى الضرب الأول منقطع لعدم دخول المستثنى فى المستثنى منه وهذا لا ينافى أن الأصل فى مطلق الاستثناء هو الاتصال ، لأن أصالة الانقطاع هى بالنظر لخصوص هذا الضرب وإصالة الاتصال نظرا لمطلق الاستثناء

(٢) لما كان الاستثناء منقطعا فى الضربين أراد يفرق بينهما ، وقوله (لكنه) أى الاستثناء المنقطع فى هذا الضرب

(٣) أى المفيد للتأكيد من وجهين

(٤) استشهد سيبويه بالبيت على نصب غير على الاستثناء المنقطع [٣٦٧ ج ١] وينسب أبو هلال البيت لجندل بن جابر الفزارى [ص ٣٩٦ صناعتين]

(٥) راجع ٦٢ من البديع

هو الدعاء بالسلامة، وأهل الجنة عن الدعاء بالسلامة أغنياء، فكان ظاهره من قبيل اللغو وفضول الكلام لولا ما فيه من فائدة الاكرام .

[٣ -] ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم ضرب (١) ثالث، وهو أن يأتى الاستثناء فيه مفرغا، كقوله تعالى (وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا)، أى وما تعيب منا إلا أصل المناقب والمفاخر كلها، وهو الايمان بآيات الله ونحوه قوله قل (يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا)، فان الاستفهام فيه للانكار . واعلم أن الاستدراك (٢) فى هذا الباب يجرى مجرى الاستثناء كما فى قول أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى (٣)

هو البدر إلا أنه البحر زاخر سوى أنه الضرغام، لكنه الوبل

— ٢٤ —

(تأكيد الذم بما يشبه المدح)

ومنه تأكيد الذم بما يشبه المدح .

---

(١) أرى أن يلحق بهذا النوع مثل قول عبد الله بن عباس لعمرو بن العاص: لك بيان وفيك خطل، ولك رأى وفيك نكد، ولك قدر وفيك حسد (راجع ٢١٣ ج ٢ بيان)

وهذا الضرب الثالث هو أن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح معمولا لفعل فيه معنى الذم فيكون الاستثناء مفرغا

(٢) أى المفهوم من لفظ لكن

(٣) يمدح خلف بن أحمد . والبيت فى المفتاح ص ١٨

فقوله إلا وسوى استثناء مثل (بيد أنى من قريش)

الضرغام : الأسد . الوبل المطر الغزير

وهو ضربان :

احدهما أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة فام ، بتقدير دخولها كقولك : «فلان لاخير فيه إلا أنه يسيء إلى من أحسن إليه »

وثانيهما أن يثبت للشيء صفة ذم ويعقب باداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له كقولك «فلان فاسق إلا أنه جاهل » . وتحقيق القول فيهما على قياس ماتقدم [١]

— ٢٥ —

[الاستتباع [٢]]

ومنه الاستتباع :

وهو المدح بشيء على وجه يستتبع [٣] المدح بشيء آخر

كقول أبى الطيب [٤] :

نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بأنك خالد

فانه مدحه ببلوغه النهاية فى الشجاعة ، إذ كثر قتلاه ، بحيث لو ورث أعمارهم

---

(١) فى تأكيد المدح بما يشبه الذم .

فالتأكيد فى الضرب الأول من وجهين ؛ وفى الثانى من وجه واحد .

(٢) ١٨١ مفتاح

(٣) أى يستلزم ، وقوله (هو المدح بشيء) أى كالنهاية فى الشجاعة ، على وجه يستتبع المدح بشى آخر أى ككونه سببا لصلاح الدنيا

(٤) راجعه فى ٤١١ صناعتين ، و ١٨١ مفتاح ، ٥٩ الابانة عن سرقات المتنبى للعميدى

هذا وراجع باب المضاعفة فى الصناعتين ص ٤١١ . . . والمضاعفة عنده تشمل الاستتباع وكذلك تشمل الادماج الآتى

لخلد فى الدنيا ، على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا ونظامها ، حيث جعل الدنيا مهنأة بخلوده . . قال على بن عيسى الربعى(١) : وفيه وجهان آخران من المدح : أحدهما أنه نهب الأعمار دون الأموال . الثانى أنه لم يكن ظالما فى قتل أحد من مقتوليه ، لأنه لم يقصد ذلك إلا صلاح الدنيا وأهلها ، فهم مسرورون ببقائه

- ٢٦ -

(الادماج (٢))

ومنه الادماج :

وهو أن يضمن كلام سيق لمعنى (٣) آخر (٤) فهو أعم من الاستتباع (٥) ومثاله قول أبى الطيب :

---

(١) عالم لغوى نحوى أديب توفى نحو ٤٢٥ هـ

(٢) راجع ص ٢٦٥ ج ٣ زهر الآداب . يقال أدمج الشىء فى ثوبه إذا لفه فيه

(٣) أى مدحا كان أو غيره

(٤) المراد الجنس أعم من أن يكون واحدا كما فى البيت أو أكثر كقوله « ولا بد لى من جهلة فى وصاله الخ » فقد أدمج فى الغزل الفخر بكونه حليما حيث كنى عن ذلك بالاستفهام عن وجود خليل صالح يودعه حلمه ، وضمن الفخر بالحلم الشكوى من الزمان لتغير الاخوان حيث أخرج الاستفهام مخرج الانكار . ثم المعنى الآخر وهو المضمن المدموج يجب ألا يكون مصرحا به ولا يكون فى الكلام إشعار بأنه مسوق لأجله وإلا لم يكن ذلك من الادماج

وقوله معنى آخر مفعول ثان ليضمن وقد أسند إلى المفعول الأول ، أى أن يجعل المتكلم الكلام الذى سيق لمعنى متضمنا لمعنى آخر فالمعنى الآخر ملفوف فى الكلام

(٥) لشموله المدح وغيره فى حين أن الاستتباع خاص بالمدح ، وقيل الاستتباع لا يختص بالمدح فيكون مساويا للادماج

أقلب فيه أجفانى كأنى أعد بها على الدهر الذنوبا

فانه ضمن وصف الليل بالطول (١) الشكاية من الدهر (٢) .

وقول ابن المعتز (٣) فى الخيرى (٤) :

قد نفض العاشقون ما صنع الهجـــر بألوانهم على ورقه

فان الغرض وصف الخيرى بالصفرة ، فادمج الغزل فى الوصف . وفيه وجه آخر من الحسن ، وهو إيهـام الجمع بين متنافيين ، اعنى الايجـاز والاطناب : اما الايجاز فمن جهة الادماج ، وأما الاطناب فلان أصل المعنى أنه أصفر فاللفظ زائد عليه لفائدة . . . ومنه قول ابن نباتة :

ولا بد لى من جهلة فى وصاله فمن لى بخل أودع الحلم عنده

فانه ضمن الغزل الفخر بكونه حليما المكنى عنه بالاستفهام عن وجود خل صالح لأن يودعه حلمه ، وضمن الفخر بذلك باخراج الاستفهام مخرج الانكار شكوى الزمان لتغير الاخوان ، حتى لم يبق فيهم من يصلح لهذا الشأن ، ونبه بذلك على أنه لم يعزم على مفارقة حلمه جملة أبدا ، ولكن إذا كان مريدا لوصل هذا المحبوب المستلزم للجهل المنافى للحلم عزم على أنه ان وجد من يصلح لأن يودعه حلمه أودعه إياه ، فان الودائع تستعاد .

---

(١) المأخوذ من قوله « أقلب فيه أجفانى » .

(٢) المأخوذة من قوله « كأنى » فقد حصل بتلك الشكاية الادماج لأنها معنى تضمنه المعنى الذى سيق أولا مع عدم التصريح بها وعدم اشعار الكلام بأنه مسوق لأجلها .

(٣) نسبه المرزبانى لعلى بن محمد التغلبى فى ٢٩٣ معجم الشعراء .

(٤) هو ورد أصفر .

ومنه قول الآخر يهنىء بعض الوزراء لما استوزر(١) :

أبى دهرنا اسعافنا فى نفوسنا وأسعفنا فيمن نحب ونكرم

فقلت له نعماك فيهم أنمهـــا ودع أمرنا إن المهم المقدم

فانه أدمج شكوى الزمان وما هو عليه من اختلال الأحوال فى التهنئة ، وفيه نظر : لأن شكوى الزمان مصرح بها فى صدره ، فكيف تكون مدمجة ؟ ولو عكس فجعل التهنئة مدمجة فى الشكوى أصاب (٢).

— ٢٧ —

التوجيـــه (٣)

ومنه التوجيه :

وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين(٤) مختلفتين ، كقول من قال (٥) لأعور يسمى عمرا

خاطر لى عمرو قبـــاء ليت عينيـــه ســـواء.

وعليه قوله تعالى « واسمع غير مسمع وراعنا ، قال الزمخشرى

١ ـ غير مسمع حال من المخاطب ، أى اسمع وانت غير مسمع ، وهو قول ذو وجهين:

---

(١) هما لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر المتوفى عام ٣٠٠هـ فى سليمان بن وهب لما وزر (٣٢ ج ٤ زهر الآداب ، والمنتحل للثعالبى) وراجعهما فى ١١٧ حسن التوسل .

(٢) ولا ينافى هذا كون المقصود بالذات هو التهنئة ، لأن القصد الذاتى لا ينافى ذلك المقصود بطريق الادماج .

(٣) راجع ١٨٠ مفتاح

(٤) أى على حد سواء اذ لو كان أحدهما متبادرا لكان تورية لا توجيها

(٥) هو بشار بن برد ، وبعد البيت

فاسأل النـاس جميعـا أمديح أم هجـــاء .

[١ -] يحتمل الذم :

أى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت . لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مسمع ، قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم « لا سمعت » دعوة مستجابة

أو اسمع غير مجاب ماتدعو إليه ، ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك ، فكأنك لم تسمع شيئا

أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه ، فسمعك عنه ناب

ويجوز على هذا أن يكون « غير مسمع » مفعول (اسمع) أى اسمع كلاما غير مسمع اياك ، لأن اذنك لا تعيه نبواعنه

[٢-] ويحتمل المدح:

أى اسمع غير مسمع مكروها ، من قولك أسمع فلان فلانا إذا سبه

[ب -] وكذلك قوله « راعنا »

يحتمل راعنا نكلمك أى ارقبنا وانتظرنا . ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها ، وهى « راعينا » . فكانوا سخرية بالدين وهزأ برسول صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاحترام . . . ثم قال فان قلت كيف جاؤا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا[1] وعصينا ؟ ، قلت : جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ، ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ، ويجوز أن لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به

قال السكاكى[2] :

ومنه[3] متشابهات القرآن باعتبار[4]

---

(١) أى الزمخشرى

(٢) ١٨٠ مفتاح

(٣) أى من التوجيه

(٤) وهو احتمالها لوجهين مختلفين ، وتفارقه باعتبار آخر وهو عدم استواء =

— ٢٨ —

[الهزل الذى يراد به الجد[1]]

ومنه الهزل الذى يراد به الجد، فترجمته تغنى عن تفسيره، ومثاله قول الشاعر[2]

اذا ما تميمى أتاك مفـــاخرا فقل: عد عن ذا، كيف أكلك الضب

ومنه قول امرىء القيس:

= الاحتمالين لأن أحد المعنيين فى المتشابهات قريب والآخر بعيد لما ذكره السكاكى من ان اكثر متشابهات القرآن من قبيل التورية والايهام

ويجوز أن يكون وجه المفارقة هو أن المعنيين فى المتشابهات لا يجب تضادهما والصحيح أن الذى يكون توجيها من المتشابهات باعتبار هو البعض لا الكل

ملاحظة - قال الجاحظ:

فجنبك الجيوش أبازنيب وجاد على مسارحك السحاب

يجوز أن يكون دعاء عليه وأن يكون دعاء له [١٢٥ ج ٢ بيان]

وفى الوساطة:

فجنبت العوار ابا زنيب وجاد على محلتك السحاب

قال: قد يظن انه دعاء واستسقاء لأرضه وإنما مراده الدعاء عليه ان تهلك إبله فلا يملك منها ما يغار عليه وأن يجود السحاب على أرضه وهو يملق فيشتد أسفه على ماذهب من ماله [٣١٦ وساطة]

وقد عقد ابن عبد ربه فصلا لذلك عنوانه باب من الشعر يخرج معناه فى المدح والهجاء [١٠ ج ٤ العقد]

(١) راجعه فى البديع لابن المعتز ص ١٠٢ و ١١٣ شرح محمد عبد المنعم خفاجى وهو من ابتكار ابن المعتز واصطلاحه، وفى البيان تأليف الجاحظ مثل تصلح أن تكون من هذا النوع (راجع ٤٥ ج ٢ البيان)

(٢) هو ابو نواس

والضب لا يأكله اشراف الناس، فهو هزل يراد به الجد، وهو ذم تميم بذلك

وقد علمت سلمى وان كان بعلها بأن الفتى يهذى وليس بفعال (١)

— ٢٩ —

[تجاهل العارف (٢)]

ومنه تجاهل العارف، وهو كما سماه السكاكى : « سوق المعلوم مساق غيره »، لنكتة :

كالتوبيخ فى قول الخارجية (٣)

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

والمبالغة فى المدح فى قول البحترى :

ألمع برق سرى أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى

أوفى الذم فى قول زهير :

وما أدرى وسوف إخال أدرى أقوم آل حصن أم نساء

---

(١) اسم كان مستتر يعود على المهجو

والشاهد فى البيت قوله « وليس بفعال » فظاهره هزل ولكنه يراد به الجد وهو هجو زوجها

هذا وراجع فى (ص٥٦ ج١ زهر الآداب) مثالا لهذا النوع

(٢) هو من ابتكار ابن المعتز واصطلاحه (راجع ١١١ و١١٢ البديع، وتبعه ابو (٣٨٧ - ٣٨٩ صناعتين)

وراجع فيه ص١٦٥ مطول، ١ ج٣٨٤ الكامل للمبرد، و٥ ج ٢ السبكى، وكذلك ٢٠٦ ج ٢ المرجع

(٣) هى ليلى بنت طريف ترثى أخاها الوليد حين قتله يزيد بن مزيد الشيبانى.. الخابور : نهر بالجزيرة يصب فى الفرات

والبيت فى ١٨٠ مفتاح و١٠ ج٤ زهر الآداب، ١٥٨ صناعتين، ٨٣ مفتاح أيضا

والتدله فى الحب فى قول الحسين بن عبد الله الغزى (١)

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاى منكن أم ليلى من البشر

وقول ذى الرمة (٢):

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا أنت أم أم سالم

والتحقير فى قوله تعالى فى حق النبى صلى الله عليه وسلم حكاية عن الكفار (هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد)، كأن لم يكونوا يعرفون منه إلا أنه رجل.

والتعريض (٣) فى قوله تعالى: «وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين»، وفى مجىء هذا اللفظ على الإبهام فائدة أخرى، وهى أنه يبعث المشركين على الفكر فى حالة انفسهم وحال النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين؛ وإذا فكروا فيما هم عليه من إغارات بعضهم على بعض؛ وسبى ذراريهم واستباحة أموالهم، وقطع الارحام وإتيان الفروج الحرام، وقتل النفوس التى حرم الله قتلها، وشرب الخمر الى تذهب العقول وتحسن ارتكاب الفواحش؛ وفكروا فيما النبى عليه السلام والمؤمنون عليه من صلة الأرحام، واجتناب الآثام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واطعام المساكين وبر الوالدين، والمواظبة على عبادة الله تعالى، علموا أن النبى عليه السلام والمسلمين على هدى، وأنهم على الضلالة، فبعثهم ذلك على الاسلام، وهذه فائدة عظيمة.

---

(١) وينسب ايضا لذى الرمة. كما ينسب للعرجى (٣٨٨ صناعتين)، وللمجنون وتجده فى ٣٨٨ صناعتين، ٣٠٦ ج ٢ السبكى.. والقاع: المستوى من الأرض

(٢) راجعه فى ٢/٤٩ الكامل للمبرد، ١٦٨ ج ٢ الكتاب لسيبويه: الوعساء الرابية اللينة من الرمل «وتنبت احرار البقول. جلاجل، والنقا: موضعان.

(٣) راجع ٢٦٥ ج ٢ السبكى.

- ٣٠ -

[القول بالموجب (١)]

ومنه القول بالموجب :

وهو ضربان :

أحدهما : أن تقع صفة (٢) فى كلام الغير (٣) كناية عن (٤) شىء (٥) أثبت له حكم (٦) فتثبت فى كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشىء (٧) من غير تعرض لثبوت

---

(١) هو بكسر الجيم اسم فاعل لأن المراد به الصفة الموجبة للحكم ، وبفتح الجيم اسم مفعول إن اريد به القول بالحكم الذى أوجبته الصفة والمراد بالقول الاعتراف أى اعتراف المتكلم بالصفة الموجبة للحكم فى كلام المخاطب مع كونه نافيا لمقصوده من إثباتها لغير من أثبتها له المخاطب أو مع حمل كلامه على خلاف المقصود .

(٢) أى كالأعز : (٣) كالمنافقين

(٤) أى دالة على شىء وهو فريقهم ، فالمراد بالكناية العبارة لا المعنى الاصطلاحى للفظ كناية وهو اللفظ المستعمل لينتقل منه إلى اللازم مع جواز ارادة الملزوم إذ ليس دلالة الأعز على فريقهم بطريق الكناية إذ لا لزوم بين مفهوم الأعز وفريق المؤمنين . ويحتمل أن يراد بها المعنى الاصطلاحى ويكفى فى اللزوم اعتقادهم اللزوم . ثم المراد بالصفة الواقعة كناية فى الآية مايدل على ذات باعتبار معنى كالأعز والصفة التى روعى اثباتها للغير المعنى القائم بالغير كالعزة فاختلفت الصفتان ففى الكلام استخدام .

(٥) أى لذلك الشىء .

(٦) أى تقتضيه تلك الصفة لكونها نعتا كالأخراج للمؤمنين .

(٧) كالله ورسوله .

ذلك الحكم له أو انتفائه (١) عنه ، كقوله تعالى : « يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، فانهم كنوا بالاعز عن فريقهم، وبالاذل عن فريق المؤمنين ، وأثبتوا الاعز الاخراج، فأثبت الله تعالى فى الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، من غير تعريض لثبوت حكم الاخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم .

والثانى حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله (٢) بذكر متعلقه (٣) كقوله :

قلت ثقلت إذ أتيت مرارا ... قال : ثقلت كاهلى بالايادى
قلت طولت قال لا بل تطولـ ... ـت، وأبرمت، قال حبل وادى (٤)

والاستشهاد بقوله ثقلت وأبرمت ، دون قوله طولت (٥)
ومنـــه قول القاضى الارجانى .

غالطتنى إذ كست جسمى الضنا ... كسوة عرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندى فى الهوى ... مثل عينى، صدقت لكن سقاما

وكذا قول ابن دويدة المغربى من أبيات، يخاطب بها رجلا أودع بعض القضاة

---

(١) فلو تعرض للحكم اثباتا أو نفيا خرج الكلام عن القول بالموجب .

(٢) أى حال كون خلاف مراده مما يحتمله ذلك اللفظ أى من المعانى التى يحتملها ذلك اللفظ احتمالا حقيقيا أو مجازيا بان يكون اللفظ صالحا لذلك المعنى الذى حمل عليه وإن كان لم يرد ، فلو كان اللفظ غير صالح له كان الحمل عليه عبثا لا بديعا

(٣) اى وحمل اللفظ على الخلاف المحتمل بسبب ذكر متعلق ذلك اللفظ

(٤) البيتان لابن حجاج وينسبان أيضا لمحمد بن ابراهيم الأسدى .

(٥) فليس من القول بالموجب لأنه رد عليه بقوله « لا » وأثبت شيئا آخر هو التطول وهو غير التطويل .

مالا ، فادعى القاضى ضياعه .

إن قال قد ضاعت فيصدق ، إنها ضاعت ولكن منك يعنى لو تعى
أو قال قد وقعت فيصدق ، إنها وقعت ولكن منه أحسن موقع

وقريب من هذا قول الآخر :

واخوان حسبتهم دروعا فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهم سهاما صائبات فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ولكن من ودادى (١)

والمراد البيتان الاولان ، ولك أن تجعل نحوهما ضربا ثالثا .

---

(١) راجع مثالا شبيها بذلك فى ص ٢٦١ ج ٣ البيان والتبيين والأبيات لعلى بن فضالة القيروانى م ٤٧٩ هـ ، ونسبا أيضا لابن الرومى .

ملاحظة :

هذا النوع الثانى من القول بالموجب هو الاسلوب الحكيم [٣١١ ج ٤ و ٤٨٠ ج ١ ابن السبكى] .

ملاحظة :

قوله « بذكر متعلقه » المراد بالمتعلق هنا ما يناسب المعنى المحمول عليه سواء كان متعلقا اصطلاحيا كالمفعول والمجرور أولا ، فالأول كالبيت ، والثانى كقوله :

لقد بهتوا لما رأونى شاحبا فقالوا به عين فقلت وعارض

أرادوا بالعين إصابة العائن وحمله على اصابة عين المعشوق بذكر ملائمه وهو العارض فى الاسنان التى هى كالبرد .

والحمل على خلاف المراد تارة يكون باعادة المحمول كالبيت « قلت ثقلت » وتارة يكون بدون اعادته كما فى البيت الذى ذكرنا .

وقد جعل السبكى الضرب الأول من القول بالموجب من المذهب الكلامى والضرب الثانى من الاسلوب الحكيم ، وجعل بيت المشاكلة « اطبخوا لى جبة » من القول بالموجب .

— ٣١ —

[الأطراد (١)]

ومنه الاطراد :

وهو أن يأتى باسماء الممدوح أو غيره وآبائه (٢) على ترتيب الولادة من غير تكلف فى السبك ، حتى تكون الاسماء فى تحدرها كالماء الجارى فى اطراده وسهولة انسجامه كقول الشاعر (٣)

ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب

وقول دريد بن الصمة :

قتلنا بعبد الله خير لداته ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

وفيه تعرض للمقتول به ، ولشرف المقتول ، قيل لما سمعه عبد الملك بن مروان قال : لولا القافية لبلغ به آدم .. ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الكريم بن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم »

(انتهت المحسنات المعنوية)

الجناس بين اللفظين :(٤)

---

(١) الصحيح أنه من البديع اللفظى

(٢) أى وأسماء آبائه

فان قيل هذا من تتابع الاضافات فكيف يعد من المحسنات ؟ قلنا : قد تقرر أن تتابع الاضافات إذا سلم من الاستكراه ملح ولطف ، وما هنا من هذا القبيل

(٣) هو لربيعة والد ذؤاب قاله لما قتل عتيبة فقتله قوم عتيبة به (١٢٦ المؤتلف للآمدى ؛ هامش البيان والتبيين ص ١١ ج ٣ ، ٣٥٤ ج ١ الحماسة ، ١٤ ج ٢ الكامل للمبرد ، وفى العقد ٦٧ ج ٣ تفصيل كثير لذلك)

والبيت فى ص ٢ ص الامالى ، ١٦٩ دلائل أيضا

(٤) راجع ٥ - ١٤ من الأسرار ، ٤٠١ - ٤٠٣ دلائل ، ٣١٠ صناعتين وراجع باب التعطف فى الصناعتين ص ٤٠٧

وراجع ١٨١ مفتاح . والجناس مصدر جانس

[المحسنات اللفظية -]

[١- الجناس بين اللفظين]

وهو تشابههما فى اللفظ :(١)

[١ —] والتام منه (٢) :

إن يتفقا (٣) فى أنواع الحروف(٤) وعددها (٥) وهيئتها (٦) وترتيبها (٧)

---

(١) أى فى التلفظ اى فى النطق بهما بأن يكون المسموع منهما متحد الجنسية كلا أو جلا لا بعضا كلام الكلمة أو عيبها أوفائها ، ويحتمل أن المراد اللفظ مرادا به ذات اللفظين أى حروفهما فيكون المراد تشابه اللفظين فى حروفهما كلا أو جلا . ثم إن التشابه المذكور لابد فيه من اختلاف المعنى فخرج ما إذا تشابها من جهة المعنى فقط نحو أسد وسبع فليس بينهما جناس وكذلك ما إذا تشابها فى اللفظ والمعنى كالتأكيد اللفظى نحو قام قام زيد فلا جناس بينهما ، وكذلك يخرج ما اذا تشابها فى مجرد عدد الحروف نحو ضرب وعلم أوفى مجرد الوزن (ويلزمه التشابه فى العدد) نحو ضرب وقتل

هذا والفرق بين التجنيس والتكرير أن الثانى تتحد الألفاظ المكررة فيه فى المعنى بعكس الأول (٤٤ وساطة)

(٢) أى من الجناس

(٣) أى اللفظان

(٤) فكل من الحروف التسعة والعشرين نوع ، وبهذا يخرج نحو يفرح ويمرح فالجناس بينهما ليس تاما بل لاحقا

(٥) ولا اعتبار بكون الحرف المشدد بحرفين

وبذكر الاتفاق فى العدد يخرج نحو الساق والمساق فالجناس بينهما ناقص لا تام

(٦) وبه يخرج نحو البرد والبرد ، فان هيئة الكلمة هى كيفية حاصلة لها باعتبار الحركات والسكنات، والأولى ان يقول : فى هيئة الحروف لأن الكلام فى هيآت الحروف ، وهى كيفية حاصلة لها باعتبار حركاتها وسكناتها سواء اتفقت أنواع=

[ا —] فان كانا[١] من نوع واحد كاسمين [٢] سمى مماثلا[٣] ، كقوله تعالى « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة[٤] » ، وقول الشاعر[٥]

حدق الآجال آجال والهوى للمرء قتال

الأول جمع إجل بالكسر وهو القطيع من بقر الوحش ، والثانى جمع أجل والمراد به منتهى الأعمار ، وقول أبى تمام :

اذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا

صدور العوالى فى صدور الكتائب[٦]

= الحروف أو اختلفت، لا فى هيئة الكلمة، وهى كيفية حاصلة باعتبار حركات الحروف وسكناتها وتقديم بعضها على بعض ، وحركة لام الكلمة أو سكونها غير معتبر هذا فنحو ضرب وقتل على هيئة واحدة مع اختلاف الحروف بخلاف نحو ضرب وضرب مبنيين للفاعل وللمفعول فانهما على هيئتين مع اتحاد الحروف

(٧) أى تقديم بعض الحروف على بعض وتأخيره عنه ، وبه يخرج نحو الحتف والفتح

(١) أى اللفظان المتفقان فى جميع ماذكر (٢) أو فعلين أو حرفين

(٣) راجع ١٠ ، صناعتين

(٤) الساعة صارت حقيقة عرفية فى القيامة فلا يرد أنه لاجناس بين اللفظ الحقيقى ومجازيه . ثم لاعبرة بلام التعريف ، ومثال الجناس بين فعلين : قال فلان ثم قال كذا ، الأول من القيلولة والثانى من القول ، ومثال الجناس بين الحرفين قد يجود الكريم وقد يعثر الجواد فالأولى للتكثير والثانية للتقليل

(٥) هو أبو سعيد المخزومى شاعر عباسى مقل عاصر دعبلا وهجاه [١٧ ج ٣ البيان] ، والبيت فى ٢٦٠ معجم الشعراء

(٦) جابت خرقت . قسطل الحرب : غبارها الساطع فيها . صدعوا : أمالوا . العوالى : الرماح جمع عالية . صدور العوالى أعاليها وصدور الكتائب نحورها

[ب -] وان كانا من نوعين كاسم وفعل [١] سمى مستوفى ، كقول أبى تمام أيضا [٢] :

مامات من كرم الزمان فانه يحيا لدى يحيى بن عبد الله

ونحوه قول الآخر [٣]

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل

والتام أيضا إن كان أحد لفظيه [٤] مركبا سمى جناس التركيب [٥] :

[ا -] ثم ان كان المركب منهما مركبا من كلمة وبعض كلمة سمى مرفوا ، كقول الحريرى [٦]

---

(١) او اسم وحرف أو فعل وحرف

(٢) البيت فى ص ١٢ الأسرار ، وص ٤٤ وساطة . ويحيا الأول فعل والثانى اسم

(٣) هو محمد بن كناسة الأسدى فى رثاء ولده يحيى (٢٦ البديع لابن المعتز ، ١٩١ ج ٢ زهر الآداب)

(٤) أى لفظى الجناس التام

(٥) وان لم يكن كذلك فهو ما مر من المتماثل والمستوفى والمراد بكون أحد اللفظين مفردا ان يكون كلمة واحدة والمراد بكونه مركبا أن لا يكون كلمة واحدة بل كلمتين لا كلمة وجزء كلمة أخرى فان هذا اسمه المرفو . . أما إذا كان كل من كلمتيه المتجانستين مركبتين فهو جناس التلفيق مثل « ارى قدمى أراق دمى »

(٦) الوبل : المطر الغزير . المصاب مصدر صاب المطر صوبا ومصابا إذا انصب ، الحمام : الموت . الصاب شجر مر واحده صابة هذا وفى زهر الآداب (٨٥ و ٨٦ ج ٢ و ٨٧ ج ٢) أيضا مثل لهذا النوع من الجناس

ملاحظة : الخلاصة ان جناس التركيب إما :

١ - مرفو : وهو ان يكون الجناس بين لفظين : مفرد ، ومركب من كلمة وبعض أخرى

ولا تله عن ذكر ذنبك وابكه بدمع يحاكى الوبل حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه وروعة ملقاه ومطعم صابه

[ب -] وإلا [1] :

(١) فان اتفقا فى الخط سمى متشابها كقول أبى الفتح البستى :

اذا ملك لم يكن ذاهبة فدعه فدولته ذاهبة[2]

(٢) وان اختلفا سمى مفروقا كقول أبى الفتح أيضا :

كلكم قد أخذ الجا م ـ ولا جام لنا
ما الذى ضر مدير الـ جام لو جاملنا[3]

وقول الآخر[4]

لا تعرضن على الرواة قصيدة ما لم تبالغ قبل فى تهذيبها
فمتى عرضت الشعر غير مهذب عدوه منك وساوسا تهذى بها

ووجه حسن هذا القسم أعنى التام حسن الافادة مع أن الصورة صورة الاعادة

= ٢ ـ تلفيق : وهو أن يكون كل من لفظى الجناس مركبا من كلمتين

٣ ـ متشابه أو مفروق : إذا كان أحد اللفظين مفردا والآخر مركبا من كلمتين

(١) أى والا يكن المركب منهما مركبا من كلمة وبعض أخرى ، بأن كان مركبا من كلمتين

(٢) البيت فى المفتاح ص ١٨١ ، و « ذاهبة » الأولى بمعنى صاحب هبة وعطاء ، والثانية بمعنى زائلة غير باقية

(٣) البيت فى المفتاح ص ١٨١ . الجام : الكاس : جاملنا من المجاملة وهى المعاملة بالجميل

(٤) هو المطوعى الشاعر

[٢ -] وان اختلفا فى هيآت الحروف فقط[١] سمى محرفا ثم الاختلاف قد يكون فى الحركة فقط كالبرد والبرد فى قولهم ، جبة البرد . . جنة البرد وعليه قوله تعالى (ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين). قال السكاكي[٢] وكقولك الجهول اما مفرط أو مفرط[٣] والمشدد فى هذا الباب[٤] يقوم مقام المخفف نظرا إلى الصورة فاعلم وقد يكون فى الحركة والسكون كقولهم البدعة شرك الشرك وقول ابى العلاء:

والحسن يظهر فى بيتين رونقه بيت من الشعر أو بيت من الشعر

(٣ -)وان اختلفا فى أعداد الحروف[٥] فقط سمى ناقصا ، ويكون ذلك على وجهين: احدهما ان يختلفا بزيادة حرف واحد: فى الأول كقوله تعالى: « والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق) ، أو فى الوسط كقولهم جدى جهدى ، أو فى الاخر كقول أبى تمام[٦]

يمدون من أيد عواص عواصم تصول باسياف قواض قواضب

وقول البحترى[٧] :

---

(١) أما إن كان الاختلاف فى الهيئة « الشكل » والنقط مثل يحسنون ويحسبون فهو جناس التصحيف

(٢) ١٨١ مفتاح

(٣) باعتبار أن الفاء فى أحدهما ساكن وفى الآخر مفتوح (٤) أى باب التجنيس

(٥) بأن يكون فى أحد اللفظين حرف زائد أو أكثر إذا سقط حصل الجناس التام

(٦) راجع ص ١١٣ أسرار ، ٤٤ وساطة

عواص : جمع عاصية من عصاه إذا ضربه بالعصا والمراد بها هنا السيف أو من العصيان بمعنى عواص على الاعداء . عواصم : حافظات الأولياء جمع عاصمة تصول . تسطو . قواض: قاتلات من قضى عليه إذا قتله . قواضب . قواطع

(٧) البيت فى الاسرار ص ١٣ .

صدفت : أعرضت : صواد : من الصدى وهو العطش الشديد

لئن صدفت عنا فربت أنفس صواد إلى تلك الوجوه الصوادف

ومنه ما كتب به بعض ملوك المغرب [١] إلى صاحب له يدعوه إلى مجلس أنس له:

أيها الصاحب الذى فارقت عيـ ـنى ونفسى منه السنا والسناءا
نحن فى المجلس الذى يهب الرا حة والمسمع الغنى والغناءا
نتعاطى الى تنسى من اللذة والرقـة الهـوى والهواءا
فاته تلف راحة ومحيـا قد أعدا لك الحيا والحياءا

وربما يسمى هذا القسم [٢] أعنى الثالث [٣] مطرفا، ووجه حسنه أنك: تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالميم من عواصم انها هى التى مضت وانما اتى بها للتأكيد حتى اذا تمكن آخرها فى نفسك ووعاه سمعك انصرف عنك ذلك التوهم، وفى هذا حصول الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها.

الوجه الثانى: أن يختلفا بزيادة اكثر من حرف واحد كقول الخنساء:

إن البكاء هو الشفا ء من الجوى بين الجوانح

وربما سمى هذا الضرب مذيلا

---

(١) الابيات للمعتمد بن عباد كتبها إلى محمد بن الطبيب المصرى [ص ٦ فلائد العقيان]

السنا: النور: السناء: الرفعة. الراحة: راحة الكف. المسمع: الأذن. الراحة: الارتياح. المحيا الوجه. الحيا: المطر والمراد به العطاء.

(٢) وهو الجناس الناقص

ويسميه العسكرى تطريزا (٤٢١ صناعتين) وسمى مطرفا لتطرف زياد فيه أى وقوعها فى الطرف.

(٣) وهو ما كان مثل ء الجوى والجوانح ء

[٤ -] وإن اختلفا فى أنواع الحروف اشترط أن لا يقع الاختلاف بأكثر من حرف (١) :

[أ -] ثم الحرفان المختلفان إن كانا متقاربين سمى الجناس مضارعا ، ويكون : أما فى الأول كقول الحريرى « بينى وبين كنى (٢) ليل دامس وطريق طامس وإما فى الوسط كقوله تعالى « وهم ينهون عنه وينأون عنه » ، وقول بعضهم « البرايا أهداف البلايا » .

وإما فى الآخر كقول النبى (٣) (ص) : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة »

[ب -] وإن كانا غير متقاربين سمى لاحقا ، ويكونان أيضا :

إما فى الأول (٤) : كقوله تعالى « ويل لكل همزة (٥) لمزة ، وقول بعضهم

---

(١) والا لبعد التشابه بينهما ولم يبق الجناس كما مضى نصر ونكل .

(٢) أى منزلى .

(٣) راجع ٣١ جـ ٢ البيان .

ملاحظة :

لا يخفى تقارب الدال والطاء فى « دامس وطامس » فى المخرج لأنهما من اللسان مع أصل الأسنان .

ولا يخفى أيضا تقارب الهاء والهمزة فى « ينهون وينأون » فى المخرج إذ هما حلقيان .

ولا يخفى أيضا تقارب اللام والراء « فى الخيل والخير » فى المخرج لأنهما من الحنك واللسان .

(٤) ومنه قول المتنبى العبدى :

هل للفتى من بنات الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من راق

ومنه قول البحترى :

ولم يكن المغتر بالله إذ شرى ليعجز والمعتز بالله طالبه =

« رب وضى غير رضى » ، وقول الحريرى « لا أعطى زمامى لمن يخفر ذمامى » .

وإما فى الوسط : كقوله تعالى « ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون [١] » ، وقوله تعالى (وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد) .

وإما فى الآخر : كقوله تعالى (فإذا جاءهم أمر من الأمن [٢]) ، وقول البحترى :

هل لما فات من تلاق تلاف أم لشاك من الصبابة شاف [٣]

[٥ -] وإن اختلفا فى ترتيب الحروف سمى جناس القلب ، وهو ضربان : قلب الكل كقولهم [٤] حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه ، وقلب البعض كما جاء فى الخبر : اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا ، وقول بعضهم : رحم الله امرأ أمسك ما بين فكيه وأطلق ما بين كفيه [٥] وعليه قول أبى الطيب :

---

(٥) فاللام والهاء متباينان ومتباعدان فى المخرج لأن الهاء من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان . والهمز : الكسر . واللمز : الطعن . وشاع استعمالهما فى الكسر من أعراض الناس والطعن فيها .

(١) فى عدم تقارب الفاء والميم نظر ، فانهما شفويتان وحينئذ فالجناس بينهما مضارع .

(٢) فالراء والنون متباعدان فى المخرج وفيه نظر بل هما متقاربتان حتى إنه يجوز إدغام أحدهما فى الأخرى لأنهما من حروف الذلاقة (مر بنفل) وهى تخرج من طرف اللسان .

(٣) البيت فى الصناعتين ص ٣٢٤ .

(٤) وللعباس بن الأحنف :

حسامك فيه للأحباب فتح ورمحك فيه للأعداء حتف

(٥) ومثل هذا قول أعرابى : « أعوذ بك من سقم وعدواه وذى رحم ودعواه

ممنعة منعمة رداح يكلف لفظها الطير الوقوعا [١]

وإذا وقع أحد المتجانسين جناس القلب فى أول البيت والآخر فى آخره سمى مقلوبا مجنحا [٢] وإذا ولى أحد المتجانسين [٣] الآخر سمى مزدوجا ومكررا ومرددا كقوله تعالى (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) وما جاء فى الخبر « المؤمنون هينون لينون » ، وقولهم من وجد وجد ، وقولهم « من قرع بابا ولج ولج ، وقولهم النبيذ بغير النغم غم وبغير الدسم سم » وقوله [٤] :

يمدون من أيد عواص عواصم تصول باسياف قواض قواقب

واعلم أنه يلحق بالجناس شيئان :

أحدهما أن يجمع اللفظين الاشتقاق [٥] كقوله تعالى :

فأقم وجهك للدين القيم [٦] وقوله تعالى (فروح وريحان) ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم (الظلم ظلمات يوم القيامة) ، وقول الشافعى [٧] الشافعى

---

(١) الممنعة : أى من يمنعها أهلها ويحمونها . رداح : ضخمة الأرداف أو ثقيلة الأوراك :

(٢) لأن اللفظين بمنزلة جناحين للبيت كقوله :

لاح أنوار الهدى من كفه فى كل حال

(٣) بأى نوع من أنواع التجانس من القلب أو غيره وهذا النوع قريب مما يسميه العسكرى مجاورة (١ ٤ صناعتين) .

(٤) هو لابى تمام وقد سبق .

(٥) وهو توافق الكلمتين فى الحروف الاصول مع الاتفاق فى أصل المعنى

(٦) فانهما مشتقان من قام يقوم .

(٧) ليست هذه الرواية مروية عن الشافعى بل عن عبدالله بن ادريس كما فى البديع لابن المعتز ، وهو غير الشافعى ، وقد أخطأ الخطيب وعبدالقاهر فى نسبتهما للشافعى [وراجعها فى ١٨ من الأسرار]

رضى الله عنه وقد سئل عن النبيذ : (أجمع أهل الحرمين على تحريمه) ، وقال أبو تمام :

[وأبحدتم من بعد إتهام داركم] فيادمع أنجدنى على ساكنى نجد (١)

وقول البحترى :

يعشى عن المجد الغبى ولن ترى فى سودد أريا لغير أريب (٢)

وقول محمد بن وهيب :

قسمت صرف الدهر بأسا ونائلا فما لك موتور وسيفك واتر

والثانى أن يجمعهما المشابهة وهى مايشبه (٣) الاشتقاق وليس به ، كقوله تعالى (اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة) ، وقوله تعالى : قال إنى لعملكم من القالين ، وقوله تعالى (وجنى الجنتين دان) ، وقول البحترى :

وإذا ما رياح جودك هبت صار قول العذول فيها هباء

---

(١) البيت فى الأسرار ص ١٠ .

(٢) « « « ص ٨ .

(٣) أى وهى إتفاق يشبه الاشتقاق وليس بإشتقاق .

ملاحظة :

التجنيس يذكره أرسطو فى خطابته ويحدده بأن يكون المكرر وإن كان لفظين فى المسموع فهو مختلف فى المفهوم : وذلك هو ماذكره قدامة فى تعريفه لهذا اللون الذى سماه « المطابق والمجانس » [٩٦ نقد الشعر] ، وسبقه لى ذلك أستاذه ثعلب حيث ذكر المطابق وعرفه بأنه تكرر اللفظة بمعنيين مختلفين [٢٤ قواعد الشعر]

كما بين أرسطو بلاغته وأثره فى الكلام مما احتذاه فيه عبد القاهر فى الإسرار [٥ و ١٢ و ١٤ الأسرار] .=

. . . . . .

= والجاحظ لا يعرف ذلك اللون ولا يذكر شيئا عنه ويمر بمثال بليغ للتجنيس [٢١٨ جـ ١ البيان] فلا يذكر عن هذا الاصطلاح شيئا .

وكان العجاج يسمى هذا الباب « عطف الرجز [٢٩٩ جـ ١ العمدة] وألف الأصمعى كتاب الأجناس [٥ البديع] ، وكان الأصمعى يدفع قول العامة : هذا مجانس لهذا ، إذا كان من شكله ، ويقول : « ليس بعربى خالص » [٢٩٩ جـ ١ العمدة] .

وابن المعتز هو أهم من درس التجنيس وجمعه ، قال :

التجنيس أن تجىء الكلمة تجانس أخرى فى بيت شعر أو كلام ، والمجانسة أن تشبه اللفظة اللفظة فى تأليف حروفها على الوجه الذى ألف الأصمعى كتاب الأجناس عليه ، ولم تكن القدماء تعرف هذا اللقب . وقد صنف الناس فيه كتبا كثيرة وجعلوه أبوابا متعددة كابن المعتز والحاتمى والقاضى الجرجانى وقدامة وغيرهم [٩٨ المثل السائر] .

ولابن الحرون كتاب المطابق والمجانس [٢١٢ فهرست] ، وحقيقة التجنيس أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا كما يقول ابن الأثير ، ويجعل ابن الأثير أيضا رد العجز على الصدر ضربا من التجنيس [١٠٠ و ٩٨ المثل السائر]

وابن المعتز هو الواضع لهذا اللقب وهو أول من أفرد هذا الباب بالبحث والتأليف ، فقد عرفه ، وذكر أقسامه وأفاض فى ذكر شواهده ، وذكر مثلا لمعيبه وبذلك ينتهى الباب ، وقد تأثر أبو هلال خطى ابن المعتز فى هذا الباب [٥٥ — ٧٣ البديع — والصناعتين] .

بعض أمثلة للجناس :

جار الجار على حقوقى ،

وسميته يحيى ليحيـــا فلم يكن إلى رد أمر الله فيـــه سبيل =

. . . . . .

= فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر.

٤ - بنو العم لا بل هم بنو الغم والأذى وأعوان دهرى ان تظلمت من دهرى

خلاصة لأهم أنواع الجناس :

ا - جناس تام كما فى المثال الأول والثانى . ومثل قولك :

« يحار الطرف فى محاسن هذا الطرف الجميل

ب - جناس غير تام وهو أن يختلف اللفظان فى النطق بعض الاختلاف وذلك بأن يختلفا فى :

١ — حرف من حروف الكلمة مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » فقد اختلفا فى اللام والراء ، ومثل : تقهر وتنهر فى المثال الثالث ، والعم والغم فى المثال الرابع ومثل مقر ومفرو تفرح وتمرح وأوطان وأوطار .

٢ - أو فى عدد الحروف مثل :

الدار أعرفها ربى وربوعا لكن أساء بها الزمان صنيعا

ومثل قولك : هذا بناء ناء ، وقال مقالا ، ومثل الهوى والهوان ، وساه وساهر وكاف وكافل ، والقنا والقنابل .

٣ — أو فى شكل الحروف مثل : الجد فى الجد ، أى الحظ فى الاجتهاد ، ومثل الفلك والفلك وعبرة وعبرة .

٤ - أو فى ترتيب الحروف مثل « أمل وألم » وفتح وحتف ، ووعد وعود و « وعيد ووديع » ومبين ومنيب وسريع وسعير وكلام وكمال وصفائح وصحائف

شروط الجناس البليغ :

— ٢ —

[رد العجز على الصدر]

ومنه [١] رد العجز على الصدر [٢] :

وهو :

[ا -] فى النثر : أن يجعل أحد اللفظين المكررين [٣] أو المتجانسين [٤] أو الملحقين بهما [٥]، فى أول الفقرة، والآخر فى آخرها المعنى:

= ١ - أن يكون غير متكلف ٢ - وأن يطلبه المعنى

٣ - وأن تكون الكلمة التى فيها الجناس يطلبها الأسلوب والمقام .

مثل أخرى للجناس :

تعاهدتك العهاد ياطلل حدث عن الظاعنين مافعلوا

ألم تحزن على الربع المحيل وأطلال وآثار محول

طار نومى وعاود القلب عيد وأبى لى الرقاد حزن شديد

أشكو وأشكر فعله فأعجب لشاك منه شاكر

ان الهوى لهو الهوان .

لم ألق غيرك إنسانا ألوذ به فلا برحت لعين الدهر إنسانا

والتفت الساق بالمساق إلى ربك يومئذ الساق

من بحر جودك أغترف وبفضل علمك أعترف

(١) أى من المحسن اللفظى

(٢) راجع ١٧٩ الدلائل ، وكذلك ١٨١ و ١٨٢ دلائل أيضا

(٣) أى المتشابهين لفظا ومعنى

(٤) أى المتفقين لفظا لا معنى

(٥) أى بالمتجانسين بمعنى الذين يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق

كقوله تعالى : وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، وقولهم « الحيلة ترك الحيلة ، وكقولهم « سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل ، وكقوله تعالى : « استغفروا ربكم انه كان غفارا »

وكقوله تعالى « قال إنى لعملكم من القالين

[ب -] وفى الشعر : أن يكون أحدهما فى آخر البيت والآخر فى صدر المصراع الاول أو حشوه أو آخره أو صدر الثانى

فالأول كقوله [١] :

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعى الندى بسريع

ونحوه قول الآخر [٢] :

سكران: سكر هوى وسكر مدامة أنى يفيق فتى به سكران ؟

والثانى كقول الحماسى [٣] :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

ونحوه قول أبى تمام :

ولم يحفظ مضاع المجد شىء من الأشياء كالمال المضاع

والثالث : كقوله(٤) أيضا .

ومن كان بالبيض الكواعب مغرما فما زلت بالبيض القواضب مغرما

---

(١) هو الاقيشر . وقد مضى البيت فى حذف المسند اليه ، وهو فى الصناعتين (٣٧٨)

(٢) هو الخليع الدمشقى

(٣) هو صمة بن عبد الله القشيرى [٦٥ هـ ٢ حماسة] . والعرار : هى وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة

(٤) أى كقول أبى تمام

والرابع ؛ كقول الحماسى (١)

وإن لم يكن إلا معرج ساعة قليلا فانى نافع لى قليلها

والخامس كقول القاضى الأرجانى .

دعانى من ملامكما سفاها فداعى الشوق قبلكما دعانى

وقول الآخر .

سل سبيلا فيها إلى راحة النف س براح كأنها سلسبيل (٢)

وقول الآخر .

ذوائب سود كالعناقيد أرسلت فمن أجلها منها النفوس ذوائب (٣)

والسادس كقول الآخر .

وإذا البلابل أفصحت بلغاتها فانف البلابل باحتساء بلابل (٤)

والسابع كقول الحريرى .

فمشغوف بآيات المثانى ومفتون برنات المثانى

---

(١) هو ذو الرمة (٢١٦ النوادر للقالى) ، والرواية « معرس » . معرج خبر « يكن » ، واسمها ضمير يعود إلى الالمام المدلول عليه فى البيت السابق وهو :

ألما على الدار التى لو وجدتها ... بها أهلها ما كان وحشا مقيلها - وقوله قليلا صفة مؤكدة لفهم القلة من إضافة التعريج إلى الساعة ، أو صفة مفيدة أى إلا تعريجا قليلا فى ساعة ، (وقليلها) مرفوع فاعل (نافع) والضمير للساعة : والمعنى : قليل من التعريج فى الساعة ينفعنى ويشفى غليل وجدى .

(٢) السبيل : الطريق . (فيها) الضمير يعود إلى روضة يصفها . الراح : الخمر . السلسبيل : السهل المساغ فى الحلق :

(٣) البيت لأبى الحسن نصر المرغينانى - ذوائب الأولى جمع ذؤابة وهى أعلى شعر الرأس ، وذوائب الثانية جمع ذائبة اسم فاعل من ذاب .

(٤) البيت للثعالبى : البلابل الأولى جمع بلبل طائر معروف : البلابل الثانية جمع بلبال وهو الحزن . والثالثة جمع بلبلة وهى قناة الابريق التى يصب منها الخمر

والثامن كقول الحريرى

أملتهم ثم تأملتهم فلاح لى أن ليس فيهم فلاح

والتاسع كقول البحترى

ضرائب أبدعتها فى السماح فلسنا نرى لك فيها ضريبا

والعاشر كقول امرىء القيس :

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شىء سواه بخزان[1]

وقول أبى العلاء المعرى :

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم والعذب يهجر للافراط فى الخصر

والحادى عشر كقول الآخر

فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى أطنين أجنحة الذباب يضير[2]

والثانى عشر كقول أبى تمام

وقد كانت البيض القواضب فى الوغى بواتر وهى الآن من بعده بتر[3]

---

(١) البيت فى الصناعتين ٢٧٧

(٢) هو لعبد الله بن محمد أبى عيينة من قصيدة له فى على بن محمد العلوى وكان دعاه إلى نصرته فلم يجبه فتوعده على فقال عبد الله فيه أبياتا (راجع ٢٠٨ ج ١ الكامل للمبرد) ، وهو فى الدلائل ص ٩٥

(٣) القواضب ؛ القواطع . الوغى : الحرب : البواتر : القواطع : بتر : جمع أبتر وهو المقطوع أو مقطوع الذنب :

ملاحظة رد العجز اصطلاح جديد لابن المعتز لم يسبق إليه، وقد ذكر ابن المعتز أقسامه وشواهد كثيرة له ، ثم ذكر مثلا قليلة لما عيب منه (ص ٩٣ - ١٠٠ البديع) وقد سار على نهجه أبو هلال (٣٧٧ - ٣٨٠ الصناعتين)

وابن رشيق يسميه التصدير [ص ٣ ج ٢ العمدة] ونقل فيه كثيرا من مثل ابن المعتز وشواهده : ويذكر ابن رشيق من مثله نقلا عن ابن المعتز :

— ٣ —

[السجـــع] (١)

وهو تواطؤ (٢) الفاصلتين (٣) من النثر (٤) على حرف واحد (٥)، وهذا معنى قول السكاكي: الاسجاع النثر كالقوافي في الشعر (٦)

وهو ثلاثة أضرب: مطرف ومتواز وترصيع:

ولم يحفظ مضاع المجد شيء من الأشياء كالمال المضاع

[٥ ج ٢ العمدة]:

وهذا البيت غير موجود في نسخة البديع الموجودة بين أيدينا مما يدل على نقصها: وابن الأثير يجعل رد العجز على الصدر ضربا من التجنيس [٥ ج ٢ العمدة]

(١) ١٨٢ المفتـــاح، ٥ - ١٢ الأسرار، ٤٠١ - ٤٠٣ الدلائل، ٤٩ دلائل أيضا.

(٢) أي توافق

(٣) أي الكلمتين اللتين هما آخر الفقرتين

(٤) أي حال كونها من النثر

(٥) أي في كونها على حرف واحد كائن في آخرهما

ملاحظة

القرينة قطعة من الكلام جعلت مزاوجة لأخرى، والفقرة مثلها إن شرط مزاوجتها للاخرى وإلا كانت أعم سواء كانت مع تـجيع أم لا، والفاصلة الكلمة الأخيرة من القرينة التي هي الفقرة، والسجع قد يطلق على نفس الفاصلة الموافقة الأخرى في الحرف الأخير منها وقد يطلق على توافق الفاصلتين في الحرف الأخير

(٦) أي من حيث وجوب التواطؤ في كل حرف في الآخر

يعني هذا مقصود كلام السكاكي ومحصوله وإلا فالسجع على التفسير المذكور=

[ا ـ] لأن الفاصلتين إن اختلفتا فى الوزن فهو السجع المطرف ، كقوله تعالى « مالكم لا ترجون لله وقارا ؛ وقد خلقكم أطوارا » .

[٢ ـ] وإلا (١) :

[ا ـ] فان كان ما فى إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى فى الوزن والتقفية فهو الترصيع

كقول الحريرى « فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه

وكقول أبى الفضل الهمذانى ، إن بعد العكدر صفوا ، وبعد المطر صحوا ،

وقول أبى الفتح البستى « ليكن إقدامك توكلا ، وإحجامك تأملا »

[ب ـ] وإلا (٢) فهو السجع المتوازى(٣) :

= بمعنى المصدر اعنى توافق الفاصلتين فى الحرف الأخير ، وعلى كلام السكاكى هو نفس اللفظ المتواطىء الآخر فى أواخر الفقره ولذا ذكره السكاكى بلفظ الجمع والسجع لايجمع إلا إذا كان بمعنى اللفظ ، كما أن القافية لفظ فى آخر البيت : إما الكلمة نفسها أو الحرف الأخير منها أو غير ذلك على خلاف فى ذلك ، وليست عبارة عن توافق الكلمتين من أواخر الأبيات على حرف واحد

(١) أى وإن لم يختلفا فى الوزن .

(٢) أى وإن لم يكن جميع ما فى القرينة ولا أكثرها فيها مثل ما يقابله من الأخرى :

بأن كان جميع ما فى إحدى القرينتين من المتقابلات أو أكثر ما فيها أو نصفه مخالفا لما يقابله من القرينة الأخرى فى الوزن والتقفية معا او فى أحدهما ، وهذا الاختلاف بالنظر لما عدا الفاصلة لأن التوافق فى الحرف الأخير منها معتبر فى مطلق السجع

(٣) المتوازى أى توافق الفاصلتين وزنا وتقفية دون رعاية غيرها

كقوله تعالى : فيها سرر مرفوعة ، وأكواب موضوعة [١] ، . وفى دعاء النبى (ص) : اللهم إنى أدرأ بك فى نحورهم ، وأعوذ بك من شرورهم .

وشرط حسن السجع : اختلاف قرينتيه فى المعنى كما مر ، لا كقول ابن عباد فى مهزومين : « طاروا واقين بظهورهم صدورهم وبأصلابهم نحورهم »

قيل : واحسن السجع :

[١ -] ماتساوت قرائنه [٢] كقوله تعالى : « فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود »

[٢ -] ثم ماطالت قرينته الثانية كقوله « والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى »

[٣ -] أو الثالثة كقوله تعالى « خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه » ، وفى قول أبى الفضل الميكالى : (له الأمر المطاع والشرف اليفاع والعرض المصون والمال المضاع) . . وقد اجتمعا [٣] فى قوله تعالى (والعصر ، إن الانسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

---

(١) فقد اختلف سرر وأكواب وزنا وتقفية ، وقد يختلف الوزن فقط مثل والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا ، وقد تختلف التقفية فقط مثل « حصل الناطق والصامت ، وهلك الحاصد والشامت

(٢) أى فى عدد الكلمات وإن كانت احدى الكلمات اكثر حروفا من كلمة القرينة الأخرى

(٣) أى ماطالت قرينته الثانية وقرينته الثالثة

ملاحظة :

يقول الأمير ابن سنان الخفاجى فى كتابه (سر الفصاحة) :

ومن الكتاب المحدثين من كان يستعمل السجع كثيرا ، ولا يكاد يخل به ، وهو : أبو اسحق إبراهيم بن هلال الصابى ، وأبو الفرج المعروف =

ولا يحسن أن تولى قرينة قرينة أقصر منها كثيرا ، لأن السجع إذا استوفى أمده من الأولى لطولها ثم جاءت الثانية أقصر منها كثيرا يكون كالشيء المبتور ، ويبقى السامع كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها ، والذوق يشهد بذلك ، ويقضى بصحته .

ثم السجع إما :

[١ -] قصير كقوله تعالى : « والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا)

[٢ -] أو طويل كقوله تعالى (إذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور ، وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور » .

[٣ -] أو متوسط : كقوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) .

= بالبيغاء ، ومنهم من كان يتركه ويتجنبه ، وهو : أبو الفضل محمد أبو الحسين بن العميد ؛ وطريقة غير هؤلاء : استعماله مرة ورفضه أخرى .

فأما عبد الحميد بن يحيى ، وعبدالله بن المقفع ، وأبو الربيع محمد بن الليث ، جعفر بن يحيى بن خالد ، وابراهيم بن العباس ، وسعيد بن حميد ، وأبو عثمان الجاحظ ، وأبو على البصير ، وأحمد بن يوسف ، واسماعيل بن صبيح ، ومحمد ابن غالب ، ومحمد بن عبدالله الاصفهانى ، وابن ثوابة ، وابو الحسن أحمد بن سعد وأبو مسلم محمد بن بحر ، واشباههم ، فان السجع فيما وقفت عليه من كلامهم قليل ، لكنهم لا يكادون يخلون بالمناسبة بين الألفاظ فى الفصول والمقاطع إلا فى اليسير من المواضع . (ص ١٧٧ سر الفصاحة طبع الخانجى)

. . .

ومن لطيف السجع قول البديع الهمـــذانى من كتاب له إلى ابن فريغون :

« كتابى والبحر وإن لم أره ، فقد سمعت خـــبره ، والليث وإن لم ألقه ، فقد تصورت خلقه ، والملك العادل وإن لم أكن لقيته ، فقد لقيني صيته ، ومن رأى من السيف أثره ، فقد رأى أكثره .

. . .

واعلم أن فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز، موقوفا عليهـا ، لأن الغرض أن يزاوج بينهـا ، ولا يتم ذلك فى كل صورة إلا بالوقف ، ألا ترى أنك لو وصلت قولهم « ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت » ، لم يكن بد من إجراء كل من الفاصلتين على مايقتضيه حكم الاعراب ، فيفوت الغرض من السجع . . واذا رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها للازدواج ، فى قولهم : « انى لآتيه بالغدايا والعشايا » أى بالغدوات ، فما ظنك بهم فى ذلك .

. . . .

وقيل إنه لايقال فى القرآن أسجاع وإنما يقال فواصل .

. . . .

وقيل السجع غير مختص بالنثر. ومثاله من الشعر قول أبى تمام :

تجلى به رشدى ، وأثرت به يدى وفاض به عمدى ، وأورى به زندى[1]

وكذا قول الخنسا. :

حامى الحقيقة ، محمود الخليقـة مهـ دى الطريقة ، نفـاع وضرار[2]

وكذا قول الاخر :

---

(١) أثرت : صارت ذات ثروة . الثمد بكسر الثاء : الماء القليل . أورى : صار ذاورى أى نار .

(٢) راجع البيت فى ٣٧٠ صناعتين :

ومكارم أوليتها متورعا وجرائم ألغيتها متبرعا

وهو ظاهر التكلف ،

وهذا القائل لايشترط التقفية فى العروض والضرب كقوله (١)

وزند ندى فواضله ورى ورندربى فضائله نضير

. . .

[التشطير] :

ومن السجع على هذا القول (٢) ما يسمى التشطير (٣) وهو أن يجعل كل من شطرى البيت سجعة مخالفة لأختها كقول أبى تمام :

تدبير معتصم ، بالله منتقم لله مرتغب فى الله مرتقب

[التصريع] :

ومنه مايسمى التصريع ، وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب ، كقول أبى فراس :

باطراف المثقفة العوالى تفردنا باوساط المعالى (٤)

وهو مما استحسن حتى إن أكثر الشعر صرع البيت الأول منه ، ولذلك متى خالفت العروض الضرب فى الوزن جاز أن تجعل موازنة له إذا كان البيت مصرعا كقول امرىء القيس :

ملاحظة مثل هذا النوع يسميه العسكرى ترصيعا (٣٠٦٦ - ٣٧٢ صناعتين)

(١) البيت للمطرزى [٧٥ حسن التوسل] الندى : الجود : واثبات الزند له مجاز : الفواضل . العطايا : ورى : ذو نار فمن يقدحه ينل مايتمناه منه . الرند : نبات طيب الرائحة . الربى جمع ربوة وهى ماارتفع من الأرض .

الشاهد فى أن العروض والضرب فى البيت لاتقفية فيهما

(٢) أى على القول بعدم اختصاصه بالنثر .

(٣) راجع ٣٩٩ صناعتين

(٤) المثقفة : المقومة . العوالى الرماح . أوساط المعالى : أجلها وأعظمها .

الاعم صباحا أيها الطلل البالى وهل ينعمن من كان فى العصر الخالى[١]

أتى بعروض الطويل مفاعيلن ، وذلك لايصح إذا لم يكن البيت مصرعا ولهذا خطىء أبو الطيب فى قوله

تفكره علم ومنطقه حكم وباطنه دين وظاهره ظرف

— ٤ —

[الموازنة[٢]]

ومنه الموازنة :

وهى أن تكون الفاصلتان متساويتين فى الوزن دون التقفية[٣] ، كقوله تعالى (ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة) ، فان كان ما فى احدى القرينتين من الالفاظ

---

(١) عم هو فعل أمر ، وعم صباحا تحية الصباح عند العرب : الطلل ما شخص من آثار الديار . العصر بضم العين والصاد لأجل الوزن وأصله العصر بالسكون وهو الدهر الخالى الماضى

(٢) هى من التشطير عند العسكرى (٢٩٩ صناعتين)

(٣) فبين الموازنة والسجع مباينة ، ولكن ابن الأثير يشترط فى السجع التساوى فى الوزن والتقفية ويشترط فى الموازنة التساوى فى الوزن دون التقفية، فعنده الموازنة هى الكلام الذى يقع فيه التوافق فى الوزن سواء كان مع ذلك متفقا فى التقفية أم لا ، فالسجع عنده أخص من الموازنة لأنه شرط فيه ما شرط فى الموازنة وزيادة فالسجع والموازنة عنده لايتباينان

فنحو شديد ، وقريب عنه ليس بسجع لعدم التقفية ، ويكون من الموازنة لوجود الوزن . ونحو (وقارا وأطوارا) عنده ليس من السجع لعدم الوزن ولا من الموازنة لذلك أيضا فيكون خارجا من النوعين ؛ وهو بعيد

أو أكثر مافيها مثل مايقابله من الأخرى فى الوزن خص باسم المماثلة[١] كقوله تعالى (وآتيناهما الكتاب المستبين ؛ وهديناهما الصراط المستقيم) ، وقول أبى تمام

مها الوحش الا هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

وقول البحترى (٢)

فاحجم لما لم يجد فيك مطعماً وأقدم لما لم يجد عنك مهربا

— ٥ —

[القلب]

ومنه القلب[٣] ؛

كقولك أرض خضراء ، وقول عماد الدين الكاتب للقاضى الفاضل : دسر فلا كبابك الفرس ، وجواب القاضى : دام على العباد ، وقول القاضى الارجانى :

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم

وفى التنزيل : كل فى فلك ، وفيه : وربك فكبر

— ٦ —

[التشريع]

ومنه التشريع ؛

وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى على الوقوف على كل واحدة منهما[٤] كقول الحريرى :

---

(١) وتكون فى النثر وفى الشعر

(٢) من قصيدته فى وصف الأسد

(٣) وهو أن يكون الكلام بحيث لو عكسته وبدأت بحرفه الأخير إلى الأول كان الحاصل بعينه هو هذا الكلام ويجرى فى النثر والنظم =

ياخاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الاكدار (١)

— ٧ —

[لزوم مالايلزم (٢)]

ومنه لزوم مالايلزم.

= (٤) فان قيل كان عليه أن يقول يصح الوزن والمعنى عند الوقوف على كل منهما ، لأن التشريع هو أن يبنى الشاعر أبيات القصيدة ذات قافيتين على بحرين أو ضربين من بحر واحـــد ، فعلى أى القافيتين وقفت كان شعرا مستقيما . قلنا القافية انما هى آخر البيت فالبناء على قافيتين لايتصور الا إذا كان البيت بحيث يصح الوزن ويحصل الشعر عند الوقوف على كل منهما وإلا لم تكن الأولى قافية .

(١) خاطب من خطب المرأة . الدنيـــة الخسيسة . شرك الردى أى حبالة الهلاك . قرارة الاكدار أى مقر الهموم .

فان وقفت على الردى فالبيت من الضرب الثامن من الكامل ، وان وقفت على الاكدار فهو من الضرب الثانى منه .

والقافية عند الخليل من آخر حرف فى البيت إلى أول ساكن يليه مع الحركة التى قبل ذلك الساكن . فالقافية الأولى من هذا البيت هى لفظ الردى مع حركة الكاف من شرك ، والقافية الثانية هى من حركة الدال من الاكدار إلى الآخر ، وقد يكون البناء على أكثر من قافيتين وهو قليل متكلف . ومن لطيف ذى القافيتين نوع يوجد فى الشعر الفارسى وهو أن تكون الألفاظ الباقية بعد القوافى الأول بحيث إذا جمعت كانت شعرا مستقيم المعنى

(٢) يسميه ابن المعتز «إعنات الشاعر نفسه فى القوافى» [١٣٢ ر١٣٣ البديع] وهو من إفراد ابن المعتز واصطلاحه [٨٦ حسن التوسل] .

وإذا كان ابن المعتز يسميه اعنانا فكيف كما يقول ابو هلال يعده من البديع ؟

وهو أن يجيء قبل حرف الروى(١) وما فى معناه(٢) من الفاصلة ماليس بلازم فى مذهب السجع ، كقوله تعالى : « فاذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لايقصرون » ، وقوله « فاما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر » وقول الشاعر :

سأشكر عمرا ان تراخت منيتى ... أيادى لم تمنن وإن هى جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتى من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت(٣)

وقول الآخر (٤)

---

(١) وهو الحرف الأخير من القافية الذى تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه

(٢) أى أو قبل الحرف الذى هو فى معنى حرف الروى من الفاصلة ، يعنى الحرف الذى وقع فى فواصل الفقر موقع حرف الروى فى قوافى الأبيات ، وفاعل « يجيء » هو قولهم « ماليس بلازم » .

يعنى هو أن يؤتى قبله بشيء لو جعل القوافى أو الفواصل أسجاعا لم يحتج إلى الأتيان بذلك الشيء ويتم السجع بدونه ، هذا والمراد أن يكون ذلك فى بيتين أو اكثر والافقى كل بيت أو فاصلة يجيء قبل حرف الروى أو مافى معناه ماليس بلازم فى السجع .

وقوله : « حرف الروى أو مافى معناه » إشارة إلى أنه يجرى فى النثر والنظم

(٣) تقدمت الابيات مشروحة فى حذف المسند إليه

(٤) هما فى البديع لابن المعتز ص ٧٥ شرح محمد عبد المنعم خفاجى .
وقد غنى بهذه الأبيات دنيس المغنى فى مجلس ابى عيسى ابن المتوكل [١١ ج ٤ العقد الفريد]

يقولون فى البستان للعين لذة وفى الخمر والماء الذى غير آسن
إذ شئت أن تلقى المحاسن كلها ففى وجه من تهوى جميع المحاسن

وقد يكون ذلك فى غير الفاصلتين أيضا (١) كقول الحريرى « وما اشتار العسل من اختار الكسل (٢)

[المحسنات اللفظية وشرط حسنها] (٣)

وأصل الحسن فى جميع ذلك - أعنى القسم اللفظى - كما قال الشيخ عبدالقاهر : هو أن تكون الألفاظ تابعة للمعانى ، فان المعانى إذا أرسلت على سجيتها ، وتركت وما تريد ، طلبت لأنفسها الألفاظ ، ولم تكتس إلا مايليق بها ، فان كان خلاف ذلك كان كما قال أبو الطيب :

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيب ( )

وقد يقع فى كلام بعض المتأخرين ما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ماله اسم فى البديع على أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ويقول ليبين ، ويخيل إليه أنه إذا جمع عدة من أقسام البديع فى بيت فلا ضير أن يقع ماعناه فى عمياء ، وأن يوقع السامع طلبه فى خبط عشواء (٥) .

[انتهت المحسنات اللفظية]

---

(١) بأن يكون فى الكلمات التى قبل الفاصلتين فى السجع .
(٢) الشاهد لزوم ما لايلزم فى : اختار واشتار ، إذ التزم التاء والألف فيهما .
(٣) راجع ٣ - ١٠ من الأسرار ، وص ١٨٢ مفتاح .
(٤) راجعه فى ٢٦١ رسالة ، ص ٦ من الأسرار . والضمير فى شياتها للفرس وهى جمع شية أى علامة .
(٥) فيجب أن تكون الألفاظ تابعة للمعانى ، لا المعانى توابع للألفاظ بأن يؤتى بالألفاظ متكلفة مصنوعة فيتبعها المعنى كيف ما كانت ، كما فعله بعض المتأخرين

[خلاصة أخيرة]

هذا ماتيسر باذن الله تعالى جمعه وتحريره من أصول الفن الثالث ؛ وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنفين .

[١] منها مايتعين إهماله لعدم دخوله فى فن البلاغة : نحو مايرجع فى التحسين إلى الخط دون اللفظ ، مع أنه لا يخلو من التكلف ، كـكون الـكلمتين متماثلتين فى الخط، وكون الحروف منقوطة أو غير منقوطة ؛ ونحو مالا أثر له فى التحسين كما يسمى الترديد (١) ، أو لعدم جدواه : نحو مايوجد فى كتب بعض المتأخرين، مما هو داخل فيما ذكرناه كما سماه الايضاح فانه فى الحقيقة راجع إلى الاطناب ، أو خلط فيه كما سماه : حسن البيان

[٢] ومنها مالا بأس ذكره لاشتماله على فائدة ، وهو شيئان . أحدهما القول فى السرقات الشعرية وما يتصل بها ، والثانى القول فى الابتداء والتخلص والانتهاء فعقدنا فيهما فصلين ختمنا بهما الـكتاب

= الذين لهم شغف بايراد المحسنات اللفظية، فيجعلون الـكلام كأنه غير مسوق لافادة المعنى ، ولا يبالون بخفاء الدلالات وركاكة المعنى ، فيصير كغمد من ذهب على سيف من خشب ، فالوجه أن تترك المعانى على سجيتها ، فتطلب لأنفسها ألفاظا تليق بها ، وعند هذا تظهر البلاغة والبراعة ويتميز الـكامل من القاصر . وحين ولى الحريرى مع كمال فضله ديوان الانشاء عجز ، فقال ابن الخشاب : « هو رجل مقاماتى » وذلك لأن كتابته حكاية تجرى على حسب إرادته ، ومعانيه تتبع ماختاره من الألفاظ المصنوعة ، وما أحسن ما قيـــل فى الترجيح بين الصاحب والصابى : إن الصاحب : كان يكتب كما يريد ، والصابى كان يكتب كما يؤمر ، وبين الحالتين بون بعيد . ولهذا قال قاضى قم حين كتب إليه الصاحب : « أيها القاضى بقم ، قد عزلناك فقم ، قال : « والله ماعزلتنى إلا هذه السجعة » .

(١) وهو أن تعلق الـكلمة بمعنى ثم تعلق بمعنى آخر مثل

هو ينفى وهو بيت الغانيات إلى أن شبت فانصرفت عنهن آمالى

الفصل الاول

[السرقات الشعرية [1]]

[وما يتصل بها [2]]

اعلم أن اتفاق القائلين إن كان فى الغرض [3] على العموم [4]: كالوصف بالشجاعة والسخاء والبلادة والذكاء، فلا يعد سرقة ولا استعانة ولا نحوهما؛ فان هذه أمور متقررة فى النفوس، متصورة للعقول، يشترك فيها الفصيح والاعجم، والشاعر والمفحم.

وإن كان [5] فى وجه الدلالة على الغرض [6]، وينقسم إلى أقسام كثيرة: منها

---

(١) راجع ٢٩٣ — ٣٠٢ الأسرار، ٣٦٠ — ٣٩١ الدلائل، والوساطة والمثل السائر، والوساطة تتكلم فى إجادة عن السرقات الشعرية

(٢) أى من الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح

(٣) أى فى الغرض المقصود

(٤) أى حال كون ذلك الغرض على العموم أى يقصده عامة الناس أى كل أحد منهم. فالمراد أمران: كون الاتفاق فى نفس الغرض لا فى الدلالة عليه، وكون الغرض عاما فان كان الغرض خاصا فحكمه حكم ما سيأتى وهو ان تحكم فيه بالتفضيل لأن المعنى الدقيق مما يتفاوت الناس فى إدراكه فيمكن أن يدعى فيه السبق والتقدم والزيادة وعدم ذلك.

(٥) أى وإن كان الاتفاق بين القائلين.

(٦) أى فى طريق الدلالة عليه، والمراد بطريق الدلالة اللفظ الدال على الوصف العام من حقيقة أو مجاز أو كناية أو تشبيه

التشبيه بما توجد الصفة فيه على الوجه البليغ كما سبق[١] ، ومنها ذكر هيئات[٢] تدل على الصفة[٣] لاختصاصها بمن له الصفة كوصف الرجل حال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح وقلة الفكر كقوله :

كأن دنانيراً على قسماتهم وإن كان قد شف الوجوه لقاء[٤]

وكذ وصف الجواد بالتهلل عند ورود العفاة والارتياح لرؤيتهم ، ووصف البخيل بالعبوس وقلة البشر مع سعة ذات اليد ومساعدة الدهر :

[ا —] فان كان مما يشـــترك الناس فى معرفته[٥] لاستقراره فى العقول والعادات : كتشبيه الفتاة الحسنة بالشمس والبدر ، والجـــواد بالغيث والبحر ، والبليد البطىء بالحجر والحمار ، والشجاع الماضى بالسيف والنار ، فالاتفاق فيه كالاتفاق فى عموم الغرض[٦] .

---

(١) كما لو قال أحد القائلين : زيد بدر ، أو قال فى الاستعارة : انتصر الأسد على الأعداء فى الميدان ، أو قال فى الكناية : هو كثير الرماد . وقال القائل الآخر فى ممدوحه مثل ذلك

(٢) أى أوصاف

(٣) التى هى الغرض

(٤) البيت لمحرز بن المكعبر الضبى . قسماتهم : وجوههم . شف الوجوه : غير محاسنها والمراد وجوه غيرهم . وراجع البيت فى [١٨٥ ج ٢ الحماسة ، ٤٠٥ معجم الشعراء]

ويقول المبرد : القسمات مجارى الدموع ، وقال الأصمعى : اعالى الوجـــه [٤٠ ج ١ الكامل]

(٥) راجع ٢٩٤ الأسرار . وقوله (فى معرفته) ى فى معرفة وجه الدلالة

(٦) فى أنه أنه لا يعد فيها سرقة

[ب —] وإن كان مما لا ينال الا بفكر [١] ولا يصل اليه كل أحد فهذا الذى يجوز أن يدعى فيه الاختصاص والسبق وأن يقضى بين القائلين فيه بالتفاضل ، وأن أحدهما فيه أفضل من الآخر ، وأن الثانى زاد على الأول أو نقص عنه .

وهو [٢] ضربان :

أحدهما : ما كان فى أصله خاصيا غريبا [٣]

والثانى : ما كان فى أصله عاميا مبتذ لا لكن تصرف فيه بما أخرجه من كونه ظاهرا ساذجا إلى خلاف ذلك [٤]

وقد سبق ذكر أمثلتهما [٥] فى التشبيه والاستعارة .

. . .

إذا عرفت هذا فنقول :

الأخذ والسرقة نوعان : ظاهر وغير ظاهر

---

(١) راجع ٢٩٤ الأسرار . وذلك بأن يكون مجازا مخصوصا أو كناية أو تشبيها على وجه لطيف .

(٢) أى مالاينال الا بفكر .

(٣) كتشبيه الشمس بالمرآة فى كف الاشل مثلا

(٤) كالبيت (لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا .·. إلا بوجه ليس فيه حياء) فان تشبيه الوجه البهى بالشمس مبتذل لكن أضاف لذلك كون عدم الحياء من الشمس هو الذى أوجب لها ادعاء المقابلة لهذا الوجه فخرج بهذا عن الابتذال

(٥) أى أمثلة الخاصى والعامى المبتذل الذى تصرف فيه بما أخرجه عن الابتذال

[١ —] اما الظاهر فهو أن يؤخذ المعنى[١] كله : اما مع اللفظ ، أو بعضه ، وإما وحده[٢]

[٢ -] فان كان المأخوذ كله من غير تغيير لنظمه فهو مذموم مردود[٣] ، لأنه سرقة محضة ويسمى نسخا وانتحالا

كما حكى أن عبدالله بن الزبير[٤] (الاسدى) دخل على معاوية فأنشده :

اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل

ويركب حد السيف من أن تضيمه اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل[٥]

فقال له معاوية : لقد شعرت بعدى يا أبا بكر ، ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل معن بن أوس المزنى فانشد كلمته التى أولها .

لعمرك ما أدرى وأنى لأوجل على أينا تعدو المنية أول[٦]

حتى أتى عليها ، وفيها ما أنشده عبد الله ، فاقبل معاوية على عبدالله ، وقال لم تخبرنى أنهما لك فقال : المعنى لى واللفظ له ، وبعد فهو أخى من الرضاعة ، وأنا أحق بشعره[٧]

---

(١) أى مع ظهور أن أحدهما مأخوذ من الآخر

(٢) وهذا الثانى (أخذ المعنى وحده) يلزمه تغيير النظم بأن يبدل جميع الكلام بتركيب آخر ولا يدخل فى هذا تبديل الكلمات المرادفة بما يرادفها مع بقاء النظم لأن هذا من حكم أخذ اللفظ كله. والضرب الأول قسمان لأن المأخوذ مع المعنى إما كل اللفظ وإما بعضه ، وفى كل منهما إما أن يحصل تغيير فى النظم أولا ، وقد أشار الخطيب إلى كل ذلك

(٣) راجع ٢١٨ و١٩٠ صناعتين

(٤) راجع ٢٤٥ جـ ٣ زهر الآداب، والأبيات فى الحماسة ص ٢ جـ ٢

(٥) تضيمه . تظلمه . شفرة السيف : حده : مزحل . مبعد .

(٦) البيت فى ص ٣٩٩ معجم الشعراء .

(٧) راجع الرواية فى ١٥٥ وساطة ، ٢٩٥ جـ ١ الكامل للمبرد .

وقد روى لأوس ولزهير فى قصيدتيهما هذا البيت :

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا أصبت حليما أو أصابك جاهل

وقد روى للأبيرد اليربوعى :

فتى يشترى حسن الثناء بماله إذا السنة الشهباء أعوذها القطر (١)

ولأبى نواس (٢) .

فتى يشترى حسن الثناء بماله ويعلم أن الدائرات تدور

وقد روى لبعض المتقدمين يمدح معبداً .

أجاد طريس والسريجى بعده وما قصبات السبق إلا لمعبد (٣)

ولأبى تمام

محاسن أصناف المغنين جمة وما قصبات السبق إلا لمعبد

وحكى صاحب الأغانى فى أصوات معبد :

لهفى على فتية ذل الزمان لهم فما يصيبهم إلا بما شاءوا

وفى شعر أبى نواس (٤) :

دارت على فتية ذل الزمان لهم فما يصيبهم إلا بما شاءوا

وفى هذا المعنى : ما كان التغيير فيه بابدال كلمة أو أكثر بما يرادفها (٥) كقول امرىء القيس :

وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل

---

(١) القصيدة فى الحماسة ٤٥٤ ج ١ ، وفى البيان ٣٦٠ ج ٣

(٢) راجعه فى ٦٤ ج ٤ زهر الآداب ، ٣١٠ الآداب العباسى لمحمود مصطفى

(٣) طويس ، والسريجى : مغنيان مشهوران ، ومعبد إمام الغناء فى عصر الأمويين

(٤) فى الراح

(٥) وكذلك بما يضادها وذلك لقرب تناول الضد

وقول طرفة :

وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وكقول العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التى كنت تعلم

وقول الفرزدق :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التى كنت تعرف(١)

وكقول حاتم (٢) .

ومن يبتدع ماليس من خيم نفسه يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وقول الأعور [الشنى] .

ومن يقترف خلقا سوى خلق نفسه يدعه ويغلبه على النفس خيمها

[ب -] وإن كان (٣) مع تغيير لنظمه (٤) ، أو كان المأخوذ بعضه اللفظ سمى إغارة ومسخا :

[١ -] فان كان الثانى أبلغ (٥) من الأول (٦) لاختصاصه بفضيلة . كحسن السبك (٧) ، أو الاختصار ، أو الايضاح ، أو زيادة معنى . فهو ممدوح مقبول كقول بشار (٨)

---

(١) البيت والذى قبله فى الوساطه ص ١٥٩

(٢) راجع (١ ج ٣١١ شرح الحماسة للرافعى) . ونسبة المرزبانى إلى مالك السلمى [٢٦٢ معجم الشعراء] . . الخيم الطبيعة والسجية

(٣) أى أخذ اللفظ

(٤) أى لنظم اللفظ

(٥) المراد بالبلاغة هنا مايحصل به الحسن مطلقا لاخصوص البلاغة المعلومة

(٦) أى من الكلام الأول المأخوذ منه

(٧) المراد به الخلو عن التعقيد اللفظى والمعنوى

(٨) راقب: حاذر وخاف. الفاتك : الشجاع القتال. اللهج الملازم لمطلوبه الحريص عليه من غير مبالاة

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

وقول سلم الخاسر

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور (١)

فبيت سلم أجود سبكا وأخصر

وكقول الآخر (٢) :

خلقنا لهم فى كل عين وحاجب بسمر القنا والبيض عينا وحاجبا

وقول ابن نباتة [السعدى] بعده (٣) :

خلقنا بأطراف القنا فى ظهورهم عيونا لها وقع السيوف حواجب (٤)

فبيت ابن نباتة أبلغ : لاختصاصه بزيادة معنى وهو الاشارة إلى انهزامهم . . ومن الناس من جعلهما متساويين

[٢ —] وإن كان الثانى دون الأول فى البلاغة فهو مذموم مردود .

كقول أبى تمام :

هيهات لا يأتى الزمان بمثله ان الزمان بمثله لبخيل

وقول أبى الطيب :

أعدى الزمان سخاؤه فسخا به ولقد يكون به الزمان بخيلا (٥)

---

(١) البيت وما قبله فى الصناعتين ص ٢٠٧

(٢) هو ابراهيم الغزى [١٠٤ ريحانة الألبا)

(٣) الصواب ان الغزى بعد ابن نباتة كما فى الريحانة وفى الريحانة (ص ١٠٤) موازنة طويلة بين البيتين

(٤) «عيونا» مفعول خلقنا . لها جار ومجرور حال من حواجب ، ووقع السيوف مبتدأ وحواجب خبره

(٥) اعدى : من الإعداء وهو تجاوز الشىء من صاحبه الى غيره

سخاؤه . جوده . يعنى تعلم الزمان منه السخاء فجاد بالممدوح على الدنيا وأوجده لمنفعة الناس ولولا سخاؤه الذى استفاده منه لبخل به على الناس .

فان مصراع أبى تمام أحسن سبكا من مصراع أبى الطيب ، أراد أن يقول[1] كان الزمان به بخيلا فعدل عن الماضى إلى المضارع للوزن .

فان قلت: المعنى أن الزمان لا يسمح بهلاكه ، قلت: السخاء بالشىء هو بذله للغير ، فاذا كان الزمان قد سخا به فقد بذله ، فلم يبق فى تصريفه حتى يسمح بهلاكه أو يبخل به .

[٢ —] وإن كان مثله فالخطب فيه أهون ، وصاحب الثانى أبعد من المذمة والفضل لصاحب الأول : كقول بشار .

ياقوم أذنى لبعض الحى عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا

وقول ابن الشحنة الموصلى

وإنى امرؤ أحببتكم لمكارم ... سمعت بها والأذن كالعين تعشق

وكذا قول القاضى الأرجانى

لم يبكنى إلا حديث فراقكم ... لما أسر به إلى مودعى
هو ذلك الدر الذى أودعتم ... فى مسمعى ألقيته من مدمعى

وقول جار الله [فى رثاء أستاذه] :

وقائلة ماهذه الدرر التى ... تساقطها عيناك سمطين سمطين
فقلت هى الدر الذى قد حشا به ... (أبو مضر) أذنى تساقط من عينى[2]

وكقول أبى تمام

لو حار مرتاد المنية لم يجد ... إلا الفراق على النفوس دليلا

---

(١) أى أبو الطيب

(٢) هذان البيتان وما قبلهما تجدهما فى ص ٢٩١ ريحانة الالبا ، وفى الريحانة إشارة وتحليل لبيتى الزمخشرى

وقول أبي الطيب

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت ... لها المنايا إلى أرواحنا سبلا (١)

واعلم أن من هذا الضرب ما هو قبيح جدا وهو ما يدل على السرقة باتفاق الوزن والقافية أيضا كقول أبي تمام (٢) :

مقيم الظن عندك والأمانى ... وإن قلقت ركابى فى البلاد
ولا سافرت فى الآفاق إلا ... ومن جدواك راحلتى وزادى

وقول أبي الطيب (٣) :

وإنى عنك بعد غد لغاد ... وقلبى عن فنائك غير غاد
محبك حيثما اتجهت ركابى ... وضيفك حيث كنت من البلاد

[حـ ـ] وإن كان المأخوذ المعنى وحده سمى إلماما وسلخا ، وهو ثلاثة أقسام كذلك :

أولها (٤) : كقول البحترى :

تصد حياء أن تراك بأوجه ... أتى الذنب عاصيها فليم مطيعها

وقول أبي الطيب

وجرم جره سفهاء قوم ... وحل بغير جارمه العذاب

فان أبا الطيب أحسن سبكا ، وكأنه اقتبسه من قوله : أتهلكنا بما فعل (٥) السفهاء منا ، وكقول الآخر (٦)

---

(١) فقد أخذ المعنى كله ـ ومحصله أنه لا دليل للمنية على النفوس الا الفراق ـ مع لفظ المنية والفراق والوجدان ، وبدل بالنفوس الأرواح

(٢) فى أحمد بن أبي داود ، والبيتان فى : ١٠١ صناعتين ، ٥٦ ج ٢ و ٦٦ ج ٤ زهر الآداب

(٣) راجع ٦٩ و ٧٠ الابانة عن سرقات المتنبي ، ١٩٦ وساطة

(٤) وهو أن يكون الثانى ابلغ من الأول

(٥) راجع ٢٢١ وساطة ، ٤٢ الابانة =

ولست بنظار إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء فى جانب الفقر

وقول أبى تمام بعده :

يصد عن الدنيا إذا عن سودد ولو برزت فى زى عذراء ناهد

فبيت أبى تمام أخصر وأبلغ لأن قوله « ولو برزت فى زى عذراء ناهد » زيادة حسنة . . . وكقول أبى تمام

هو الصنع إن يعجل فخير وإن يرث فللريث فى بعض المواضع أنفع (١)

وقول أبى الطيب

ومن الخير بطء سيبك عنى أسرع السحب فى المسير الجهام (٢)

فبيت أبى الطيب أبلغ لاشتماله على زيادة بيان

وثانيها (٣) كقول بعض الأعراب (٤) :

وريحها أطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر

وقول بشار (٥)

وإذا أدنيت منها بصلا غلب المسك على ريح البصل

وقول أشجع (٦)

وعلى عدوك يابن عم محمد رصدان : ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبه رعته ، وإذا هدا سلت عليه سيوفك الأحلام

---

(٦) هو أبو سعيد المخزومى [٢٦٠ معجم الشعراء]

(١) يرث : يبطىء

(٢) السيب : العطاء . الجهام : السحاب الذى لا ماء فيه

(٣) وهو ما كان الثانى دون الأول

(٤) راجع ٣٥٠ صناعتين

(٥) ٢٧٥ ج ١ زهر الآداب ، ٤٨٨ الأدب العباسى لمحمود مصطفى

(٦) اشجع السلمى فى هرون الرشيد [١٨٣ ج ٢ البيان]

رصدان تثنية رصد ، وهو الرقيب . رعته : أفزعته . هدا : مخفف من هدأ . سلت : شهرت

وقول أبى الطيب

يرى فى النوم رمحك فى كلاه ويخشى أن يراه فى السهاد

فقصر بذكر السهاد لأنه أراد اليقظة ليطابق بها النوم فأخطأ إذ ليس كل يقظة سهادا، وإنما السهاد امتناع الكرى فى الليل، واما المستيقظ بالنهار فلا يسمى ساهدا[١] . . . وكقول البحترى :

وإذا تألق فى الندى كلامه المصقول خلت لسانه من عضبه[٢]

وكقول أبى الطيب

كأن السنهم فى النطق قد جعلت على رماحهم فى الطعن خرصانا[٣]

فان أبا الطيب فاته ما أفاده البحترى بلفظى تألق والمصقول من الاستعارة التخييلية . وكقول الخنساء :

وما بلغ المهدون للناس مدحة وإن أطنبوا إلا وما فيك أفضل

وقول أشجع :

وما ترك المداح فيك مقالة ولا قال إلا دون ما فيك قائل

فان بيت الخنساء أحسن من بيت أشجع، لما فى مصراعه الثانى من التعقيد، إذ تقديره : ولا قال قائل إلا دون ما فيك .

---

(١) راجع ١٩٩ الوساطة ، و ٢٨ الأبانة

(٢) تألق : لمع . الندى : مجلس أشراف القوم . المصقول المجلو . العضب : السيف القاطع

(٣) خرصانا جمع خرص بضم الخاء وكسرها فى المفرد والجمع وهو السنان والبيت فى ٢٣٩ الوساطة

والمعنى: إن السنتهم فى البيان تشبه رماحهم فى الطعان

وقد ذكر صاحب « الابانة » البيتين ثم قال : وقوله « رماح وخرصان » بمعنى واحد وهذا من سوء العبارة [٢٠ الابانة عن سرقات المتنبى]

ثالثها[١] :

كقول الأعرابى[٢] :

ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

وقول أشجع[٣] :

وليس بأوسعهم فى الغنى ولكن معروفه أوسع

وكذا قول بكر بن النطاح :

كأنك عند الكر فى حومة الوغى تفر من الصف الذى من ورائك

وقول أبى الطيب[٤] :

فكأنه والطعن من قدامه متخوف من خلفه أن يطعنا

وكذا قول الآخر[٥] يذكر أبنا له مات

الصبر يحمد فى المواطن كلها إلا عليك فانه مذموم

وقول أبى تمام[٦] بعده

---

(١) وهو ما كان الثانى مثل الأول

(٢) هو أبو زياد [٨٥ جـ ١ البيان]

ويقول الصولى [٨٣ الأوراق للصولى] : قال لى ابن المعتز من أين أخذ أشجع قوله : « وليس بأوسعهم فى الغنى الخ » ؟ فقلت من قول موسى شهوات لعبد الله بن جعفر بن أبى طالب « ولم يك أكثر الفتيان مالا » ؛ فقال: هكذا هو

(٣) راجعه فى ٢٢٣ وساطه ، ٩٧ صناعتين .

(٤) راجعه فى ٢٧٢ وساطة

(٥) هو العتبى [٥١ الموازنة] . وراجع البيت فى ص ٢١٢ جـ ١ الكامل

(٦) فى أدريس بن بدر [٢١٢ جـ ١ الكامل] ، وراجعه فى ٣٠٦ صناعتين

وقد كان يدعى لابس الصبر حازما فأصبح يدعى حازما حين يجزع

[٢ —] وأما غير الظاهر [١] :

(ا —) فمنه أن يتشابه معنى الأول ومعنى الثانى :

كقول الطرماح بن حكيم الطائى [٢]:

لقد زادنى حبا لنفسى أننى بغيض إلى كل امرىء غير طائل

وقول أبى الطيب :

إذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل [٣]

فان ذم الناقص أبا الطيب كبغض من هو غير طائل الطرماح وشهادة ذم الناقص أبا الطيب كزيادة حب الطرماح لنفسه . وكذا قول أبى العلاء المعرى فى مرثية :

وما كلفة البدر المنير قديمة ولكنها فى وجهه أثر اللطم [٤]

وقول القيسرانى :

وأهوى الذى أهوى له البدر ساجدا ألست ترى فى وجهه أثر الترب

---

(١) أى الأخذ غير الظاهر ، وهذا مقابله لقوله سابقا وأما الظاهر

وغير الظاهر هو ما يحتاج لتأمل فى كون الثانى مأخوذا من الأول ، فمثال التشابه على هذا ينبغى أن يجعل من الظاهر لأن إدراك كون الثانى أصله الأول ظاهر لايحتاج لتأمل .

ثم أقسام غير الظاهر كلها ومقبولة من حيث الأخذ فان اعتراها رد من جهة أخرى خارجة عن معنى الأخذ فهى غير مقبولة

(٢) راجع ٨٣ ج ١ الحماسة

(٣) راجع ١٩٤ وساسة

(٤) الكلفة : حمرة يخالطها سواد

وأوضح من ذلك قول جرير :

فلا يمنعك من أرب لحاهم سواء ذو العمامة والخمار

وقول أبى الطيب :

ومن فى كفه منهم قناة كمن فى كفه منهم خضاب

ولا يغرك من البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسيبا والآخر مديحاً أو هجاء أو افتخارا أو غير ذلك ، فان الشاعر الحاذق إذا عمد إلى المعنى المختلس لينظمه تحيل فى إخفائه ، فغير لفظه ، وعدل به عن نوعه ووزنه وقافيته

(ب —) ومنه النقل (١) وهو أن ينقل معنى الأول إلى غير(٢) محله كقول البحترى :

سلبوا وأشرقت الدماء عليهم محمرة فكأنهم لم يسلبوا

نقله أبو الطيب إلى السيف فقال :

يبس النجيع عليه وهو مجرد عن غمده فكأنما هو مغمد(٣).

(جـ —) ومنه أن يكون معنى الثانى أشمل من معنى الأول كقول جرير

إذا غضبت عليك بنو تميم وجدت الناس كلهم غضابا

---

(١) راجع ١٩١ صناعتين

(٢) بأن يكون المعنى وصفا وينقل من موصوف لموصوف آخر كنقله ستر الدم من القتل إلى السيف ، أو يكون المعنى مديحا فينقله للهجاء أو الرثاء أو بالعكس

(٣) النجيع : الدم المائل إلى سواد الغمد : قراب السيف

وبيت أبى الطيب فى الوساطة ص ٢٠١

وبيت البحترى تجده فى ص ٥٢ البديع لابن المعتز شرح محمد عبد المنعم خفاجى و١٦٧ جـ ٤ زهر الآداب ، ١٣٦ الموازنة ، ٢١٧ صناعتين

وقول أبى نواس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد(١)

د - ومنه القلب(٢) وهو أن يكون معنى الثانى نقيض معنى الأول سمى بذلك لقلب المعنى إلى نقيضه كقول أبى الشيص

أجد الملامة فى هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمنى اللوم(٣)

وقول أبى الطيب :

أأحبه وأحب فيه ملامة إن الملامة فيه من أعدائه(٤)

وكذا قول أبى الطيب أيضا :

والجراحات عنده نغمات سبقت قبل سيبه بسؤال(٥)

فانه ناقض به قول أبى تمام :

ونغمة معتف جدواه أحلى على أذنيه من نغم السماع(٦)

---

(١) راجع ٢٠٠ وساطة ، ٢٩ الابانة

(٢) راجع ١٢٦ ج ١ الكامل للمبرد

(٣) هو فى ١٣٦ ج٢ الحماسة ، ٢١٨ ج١ الأمالى ، ١٢٠ صناعتين ، ٢ ج٤ العقد وأخذه ابن عبدربه فقال [١٧ ج ٤ العقد] :

وأحببت فيها العذل حبا لذكرها

فلا شىء أشهى فى فؤادى من العذل

(٤) راجع فى ذلك ١٦٥ الوساطة

(٥) المعنى على تشبيه أصوات السائلين الذين يغدق عليهم الممدوح بعد سؤالهم إياه بالجراح التى تؤلم فى جسم المجروح

(٦) ١٦٥ وساطة ، ١٣٩ موازنة

ومن هذا النوع قول ابن هانىء : =

وقد تبعه البحترى فقال :

نشوان يطرب للسؤال كأنما غناء مالك طيء أو معبد [١]

(هـ —) ومنه أن يؤخذ بعض المعنى ويضاف اليه زيادة حسنة :

كقول الأفوه الأودى [٢]

وترى الطير على آثارنا رأى عين ثقة أن ستمار

وقول أبى تمام :

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى يعقبان طير فى الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقاتل

فان الأفوه أفاد بقوله « رأى عين » قربها لأنها إذا بعدت تخيلت ولم ترَ . وإنما يكون قربها توقعا للفريسة ، وهذا يؤكد المعنى المقصود ، ثم قال : ثقة أن ستماره ، فجعلها واثقة بالميرة وأما أبو تمام فلم يلم بشيء من ذلك ، لكن زاد على الأفوه بقوله « فى الدماء نواهل » ثم باقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش ، وبذلك يتم حسن قوله إلا أنها لم تقاتل . . وهذه الزيادات حسنت قوله ، وإن كان قد ترك بعض ما أتى به الأفوه [٣]

= قد طيب الأفواه طيب ثنائه من أجل ذا نجد الثغور عذابا

فانه مقلوب قول الطائى :

تعطيك منطقها فتعلم أنه لجنى عذوبته يمر بثغرها

(١) زاجع ١٣٠ و ١٢٤ و ١٣٦ ج ٤ زهر الآداب ، ٣٨٤ الدلائل

(٢) ٢١٥ الصناعتين

هذا والعقبان جمع عقاب وإضافته للأعلام من إضافة المشبه به للمشبه أى أعلامه الشبيهة بالعقبان فى تلونها وفخامتها لأن الأعلام (الرايات) فيها ألوان مختلفة وقيل الاضافة حقيقية على معنى اللام لأن المراد بعقبان الأعلام الصور المعمولة من ذهب أو غيره على هيئة عقبان الطير الموضوعة على رأس العلم بمعنى الراية

وهذه الأنواع[1] ونحوها أكثرها مقبولة

(و) ومنها[2] ماأخرجه حق التصرف من قبيل الاخذ والاتباع إلى حيز الاختراع والابتداع وكل ما كان أشد خفاء كان أقرب إلى القبول .

هذا كله إذا علم أن الثانى أخذ من الأول ، وهذا لا يعلم إلا بأن يعلم أنه كان يحفظ قول الأول حين نظم قوله ، أو بأن يخبرهو عن نفسه أنه أخذه منه ، لجواز أن يكون الاتفاق من قبيل توارد الخواطر ، أى مجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ والسرقة ، كما يحكى عن ابن ميادة أنه أنشد لنفسه :

مفيد ومتلاف إذا ما أتيته تهلل واهتز اهتزاز المهند

فقيل له : أين يذهب بك ؟ هـذا للحطيئة ، فقال : الآن علمت أنى شـاعر إذ وافقته على قوله ولم أسمعه . ولهذا لا ينبغى لأحد بت الحـكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم الحال ، وإلافالذى ينبغى أن يقال : قال فلان كذا وقد سبقه إليه فـلان فقال كذا ، فيغتنم به فضيلة الصدق ويسلم من دعوى العلم بالغيب ونسبة النقص إلى الغير

[والله أعـــلم]

---

(١) أى المذكورة فى « غير الظاهر »

(٢) وفى العقد الفريد « الآخر إذا أخذ من الأول المعنى فزا ففيه ما يحسنه ويقربه ويوضحه فهو أولى به من الاول

(الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح)

ومما يتصل بهذا الفن[١] القول فى : الاقتباس ، والتضمين ، والعقد والحل؛ والتلميح .

[١ -] أما الاقتباس فهو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث[٢] لا على أنه[٣] منه كقول الحريرى « فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب» ، وقوله أنا أنبئكم بتأويله وأميز صحيح القول من عليله، وقول ابن نباتة الخطيب : فيا أيها الغفلة المطرقون أما أنتم بهذا الحديث مصدقون ما لكم لاتشفقون فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ماأنكم تنطقون ، وقوله أيضا من خطبة أخرى ذكر فيها القيامة : هناك يرفع الحجاب ويوضع الكتاب ويجمع من وجب له الثواب وحق عليه العقاب فيضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . . وقول القاضى الفاضل وقد ذكر الافرنج: وغضبوا زادهم الله غضباً وأوقدوا ناراً للحرب جعلهم الله لها حطباً . وكقول الحماسى :

إذا رمت عنها سلوة قال شافع من الحب ميعاد السلو المقابر
ستبقى لها فى مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر

وقول أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى[٤]

---

(١) أى بحث السرقات

(٢) أى كلاما يشبه القرآن أو الحديث فليس المضمن نفس القرآن أو الحديث لأنه يجوز فى اللفظ المقتبس تغيير بعضه ويجوز نقله عن معناه الوارد فيه ، ولو كان المضمن قرآنا حقيقة لكان نقله عن معناه كفرا وكذلك تغييره

(٣) أى على وجه لا يشعر بأنه من القرآن أو الحديث بأن لا يقول : قال الله أو قال الرسول

(٤) ١٧٥ الأدب العباسى لمحمود مصطفى

لآل فريغون فى المكرمات يد أولا واعتذار أخيرا
إذا ما حللت بمغناهم رأيت نعيما وملكا كبيرا ...

وقول الابيوردى[١]

وقصائد مثل الرياض أضعتها فى باخل ضاعت به الاحساب
فاذاتناشدها الرواةوأبصروا الممـ ـدوح قالوا ساحر كذاب

وقول الاخر[٢]

لا تعاشر معشرا ضلوا الهدى فسواء أقبلوا أو أدبروا
بدت البغضاء من أفواههم والذى يخفون منها أكبر

وقوله[٣] :

خلة الغانيات خلة سوء فاتقوا الله ياأولى الالباب
وإذا ما سألتموهن شيأ فاسألوهن من وراء حجاب

وقول الاخر[٤]

إن كنت أزمعت على هجرنا من غير ماجرم فصبر جميل
وان تبدلت بنا غيرنا فحسبنا الله ونعم الوكيل

وكقول الحريرى «وكتمان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة»، فان قوله انتظار الفرج بالصبر عبادة لفظ الحديث ، وقوله : قلنا شاهت الوجوه[٥] وقبح

---

(١) توفى عام ٥٥٧ ﻫ
(٢) هما لمحمد الشجاعى
(٣) هما لأبى منصور عبد الرحمن بن سعيد
(٤) هما لأبى القاسم بن الحسن الكاتبى وفى العقد ج ٤ ص ١١٩ البيت
قد كنت أزمعت على هجرنا فحسبنا الله ونعم الوكيل
يغنى به فى مجلس أبى عيسى بن المتوكل
(٥) شاهت : قبحت . قبح : لعن . اللكع : اللئيم

اللكع ومن يرجوه ، فان قوله شاهت الوجوه لفظ الحديث ، فانه روى لما اشتدت الحرب يوم حنين أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء ، فرمى بها فى وجوه المشركين ، وقال « شاهت الوجوه » أى قبحت . واللكع قبل هو اللئيم ، وقال أبو عبيد هو العبد ، وكقول الصاحب بن عباد :

قال لى أن رقيبى سيء الخلق فداره
قلت دعنى ، وجهك الجنـ ـة حفت بالمكاره

اقتبس من لفظ الحديث « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » . والاقتباس منه مالا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه اما صلى إلى معنى آخر كما تقدم ومنه ماهو بخلاف ذلك كقول ابن الرومى :

لئن أخطأت فى مدحيـ ـك ما أخطأت فى منعى
لقد أنزلت حاجاتى بواد غير ذى زرع[1]

ولا بأس بتغيير يسير لأجل الوزن أو غيره كقول بعض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه[2]

قد كان ماخفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

وقول عمر الخيام :

سبقت العالمين إلى المعالى بصائب فكرة وعلو همة
ولاج بحكمتى نور الهدى فى ليال للضلالة مدلهمة
يريد الجاهلون ليطفئوه ويأبى الله إلا أن يتمه

وكقول القاضى منصور الهروى الازدى

فلو كانت الأخلاق تحوى وراثة ولو كانت الآراء لا تتشعب

---

(١) وقال شاعر :
انظرونا نقتبس من نوركم إنه من نور رب العالمينا

(٢) الصحيح أنه لأبى تمام يرثى ابنه كما فى ديوانه .

لأصبح كل الناس قد ضمهم هوى كما أن كل الناس قد ضمهم أب
ولكنها الأقدار كل ميسر لما هو مخلوق له ومقرب

اقتبس من لفظ الحديث « اعملوا كل ميسر لما خلق له »

[٢ —] وأما التضمين (١) :

فهو أن يضمن الشعر شيئا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء كقول بعض المتأخرين قيل هو ابن التلميذ الطبيب النصرانى (٢) .

كانت بلهنية الشبيبة سكرة فصحوت واستبدلت سيرة بجمل

---

(١) راجع ص ٢٠ من طراز المجالس ،

(٢) هو أبو الحسن هبة الله بن صاعد بن هبة الله المعروف بأمين الدولة توفى سنة ٥٦٠ هـ (٤٣ ج ٣ أبو الفداء)

ملاحظة :

قوله الشعر يخرج به النثر فلا يجرى فيه التضمين وإنما اختص التضمين بالشعر لأن ضم كلام الغير فى الشعر على وجه يوافق المضموم اليه مما يستبدع إذ ليس سهل التناول ولذا عد من المحسنات بخلاف ضم كلام الغير فى النثر فانه لا استبداع فيه وخرج بقوله شيئا من شعر الغير ما إذا ضمن الشعر شيئا من نثر الغير فلا يسمى تضمينا بل عقداً . وقوله من شعر الغير المراد به : من شعر آخر فشمل ما إذا ضمن الشاعر شعره شيئا من شعر نفسه من قصيدة أخرى مثلا

وحسن التضمين للشعر :

هو أن يضمن الشاعر شعره شيئا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً ، وقد عرف هذا المعنى من قبله ابن المعتز ولكنهم لم يلقبوه هذا اللقب ، وقد نقد عبد الله بن طاهر أبا تمام فى اقتباسه من القرآن فى شعر له ورأى أن القرآن أجل من أن يستعار شىء من ألفاظه للشعر [٢١١ أخبار أبى تمام للصولى] ، ويذكر ابن المدبر حسن الاخذ من الشعر والأمثال [٧ الرسالة العذراء] ، ويقول المبرد فى أبى العتاهية : لا يكاد يخلى شعر مما تقدم من الأخبار =

وقعدت انتظر الفناء كراكب عرف المحل فبات دون المنزل

البيت الثانى لمسلم بن الوليد الأنصارى ، وقول عبد القاهر بن طاهر التميمى :

إذا ضاق صدرى وخفت العدى تمثلت بيتا بحالى يليق
فبالله أبلغ ما ارتجى وبالله أدفع مالا أطيق

وقول ابن العميد :

وصاحب كنت مغبوطاً بصحبته دهراً فغادرنى فرداً بلا سكن
هبت له ريح إقبال فطار بها نحو السرور وألجانى إلى الحزن
كأنه كان مطويا على إحن ولم يكن فى ضروب الشعر أنشدنى
ان الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن[1]

البيت لأبى تمام . . وكقول الحريرى :

على أنى سأنشد عند بيعى أضاعونى وأى فتى أضاعوا

المصراع الأخير قيل هو للعرجى وقيل لأمية بن أبى الصلت وتمام البيت :

ليوم كريهة وسداد ثغر[2]

= والآثار [٢٣٨ ج ١ الكامل] ، ويقول ابن سلام إن الزبرقان أخذ بيت النابغة :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقى حومة المستنفر العادى

فى شعره كالمثل حين جاء موضعه لاجتلابا وقد تفعل العرب ذلك لايريدون به السرقة [٢٠ طبقات الشعراء لابن سلام] .

ويذكر ابن المعتز شواهد لهذا الباب [١١٤ البديع] واحتذاه أبو هلال وابن رشيق [٣٨ صناعين ، ٨٠ ج ٢ العمدة]

(١) البيت لأبى تمام ويروى لابراهيم بن العباس الصولى ، وقبله :

أولى البرية طرا أن تواسيه عند السرور الذى واساك فى الحزن

[١٧٧ الطرائف الأدبية]

(٢) من أبيات فى زهر الآداب ٢٦٥ ج ٢

ولا حاجة إلى تقديره لتمام المعنى بدونه ، ومثله قول الآخر [١]

قد قلت لما أطلعت وجناته حول الشقيق الغض روضة آس
أعذاره السارى العجول ترفقا مافى وقوفك ساعة من باس

المصراع الأخير لأبى تمام ، وكقول الآخر [٢] :

كنا معاً أمس فى بؤس نكابده والعين والقلب منا فى قذى وأذى
والآن أقبلت الدنيا عليك بما تهوى فلا تنسى أن الكرام إذا

أشار إلى بيت أبى تمام ، ولابد من تقدير الباقى منه لأنه المعنى لايتم بدونه . وقد علم بهذا أن تضمن مادون البيت ضربان ، وأحسن وجوه التضمين أن يزيد المضمن فى الفرع عليه فى الأصل بنكتة : كالتورية والتشبيه فى قول صاحب التحبير [٣] :

إذا الوهم أبدى لى لماها وثغرها تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرنى من قدها ومدامعى مجر عوالينا ومجرى السوابق

المصراعان الأخيران لأبى الطيب [٤] ولايضر التغيير اليسير ليدخل فى معنى الكلام كقول بعض المتأخرين [٥] فى يهودى به داء الثعلب [٦] :

أقول لمعشر غلطوا وغضوا عن الشيخ الرشيد وأنكروه

---

(١) هو ابن خلكان [٢٥٦ الأدب الأندلسى لمحمود مصطفى]

(٢) ينسبان لتاجر ملك الأمير بدر بيلبك الخازندار وهو فى رقه ، ثم تقلبت الأحوال بهما فافتقر التاجر وارتفع المملوك ، فقال التاجر هذين البيتين :

(٣) هو ابن أبى : الأصبع الشاعر المصرى المشهور ٦٥٤ هـ صاحب تحرير التحبير فى البديع

(٤) العذيب وبارق موضعان فأراد الشاعر الثانى بالعذيب تصغير العذب يعنى شفة المحبوبة وبارق ثغرها الشبيه بالبرق وبما بينهما ريقها ، وهذا تورية

(٥) هما لضياء الدين موسى بن ماهم فى الرشيد عمر الغزي

(٦) مرض يسقط شعر الرأس

هو ابن جلا وطلاع الثنايا متى يضع العمامة تعرفوه

البيت لسجيم بن وثيل، وأصله

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى

وربما سمى تضمين البيت فما زاد استعانة، وتضمين المصراع فما دونه تارة إيداعا وتارة رفوا.

[٣ —] وأما العقد: فهو أن ينظم نثر لا على طريق الاقتباس (١)، أما عقد القرآن فكقول الشاعر:

أتلنى بالذى استقرضت خطا وأشهد معشرا قد شاهدوه

فان الله خلاق البرايا عنت لجلال هيبته الوجوه

يقول إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه

وأما عقد الحديث فكما روى الشافعى رضى الله عنه

عمدة الخير عندنا كلمات أربع قالهن خير البرية

اتق الشبهات، وازهد، ودع ما ليس يعنيك، وأعملن بنية

عقد قوله عليه السلام «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات»، وقوله عليه السلام «ازهد فى الدنيا يحبك الله»، وقوله عليه السلام: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، وقوله عليه السلام «إنما الأعمال بالنيات»، وأما عقد غيرهما (٢) فكقول أبى العتاهية:

ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر (٣)

---

(١) يعنى إن كان البيت قرآنا أو حديثا فنظمه إنما يكون عقد إذا غير تغييرا كثيرا أو أشير إلى أنه من القرآن أو الحديث وإن كان غير القرآن أو الحديث فنظمه عقد كيف ما كان أى سواء غير تغييرا يسيرا أو كثيرا إذ لا دخل فيه للاقتباس

(٢) أى غير القرآن والحديث

(٣) ١٩٤ ج ١ الكامل للمبرد، وقد استعاره الشهاب الخفاجى وضمنه شعره [٢٧٠ طراز المجالس]

عقد قول على رضى الله عنة : وما لابن آدم والفخر وانما أوله نطفة وآخره جيفه(١) . . . وقوله أيضا(٢) .

كفى حزنا : دفنك ثم انى ... نقضت تراب قبرك عن يديا
وكانت فى حياتك لى عظات ... وأنت اليوم أوعظ منك حيا

قيل : عقد قول بعض الحكماء فى الاسكندر لما مات : كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس (٣) . وقيل هو من قول المؤبذ لما مات قباذ الملك (٤)

وقول الآخر

ياصاحت البغى ان للبغى مصرعة ... فارجع فخير فعال المرء أعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل ... لاندك منه أعاليه وأسفله

عقد قول ابن عباس رضى الله عنهما : لو بغى جبل على جبل لدك الباغى ..

وقول (٥) الآخر

البس جديدك انى لابس خلقى ... ولا جديد لمن لا يتبس الخلقا(٦)

عقد المثل : لا جديد لمن لا خلق له ، قالته عائشة رضى الله عنها وقد وهبت مالا كثيرا ثم أمرت بلوب لها أن يرقع ، يضرب فى الحث على استصلاح المال

---

(١) ١٩٥ ج ١ الكامل للمبرد

(٢) لأبى العتاهية يرثى صديقه على بن ثابت راجع ص ٩٣ ج ٤ زهر الاداب و ١٥٠ ج ٣ البيان ، ١٩٣ ج ١ الجمهرة ، ٤٤٩ الأدب العباسى لمحمود مصطفى

(٣) ٧٣ و ٢٥٥ ج ١ البيان

(٤) راجع ١٩٤ ج ١ الكامل للمبرد

(٥) تمثلت به عائشة (ص) وقد أهدى لها توب جديد فليست القديم الخلق

(٦) وقال ابن الخطاب لابنة عبد عبد الله . لاعمل لمن لانية له ولا جديد لمن لا خلق له [٧١ ج ١ زهر الاداب] ، وقالت الحكماء : لا جديد لمن لم يلبس الخلق [٢٣٢ ج ٤ العقد من رسالة سهل ابن هرون فى البخل]

[٤-] وأما الحل : فهو أن ينثر نظم، وشرط كونه مقبولا شيئان أحدهما أن يكون سبكه مختارا لا يتقاصر عن سبك أصله والثانى أن يكون حسن الموقع مستقرا فى محله غير قلق، وذلك كقول بعض المغاربة :فانه لما قبحت فعلاته الا وحظلت نخلاته لم يزل سوء الظن يقتاده ويصدق توهمه الذى يعتاده حل قول أبى الطيب :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

وكقول صاحب «الوشى المرقوم فى حل المنظوم»(٢) ويصف قلم كاتب :فلا تحظى به دولة إلا فخرت على الدول وغنيت به عن الخيل والخول ، وقال : أعلى الممالك ما يبنى على الاقلام لا على الاسل حل قول أبى الطيب أيضاً

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل

وكقول بعض كتاب العصر فى وصف السيف

أورثه عشق الرقاب نحولا ، فبكى ، والدمع مطر ، تزيد به الخدود محولا

حل قول أبى الطيب أيضا

فى الخد إن عزم الخليط رحيلا مطر تزيد به الخدود محولا

[٥-] وأما التلميح: فهو أن يشار إلى قصة أو شعر من غير ذكره كقول ابن المعتز:

أترى الجيرة الذين تداعوا عند سير الحبيب وقت الزوال
علموا أننى مقيم وقلبى راحل فيهم أمام الجمال
مثل صاع العزيز فى أرحل القو م ولا يعلمون ما فى الرحال

---

(١) هذا حل لأبيات الشاعر :

أأقاتل الحجاج عن سلطانه بيد تقر بأنها مولاته

[راجعها فى ٣١ الموازنة ، ٣٨٣ الدلائل ، ١٢ طراز المجانس وهذه الأبيات لعمران بن حطان [٥ ج ٤ زهر الاداب]

(٢) هو كتاب لابن الاثير صاحب المثل السائر

وقول أبي تمام[١] :

لاقونا بأخراهم وقد حوم الهوى	قلوبا عهدنا طيرها وهى وقع
فردت علينا الشمس والليل راغم	بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
فاضوؤها صبغ الدجنة وانطوى	لبهجتها ثوب السماء المجزع
فوالله ما أدرى أأحلام نائم	ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع[٢]

أشار إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس ، فانه روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ادبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ، ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم ، فدعا الله فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم .

والثانى[٣] كقول الحريرى « وإنى والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته ، وأعددت له الأهب قبل موافاته » أشار . . . إلى قول ابن سكرة .

جاء الشتاء وعندى من حوائجه	سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا	بعد الكباب وكس ناعم ، وكسا[١]

---

(١) راجع ١٩٨ وساطة

(٢) حوم الهوى القلوب : ادارها حول الأحبة . طيرها : ما يتخالج فيها من الخواطر . وقع : جمع واقع يعنى أنها ساكنة غير متحركة . الرغم : ذليل . الخدر : الهودج . نضا : أذهب . الدجنة : الظلمة . المجزع : كل ما فيه سواد وبياض . ألمت : نزلت

(٣) وهو الاشارة الى شعر من غير ذكره .

والأول هو الاشارة إلى قصة

(١) القطر : المطر : الكن : البيت . الكيس : صرة الدراهم . الطلا مقصور طلاء وهو الخمر . الكسا . مقصور كساء وهو الثوب

وقوله أيضا « بت بليلة نابغية » أو مأبه إلى قول النابغة

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع

وقول غيره (١)

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى أرق وأحفى منك فى ساعة الكرب

أشار إلى البيت المشهور

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار (٢)

* * *

ومن التلميح ضرب يشبه اللغز : كما روى أن تميميا قال لشريك النميرى : « ما فى الجوارح أحب إلى من البازى » ، فقال : « إذا كان يصيد القطا » . أشار التميمى إلى قول جرير

أنا البازى المطل على نمير أتيح من السماء لها انصبابا.

وأشار شريك إلى قول الطرماح

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ولو سلكت طرق المكارم ضلت

[انتهى الفصل الأول]

[فى السرقات وما يتصل بها]

---

(١) هو أبو تمام الشاعر المشهور

(٢) لما رمى جساس كليبا قال لعمرو (وهو جساس) : ناولنى شربة ماء فجاء فأجهز عليه فقيل فيه البيت . وقيل إن عمرا هو ابن الحارث لا جساس

[الفصل الثانى من الخاتمة]

[فى حسن الابتداء والتخلص والانتهاء]

ينبغى للمتكلم أن يتأنق فى ثلاثة مواضع من كلامه ، حتى تكون أعذب لفظا وأحسن سبكا ، وأصح معنى

الأول

الابتداء

لأنه [١] أول مايقرع السمع ، فان كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه ، وان كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه وان كان فى غاية الحسن . . فمن الابتداءات المختارة قول امرىء القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل[٢]

وقول النابغة (الذبيانى)

كلينى كلهم ياأميمة ناصب وليل أقاسيه بطىء الكواكب[٣]

وقول أبى الطيب :

أتظنى من زلة أتعتب ؟ قلبى أرق عليك مما تحسب

وقوله : أريقك أم ماء الغمامة أم خمر بفى برود وهو فى كبدى جمر[٤]

وقوله : فراق ومن فارقت غير مذمم وأم ومن يممت خير ميمم

---

(١) علة لاستحسان التأنق فى هذا الموضع

(٢) راجع ٤٢٠ صناعتين

(٣) راجع ٤١٩ صناعتين

(٤) راجع ٤٢٢ صناعتين

وقوله : أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة فى المآقى

وقول الآخر :

زموا الجمال فقل للعاذل الجانى لا عاصم اليوم من مدرار أجفانى

وينبغى [١] أن يجتنب فى المديح ما يتطير به فانه قد يتفاءل به الممدوح أو بعض الحاضرين ، كما روى أن ذا الرمة أنشد هشام بن عبد الملك قصيدته البائية .

ما بال عينك منها الماء ينسكب [٢]

قال هشام : بل عينك . ويقال ان ابن مقاتل الضرير [٣] أنشد الداعى العلوى قصيدته التى أولها :

موعد أحبابك بالفرقة غد

فقال [٤] له الداعى : موعد أحبابك ، ولك المثل السوء . . وروى أيضا أنه دخل عليه فى يوم مهرجان وأنشد .

لا تقل بشرى ولكن بشريان غرة الداعى ويوم المهرجان [٥]

فتطير به ، وقال : أعمى تبتدىء بهذا يوم المهرجان ، وقيل بطحه وضربه خمسين

---

(١) راجع ٤١٧ صناعتين

(٢) راجع ٤١٨ صناعتين ؛ وفى ص ٣٥٨ الأدب الاسلامى لمحمود مصطفى أنه أنشدها عبد الملك .

(٣) فى الصناعتين « أبو مقاتل »

(٤) راجع ١٣٩ من المفتاح

(٥) راجع ٤١٩ صناعتين

هذا وكان أبو ادريس السمان يقول : « وأنتم فلا صبحكم الله الا بالخير » ذكر ذلك الجاحظ فى باب العى [١٧٠ ج ٢ البيان]

عصا ، وقال اصلاح أدبه أبلغ فى ثوابه .. وقيل (١) لما بنى المعتصم بالله قصره بالميدان وجلس فيه أنشده اسحق الموصلى :

يادار غيرك البلى ومحـــاك ياليت شعرى مالذى أبلاك (٢)

فتطير المعتصم بهذا الابتداء ، وأمر بهدم القصر .. ومن أراد ذكر الديار والاطلال فى مديح فليقل مثل قول القطامى :

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل

أو مثل قول أشجع السلمى

قصر عليه تحية وسلام خلعت عليه جمالها الأيام (٣)

وأحسن الابتدءات ما ناسب المقصود ويسمى براعة الاستهلال : كقول أبى تمام يهنىء المعتصم بالله بفتح عمورية وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح فى ذلك الوقت :

السيف أصدق انباء من الكتب فى حده الحد بين الجـد واللعب

بيض الصفائح لاسود الصحائف فى متونهن جلاء الشك والريب

وقول أبى محمد الخازن يهنىء ابن عباد بمولود لبنته :

بشرى فقد أنجز الاقبال ما وعدا وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا

وقول الآخر.

أبشر فقد جاء ما تريد أباد أعداءك المبيد

وكقول أبى الفرج الساوى يرثى بعض الملوك من آل بويه أظنـــه فخر الدولة :

---

(١) راجع ٤١٨ صناعتين

(٢) راجع ٤١٨ صناعتين

(٣) راجع ١٦٦ و ٤١٩ صناعتين

هى الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى

وكذا قول أبى الطيب يرثى أم سيف الدولة

نعد المشرفية والعوالى وتقتلنا المنون بلا قتال

ونرتبط السوابق مقـــربات

وما ينجين من خبب الليالى (١)

---

(١) المشرفية : السيوف المصنوعة فى مشارف الشام . العوالى : الرماح . المنون . المنية . السوابق . الخيول . الخبب : ضرب من السير .

ملاحظة :

حسن الابتداء يسميه بعضهم براعة الاستهلال [١٣٣ — ١٣٥ البديـــع لابن المعتز]

وقد أورد فى هذا الباب قول النابغة « كليني لهم يا أميمة ناصب »

قال ابن أبى الأصبع : ولقد أحسن ابن المعتز الاختيار [ص٣ خزانة الأدب]. ويقول الحلبى : وحسن الابتداء تسمية ابن المعتز وأراد بها ابتداءات القصائد وقد فرع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال [٩٣ حسن التوسل]

وقد ذكر أرسطو أنه يحسن فى صدر الخطب الاشارة إلى الغرض المقصود ، وذكر أن للكلام الخطابى صدرا واقتصاصا وخاتمة وأشار ابن المدبر إلى حسن الابتداء [ص ٢] . وذكر ابن المقفع أنه يجب أن يكون فى صدر كلامك دليل على حاجتك [٩١ ج ١ البيان] ، وشرح ذلك الجاحظ شرحا [٩٢ ج ١ المرجع] وافيا مقررا بلاغة هذا اللون أحسن تقرير ، ولكن ابن المعتز هو الذى سبق إلى هذه التسمية وأفاض فى ذكر شواهد هذا الباب ، ممـــا احتذاه فيه أبو هلال [٤١٧ - ٤٢٣ صناعتين] وسواه .

الثانى

التخلص[١]

ونعنى به الانتقال مما شبب به[٢] الكلام من تشبيب[٣] أو غيره إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما[٤].

لأن السامع يكون مترقبا للانتقال من التشبيب إلى المقصود كيف يكون، فاذا كان حسنا متلائم الطرفين حرك من نشاط السامع، وأعان على إصغائه إلى ما بعده، وإن كان بخلاف ذلك كان الأمر بالعكس

فمن التخلصات المختارة قول أبى تمام:

يقول فى (قومس) قومى وقد وأخذت
منا السرى وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا
فقلت كلا ولكن مطلع الجود[٥]

---

(١) راجع كلمه للحاتمى فى ذلك [١٦ ج ٣ زهر الآداب] وراجع حسن التخلص فى شعر لمحمد بن وهيب (١٧ ج ٣ المرجع)، ومثلا لحسن التخلص [١٨ ج ٣ المرجع]

(٢) أى ابتدىء وافتتح به

(٣) أى وصف للجمال والنساء والحب

(٤) أى بين ما ابتدى به الكلام وبين المقصود، واحترز بهذا عن الاقتضاب

(٥) يمدح بالابيات عبد الله بن طاهر. قومس: إسم بلد بايران. أخذت: أثرت. السرى: السير بالليل. المهرية: الابل المنسوبة إلى مهرة. القود جمع أقود وهى الطويلة الظهور والاعناق. ولمسلم:

أمغرب الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الكرم

وقول مسلم (١) :

أجدك ما تدرين أن رب ليلة كأن دجاها من قرونك ينشر
سهرت بها حتى تجلت بغرة كغرة يحيى حين يذكر جعفر

وقول أبي الطيب يمدح المغيث العجلي :

مرت بنا بين تربيها فقلت لها من أين جالس هذا الشادن العربا
فاستضحكت ثم قالت كالمغيث يرى ليث الشرى وهو من عجل إذا انتسبا

وقوله أيضا

خليلي مالي لا أرى غير شاعر فكم منهم الدعوى ومني القصائد
فلا تعجبا إن السيوف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحد

* * *

وقد ينتقل من الفن الذي شبب الكلام به إلى ما لا يلائمه ، ويسمى ذلك الاقتضاب ، وهو مذهب العرب الأولى ومن يليهم من المخضرمين (٢) ، كقول أبي تمام :

لو رأى الله أن في الشيب خيراً جاورته الأبرار في الخلد شيبا
كل يوم تبدي صروف الليالي خلفاً من أبي سعيد غريبا (٣)

ومن الاقتضاب ما يقرب من التخلص كقول القائل بعد حمدالله « أما بعد » ، قيل وهو فصل الخطاب ، وكقوله تعالى (هذا وإن للطاغين لشر مآب) ، أي الأمر

---

(١) راجع ٤٠٧ ج ٣ العقد ، ٤٤٠ صناعتين

(٢) قال زهير :

دع ذا وعد القول في هرم خير الكهول وسيد الحضر

(٣) ١٤١ ج ٤ زهر الآداب . ولمسلم :

وأحببت من حبها الباخلين حتى ومقت ابن سلم سعيدا

هذا ، أو هذا كما ذكر ، وقوله تعالى « هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب »[١] ، ونحوه قول الكاتب « هذا فصل ، هذا باب »

الثالث

الانتهاء

لأنه آخر مايعيه السمع ، ويرتسم فى النفس . فان كان مختارا كما وصفنا جبر ماعساه وقع فيما قبله من التقصير ، وان كان غير مختار كان بخلاف ذلك وربما أنسى محاسن مافبله . . . فمن الانتهاءات المرضية قول أبى نواس :

فبقيت للعـــلم الذى تهدى له ... وتقاعست عن يومك الأيام

وقوله :

وانى جدير إذ بلغتك بالمنى ... وأنت بما أملت منك جدير
فان تولنى منك الجميل فأهله ... والا فانى عاذر وشكور[٢]

وقول أبى تمام فى خاتمة قصيدة فتح عمورية

إن كان بين صروف الدهر من رحم ... موصولة أو ذمام غير مقتضب
فبين أيامك اللاتى نصرت بها ... وبين أيام بدر أقرب النسب
أبقت بنى الأصفر الممراض كاسمهم ... صفر الوجوه وجلت أوجه العرب

---

(١) قال ابن الأثير : والفصل هنا أحسن من الوصل وهو علاقة وكيدة بين الخروج من إلى كلام آخر ، أى مما يفصل بين كلامين فصلا أحسن عند البلغاء من التخلص الذى هو الوصل بالمناسبة لأن لفظة هذا تنبه السامع على أن ما سيلقى عليه بعدها كلام آخر غير الأول ولم يؤت بالكلام الثانى فجاة حتى يشوش على السامع سمعه لعدم المناسبة وأما التخلص المحض فليس منه تنبيه السامع على أن مايلقيه هل هو كلام آخر أولا

(٢) راجع ١٢١ ج ١ العقد الفريد

وأحسن الانتهاآت ما آذن بانتهاء الكلام كقول الآخر[١]

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهـــذا دعاء للبرية شامل

وقوله[٢]

فلاحطت لك الهيجاء سرجا ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

وجميع[٣] فواتح السور وخواتمها واردة على أحسن وجوه البلاغة وأكملها يظهر ذلك بالتأمل فيها مع التدبر لما تقدم من الأصول

والله الموفق للخيرات ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا ؟

---

(١) هو المعرى أو المتنبى

(٢) هو المتنبى

(٣) راجع ٤٢٣ صناعتين

بحوث ودراسات

للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

[ملحق للجزء السادس من شرح الايضاح]

— ١ —

نوعان آخران

من المحسنات المعنوية

هناك أنواع أخرى من المحسنات المعنوية ، غير التى ذكرها الخطيب . ولا بأس بأن نذكر منها نوعين هما : الالتفات ، والاعتراض ، وإن كان قد سبق الكثير عنهما فى علم المعانى :

١ — الالتفات :

أشار إليه صاحب الجمهرة فذكر أن العرب تخاطب الشاهد مخاطبة الغائب[١] ، وكذلك فعل المبرد[٢] فذكر أن العرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد وبالعكس[٣]

وحكى عن إسحاق الموصلى قال : قال لى الأصمعى : أتعرف التفاتات جرير ؟ قلت وماهى فأنشدنى :

أتنسى إذ تودعنا سليمى بعود بشامة سقى البشام

ثم قال : ألا تراه مقبلا على شعره إذ التفت إلى البشام فدعا له[٤]

والالتفات هو الاعتراض عند قوم منهم صاحب العمدة[٥] ، ولذلك ذكر ابن

---

(١) ٣ جمهرة أشعار العرب (٢) ٢٧١ ج ١ ، ٣٠ ج ٢ الكامل

(٣) ٣٠ ج ٢ الكامل (٤) ٤٤ ج ٢ العمدة (٥) ٤٢ ج ٢ العمدة

رشيق فى عمدته بعض مثل للالتفات ذكرها ابن المعتز فى باب الاعتراض[١] : كما نقل ابن رشيق مثلا للالتفات ذكرها ابن المعتز فى باب الالتفات[٢]، وقال آخرون هو الاستدراك وحكاه قدامة وسبيله أن يكون الشاعر آخذا فى معنى ثم يعرض له معنى غيره فيعدل عن الأول إلى الثانى فيأتى به ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل فى شىء بالأول[٣].

وعرفه ابن المعتز بأنه انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الأخبار وعن الأخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك أو الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر[٤] ويستحسن ابن رشيق هـذا التعريف[٥]، وتبع أبو هلال قدامة[٦] وكذلك الباقلانى[٧] قال : ومتى خرج عن الكلام الأول ثم عاد إليه على وجه يلطف كان ذلك التفاتا. فللالتفات معنيان : ماذهب إليه صاحب الجهرة والمبرد، وماذهب إليه قدامة وأبو هلال والباقلانى، وقد عرفه ابن المعتز بتعريف يجمع المعنيين، وصاحب نقد النثر يسمى الالتفات : الصرف[٨]

يعرف ابن المعتز هـذا اللون[٩] ويذكر شواهد له[١٠]، وقد تبعه ابن رشيق فأفاض فى الحديث عنه[١١]

---

(١) راجع ٤٢ - ٤٤ ج ٢ العمدة، ١٠٨ البديع

(٢) ٤٤ ج ٢ العمدة، ١٠٧ البديع

(٣) ٤٢ ج ٢ العمدة، و ٨٧ نقد الشعر

(٤) ١٠٦ البديع، ٨٠ حسن التوسل

(٥) ٤٤ ج ٢ العمدة

(٦) ٣٨٣ -- ٣٨٥ صناعتين

(٧) ٩٠ إعجاز القرآن

(٨) ٧١ نقد النثر (٩) ١٠٦ البديع (١٠) ١٠٧ البديع

(١١) ٤٢ ج ٢ وما بعدها العمدة

٢ — الاعتراض ؟

فى خطابة أرسطو يجعل إدخال كلام فى كلام - وهو الاعتراض الطويل بين الكلام المتصل بعضه ببعض - من الأشياء المفسدة لرونق النظم .

ويعرف ابن المعتز الاعتراض بأنه اعتراض كلام فى كلام لم يتم معناه ثم يعود إليه فيتمه فى بيت واحد (١) ، وقد تبعه أبو هلال (٢) .

— ٢ —

متى تحسن المحسنات البديعية ؟

تحسن المحسنات إذا :

١ — طلبها المعنى واستدعاها المقام

٢ - وكانت غير متكلفة ولا متراكمة بجوار بعضها

٣ — وأكسبت الكلام سحرا . بأن تشوق السامع ، وتقرب المعنى منه

٤ — وكانت فى موضعها الملائم من الأسلوب

وإذا لم تستوف المحسنات البديعية شروط حسنها كانت قبيحة مملولة فلا توضح المعنى وتقربه أو تشوق اليه بل تخفيه وتبعده وتجعل السامع يمل من سماع الكلام

تراكم المحسنات البديعية .

إذا كثرت المحسنات البديعية فى الكلام جنت على المعنى وقللت من جمال الأسلوب وروعته ولم تفد السامع كبير فائدة

وإنما تستحب المحسنات إذا تصرف فيها الأديب بذوقه وطبعه فجاءت قليلة جميلة رائعة على ما سبق فى الفصل السابق

---

(١) ١٠٨ البديع .

(٢) ٣٨٥ صناعتين .

ومن أمثلة تراكم المحسنات البديعية قول الحريرى :

زينت زينب ، بقـــد يقد وتلاه ويلاه نهـد يهـــد
جندها جيدها ، وظرف وطرف ناعس تاعس ، بحـد يحـــد
قدرها قد زها وتاهت وباهت واغتدت واعتدت بخد يخد

اختلاف الأذواق فى تقدير ضروب البديع

١ — كان الأدباء فى العصور الماضية يحبون السجع ويلتزمونه فى كلامهم والسجع ضرب من ضروب المحسنات البديعية اللفظية

ولكننا فى العصر الحديث لانلزم السجع ولا نستحسن الكثير منه وهكذا تجد أثر اختلاف الذوق فى تقدير البديع باختلاف الزمن والبيئة .

ومن الأدلة على ذلك أيضا استحسان الكتاب والأدباء فى العصور السابقة لألوان المحسنات البديعية وولعهم بها من : اقتباس وتضمين وذكر لاصطلاحات العلوم ولتاريخ الحوادث فى آخر القصيدة وغيرها .

أما الآن فلا يحفل كتابنا وأدباؤنا بالمحسنات البديعية مهما كان لونها ولا يعيرونها أهمية .

فضروب البديع يختلف حسنها وقبحها باختلاف الزمن والبيئة .

— ٣ —

(أ) مختصرات المفتاح :

١ — تلخيص المفتاح للخطيب م ٧٣٩
٢ — الايضاح للخطيب وهو كالشرح عليه
٣ — مختصر المفتاح للعضد م ٧٥٦

(ب) شروح تلخيص المفتاح للخطيب :

١ — شرح الخلخالى م ٧٤٥

٢ — شرح عروس الأفراح للسبكى م ٧٧٣

٣ شرح الزوزنى م ٧٩٢

٤ — شرح السعد م ٧٩٢ ، وهو المطول وله شرح آخر وهو المختصر .

٥ — شرح أبيات التلخيص للعباسى ٩٦٣ م فى كتابه معاهد التنصيص .

٦ وشرح التلخيص ابن عربشاه م ٩٤٥ فى كتابه الأطول .

٧ — ونظم السيوطى مفتاح التلخيص فى كتابه : عقود الجمان

٨ — شرح ابن يعقوب الذى انتهى منه عام ١١٠٨

٩ — شرح الدسوقى الذى انتهى منه عام ١٢١٠ .

(ح) شروح المطول :

١ — حاشية السيد م ٨١٦

٢ — حاشية الفنارى م ٨٨٦

٣ — حاشية منلا خسرو م ٨٨٥

٤ — حاشية السيرامى المصرى م ٨٣٣

٥ — حاشية الحفيد م ٩٠٦

٦ — حاشية الشيرازى م ٩٩٤

(د) هذا ولجمال الدين محمد بن محمد الأقصرائى م ٨٠٠ هـ كتاب « إيضاح الايضاح » ، وهو كالشرح لايضاح القزوينى [٢ و ٤٥٩ بلاغة ، مخطوط — دار الكتب الملكية] .

وفى مكتبة الأزهر شرح مخطوط لشواهد الايضاح

— ٤ —

السرقات الشعرية

أولا : السرقات الشعرية ألف فيها علماء النقد والأدب فى شتى العصور ، ولعل

بدء التأليف فيها كان فى القرن الثالث الهجرى ، فقد ألفت كتب فى سرقات البحترى وأبى تمام اللذين شغلا الناس دهرا طويلا .

فلابن السكيت م ٢٤٤ هـ كتاب السرقات[١]، وللزبير بن بكار م ٢٥٦ كتاب فى إغارة كثير على الشعراء[٢] .

ولأحمد بن أبى طاهر طيفور م ٢٨٠ سرقات البحترى من أبى تمام[٣] ، وقد أخرج للبحترى ٦٠٠ بيت مسروق منها ما أخذه من أبى تمام خاصة نحو مائة[٤]، وقد أخرج سرقات أبى تمام فأصاب فى بعضها وأخطأ فى البعض لأنه خلط الخاصى من المعانى بالمشترك بين الناس مما لايكون مثله مسروقا[٥] ، ولأبى الضياء بشر ابن يحيى سرقات البحترى من أبى تمام وكتاب السرقات الكبير[٦] ، ولجعفر بن حمدان م ٣٢٣ هـ كتاب السرقات[٧] ، وألف أحمد بن عمار م ٣١٤ هـ فى سرقات أبى تمام ومهلهل بن يموت فى سرقات أبى نواس[٨] وألف السجستانى فى القرن الرابع فى سرقات أبى تمام ، وللامدى فى السرقة كتاب الخاص والمشترك من المعانى - وكتاب فى أن الشاعرين لا تتفق خواطرهما ، وللخالدى رسالة صغيرة اسمها « ظلامة أبى تمام » وضعها على لسانه يشكو الواعظ الموصلى وكان كثير الاغارة فى كلامه وشعره على شعر أبى تمام[٩]

---

(١) ١٠٨ فهرست ابن النديم

(٢) ١٦١ فهرست « «

(٣) ٢١٠ فهرست ، ١٦٦ و ١٧١ الوساطة

(٤) ١٣١ الموازنة (٥) ٥١ الموازنة . وينقد الآمدى كثيرا من الأبيات التى عدها ابن أبى طاهر من السرقات [٥١ — ٦٠ الموازنة]

(٦) ١٤٩ الموازنة ، ٢١٣ فهرست ١٦٦ الوساطة . وكتابه الأول ينقل عنه الآمدى فى الموازنة (١٣٧ — ١٤٨) . ثم ينقده (١٤٩ — ١٥٧ الموازنة)

(٧) ٢١٣ فهرست (٨) ١٦٦ وساطة

(٩) ٣٠٤ - ٣٠٩ الريحانة

ولابن المعتز كتاب فى « سرقات الشعراء » وهو مفقود ويشير إليه الآمدى كثيرا ، وورد ذكره فى الفهرست ووفيات الأعيان وشذرات الذهب

وتوالى التأليف فى السرقات الشعرية طول العصور ، أوليس يعنينا الاشارة الى الموجود منها الآن ، فذلك ليس قصدنا من هذه العجالة ، وإنما كان غرضنا الارشاد إلى بدء التأليف فى السرقات .

ثانياً : وقد مضى حكم النقاد بأن الشاعرين إذا تعاورا معنى ولفظا أو هما معا أن يجعل السبق لأقدمهما وأولهما موتا ويثبت الاحتذاء إلى المتأخر[١] ، ولا يعلم فى الأرض شاعر متقدم فى تشبيه تام أو فى معنى غريب عجيب أوفى معنى شريف كريم أوفى بديع مخترع إلاوكل من جاء من الشعراء من بعده إن هو لم يقدر على لفظه فيأخذه فانه لايدع أن يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكا فيه[٢] فليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعانى ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ، على أن المعانى مشـــتركة بين العقلاء وإنما تتفاضل الناس فى الألفاظ ورصفها وتأليفها[٣] ، والمخترع معروف له فضله غير أن المتبع إذا تناول معنى فأجاده فهو أولى به من مبتدعه فأما إن ساوى المبتدع فله فضيلة حسن الاقتداء لاغير فان قصر كان ذلك دليلا على سوء طبعه وضعف قدرته ، ويقول أبو العتاهية :

إن خير الكلام ما يستعير الناس منه ولم يكن مستعارا

ويجعل البحترى الاحتذاء فى الأسلوب سرقة وأخذا وان اختلف المعنى[٤] ، والسرقة إنما تقع فى البديع النادر والخارج عن العادة[٥] والذى ليس للناس فيه

---

(١) ١٠٠ أخبار أبى تمام للصولى ، وراجع فى ذلك ٢٧٦ ج ٢ العمدة

(٢) ٩٦ ج ٣ الحيوان

(٣) ١٨٩ صناعتين

(٤) ٢٧٤ ج ٢ العمدة

(٥) راجع ١٦٦ ج ٣ زهر

(٦) ١٤ قراضة الذهب لابن رشيق

اشتراك[١] وقد تشترك الجماعة فى الشىء المتداول وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب أو ترتيب يستحسن أو تأكيد يوضع موضعه أو زيادة اهتدى لها دون غيره فيريك المشترك المبتذل فى صورة المبتدع المخترع[٢] والمشترك العامى قد يصير خاصيا إذا غيرت صورته وهذبت طريقته[٣] ولا يعذر الشاعر فى سرقته حتى يزيد فى إضاءة المعنى أو يأتى بأجزل من الكلام الأول أو يسنح له بذلك معنى يفضح به ما تقدمه ولا يفتضح به[٤] على أن كثيرا من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعانى من كبير مساوىء الشعراء وخاصة المتأخرين إذ كان هذا بابا ما تعرى منه متقدم ولا متأخر[٥]

ثالثا :

يرى القاضى الجرجانى الأديب الناقد م ٣٩٢ هـ فى كتابه الوساطة بين المتنبى وخصومه أن المعانى الشعرية محدودة وأن الشعراء لهم عذرهم فى سرقة المعانى ممن سبقهم ما دامت المعانى محدودة .

ونحن نقول إن المعانى الشعرية غير محدودة . وخاصة فى عصرنا الحديث عصر الحضارة والنور والمدنية والاختراعات الحديثة وبعد أن اهتدى الناس إلى علوم النفس وسواها من شتى العلوم التى وسعت دائرة الفكر البشرى وجعلته يفهم العواطف الانسانية وأسرار الجمال والحياة فهما دقيقا .

وتطور الحضارة والثقافة العلوم والآداب والفنون وما يجد من اختراعات كل ذلك مادة لا كتساب معان جديدة ولتوسيع دائرة البيان ولتوليد الصور البيانية الحية ، وهو شاهد على أن المعانى الشعرية غير محدودة

(١) ٢٣ موازنة (٢) ١٥٠ وساطة
(٣) ٢٩٥ أسرار البلاغة
(٤) ٢٤ رسائل ابن المعتز جمع ونشر وتعليق محمد عبد المنعم خفاجى
(٥) ١٣١ الموازنة

— ٥ —

صحيفة بشر بن المعتمر فى البلاغة

عن البيان والتبيين للجاحظ

مر بشر بابراهيم بن جبلة بن مخرمة السكونى الخطيب وهو يعلم الفتيان الخطابة فوقف بشر ، فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد أو ليكون رجلا من النظارة ، فقال بشر :

اضربوا عما قال صفحا واطووا عنه كشحا

ثم دفع اليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه ، وكان أول ذلك الكلام :

خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك ، فان قليل تلك الساعة أكرم جوهرا ، وأشرف حسبا ، وأحسن فى الاسماع . وأحلى فى الصدور وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة ، من لفظ شريف ومعنى بديع

واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الاطول بالكد والمطاولة والمجاهدة وبالتكلف والمعاودة . ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا وخفيفا على اللسان سهلا ، وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه .

وإياك والتوعر ، فان التوعر يسلمك إلى التعقيد ، والتعقيد يستهلك معانيك ويشين ألفاظك ، ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما ، فان حق المعنى الشريف ، اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما ، وعما تعود من أجله إلى أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس إظهارهما وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما .

وكن فى ثلاث منازل : فان أولى الثلاث : أن يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا ، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا ، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت والمعنى ليس

يشرف بأن يكون من معانى الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معانى العامة ، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال . وكذلك اللفظ العامى والخاصى ، فان أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك أن تفهم العامة معانى الخاصة وتكسوها الألفاظ الواسطة التى لا تلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الأكفاء ؛ فأنت البليغ التام .

فان كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ، ولا تسنح لك عند أول نظرك وفى أول تكلفك ، وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر إلى قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها ، والقافية لم تحل فى مركزها وفى نصابها ولم تتصل بشكلها ، وكانت قلقة فى مكانها نافرة من موضعها ، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول فى غير أوطانها ، فانك إذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور ، لم يعبك بترك ذلك أحد ، وإن أنت تكلفتها ولم تكن حاذقا مطبوعا ولا محكما لسانك بصيرا بما عليك أو مالك ، عابك من أنت أقل عيبا منه ، ورأى من هو دونك أنه فوقك .. فان ابتليت بأن تتعاطى الصنعة وتتكلف القول ولم تسمح لك الطباع فى أول وهلة وتعصى عليك بعد إجالة الفكرة فلا تعجل ولا تضجر ودع بياض يومك أو سواد ليلك وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك ، فانك لا تعدم الاجابة والمواتاة إن كانت هناك طبيعة أو جريت من الصناعة على عرق

فان تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ومن غير طول إهمال ، فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك وأخفها عليك ، فانك لم تشتهه ولم تنازع اليه إلا وبينكما نسب ، والشىء لا يحن إلا الى ما يشاكله ، وإن كانت المشاكلة قد تكون فى طبقات لأن النفوس لا تجود بمكنونها ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود مع المحبة والشهوة ، فهكذا هذا .

قال بشر : فلما قرئت على ابراهيم قال لى : أنا أحوج الى هذا من هؤلاء الفتيان .

نقد النثر وشخصية مؤلفه المجهول

— ١ —

« نقد النثر » كتاب رائع فى البيان وأساليبه وفنونه من نثر وشعر وخطابة وجدل ومحادثة وفى البلاغة وحقيقتها وأوصافها ومظاهر الجمال فيها . والكتاب ينطق عن ثقافة مؤلفه الواسعة ، وإلمامه البعيد بالكثير من علوم الدين والعربية ، وعلوم الفلسفة والكلام . وقد تأثر مؤلفه فيه أكثر ما تأثر بكتاب الخطابة لأرسطو ، وكتاب البيان للجاحظ ، وهو أول مؤلف كامل فى البيان يطلعنا على التطور التأليفى فى هذا العلم .

وقد تولت كلية الآداب نشره فى عام ١٩٣٢ ، وكتب أستاذان من أساتذتها مقدمتين له ؛ وقد اعتمدا فى نشره على صورة فتوغرافية للنسخة الوحيدة المخطوطة والمحفوظة بمكتبة الاسكوريال تحت رقم ٢٤٣ .. وقد ثارت ضجة كبيرة حول مؤلف هذا الكتاب ، واختلف فى ذلك العلماء اختلافا كبيرا :

فالمرحوم الأستاذ الشنقيطى [١] والأستاذ العبادى [٢] يتابعان بعض المستشرقين فى أن الكتاب لقدامة بن جعفر م سنة ٣٣٧ هـ . ولكن بروكلمان ودر نبورغ [٣] يريان أن الكتاب لتلميذ لقدامة ورد اسمه على الصفحة الأولى من النسخة الخطية للكتاب ، وهو أبو عبد الله بن أيوب ، ويتابعهما فى ذلك هيوار . أما الأستاذان لفى دلا فيدا ، وكرتشوفسكى فيريان أن ابن أيوب رجل أندلسى عاش بعد قدامة بعهد طويل ، وأنه استمد نقد النثر من مؤلفات قدامة . ولكن بعض المستشرقين يقفون فى بحثهم موقف الشك ، ويتابعهم فى ذلك الدكتور طه حسين بك. وبين هذا

---

(١) تقرير رقم ٢٤٣ مكتبات بدار الكتب المصرية

(٢) ص ٤٢ مقدمة نقد النثر للاستاذ العبادى . الطبعة الثانية

(٤) دائرة المعارف الاسلامية مادة قدامة .

الاختلاف الكثير ، يجد الباحث مشقة عسيرة فى الوصول إلى نتيجة حاسمة فى ذلك المجال الغامض العسير .

ولكن متابعة البحث والافادة من البحوث التى ألقاها الأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة فى محاضراته بكلية اللغة ، والتى اتجه فيها إلى نفى نسبة الكتاب لقدامة ودمغ ذلك بحجج قوية ، كل ذلك يؤدى بنا إلى ثلاث نتائج خطيرة :

أولا : أن الكتاب ليس لقدامة ، ولا يمكن أن يكون له ، وأدلتنا على ذلك:

(ا) لم يذكر قدامة فيما وصل الينا من كتبه أن له كتابا بهذا الاسم ولا فى ذلك الموضوع نفسه ، وقد أرخ لقدامة علماء كثيرون كابن النديم — وهو أقربهم عهدا به — وكالخطيب البغدادى وابن خلكان وسواهم ، ولم يذكر أحد منهم أن له كتابا بهذا العنوان ، مع أنهم ذكروا كتابه « نقد الشعر » وعنوا به وحفزوا بهذه العناية بعض العلماء لشرحه والتعليق عليه ،

(ب) ومن العسير أن يؤلف مؤلف كتابين فى موضوع واحد كالنقد ثم لا يحيل القارىء فى أحد كتابيه على الآخر ، مع أن مؤلف « نقد النثر » يحيل على كتبه الأخرى كثيرا .

(ج) على أن شك العلماء والباحثين فى نسبة الكتاب لقدامة ، وجزم بعضهم جزما يعتمد على الدليل بان الكتاب ليس له ، كل ذلك ينفى أن يكون الكتاب لقدامة .

(د) وشخصية قدامة شخصية المستقل فى آرائه المجدد فى بحوثه ، كما نعرفه فى كتابه « نقد الشعر » الثابتة نسبته له ، أما شخصية مؤلف نقد النثر كما تبدو من الكتاب فهى شخصية المحتذى لغيره ، يظهر ذلك فى احتذائه للجاحظ وكتابه « البيان والتبيين » وأخذه الكثير عنه فى كل فصل وباب كما يظهر ذلك فى احتجاجه بآراء أرسطو واقتباسه من كتاب « الخطابة » .

(ه) والاتجاه السياسى والدينى لمؤلف نقد النثر هو الاتجاه الشيعى فهو يشيد

بعلى وذريته كالحسن والحسين والباقر والصادق والرضا . وقدامة بعيد كل البعد عن ذلك الاتجاه ومظهر ذلك كتابته التأليفية فى « نقـــد الشعر » ، على أن مكانته البارزة فى الدولة العباسية ومهامه الادارية فى ديوانها كانت تحول بينه وبين الانضمام إلى أعداء الدولة من الشيعيين، وليس من المعقول أن يكون ذلك جديدا على قدامة، قد اضطرته اليه الأحـداث السياسية التى حدثت فى آخر حياته باستبـداد بنى بويه بالخلافة العباسية سنة ٣٣٤ هـ ؛ فخلق قدامة وقصر المدة بين وفاته وقيـام الدولة الجديدة مما كان يحول بينه وبين هذا الانقلاب .

(و) وثقافة قدامـة ثقافة عقلية صبغت بصبغة الأدب ، وهو فى نقـد الشعر أعمق بحثا وأكثر فهما للشعر وعناصره ، وهو فيما وضع من موازين للنقد متأثر باتجاهه العقلى الفلسفى ، وكثيرا ما يخطىء فى تطبيقه الموازين العقلية الجامدة على العاطفة الشعرية الحية ، كما يظهر ذلك فى « نقد الشعر » .

أما ثقافة مؤلف نقد النثر ، فهى ثقافة أدبية علمية صبغت بصبغة الفلسفة ، واتجاهه العقلى أكثر تأثرا بثقافة المتـكلمين منه بثقافة الفلاسفة ، وثقافته الدينية واسعة فهو مؤلف فى أكثر علومها ، حتى لقـــد حاول الاستفادة من ورائها فى فهم البيان ودراسته ، وهذه ناحية جديدة بعيدة عن قدامة كل البعد .

(ز) ومنهج قدامة فى النقد ــ كما تراه فى « نقـــد الشعر » ــ منهج تفصيلى طريف ، فقد عنى فيه أولا باحصاء مظاهر الأداء البيانى التى تمس الفـكرة وترضى العقل وتتجه إلى سلامة المعنى ، مما تأثر به ابن سنان الخفـاجى من بعـده فى بحثه البيانى فى بلاغة المعانى [1] .

ولـكن منهج مؤلف « نقد النثر » فى نقد البيان منهج إجمالى خصب ، اتجه فيه صاحبه إلى بحث ألوان البيان وفنونه عامة ، والى بحث البلاغة وعناصرها ، وإلى

---

(١) راجع سر الفصاحة

تطبيق نظرية المطابقة لمقتضى الحال على الشاعر والناثر والخطيب، وهو فى هذا الاتجاه الاجمالى لا يجيد البحث التفضيلى فى مظاهر الجمال.

(ح) وأسلوب قدامة أسلوب مرسل بعيد عن السجع والازدواج. أما أسلوب مؤلف «نقد النثر» فأسلوب أديب حريص على السجع، فان لم يواته السجع واتاه الازدواج [١]. والتفاوت بين الأسلوبين دليل قوى على أن الكتابين لشخصيتين مختلفين؛ وشتان بين أسلوب رجلين: فيلسوف يتأدب، وأديب يتفلسف؛ والموازنة بين البحوث المشتركة فى الكتابين تؤدى إلى ما نذهب اليه — وإن قل ما بينهما من اشتراك — : فبين كل من الكتابين تباين كثير فى الموضوعات المشتركة: فى الاتجاه والروح وفى العرض والتحليل، فبحث كالتشبيه فى نقد الشعر مباين لنفس هذا البحث فى نقد النثر [٢]، والاستعارة عند مؤلف نقد الشعر غيرها عند مؤلف نقد النثر [٣]، وجمال الشعر عند قدامة غيره عند مؤلف نقد النثر، ومن العسير على الباحث أن يأخذ هذا الاتفاق فى الموضوعات على علاته كدليل على أن الكتابين لمؤلف واحد، فالدراسة المقارنة لهذه البحوث المشتركة، هى وحدها الحكم فى شخصية المؤلفين ومصدر الكتابين.

ثانيا:

ا — أبو عبد الله محمد بن أيوب بن محمد الذى ورد اسمه فى الصفحة الأولى من النسخة الخطية للكتاب، والذى لم يهتد لشخصيته الكثير من الباحثين، والذى زعم بعض المستشرقين أنه مؤلف الكتاب هو فقيه وقاض أندلسى عاش ما بين ٥٣٠ — ٦٠٨ هـ [٤]؛ فليس هو تلميذا لقدامة كما ذهب إليه بروكلمان وسواه.

ب — وليس ابن أيوب هذا هو مؤلف الكتاب كما ذهب إليه درنبورغ: وهيوار ولفى دلافيدا وكرتشوفسكى وسواهم. ودليلنا على ذلك:

(١) راجع مثلا ص ٥ نقد النثر

(٢) ٦٥ نقد الشعر، ٥٨ نقد النثر

(٣) ١٠٤ — ١٠٦ نقد الشعر، ٧٠ نقد النثر

(٤) تكملة الصلة لابن الأبار ج ١ ص ٢٩٧ — ٢٩٩

١ - ثقافة الكتاب وروحه واتجاهه وبحوثه والأعلام الواردة فيه تؤكد لنا تأكيدا جازما بأن الكتاب من إنتاج أول القرن الرابع على أقصى تقريب ، وقد ورد فيه أعلام كابن دريد وكتابه « الملاحن » (١) . وابن دريد عالم لغوى عاش من ٢٢٣ — ٣٢١ . وكابن التسترى (٢) . وهو قريب العهد من صنائع بنى الفرات (٣) . وكان أديبا يلزم السجع ويستعمل الغريب ويتقعر فى منطقه (٤) . وعاش فى أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع (٥)، وأبو سهل عبدالله التسترى توفى عام ٢٨٢ هـ . وليس فى ذكر المؤلف لابن دريد ولا لابن التسترى ومشاهدته إياه تناقض مع ما نقول .

٢ - يأخذ ابن سنان الخفاجى فى كتابه سر الفصاحة وعبد القاهر الجرجانى فى كتابيه الأسرار والدلائل بعضا من الآراء المبسوطة فى الكتاب فنهج عبد القاهر فى الدفاع عن الشعر (٦) وفى تقسيم التشبيه (٧) هو منهج مؤلف نقد النثر (٨) . والرأى الذى ناقشه ابن سنان - من أن للايجاز مواضع وللاطناب مواضع - هو الرأى الذى بسطه مؤلف نقد النثر (٩) . ولا يعقل أن يأخذ هذان العالمان من أيوب وهما فى القرن الخامس وهو فى السادس والسابع .

٣ - وليس لابن أيوب صلة بالكتاب سوى أن هذا الكتاب قد نسخ له فى آخر القرن السادس الهجرى وكتب الناسخ اسمه فى النسخة التى كتبها ، كما ترشدنا إلى ذلك العبارة الواردة فى عنوان هذه النسخة الخطية والتى حيرت فى فهمها الباحثين ، وهى : « كتاب نقد النثر مما عنى به أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب

---

(١) ٦٩ نقد النثر
(٢) ١٠٨ نقد النثر
(٣) ١٩٣ فهرست
(٤) ١٠٨ نقد النثر
(٥) هامش ١٠٨ نقد النثر
(٦) ص ١٣ وما بعدها دلائل الاعجاز
(٧) ٧٠ وما بعدها أسرار البلاغة
(٨) ٥٨ و ٧٧ و ٧٩ - نقد النثر
(٩) ٩٧ نقد النثر

العراق رضى الله عنه وأرضاه للفقيه المكرم أبى عبد الله محمد بن أيوب بن محمد نفعه الله به ، وهو الكتاب المعروف بكتاب البيان » .

ثالثا : وإذا كان الكتاب ليس لقدامة ، ولا لابن ايوب فلمن هو إذاً من العلماء ؟

لقد واليت البحث فى ذلك ، وخلت أن الكتاب قد يكون لتلميذ لقدامة تأثر فيه بآراء أستاذه فى النقد والبيان ، فحمل بعده عصره على أن الكتاب لأستاذه ، وسمى « نقد النثر » مشاكلة لاسم كتابه الآخر المعروف « نقد الشعر » وإن كان اسمه فى الحقيقة « البيان » .

ولكن البحوث التى قمت بها طويلا أثبتت عندى خطأ هذا الظن .

وقد يكون الكتاب لوالد قدامة : « جعفر بن قدامة بن زياد » المتوفى سنة ٣١٩ هـ وليس لابنه قدامة .

وجعفر هذا هو أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم وافر الأدب حسن المعرفة وله مصنفات فى صنعة الكتابة وغيرها[١] ، والأدلة التى تؤكد هذا الرأى هى :

١ — ثقافة الكتاب العلمية لا تدل على أنه من معين ثقافة القرن الرابع الواسعة وإنما تدل على أنه قد ألف بعد عصر الجاحظ سنة ٢٥٥ هـ وفى أواخر القرن الثالث الهجرى ؛ والأعلام الواردة فى الكتاب والتى لا تتجاوز ذلك التاريخ أصدق شاهد على ما نقول ، وتأليفه فى معارضة كتاب البيان للجاحظ[٢] مما يزيد ذلك قوة .

٢ — وكثير من مؤلفات جعفر قد نسب لابنه قدامة خطأ[٣] . كما أن بعض الباحثين قد شك فى نسبة بعض كتب قدامة له ، ورأى أنها لأبيه كالمطرزى شارح المقامات والمتوفى سنة ٦١٠ هـ .

٣ — وصنعة الكتابة التى قال الخطيب البغدادى إن لجعفر مؤلفات فيها ترادف كلمة نقد النثر وكلمة البيان ، وهى اصطلاحات كانت تدل فى ذلك العصر

---

(١) جـ ٧ ص ٢٠٥ تاريخ بغداد (٢) ص ١ نقد النثر

(٣) ٤٠ نقد النثر مقدمة العبادى .

على قواعد البيان التى يضعها العلماء للكتاب ، يفصلون لهم فيها مشاكل البيان العربى وبلاغته ، ويرسمون فيها المذاهب الأدبية التى يجب على الكتاب احتذاؤها ؛ وذلك كله مانراه مبسوطا فى « نقد النثر » مما يدل على أنه من مؤلفات جعفر فى صنعة الكتابة .

٤ — وظاهرة التشيع التى نراها فى نقد النثر لاتنبع إلا من قلب رجل لم يخلص للدولة إخلاص قدامة ، وعاش بعيداً عن مناصبها كما عاش جعفر .

— ٢ —

ولتحقيق كل ما أشرت اليه ذكر مايلى :

ا — لا نشك — ولا يستطيع باحث أن يشك — فى أن الكتاب ليس لابن أيوب بعد ما بسطناه من أدلة دامغة .

ب — أما نفى نسبه الكتاب لقدامة فهو ما أيدناه بالحجج الكثيرة القوية ، رغم أن كثيرا من الباحثين يرون غير مارأيناه

وقد قرأت أخيرا فى الجزء الثانى من الامتاع والمؤانسة تأليف أبى حيان التوحيدى الذى ظهر قريبا — نصا جديدا ، أراه حرياً بالفهم والبحث والتحقيق[٢] :

قال أبو حيان — فى أثناء كلامه على بلاغة الشعر وبلاغة النثر — مانصه :

« ومارأيت أحدا تناهى فى وصف النثر بجميع مافيه وعليه غير قدامة ابن جعفر فى المنزلة الثالثة من كتابه . قال لنا على بن عيسى الوزير : عرض على قدامة كتابه سنة عشرين وثلثمائة ، وخبرته فوجدته قد بالغ وأحسن ، وتفرد فى وصف فنون البلاغة فى المنزلة الثالثة بما لم يشركه فيه أحد من طريق اللفظ والمعنى ، مما يدل على المختار المجتبى والمعيب المجتنب ، ولقد شاكه فيه الخليل بن أحمد فى وضع العروض ولكنى وجدته هجين اللفظ ركيك البلاغة فى وصف البلاغة ، حتى كأن مايصفه

---

(٢) « ص ١٤٥ و ١٤٦ ج ٢ الامتاع والمؤانسة طبع لجنة التأليف

ليس مايعرفه ، وكأن مايدل به غير مايدل عليه . . . وهذ لا يكون إلا من غزارة العلم وحسن التصور ، . . فأبو حيان على لسانه حينا ، وعلى لسان على بن عيسى الوزير حينا آخر - يقرر :

١ — أن قدامة بذ سابقيه فى وصف النثر وفنون البلاغة من طريق اللفظ والمعنى فى المنزلة الثالثة من كتابه

٢ أنه بتأليفه هذا الكتاب وابتكاره لبحوثه يضارع الخليل بن أحمد فى سمو مكانته وابتكاره لعلم العروض

٣ — أن كتابه هذا عرض على على بن عيسى الوزير سنة ٣٢٠

٤ — أن أسلوب قدامة فى كتابه هجين اللفظ ركيك البلاغة فى وصف البلاغة ، واعتذار الوزير عنه فى ذلك رائع ممتع دال على مدى مكانة قدامة عند معاصريه من المفكرين

ولكن ما هو هذا الكتاب ، الذى استحق هذا التقدير والاعجاب ، من رجلين يعدان من أعظم رجال الفكر الاسلامى فى القرن الرابع الهجرى ، أهو نقد النثر أم سواه ؟

أجزم جزما قاطعا بأنه ليس هو « نقد النثر » ، انما هو كتاب آخر ، سأذكر اسمه بعد قليل :

١ - ذلك أن كتاب نقد النثر - من ناحيته التأليفية — لم يرتب منازل ، وليس فيه منزلة ثالثة فى وصف فنون البلاغة من طريق اللفظ والمعنى مما يدل على الجيد أو الردىء من الكلام ، كما يقول الوزير ، إنما هو فى البيان الذى يقسمه إلى بيان بالحال ، وبيان بالاعتقاد ، وبيان بالكتابة ، وبيان باللسان . والبيان باللسان عنونه المؤلف بهذا العنوان : « البيان الرابع العبارة » ، وتكلم فيه على خصائص

---

(١) ٤٣ نقد النثر

الاسلوب العربى التى تتفق العربية واللغات الأخرى فيها ، وعلى الخصائص الأخرى التى تنفرد بها العربية من : اشتقاق وتشبيه ولحن واستعارة ولغز ووحى ومبالغة وحذف وتقديم وتأخير واختراع ، كما تكلم فيه على تأليف العبارة (١) بالتحدث عن أوصاف الشعر ، وأوصاف النثر بسائر ألوانه : من خطابة وترسل ومجادلة وحديث .. أما ماذكره الوزير فموضوع نجده مفصلا فى « نقد الشعر » ، وقد يكون فى كتب أخرى لقدامة . فأما نقد النثر فليس له بذلك صلة ، وليس فيه وصف لفنون البلاغة من طريق اللفظ أو المعنى كما يقول ، وليس فيه تحليل لمـــذهب قدامة فى النقد كما يرى .

٢ - على أن التوحيدى يرى أن قدامة قد استبد بكتابه - الذى لم يسمه أبو حيان - بشرف يسامى الشرف الذى ناله الخليل بابتكاره علم العروض ، فهل يبوىء قدامة هذه المنزلة : « نقد النثر » إن كان هـو الذى يريده أبو حيان أو الوزير ؟ لا . فان نقد النثر ليس من الابتكار الفكرى فى شىء كما كان كتاب الخليل فى العروض ، وكما نرى قدامة فى « نقد الشعر » ، إنما هو لون من الاحتذاء الفكرى لأرسطو والجاحظ ، وتدوين لعناصر البيان الأولى التى أثيرت فى عصر قدامة وقبل عصره بقليل

٣ - على أن الأسلوب الذى ذمه الوزير هو الأسلوب المنطق المأثور عن قدامة والذى يرشدنا إليه كتابه نقد الشعر ، أما أسلوب نقد النثر فأسلوب بليغ ممتع فيه إشراق البيان . وعليه رونق البلاغة : فلو كان « نقد النثر » هو الذى عناه الوزير لما نقد أسلوبه هذا النقد اللاذع المرير

وإذا فليس « نقد النثر » هو الكتاب الذى عناه أبو حيان والوزير .. ويحق لنا إذا أن نتطلع لمعرفته . حتى يبعد اللبس ، وتستبين السبيل ، ويخلص لنا الدليل

---

(١) ٨٤ المرجع السابق

رأيي أنه كتاب آخر - ولاشك - غير «نقد النثر» الذى لا يمت إلى قدامة بصلة وغير نقد الشعر ، الثابت النسبة إليه والذى نقده الآمدى وشرحه عبد اللطيف بن يوسف . وقدامة له - غير « نقد الشعر - كتاب فى صنعة الكتابة (١) وهو غير « نقد النثر » ، لأن هذا المرجع قد ذكر نقد النثر ، وجعله مؤلفا آخر سواه (٢) وان كان قد نسبه إلى قدامة ، ويذكر صاحب كشف الظنون أن لقدامة كتابا اسمه « سر البلاغة فى الكتابة (٣) ، وكذلك يذكر اليزدادى فى (كمال البلاغة) أن لقدامة تأليفا فى الكتابة (ص١٦ كمال البلاغة) .. فليس من المستبعد إذا أن يكون التوحيدى وعلى بن عيسى الوزير قد قصدا كتابا من هـذين الكتابين . صنعة الكتابة ، وسر البلاغة فى الكتابة ، وقد يكون هذان الاسمان عنوانا لكتاب واحد لقدامة فى بلاغة الكتابة .

وعلى كل حال فالذى نراه ونجزم به أن نقد النثر لا يمت إلى أحد هذين الكتابين بصلة وليس هو أيضا من مؤلفات قدامة فى البيان ، ومما يؤيد ذلك وصف اليزدادى لكتاب قدامة وأنه « فصول مستخرجة من رسائل الكتاب الخ » (١٦ر١٩ كمال البلاغة)

حـ - ولكن ما مدى صحة نسبة الكتاب لجعفر والد قدامة ؟ . من الواجب على أن أقرر أن هذه الفكرة لا تجد إلى الآن الدليل المادى الملموس الذى يدفعها بقوة الحجة ، إنما هى استنتاج رأيته ، ووجدت من وثاقة أسبابه فى نظرى ما يكفى لأن أومن به وأذهب إليه ، ولم أجد - للأسف - شيئا من مؤلفات جعفر التى قال عنها الخطيب البغدادى : إن له مؤلفات فى صنعة الكتابة (٤) أتخذه

---

(١) راجع ٢٠٢ ج ٢ كتاب الأدب العربى لجورجى زيدان

(٢) راجع ١٧٣ ج ٢ نفس المرجع

( ) راجع ٤٧٠ ج ١ كشف الظنون

(٤) ٢٠٥ ج ٧ تاريخ بغداد ، ٢٠٤ ج ٢ معجم الأدباء طبعة مرجليوث

موضوعا لدراسة مقارنة بينه وبين كتاب نقد النثر لمعرفة شخصية المؤلف والاستدلال عليها بدلالة الأسلوب وثقافة التأليف ، واتجاه المؤلف وروحه فيه . وقد يقال إن جعفر عاش نصرانيا ، فمن الغريب أن يتشيع - مع نصرانيته - لآل على ، ومن الغريب أن يكون له مؤلفات مثل : الايضاح أو التعبد أو الحجة ، ولكن من الواجب أن نعرف أن كثيرا من النصارى فى العراق وإيران ، كانوا يتشيعون لأغراض شخصية أو سياسية ، يريدونها ويعملون لها ، على أن الروايات التاريخية الصحيحة لا تثبت لنا أن جعفرا عاش نصرانيته

— ٣ —

ونتبع ذلك بخلاصة للمحاضرة القيمة التى كتبها ونشرها بعد ذلك زميلى الأستاذ حسن جاد المدرس بكلية اللغة حول قدامة ونقد النثر ، قال الباحث فيما قال :

١ - إن الكتاب ليس لقدامة بالأدلة الآتية :

١ - أسلوب الكتابين متباين ، ففى « نقد النثر » أسلوب الرجل الذى ينظر فيما كتب ، ويسوى ألفاظه ، ويقيمها ، ويحددها حتى تكون ملساء لاخشونة فيها ، أسلوب يحفل بالصنعة ويحافظ على السجع ، فان لم يواته لم يفته الازدواج .

وفى « نقد الشعر » أسلوب الرجل الذى يعنى بالفكرة قبل اللفظ ، ويشغله المعنى عن التأنق والصنعة ، أسلوب لا يحفل بسجع أو ازدواج ، فهو بين ارتفاع وانخفاض فى الأسلوب والتعبير .

ويكفى أن تستعرض نبذة من كل من مقدمتى الكتابين شاهدا على ما نقول

٢ - ثقافة قدامة ثقافة الفيلسوف الأديب فقط ، ثقافة عقلية أدبية ، تظهر فى آثاره الفلسفية والأدبية ، حيث يتجلى الفكر الناضج والألمام الواسع بالفلسفة والأدب والشعر والنقد ، ولا نجد له مؤلفا فقهيا أو أصوليا أو تفسيريا ، وحين نقرأ نقد النثر نجد إلى جانب هذه الثقافة ثقافة دينية كلامية ، تنم عن التوسع فى علوم الدين والتأثر بالفقهاء والمتكلمين ، ونجد مؤلفه يحيل على كتب تدل على هذه الثقافة مثل : كتاب الحجة ، وكتاب التعبد ، وكتاب أسرار القرآن . على أن

هذه الكتب لا تتفق مع ثقافة قدامة ، فانها لم تعد بين آثاره ، فى جميع المصادر التى أحصت مؤلفاته . وهذا يدل على أن مؤلف نقد النثر كاتب آخر غير قدامة .

٣ ـ لم يحل قدامة فى نقد النثر مرة واحدة على كتاب نقد الشعر ، كما لم يحل فى نقد الشعر على نقد النثر ، مع أن كلا الكتابين مؤلف فى النقد ، وكل منهما قد عالج من الموضوعات ما عالجه الآخر ، فكان من الأقرب ـ لو أن مؤلفهما واحد ـ أن يحيل فى أحدهما على الآخر فى مناسبة من المناسبات ، بدلا من الأحالة على كتب أخرى كالتى ذكرناها .

٤ ـ يطالعك من كتاب « نقد النثر » فقيه « شيعى » ، لا يمر بموقف إلا استغله لمذهبه ، ولا يعرض له من يوافق نحلته إلا ذكر فيه ما يشفى غليله ، لذلك تراه دائما يعرج على رجال الشيعة ، ويكثر من الاستشهاد بكلامهم فى كل ما يقرره . ويحاول تقرير عقيدته فى كثير من النظريات .

وهذه الروح لا نحس لها أثرا فى كتاب « نقد الشعر » . بل إن قدامة فى « نقد الشعر » حريص على الاستقلال الشخصى فى الرأى والعقيدة . على أن مكانته الأدبية البارزة فى البلاط العباسى ، ومهامه الادارية فى ديوان العباسيين . تحول بينه وبين الانضمام إلى أعداء الدولة من الشيعيين . وليس من المعقول أن يكون ذلك الاتجاه جديدا على قدامة ، قد اضطرته إليه الأحداث السياسية التى حدثت فى آخر حياته باستقلال بنى بويه بالأمر (٣٣٤ ـ ٤٤٧ هـ) ، فقصر المدة بين ابتداء عهد بنى بويه (٣٣٤ هـ) ووفاة قدامة (٣٣٧ هـ) وهى ثلاث سنوات لا تتسع لهذا الانقلاب الذى ينتج مثل هذا الأثر .

٥ ـ نلاحظ فى الموضوعات المشتركة بين الكتابين اختلافا ظاهرا فى الأسلوب ففى « نقد الشعر » تظهر بداءة التأليف فى الفن ساذجة بخلاف « نقد النثر » .. وحسبك أن تقرأ تعريفى المبالغة فى المعنى فى كل من الكتابين ليتضح لك الفرق جليا .

على أن منهج قدامة على العموم فى « نقد الشعر » منهج تفصيلى قد عنى فيه باستقصاء كل مظاهر الاداء البيانى من إصابة التشبيه وإحكام المثل ، وصحة

التقسيم والمقابلة والمبالغة والالتفات والأرداف والاستعارة والطباق . . . الخ . ولكن اتجاه مؤلف « نقد النثر » اتجاه يكاد يكون إجماليا ، قد عنى فيه ببحث ألوان البيان وفنونه عامة من نثر وشعر وخطابة وترسل وجدل ، ويبحث البلاغة عناصرها ، وتطبيق نظرية المطابقة لمقتضى الحال على الشاعر والناثر والمحدث والخطيب . والفرق واضح بين الاتجاهين .

٦ — نلاحظ كذلك فى الموضوعات المشتركة اختلاف البحث اختلافا واضحا ، فنهج البحث فى « نقد الشعر » يتجه اتجاها فلسفيا ، وفى « نقد النثر » أسلوب المتكلم الذى إذا أراد شيئا من الفلسفة أطال فيه .

على أن النظر بعد ذلك فى هذه الموضوعات المشتركة يؤكد لنا اختلاف مصدر الكتابين ، لاختلاف الاتجاه والروح والرأى .

٧ — شخصية قدامة شخصية الرجل المستقل فى آرائه ، المجدد فى كثير من النظريات ، ولكن نقد النثر يطالعنا بشخصية مقلدة ، تعترف بذلك صراحة فى مقدمة الكتاب ، وتتأثر كل التأثر بالجاحظ ، وتعتمد على أرسطو وغيره .

٨ — وأخيرا فقد أحصى ابن النديم فى فهرسته اثنى عشر كتابا من مؤلفات قدامة : ولا نظفر بذكر كتاب « نقد النثر أو البيان » بين هذا الانتاج المتعدد فى مختلف مصادره . كما أننا لا نجد فى هذه المصادر ذكرا لكتاب واحد من الكتب الأربعة التى نوه بها .

من هذه الأدلة نجزم أن « نقد النثر » ليس لقدامة .

ب — وزعم بعض الكاتبين أن كتاب « نقد النثر » لوالد قدامة « جعفر بن قدامة بن زياد »، وساق لذلك أدلة ليست محل القطع واليقين ، ولكنها موضع الظن

ج — فليس مؤلف الكتاب هو قدامة من غير شك ، ولا هو ابن أيوب كما قدمنا ، فمن يكون إذن ؟ لقد حاولنا أن نهتدى إلى المؤلف ، وسلكنا فى ذلك سبيل البحث عن الكتب الأربعة السالفة التى أحال عليها مؤلف « نقد النثر » فأعيتنا المحاولة ، وشق علينا السبيل ، وكل ما نستطيع أن نقطع به أو نرجحه على الأقل هو

أن « نقد النثر » قد ألف فى القرن الرابع الهجرى كما أسلفنا فى صدر البحث، وليس ببعيد أن يكون مؤلفه تلميذاً لقدامة ، ولكن الذى لاشك فيه هو أن مؤلف هذا الكتاب مجهول للآن .

— ٤ —

وبعد كتابة كل ماتقدم نشر الأستاذ الدكتور على حسن عبد القادر مقالة فى الرسالة عدد ٨ - ١١ - ١٩٤٨ ذكر فيها ما يلى :

١ — كتاب « البرهان فى وجوه البيان » لأبى الحسين إسحق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، طبع جزء منه قدر ثلثه باسم « نقد النثر » ، حرره وأخرجه الدكتور طه حسين ، والأستاذ عبد الحميد العبادى ، منسوباً إلى أبى الفرج قدامة ابن جعفر الكاتب البغدادى المتوفى سنة ٣٣٧ هـ . وقد اعتمد مخرجا « نقد النثر » على مخطوطة بمكتبة الأسكوريال رقم ٢٤٣

وقد عثرنا على مخطوطة لهذا الكتاب بمكتبة تشستربتى رقم ٧٦٧ تحت عنوان « كتاب البرهان فى وجوه البيان » ، وعند المقابلة بينها وبين كتاب « نقد النثر » المطبوع وجدناهما يتفقان فى القدر المطبوع ، وتزيد المخطوطة التى بأيدينا على المطبوعة بمقدار ثلثى الكتاب تقريبا . ولم نشك فى أن هذا القدر الزائد إنما هو جزء أصلى من الكتاب قد سقط منه فى المخطوطة الأسكوريالية، وذلك أن المؤلف قد بنى كتابه على أربعة وجوه للبيان :

البيان بالاعتبار ، البيان بالاعتقاد ، البيان بالعبارة ، البيان الرابع بالكتاب وهو غير موجود فى النسخة المطبوعة ، وقد علل محقق هذه النسخة المبتورة هذا النقص بادعائه أن المؤلف قد ضمن الباب الثالث (وهو العبارة) الكلام على الوجه الرابع وهو الكتاب .

وفى النسخة المخطوطة التى بأيدينا ، جاء فيها ذكر البيان الرابع وهو الكتاب، واستغرق من أصل الكتاب جزءاً كبيراً ، كما جاء فيها الكلام على باب المعمى وذكر العروض والقافية بتفصيل كامل . وكذلك جاء فيها مابقى من وجوه الحديث وجهاً وجهاً ، وكذلك مراتب القول ومراتب المستمعين له مرتبة مرتبة ، فكانت مخطوطتنا بهذا التحقيق هى النسخة الكاملة للكتاب .

٢ — وأهمية مخطوطتنا لا تنحصر فى أنها النص الكامل للكتاب كما كتبه مؤلفه بل إن لها أهمية أخرى أكبر، وهى معرفة مؤلف هذا الكتاب على التحقيق. وهو أبو الحسين إسحق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب مما يبطل نسبة الكتاب إلى قدامة بن جعفر، كما أن مخطوطتنا تحمل الاسم الصحيح للكتاب، وهو « البرهان فى وجوه البيان ».

ويؤيد ذلك أيضا أدلة أخرى منها :

أولا : نسب إلى قدامة كتاب فى الكتابة، وليس هو « البرهان » أو « نقد النثر » وإنما اسمه « كتاب الخراج وصناعة الكتابة »، وتوجد مخطوطة منه بمكتبة كوبرلى بالآستانة، وقد استخرج دى غويه نبذا منها وطبعها تحت عنوان « كتاب الخراج »، وهذه النبذ هى الأبواب الثانى والثالث والرابع والخامس والحادى عشر من المنزلة الخامسة، والبابان السادس والسابع من المنزلة السادسة. وقد وصف ياقوت هذا الكتاب فى ترجمة قدامة بقوله : « وله كتاب فى الخراج وصناعة الكتابة »، رتبه مراتب وأتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب إليه، على تسع منازل، وكان ثمانية فأضاف إليه تاسعاً. ويقول المطرزى فى كتاب الايضاح شرح مقامات الحريرى — مخطوطة المتحف البريطانى : « وله تصانيف كثيرة منها كتاب « الالفاظ » وكتاب « نقد الشعر »، وهو حسن للغاية طالعته ونقلت منه أشياء، وقيل هو لوالده جعفر. ومنها كتاب صناعة الكتابة ظفرت به وعثرت فيه على ضوال منشودة، وهو كتاب يشتمل على سبع منازل، وكل منزلة منها تحتوى على أبواب مختلفة ضمنها خصائص الكتاب والبلغاء. وقال ابن الجوزى فى المنتظم فى حوادث سنة ٣٢٧ بمناسبة موت قدامة ما نصه : « وله كتاب حسن فى الخراج وصناعة الكتابة ».

وهذا الوصف لا يتفق مع تبويب كتاب « البرهان » أو « نقد النثر »، إذ انه على أربعة أبواب تناولت كل ما قصد المؤلف كتابته عن الخراج وصناعة الكتابة، وفضلا عن هذا فنحن إذا قارنا الجزء المطبوع من كتاب قدامة الخاص بالخراج ألفيناه مختلفاً عن القسم الخاص بالخراج فى كتابنا « البرهان »، والنتيجة البديهية هى

أن قدامة وابا الحسين كتب كل منهما كتابا فى الموضوع ولكن كلا منهما سلك مسلكه الخاص فى علاج الموضوع .

وقد ألف قدامة كتابه قبل سنة ٣٢٠ وأما الحسين فألف كتابه بعد سنة ٣٣٥ حسب ما جاء من نصوص تاريخية فى ثنايا الكتابين .

ثانيا : من الكتب المعروفة على وجه التحقيق لقدامة (نقد الشعر) وقد عالج فيه الشعر وفنونه بوجه خاص . وقد عالج صاحب « البرهان » فى كتابه الشعر أيضا ، فلو أنه كان لقدامة لما احتاج إلى معالجة هذه الموضوعات مرة أخرى بمثل هذا البيان الكافى ، و فضلا عن ذلك فان معالجة الشعر فى (البرهان) تختلف اختلافا جوهريا عنها فى كتاب (نقد الشعر) من الناحية الفنية والموضوعية .

ثالثا : وصاحب كتاب (البرهان) يصر فى كل مناسبة على ذكر الرجال المشهورين من آل وهب معظما لهم فخورا بهم كأن يقول (وقد كان شيخنا أبو على الحسن بن وهب رحمه الله . . . وقال أبو أيوب رضى الله عنه .. وقد ذكر أبو أيوب رحمه الله وجلا مشهورا بالبلاغة .. ولو لم نتقدم من ذكر البلاغة إلا بهذا القول من شيخنا رحمه الله لكفى و أجزى) .. وأبو أيوب هذا هو سليمان بن وهب عم جد آل وهب وجد المؤلف .

رابعا : وهناك أمر يجب التنويه به وهو أن البطليوسى فى كتابه (الاقتضاب شرح أدب الكتاب) قد كتب فصولا طويلة بنى عليها مقدمته فى شرح الكتاب (ص ٦٦ - ٩٠) وهذه الفصول تتفق فى لفظها مع بعض فصول كتاب البرهان ولكن البطليوسى لم ينسبها إلى أبى الحسين ولا إلى قدامة ، وإنما أشعر بنسبتها إلى على بن مقلة (م ٣٢٧ هـ) ، ولا يمكن أن يقال إن هذا الكتاب (البرهان) هو لابن مقلة لأنه ألف بعد سنة ٣٣٥ وبعد وفاة ابن مقلة بنحو ثمانى سنين والقدر المتيقن أن البطليوسى لم يحتسب على أى حال قدامة بن جعفر مؤلفا للكتاب الذى نقل عنه على فرض أنه نقل فصوله من كتابنا هذا . ومن المحتمل أن يكون (البرهان) قد نسب مرة إلى على بن مقلة كما نسب إلى قدامة بن جعفر وجهل أمر صاحبه . ومن المحتمل أيضا أن يكون البطليوسى ومؤلف كتابنا

هذا كلاهما نقل نقولا من كتاب لابن مقلة فى هذا الموضوع ، وهو أمر لم تساعدنا الظروف على تحقيقه .

ومن غريب الأمر أن هذا الكتاب قد نسب إلى قدامة ابن جعفر فى طرة المخطوطة الاسكوريالية ، وكذلك فى طرة المخطوطة التى بأيدينا مع ورود اسم المؤلف فى أثناء الكتاب وهو أمر غفل عنه الناسخ ، وتفسير هذا التناقض يسير فان الوراقين كانوا يعرفون قيمة قدامة الأدبية ويعرفون شهرة كتابه فى الادب فلا يستبعد عليهم أن يضعوا اسمه على هذا الكتاب لتسهيل بيعه وتداوله ، وهذه طريقة معروفة عند النساخ والوراقين لا تخفى على المحققين .

— ٥ —

دراسة لنقد النثر

أولا : ١ — ثقافة الكتاب ثقافة واسعة ومؤلفه ملم بعلوم العربية والدين والفلسفة إلماما قويا .

٢ — ويبدو فى الكتاب أثر الجاحظ بصورة واسعة فمؤلفه الذى عاب كتاب البيان للجاحظ فى أول نقد النثر قد تأثر به إلى حد كبير .

ا — فكلامه على انواع البيان (ص ٩ — ١٧) ، ونظره إلى البيان نظرة واسعة أعم من البيان بالعبارة ، هو صنيع الجاحظ فى كتابه (٦٨ و ٦٩ ج ١ البيان)

ب — وفى ص ٩٦ يتكلم المؤلف على اختيار مواقع الكلام وأوقاته ومناسبته للسامعين ومطابقة الكلام للمقام ، وذلك رأى الجاحظ (٦٨ - ١٠٥ ج ١ البيان)

ج - ويرى المؤلف أن الفكاهات يجب ألا تغير وأن الجزالة يقويها معاشرة الأدباء والفصحاء (١٣٩ و ١٤٠) وأن اللحن يستحسن من الجوارى (ص ١٤٤) وأن من الصواب معرفة أوقات الكلام والسكوت واقدار المعانى والألفاظ (١٤٥) بأن يأتى بالمعنى فيما يليق به من اللفظ (ص ١٤٨)

وذلك كله كلام الجاحظ فى البيان والتبيين ، ويبدو أثر الجاحظ واضحا فيما كتبه مؤلف نقد النثر عن المنثور (٩٣ — ١١٤) . وكثير من شواهد الكتاب هى من البيان والتبيين .

ثانيا : وقد تأثر عبد القاهر الجرجانى بنقد النثر وأخذ منه بعض آرائه :

١ — فالتشبيه عند مؤلف نقد النثر قسمان : تشبيه للأشياء فى ظواهرها وألوانها وأقدارها كتشبيه القد بالغصن والنساء بالياقوت ، وتشبيه فى المعانى كتشبيه الشجاع بالأسد وأعمال الكافرين بالسراب (٥٨ و ٥٩ نقد النثر) . وتكلم المؤلف عن الظاهر فقال إنه ما أدرك بالحس أو بفطرة العقل التى تتساوى العقول فيها ، والباطن ما غاب عن الحس واختلفت فى إثباته العقول (ص ١٨ نقد النثر) وذلك هو فكرة عبد القاهر فى تقسيم التشبيه (٧٠ — ٧٥ أسرار البلاغة)

٢ — ويقول المؤلف إن الحكماء والأدباء لا يزالون يضربون الأمثال ويبينون للناس تصرف الأحوال بالنظائر والأشباه والأشكال ويرون هذا النوع من القول انجح مطلبا وأقرب مذهبا . وإنما فعلوا ذلك ، لأن الخبر فى نفسه إذا كان ممكنا فهو يحتاج إلى ما يدل عليه وعلى صحته والمثل مقرون بالحجة (٦٦ نقد النثر) .وقد تأثر عبد القاهر بهذه الفكرة ودونها فى الأسرار (١٠٣ — ١٠٥ أسرار البلاغة)

٣ — وحكى المؤلف رأى من عاب الشعر ورد عليه بأن النبى سمعه وأثاب عليه (٧٧ و ٧٨ نقد النثر) . وهذه الفكرة عند عبد القاهر (١٣ الأسرار) .

٤ — وقال المؤلف إن من أوصاف البلاغة أن يتساوى فيها اللفظ والمعنى فلا يكون اللفظ إلى القلب أسبق من المعنى ولا المعنى إلى القلب أسبق من اللفظ (١٠٥ نقد النثر) . وقد ذكر ذلك عبد القاهر (١٢٢ الاسرار) متأثرا بالجاحظ ومؤلف نقد النثر

ثالثا : مآخذ على الكتاب

نأخذ على نقد النثر ما يأتى :

١ — عيبه لكتاب البيان للجاحظ . فهذه النظرة التى نظرها المؤلف اليه قد بالغ فيها كثيرا (ص ٣ نقد النثر)

٢ — ويقول صاحب نقد النثر فى ص ٢٤ إن المعقول من الموجودات التى لا تحس لا يحد . وهذا مبالغ فيه .

رابعا : مآخذ على مقدمة الدكتور طه لنقد النثر :

ا — تهوينه من شأن الجاحظ فى دراسات البيان .

ب — قال إن قدامة تكلم على العتاب فى نقد الشعر وهذا غير صحيح فان قدامة لم يتعرض له

جـ — ويقول إن نظرية المحاكاة عند ارسطو غير موجودة فى نقد الشعر .

وأرى أن قدامة تكلم عليها إجمالا فى كلامه على الوصف (٧٠ و ٧١ نقدالشعر) وأيضا فالمحاكايات ثلاثة كما يقول ارسطو : تشبيه واستعارة وتركيب منهما (أى استعارة تمثيلية) وقد تكلم قدامة على هذه الأنواع فى نقد الشعر

د — قال ان عبد القاهر اول من تكلم فى المجاز العقلى وذلك بعيد عن الصواب كما بينت فى بحث المجاز العقلى فى الجزء الأول من هذا الكتاب

خامسا : خلاصة لآراء مؤلف نقد النثر فى البيان :

تكلم صاحب نقد النثر على ألوان كثيرة من البيان فى كتابه :

١ — فقد تكلم على البيان ووجوهه وأقسامه

٢ — وعرف البلاغة والفصاحة (٧٦ و ١٠٥) وذكر أوصاف البلاغة [١٠٥ وما بعدها]

٣ — وتكلم على مطابقة الأحوال واختيار مواقع الكلام وأوقاته والمناسبة بين المعنى واللفظ ومواضع الايجاز والأطناب (٩٣ - ١٠٦)

٤ — وتكلم على الخطابة وأوصافها وأوصاف الخطيب

٥ — وذكر ميزان جودة الشعر (٨٤)

٦ — والمؤلف أول من تكلم عن الخبر والانشاء باوسع تفصيل ولم يزد العلماء بعده إلا اليسير (٤٤ - ٤٩ نقد النثر)

٧ — وتكلم عن التمثيل والتشبيه والاستعارة واللحن (التعريض) والمعارضة (التورية) .وعلى الرمز والوحى واللغز والحذف . وعلى الالتفات وسماه (الصرف) (ص ٧٠) . وعل المبالغة وعلى التقديم والتأخير . وأشار إلى الفصل والوصل

ومن ذلك نرى أن نقد النثر له أثر خطير فى البلاغة

سادسا : هذا ويمتاز أسلوب نقد النثر بالحدود المنطقية وبالأسلوب الأدبى .

ويبدو فى الكتاب أثر فلسفة اليونان والخطابة والشعر لارسطو خاصة ؟

الصبغ البـــديعى
بين عبد القاهر والسكاكى

وننشر هنا خلاصة موجزة لبحث قيم نشره فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أحمد موسى المدرس بكلية اللغة فى مجلة الازهر فى هذا الموضوع ، تتمة للفائدة

وهذه هى خلاصة هذا البحث :

١ — كان المنحى الذى نحاه عبد القاهر الجرجانى بأصباغ البديع ، أمثل المناحى وأجلها ، وأعودها على هذا العلم بأحمد النتائج وأطيبها ، وجعل الحسن فيه ذاتيا أصيلا ، يتم الغرض بوجوده وينعدم بعدمه ، وأبرزه فى معرض سليم العبـــارة مشرق الديباجة ، قوى التصوير ، ينبىء عن ذوق أدبى معدوم النظير ، وقوة فى التحليل والغوص على أسرار الأساليب ليس فى بابها مثيل

فلما كانت أواخر السادس وأوائل السابع الهجرى أخذ البديع ينحدر رويدا رويدا إلى هاوية الاسفاف والانحطاط . على يد مدرسة جديدة فى البلاغة

وكان زعيم هذه الحلبة سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على السكاكى الخوارزمى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، شهد له ابن فضل الله فى المسالك قال : « ذو علوم سعى اليها فحصل طرائقها ، وحضر تحت جناحه طوابقها ، واهتز للمعانى اهتزاز الغصن للبارح » ، وقال أبو حيان فى الارتشاف : « كان علامة بارعا فى فنون شتى خصوصا المعانى والبيان ... » وقد نهل السكاكى وعل من إملاء موارد عصره فتلقى الفقه عن سعيد بن محمد الحياطى ، ومحمود بن ساعد الحارثى شيخ الاسلام ، أما شيخه فى العربية فهو كما صرح به فى المفتاح الحاتمى الأديب المتذوق[٢] ولقبه شرف الدين .

وقد استودع السكاكى كتابه المفتاح من أنواع الأدب مارآه لابد منه للاديب ، فضمنه علم الصرف والاشتقاق ثم أورد علم النحو ، وبين أن تمامه بعلمى المعانى

---

(١) ٧٠ المفتاح

والبيان ، ثم بين أن تمام علم المعانى بعلمى الحد والاستدلال فأتى بهما . ولما كان التدرب فى علمى المعانى والبيان موقوفا على ممارسة باب النظم وباب النثر أوردهما فى كتابه ، ثم لما كان صاحب النظم يفتقر إلى علمى العروض والقوافى ثنى عنان القلم إلى إيرادهما .. وفى القسم الثالث نحا بالبلاغة نحوا جديدا لم ينحه على هذا الوجه من قبله ، فجرى على طريقة من الضبط والتقسيم ، والتجديد والتدرج فى توليد المسائل اللاحقة عن المسائل السابقة ، والاحالة على قواعد العلوم الأخرى ، والكشف عن سر انحصار العلم فى أبوابه ، أو الباب فى مسائله .

واقرأ إن شئت فصلا عقده لضبط معاقد علم المعانى ، واستعرض هذا القسم من الكتاب تره قد أمعن فى الغوص بقواعد البلاغة إلى اعمق بحار العلوم العقلية من منطق وفلسفة ، وجرى فى ذلك إلى غاية بعدة المدى ، مترامية الأطراف كانت أولى الخطوات الواسعة بعد قدامة بن جعفر فى النزول بالبلاغة إلى هـذا الدرك الذى ترى عليه البلاغة الآن .

٢ — صلة البديع بالبلاغة عند السكاكى :

للسكاكى صنيع لم يسبق إليه فى تاريخ التأليف من حيث إقامة الحواجز الفاصلة بين العلوم التى اشتمل عليها المفتاح

فالسكاكى أول من أطلق اسم « علم المعانى »[1] على المباحث الخاصة التى بحثها فيه ، ولا يخدش هذه الأولية ما نرجحه من أنه اقتبس ذلك الاسم من تعريف النظم وشرح الغرض منه عند عبد القاهر . وكذلك كان السكاكى أول من أطلق على مباحث : التشبيه ، والمجاز ، والكناية ، اسم « علم البيان » .

وقد عرف السكاكى البلاغة بقوله : « هى[2] بلوغ المتكلم فى تأدية المعانى حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وإيراد أنواع التشبيه ، والمجاز

---

(١) وهذا لا ينافى ما جاء فى مقدمة الكشاف للزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ حيث صرح بما يفيد أن المعانى علم آخر إذ أن ذلك كان على عرف المتقدمين الذين لم يقيموا بينهما مثل هذه الحواجز ، كما فعل السكاكى

(٢) مفتاح العلوم - ١٧٥

والكناية ، على وجهها ، ، ثم أشار إلى طرفيها الأعلى والأسفل ، وإلى ما بينهما من مراتب متفاوتة ، ثم نوع الفصاحة إلى نوعين : نوع راجع إلى المعنى ونوع راجع إلى اللفظ ، ثم خلص من ذلك فقال [1] : « وإذ تقرر أن البلاغة بمرجعها وأن الفصاحة بنوعيها ، مما يكسو الكلام حلة القبول ، ويرقيه أعلى درجات التحسين ، فها هنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار إليها ، لقصد تحسين الكلام ، فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها ، وهو قسمان : قسم يرجع إلى المعنى ، وقسم يرجع إلى اللفظ » ثم مضى في سوق ما تيسر له سوقه من النوعين مما تجده قارا في موطنه من كتابه ، وليس له فيها من جديد سوى إطلاق اسم « سوق المعلوم مساق غيره » على ما كان يعرف عند المتقدمين باسم « تجاهل العارف » ، وكأنه لم يحب أن يطلق عليه اسم تجاهل العارف لوروده في القرآن الكريم ، ثم تراه بعد ذلك يسير سيرته من الإيجاز ، والاكتفاء بتحديد الألوان . وإردافها بمثال واحد ، أو مثالين دون أن يشير كما أشار عبد القاهر أو أبو هلال مثلا إلى أسرار الأساليب والكشف عن جمالها وروعتها ، وكذلك تراه بعد أن فرغ من سرد القسم اللفظي يذيله بقوله : وأصل الحسن في جميع ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعاني ، لا أن تكون المعاني لها توابع ، أعني الا تكون متكلفة

على هذا النحو الذي رأيت عرض السكاكي البديع وقسم ألوانه إلى قسمين : معنوي ولفظي ، وهو مسبوق بهذا التقسيم وبتلك الألوان ، وليس له من جديد إلا ما حدثناك عنه مما ليس له كبير خطر في جوهر العلم ولبابه . وقد نال البديع من طريقة السكاكي في القسم الثالث هذا السرد القائم على الاكتفاء بتعديد الألوان وتحديدها وإزجائها بمثال أو مثالين مجانبا طريق سلفه ممن جمعوا بين البحث العلمي وحسن العرض الأدبي في البديع .

إلا أننا نلحظ هاهنا أن السكاكي - وقد فصل بين علمي المعاني والبيان وأطلق

---

(١) المرجع - ١٧٩

عليهما هذين الاسمين - لم يعرض لألوان البديع على أنها علم مستقل عن العلمين : بل على أنها تشارك مسائلهما فى تزيين الكلام بأبهى الحلل .

عرف المعانى بقوله : « هو تتبع خوص تراكيب الكلام فى الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ فى تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره »[١]

ثم عرف البيان بقوله : « هو معرفة إيراد المعنى الواحد فى طرق مختلفة بالزيادة فى وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ فى مطابقة الكلام لتمام المراد منه »[٢]

وكما كان السكاكى أول الجناة المسرفين على علم البلاغة باخضاعه للعلوم العقلية ، فأضاع بهجته ، وأخلق ديباجته ، كان أول الجناة عليه بالجائه إلى مضايق الاختصار ووسمه بميسم التعمية والالغاز ، ذلك أنه عمد إلى القسم الثالث فاختصره فى كتاب سماه « التبيان » ففتح بذلك باب الاختصار لمن بعده .

وبعد : فبالقسم الثالث من المفتاح تنقطع الصلة بين المتقدمين الذين غلبت عليهم الصيغة الأدبية ، وبين المتأخرين الذين غلبت عليهم الصيغة النظرية ، وتمضى البلاغة مثقلة بأعباء المنطق والفلسفة ، والكلام ، وفى ذيلها البديع فى طريق الاختصار المخل الذى لا يشبع نهمة ولا يبل أواماً ولا يربى ذوقا .

٣ - حكومة الخطيب على البديع : وقد أحصى صاحب كشف الظنون[٣] عددا وافرا ممن توفروا على القسم الثالث من المفتاح بالاختصار ، أو النظم ، أو الشرح وأشهرها متن التلخيص لجلال الدين القزوينى ، وقد نال التلخيص قسطا وافرا من الشهرة والرواج ، قال صاحب كشف الظنون[٤] « ولما كان هذا المتن مما يتلقى بحسن التلقى والقبول ، أقبل عليه معشر الأفاضل والفحول ، وأكب على

---

(١) مفتاح العلوم ٧٠ (٢) مفتاح العلوم ٧٠

(٣) ج ٢ ص ٤٨٠ (٤) ص ٣٢٣ ج ١

درسه وحفظه أولو المعقول والمنقول : فصار كأصله محط رحال تحريرات الرجال ومهبط أنوار الأفكار ، ومزدحم آراء البال ، فكتبوا له شروحا . ، وقد رتبه على مقدمة وثلاثة فنون وخاتمة ، فالمقدمة فى شرح معنى الفصاحة والبلاغة ، والفن الأول فى علم المعانى ، والثانى علم البيان ، والثالث فى علم البـــديع ، والخاتمة فى السرقات الشعرية وما يتصل بها .

ونظرة إلى هذا الصنيع تقفنا على مبلغ تجديد الخطيب بالنسبة إلى البديع ، فقد جعله علما مستقلا عن أخويه ، وانظر إلى تعريف علم البديع بقوله : هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة ، كيف قضى على ألوانه بأن تكون حلى مزينة ، تكسو الكلام بهجة بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة ، وأنها عرضية ليست بالذاتية . إن السكاكى قسم ألوان البديع إلى قسمين : معنوى ، ولفظى ، وســـاق من المعنوى عشرين لونا من بينها : الاعتراض والالتفات . والايجاز ، والأطناب ، وجعل الطباق والمقابلة نوعين يستقل كل واحد منهما عن صاحبه ، فتابعه الخطيب فى تقسيم المحسنات إلى القسمين المذكورين ، سوى أنه عد من المعنوى ثلاثين لونا فى التلخيص ، وواحدا وثلاثين فى الايضاح ، ليس من بينها : الالتفات والاعتراض ، والايجاز والاطناب ، واكتفى بعدها ضمن مباحث علم المعانى ، وجعل الطباق مشتملا على المقابلة ، متأثراً بطريقة ابن سنان الخفاجى فى سر الفصاحة ، وقد أربى على السكاكى فى المحسنات المعنوية ؛ بالارصاد ، والعكس ، والرجوع ، والاستخدام ، والتجريد ، والمبالغة ، والمذهب الكلامى ، وحسن التعليل ، والتفريع وتأكيد الذم بما يشبه المدح ، والادماج ، والهزل الذى يراد به الجد ، والقول بالموجب ، والاطراد ، والاستطراد ، وكذلك فعل فى المحسنات اللفظية فزاد : الموازنة ، والتشريع ، ولزوم مالا يلزم . وهو فى كل أولئك مسبوق ؟

الكلمة الاخيرة

هذا هو آخر الجزء السادس من شرحي على كتاب « الايضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني المتوفى عام ٧٣٩ هـ »

وبنهاية هذا الجزء ينتهي شرحي على الكتاب ، وهو شرح كبير وقع في ستة أجزاء ضخمة تبلغ صفحاتها أكثر من ألف وخمسمائة صفحة ، مع الاختصار الشديد فيه تلبية لرغبة الناشرين الملحة ، ولولا ذلك لوقع هذا الشرح في ضعف هذا الحجم .

وقد أخذ هذا الشرح مني جهدا كبيرا : في بحوثه ومراجعاته وتحقيقاته ، مما لا أستطيع تفصيل القول فيه ، فالكتاب بنفسه ناطق بمدى ما نال من عناية وجهد

وإني لأسجل اعترافي بأثر فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء علينا في دراسات البلاغة وبحوثها . . وبأثر هذه البحوث الجليلة في دراسة البلاغة تأليف فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ سليمان نوار عميد كلية اللغة العربية التي استفدت منها فائدة كبيرة

وأخيرا أسأل الله تبارك وتعالى أن يمنحنا التوفيق ، ويرشدنا إلى أقوم طريق

وصلى الله على رسوله الكريم ، خير الانبياء ، وصفوة الخلق أجمعين

وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب ؟

١٢ ربيع الثاني عام ١٣٧٠ هـ — محمد عبد المنعم خفاجي

٢٠ يناير عام ١٩٥١ — المدرس في كلية اللغة العربية

استدركات

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
٧١	٢٠	هى	هو
٨٥	١٦	أبو	أبو هلال
١٠١	٦	لمعتز	المعتز
١٣٠	١٤	النيان	البيان
١٣٠	١٦	بأوسهم	بأوسعهم
١٣١	١	يذعى	يدعى
١٣١	٦	وقدل	وقول
١٣١	١٨	وقبولة	مقبولة
١٣١	١٨	ود	رد
١٢٣	٢٢	هافى٠	هانى٠
١٣٤	٤	(١)	(٢)
١٣٤	١٠	ستماره	ستمار
١٣٤	١٥	عدابا	عذابا
١٣٥	٢	حق	حسن
١٣٥	١٦	فزا ففيه	فزاد فيه
١٣٧	٢	بمغناهم	بمغناهم ٠
١٣٨	٥	أن	إن
١٣٨	٨	والاقباس	والاقتباس
١٣٨	٨	أما صلى	الاصلى
١٣٨	١٧	ولاج	ولاح
١٣٨	١٧	مدلهة	مدلهمة
١٣٨	١٨	ليطفشوه	ليطفئوه
١٣٩	٢٤	شعر	شعره

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
١٤١	٨	تضمن	تضمين
١٤٢	٢	لسجيم	لسحيم
١٤٢	٩	هبته	هيبته
١٤٢	١٠	ندايتم	تدايتم
١٤٢	١٥	الذنبابحبك	الدنيابحبك
١٤٢	١٦	ل بعنيه	لا يعنيه
١٤٢	١٦	بالبيات	بالنيات
١٤٢	١٩	البثر	النثر
١٤٢	١٩	عقد	عقدا
١٤٣	٩	صاحت	صاحب
١٤٣	٩	للبعى	البغى
١٤٣	١٠	أعالبه	أعاليه
١٤٣	١١	جيل	جبل
١٤٣	١٣	يتبس	يلبس
١٤٣	١٥	بلوب	بثوب
١٤٣	١٨	اليرمل	الكامل
١٤٣	٢٤	لابنة عبد	لابنه
١٤٣	٢٤	ابن ـ البحل	بن ـ البخل
١٤٥	١٦	الرغم	راغم
١٥٣	١٧	من إلى	من كلام إلى
		(فى الجزء الخامس)	
١٥	١١	واشتراطها	اشتراطهما
١٣٦	١٦	ثانيا	أولا

فهرست

الصفحة	الموضوع
٣	الكلمة الأولى
٤	علم البديع
٥ - ٩٠	المحسنات المعنوية
٦	المطابقة
١٣	التدبيج
١٦	المقابلة
٢٠	مراعاة النظير
٢٢	تشابه الأطراف
٢٣	إيهام التناسب
٢٤	التفويق
٢٥	الارصاد
٢٧	المشاكلة
٣١	الاستطراد
٣٤	المزاوجة
٣٥	العكس
٣٨	الرجوع
٣٩	التورية
٤٢	الاستخدام
٤٣	اللف والنشر
٤٦	الجمع - التفريق
٤٧	التقسيم
٤٩	الجمع مع التفريق أو التقسيم
٥١	الجمع مع التفريق والتقسيم
٥٤	الجريد
٦٢	المبالغة وأقسامها
٦٦	المذهب الكلامي

الصفحة	الموضوع
٦٨	حسن التعليل
٧٤	التفريع
٧٦	تأكيد المدح
٧٨	تأكيد الذم
٨٠	الادماج
٨٢	التوجيه
٨٤	الهزل يراد به الجد
٨٥	تجاهل العارف
٨٧	القول بالموجب
٩٠	الاطراد
٩١ - ١١٧	المحسنات اللفظية
٩١	الجناس
١٠٣	رد العجز على الصدر
١٠٧	السجع
١١٤	القلب والتشريع
١١٥	لزوم ما لا يلزم
١١٧	شرط حسن المحسنات اللفظية
١١٨	خلاصة أخيرة
١١٩	السرقات الشعرية
١٣٦	ما يتصل بالسرقات
١٤٧	حسن الابتداء
١٥٣	حسن الانتهاء
١٥٥	بحوث ودراسات
١٨٩	كلمة أخيرة
١٩٠	فهرست الكتاب

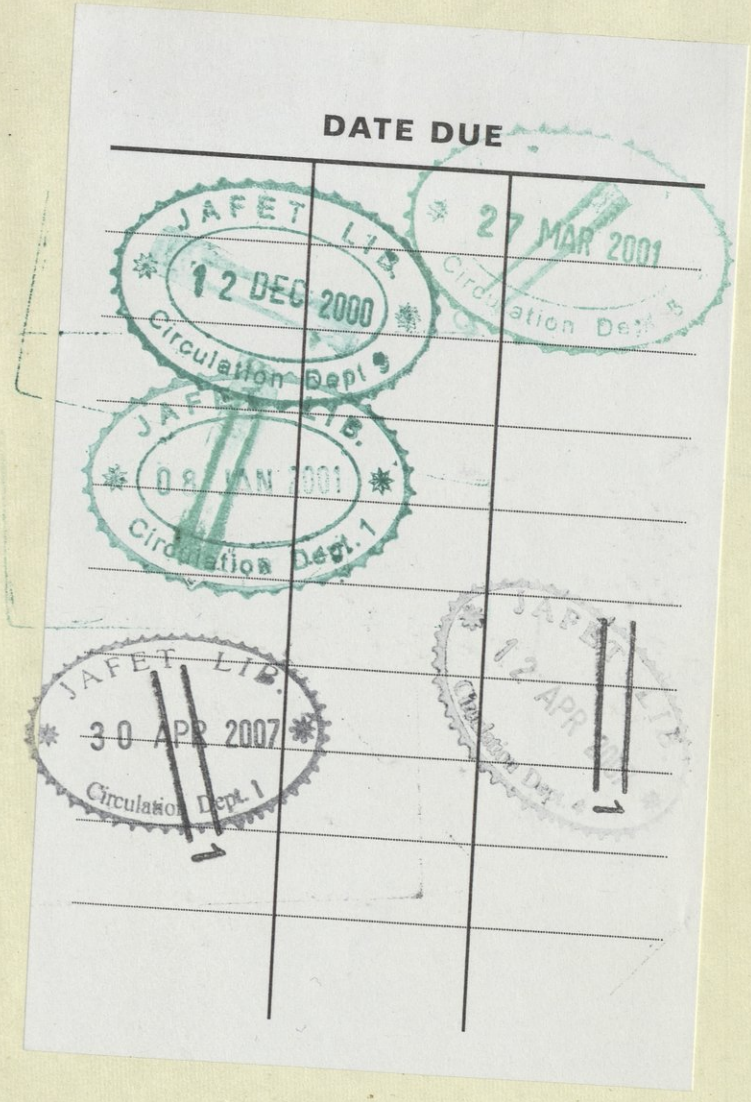
DATE DUE
JAFET LIB.
12 DEC 2000
Circulation Dept
27 MAR 2001
Circulation Dept
JAFET LIB.
08 JAN 2001
Circulation Dept. 1
JAFET LIB.
30 APR 2007
Circulation Dept. 1
JAFET LIB.
12 APR
Circulation Dept

A.U.B. Library

خفاجي، محمد عبد المنعم
الايضاح في علوم البلاغة
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01030802

